

سلسلة المائة كتاب

نقطة التحول

: ـحيه سينزبري

ـمان



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

العنوان : العراق ـ بغداد ـ اعظمية ص. ب. ٤٠٣٢ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
الدكتور محسن جاسم الموسوي

العنوان
أعظمية - ص . ب ٤٠٣٢ تلكس ٢١٤١٣٥
العنوان البرقي فاق تلفون ٤٤٣٦٠٤٤
بغداد - العراق



نقطة التحول

تأليف: كيث سينزبري

ترجمة: زهير السمان

مراجعة: د.صالح العابد

الطبعة الاولى ـ بغداد ـ ١٩٨٦

مقدمة

لقد كُتب الشيء الكثير عن مؤتمري يالطا وبوتسدام ، ولكن اللقاء الأول الذي ضم قادة الدول الحليفة الثلاث أمريكا ، الاتحاد السوفييتي ، وبريطانيافي طهران عام ١٩٤٣ قد أُهمل الى حد ما . وها ان الوقت قد حان لمعالجة هذا الاهمال ذلك لأن لمؤتمر طهران أهمية لا تقل عن المؤتمرات الأخرى التي شهدتها تلك الحقبة . فمن الناحية العسكرية حدَّد هذا المؤتمر مسار ستراتيجية الحلفاء الى حين انتهاء الحرب العالمية الثانية . اما من الناحية السياسية فقد مهد الطريق أمام الزعماء الذين اجتمعوا في مؤتمر يالطا للمضي قدماً في تقسيم أوربا وأجزاء أخرى عديدة من العالم الى مناطق نفوذ للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة . وفضلاً عن كونه أول لقاء ثلاثي يجمع بين الرئيس الأمريكي فرانكلن روزفلت والزعيم السوفييتي المارشال جوزف ستالين .

كان المؤتمر مهماً من ناحيتين ، الأولى عسكرية وهي انه كان مؤشراً على تفوق الأفكار الستراتيجية الأمريكية على مثيلاتها البريطانية التي ظلت سائدة في السنتين الأوليين من التحالف الانكلو أمريكي . كما انه عُقد في وقت أصبح من الواضح فيه ان الاتحاد السوفييتي عازم على بسط سيطرته العسكرية على أوربا الشرقية وربما الوسطى أيضاً بعد انتهاء الحرب وانه كان يترتب على الحلفاء الغربيين ان يكيفوا أوضاعهم تبعاً لذلك . وفي هذا المؤتمر حظيت ضغوط الاتحاد السوفييتي للاسراع بشن هجوم عبر القنال الانكليزي لاستعادة المناطق الشمالية والشمالية الغربية من فرنسا من الألمان ، يصاحبه في ذات الوقت انزال عسكري في جنوب فرنسا ، بتأييد الأمريكان ، مما أدى بالتالي الى التقليل من دور القوات البريطانية المرابطة في شرق البحر المتوسط وإيطاليا واعطائها دوراً مسانداً فحسب . لقد قيل ان الدول الغربية بانتهاجها ستراتيجية أملاها البريطانيون في السنتين الأوليين من عمر التحالف الغربي ومن ثم الانتقال الى انتهاج ستراتيجيات أملاها الأمريكان لما تبقى من فترة الحرب هو

الذي أفقد هذه الدول فرصة الاستفادة من أي من الستراتيجيتين وانه لهذا السبب فان الجيوش السوفييتية وصلت الى برلين وفيينا وبراغ أولاً ثم احتلت أوربا الشرقية برمتها في مرحلة لاحقة.

لقد حاولت في كتابي السابق (الانزال في شمال أفريقيا) الذي صدر عام ١٩٧٦ ان أبرهن انه لو أُنتهجت ستراتيجيات أمريكية في المرحلة الأولى من التحالف الغربي لانطوى ذلك على الدخول في مسارات اما ان تكون طائشة من الناحية العسكرية أو مستحيلة من الناحية السياسية. وبوجه عام لم أعثر على أي دليل واضح بان أية ستراتيجية بديلة لتلك التي أُنتهجت بالفعل كان يمكن ان تسفر عن نتائج أفضل رغم ان محللين آخرين خرجوا باستنتاجات تختلف عن تلك التي خرجت بها.

كذلك فان مؤتمر طهران كان ذا وقع بعيد المدى في تأثيراته السياسية. ففيه وضع روزفلت وستالين الخطوط العامة لاتفاقهما حول أوربا والشرق الأقصى، وأرسيا بذلك الأساس لاتفاقيات يالطا التي وُقعت فيما بعد. ان تقسيم المانيا وكيفية سيطرة الحلفاء على مناطقها الصناعية الرئيسة والابقاء على أوضاع الدول الصغيرة في وسط وشرق أوربا وضم أجزاء من أراضي بولنده ما قبل الحرب من جانب روسيا واضمحلال دور فرنسا وتيسير المنافذ للاتحاد السوفييتي للوصول الى بحر البلطيق والبحر المتوسط كانت بعضاً من الأمور التي طُرحت في اطار ما يجب أن تكون عليه خارطة أوربا مستقبلاً. هذا من جهة ومن جهة ثانية فان ونستون تشرشل وانطوني ايدن فشلا في الحصول على ضمانات فعّالة لاستقلال بولنده وحقها في تقرير المصير، أو انشاء دول أكبر تكون قادرة على البقاء على قيد الحياة. اما بالنسبة للشرق الأقصى فان اتفاق روزفلت وستالين نصَّ على أن تُعاد للصين كل الأراضي التي خسرتها لليابان على مدى خمسين عاماً، وكذلك القبول بحكومة شيانغ كاي شيك على انها الحكومة الشرعية للصين. وبموجبه أُعطي الحق للولايات المتحدة في الاحتفاظ بقواعد عسكرية في الجزر اليابانية بما يمكنها من ان تصبح القوة المهيمنة في المحيط الهادي وبالمقابل يضمن لروسيا طريق الوصول الى ذلك المحيط عبر ميناء أو موانىء صينية على البحر الأصفر. كان واضحاً ان الحاجة الى وسائل اتصالات مضمونة مع موانىء كهذه ينطوي على اقامة منطقة نفوذ سوفييتية في منشوريا، كما انه من المؤكد ان

ستالين وروزفلت لم يكونا يـريدان لبـريطانيـا ان تلعب أي دور رئيس في الشرق الأقصى بعد انتهاء الحرب.

وباختصار، فان التفاهم الذي تم التوصل اليه في مؤتمر طهران حول مستقبل بولنده والمانيا والصين والمحيط الهادي رسم الخطوط العامة للاتفاقيات التي وقعت في ما بعد في يالطا. وكما ان القرارات السياسية التي أُتخذت في لقاء طهران قد عكست اتفاقاً واسعاً سوفييتياً أمريكياً في هذه المرحلة من الحرب ـ كذلك فقد عكس التفاهم السياسي بين البلدين اتفاقاً مماثلاً.

لقد أصبح واضحاً، كما سيرد ذلك في المرحلة الأولى من هذا الكتاب، ان نتائج مؤتمر طهران الذي استمر أربعة أيام ما بين أواخر تشرين ثاني وأوائل كانون أول ١٩٤٣ ينبغي أن يُنظر اليها من زاوية نتائج المفاوضات السابقة التي عُقدت في موسكو على مستوى وزراء خارجية الدول الحليفة الثلاث وعلى ضوء ما تمخض عنه المؤتمر الانكلو أمريكي الصيني في القاهرة. لهذا السبب وَجدتُ انه لابد من التوسع في سرد التفاصيل في هذا الكتاب حتى يكون بالامكان اعطاء شرح واف عن كلا المؤتمرين. ان حقيقة كون معظم وثائق وزارة الخارجية البريطانية بما فيها محـاضر هذين المؤتمرين لم تنشر على الملأ بعد، جَعَلَ من هذا السرد للأحداث امراً مرغوباً فيه. وقد قادني هذا الى استبعاد أمور أخرى كان لابد من الخوض فيها لو قدر للكتاب ان يتجاوز الحد المعقول، وكان عليَّ ان أترك المجال لأساتذة آخرين مهمة اجراء تحليل آخر لنتائج مؤتمر طهران وتحاشي أية شروحات مفصلة عن كيفية نشوء الأفكار والمقترحات السياسية التي طُرحت في هذه المؤتمرات. هناك في الواقع الشيء الكثير مما يمكن عمله في هذا المجال الأخير وذلك عن طريق الاطلاع على سجلات وزارة الخارجية البريطانية بوجه خاص.

وكما أشار البروفيسور مارك ستولر وآخرون فان وثائق الحرب العالمية الثانية تفترض بالضرورة اطلاع الكاتب على ما يريد اختياره منها بغية اعداد دراسة وافية. وعلى أية حال فانه لمما يحزنني ان الفرصة لم تُتح لي للاطلاع على وثائق هيئة الأركان الأمريكية المشتركة ذات الصلة بالحرب إلا في المراحل الأخيرة لتأليف هذا الكتاب ولذلك لم يكن بمقدوري ان اعطي شرحاً وافياً لما دار في اجتماعات كبار الجنرالات الأمريكان على النحو الذي أعطيته بالنسبة للاجتماعات العسكرية للجنرالات

الانكليز.

وفيما يتعلق بمسألة ما إذا كان هناك تحيز في الكتابة لهذا الجانب أو ذاك لابد أن أقول ان بعض القراء على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي قد يرون في تقويمي للأحداث طابعاً معادياً للأمريكان وهنا ليس لي إلا ان أقول انه لو كان هناك شيء من هذا القبيل فهو غير مقصود بالتأكيد ذلك لأنني سمحت للوثائق ان تقودني في الاتجاه الذي ينبغي ان تقودني اليه.

انه لخطأ فادح ان نفترض العكس في نوايا الآخرين وعلى هذا فاني أعتقد ان هذا الكتاب لو قُرأ في الاتحاد السوفييتي ، مثلاً لانبرى من يقول انه معاد للسوفييت ، ومرة أخرى أعود لأؤكد انه لو صح مثل هذا الافتراض فهو غير مقصود أيضاً. لقد حاولتُ قدر المستطاع أن أشير الى ان مواقف الاتحاد السوفييتي حيال المشكلات السياسية كانت في الغالب مفهومة حتى ولو لم يكن لها في كثير من الأحيان ما يبررها. ان مواقف الاتحاد السوفييتي من المسائل الستراتيجية غالباً ما تعتمد على تحقيق غايات عسكرية. ان أي مؤرخ لأحداث الحرب العالمية الثانية لابد ان يعترف بفضل المؤرخين الأمريكان والانكليز في وصوله الى مبتغاه ، وبالنسبة لهذا الكتاب فان مساعدة مؤرخين من أمثال (ابراهام) و (هوارد) و (مالتوف) و (وودوارد) وواضعي كتاب العلاقات الخارجية للولايات المتحدة عام ١٩٤٣ كانت بالنسبة لي غاية في الأهمية والقيمة.

إن المسودة الأولى للكتاب اعتمدت أساساً على الوثائق والمذكرات وعلى نُبذ مرخص بها عن حياة أولئك القادة الذين وردت أسماؤهم فيه. وفي سبيل التنقيح ، تمت مراجعة مؤلفات عديد من الباحثين التي عالجت تلك المؤتمرات. ولابد لي من الاعراب عن الشكر لكل من ساعدني وقدم لي العون والمشورة وسهل مهمة اطلاعي على وثائق تلك الحقبة في إعداد هذا الكتاب من أساتذة وباحثين ومؤرخين ومسؤولين سابقين ولابد أن أؤكد هنا ان أياً من هؤلاء غير مسؤول بالطبع عن أي تقصير قد يرد في صفحات هذا الكتاب وكذلك أشكر الناشرين على الصبر الذي تحلو به اتجاهي ولزوجتي ماري والسيدة اي برجس التي تولت طبع مواد هذا الكتاب وأخيراً لصديقي الأستاذ (جيوفري وارنر) الذي لابد وان أعترف انه كان صاحب فكرة تأليف هذا الكتاب.

كيث سينسبري

كلمة المترجم

أمنيتي أن يكون هذا الكتاب في متناول كل السياسيين والعسكريين العرب ، كي تكون دروس الأمس عوناً لهم في عملهم اليوم .



الفصل الأول

كيف نشأت فكرة المؤتمرات الثلاثية

صبيحة السابع من تشرين أول عام ١٩٤٣ استقل (كوردل هول) وزير الخارجية الأمريكي آنذاك الطائرة من واشنطن بادئاً المرحلة الأولى من رحلة طويلة الى موسكو. وكانت رحلة محفوفة بالمخاطر في زمن الحرب خاصة بالنسبة لرجل في العقد السابع من العمر لم يسبق له ان ركب طائرة قبل هذا وذلك في وقت كانت فيه الشكوك تحوم حول ما إذا كانت الولايات المتحدة ستوفد وزير خارجيتها لحضور الاجتماع القادم لوزراء خارجية الدول الحليفة ، الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي.

كان الرئيس روزفلت قد فكر لبعض الوقت في ايفاد مساعد وزير الخارجية سومر ويلز وافريل هاريمان ، السفير الأمريكي المعين لدى الاتحاد السوفييتي لتمثيل الولايات المتحدة في الاجتماع إذ ان روزفلت كان يشعر انه أقرب شخصياً الى هذين الرجلين من وزير خارجيته (هول). والواقع ان الرئيس الأمريكي رغم احترامه لهول فانه كان يشك في قابلياته الدبلوماسية في معالجة قضايا شائكة كتلك التي كانت ستطرح للنقاش . لقد أصبح واضحاً على أية حال ان أسباباً قاهرة هي التي دفعت هول لحضور المؤتمر. فقد كان يخشى انه ما لم توفد الولايات المتحدة وزير خارجيتها فان الحكومة السوفييتية قد تفسر ذلك بان أمريكا لا تولي المؤتمر ما يستحقه من اهتمام وجدية. كان الاتحاد السوفييتي يعمل جاهداً من أجل ضمان حضور وزراء الخارجية في أول لقاء ثلاثي عن الحرب يُعقد في موسكو ، وعدم حضور الوزير الأمريكي سوف يشكّل مصدر ازعاج للحكومة السوفييتية التي كانت تساورها الشكوك في نوايا حلفائها الغربيين. في هذه المرحلة من الحرب كان روزفلت مدركاً للحاجة الى كسر «جدار الشك السوفييتي» حتى يكون بمستطاع الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أن يعملا سوية على تسوية المشكلات العديدة لفترة ما بعد الحرب. ومتحمساً بشكل خاص لفكرة اقامة منظمة دولية لحفظ السلام تكون مشاركة الاتحاد السوفييتي فيها أمراً حيوياً. كان هول يشاطر شخصياً الرئيس روزفلت هذه الآراء. ولكن قراره بالسفر الى موسكو قد أملته على أية حال أمور لا تتعلق بصلب السياسة الأمريكية ، فوزير الخارجية الأمريكي ومنذ فترة طويلة كان يحس بالغيرة من نفوذ مساعده (ويلز) وتقربه من الرئيس روزفلت وهناك من أبلغه أيضاً بأن هذا الرجل الذي يصغره سناً كان غالباً ما ينتقده في غيابه.

وهكذا فان احساس هول بانه قد يفقد منصبه وان مهامه ستوكل بالتالي الى أحد مرؤسيه غير الأوفياء كان أمراً لا يستطيع احتماله ، فأصر على السفر الى موسكو.

الرئيس روزفلت كان قبل ذلك قد اقترح على الحكومة السوفييتية نقل مكان المؤتمر الى مكان أقرب للولايات المتحدة ، في لندن مثلاً ، او في الدار البيضاء أو تونس. ففي شمال أفريقيا كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوات ضاربة تحت قيادة عليا أمريكية وتبعاً لذلك فانه في مكان فيه وجود عسكري أمريكي فان الضغوط الأمريكية قد تكون أكثر جدوى مما لو انعقد في موسكو او لندن. كما ان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا كان قد اقترح أن يُعقد المؤتمر في لندن وإذا لم يكن ذلك ممكناً ففي مكان آخر في الشرق الأدنى يخضع للنفوذ البريطاني. لكن الحكومة السوفييتية ردت بصراحة إما في موسكو أو لا يعقد.

والواقع ان فكرة عقد المؤتمر نشأت في المقام الأول من رغبةٍ كان روزفلت قد أبداها في كانون أول ١٩٤١ عندما أبدى اهتمامه بلقاء شخصي مع الزعيم السوفييتي ستالين ، وجدد هذه الرغبة في نيسان عام ١٩٤٢ . وفي أواخر ذلك العام اقترح ان ينضم اليه ستالين وشرشل في اجتماع الدار البيضاء. لقد كان روزفلت مدركاً تماما لوجود هوة آيدلوجية واسعة تفصل ما بين حليفه البريطاني شرشل ، هذا الاستعماري المحافظ ، وستالين ذلك الزعيم الشيوعي السوفييتي ، فضلاً عن علمه انه طالما بقيت انكلترا قوة استعمارية فان من المرجح ان يستمر تضارب المصالح بينها وبين روسيا سواء في الشرقين الأدنى والأوسط او في شمال غربي شبه القارة الهندية التي وجدت منذ القرن التاسع عشر. وكان روزفلت ووزير خارجيته (هول) يريان انه طالما ان الاتحاد السوفييتي ليست لديه نوايا في التوسع الآيديولوجي او الاقليمي لا سيما في الشرق الأقصى فان مصالح أمريكا والاتحاد السوفييتي لا يمكن أن تتضارب.

وقد قاد هذا الافتراض المنطقي ، الرئيس روزفلت الى الثقة بان بامكانه اقناع الروس بالالتزام بمباديء للتعاون الدولي ، وفي ذات الوقت كان يطمح في ان يلعب دور الوسيط المؤثر بين ستالين وشرشل. وقد وافق وزير الخارجية هول على فكرة قيام الولايات المتحدة بدور وسيط كهذا ، ففي مايس عام ١٩٤٣ قال هول مخاطباً انطوني

ايدن وزير خارجية بريطانيا «لنعمل سوية على اخراج ستالين من قوقعة الشكوك الى دائرة التعاون العملي» غير ان ذلك لم يكن بالأمر الهيّن.

كانت ثمة عقبتان رئيستان أمام عقد هذا الاجتماع ، الأولى هي الاتفاق على اختيار مكان يكون مقبولاً من لدن الحلفاء الثلاثة وفي هذه النقطة بحد ذاتها كانت هناك صعوبات حقيقية فخلال عام ١٩٤٢ ظل ستالين يحاجج بان مسؤولياته كقائد أعلى لجيوش تتحمل العبء الأكبر في صد هجوم العدو الهتلري يجعل من المستحيل عليه ان يترك موسكو.

قَبِلَ شرشل بهذه الحجة على مضض وطار الى موسكو في آب عام ١٩٤٢ للقاء شخصي مع ستالين. وعندما دعا روزفلت ستالين الى مؤتمر انكلو امريكي في الدار البيضاء في كانون ثاني ١٩٤٢ تذرع الأخير بالحجة إياها. لكن وضع روزفلت الدستوري كان هو الآخر ينطوي على مشكلات ، فرئيس الولايات المتحدة ينبغي ان يصادق على اللوائح المرفوعة اليه من الكونغرس او ان يلغيها في ظرف عشرة أيام وهذا ما جعل من الصعب عليه السفر الى موسكو او الى أي مكان في الاتحاد السوفييتي لملاقاة ستالين.

اما العقبة الثانية فهي رغبة تشرشل في ان يكون موجوداً في لقاء كهذا ، فخلال السنتين الأوليين من الحلف الثلاثي / من حزيران ١٩٤١ الى صيف ١٩٤٣ / كان شرشل أكثر الزعماء المتحالفين حركة وتنقلاً رغم انه كان أكبرهم سناً. فقد سافر الى الولايات المتحدة وشمال أفريقيا وكندا كلما وجد ان لقاءه مع روزفلت كان أمراً ملحاً. كما طار الى موسكو لملاقاة ستالين ، ولهذا فقد كان تشرشل أكثر الثلاثة لقاء بالآخرين وكان هذا أمراً يناسبه. أضف الى ذلك ان تشرشل اعتقاداً منه بأن التحالف الانكلو امريكي هو حجر الزاوية في سلام العالم وأمنه لم يكن ليريد ان يرى روزفلت وستالين يقتربان من بعضهما على نحو أوثق. وقد أغاضه كثيراً ما عرضه روزفلت على ستالين في واشنطن في مايس عام ١٩٤٣ من انه لا يرى بأساً في ان يلتقي زعماء أمريكا والاتحاد السوفييتي حتى دون حضور الزعماء البريطانيين ولهذا كان شرشل يستشعر الخطر من ان يلتقي الأثنان بدونه. فقد كان ستالين معادياً للمصالح الاستعمارية البريطانية ورغم ان روزفلت لا يتفق هو الآخر مع شرشل في قضايا المستعمرات. إلا انه لم يتصرف على حساب مصالح بريطانيا في سعيه للفوز

بثقة ستالين. ولم يكن شرشل متأكداً من ان روزفلت سيكون محل ثقته في ان يقف بوجه ستالين في قضايا مهمة كتلك المتعلقة بمستقبل بولنده وهي مصدر احتكاك بين بريطانيا والاتحاد السوفييتي.

هذا الرأي أكدت صوابه الأحداث التي وقعت في آب عام ١٩٤٣. ففي ذلك الشهر التقى تشرشل وروزفلت مرة أخرى في كويبيك بكندا حيث أعاد تشرشل التأكيد على أهمية الابقاء على التحالف الانكلو امريكي حتى في فترة ما بعد الحرب. اما روزفلت فقد اعتبر ان سلام وأمن العالم مستقبلاً ينبغي أن يرتكز على تعاون أربع دول كبرى أي الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي والصين. إن ادراج شيانغ كاي شيك، الزعيم القومي الصيني في المعادلة، اضافة الى روسيا أزعجت تشرشل وضايقته. فلم يكن لدى تشرشل أي ثقة بقابلية حكومة (كاي شيك) عسكرياً أو سياسياً. وكان يعد الزعيم الصيني عدواً لمصالح الامبراطورية البريطانية لا يقل شأناً عن ستالين نفسه.

ومنذ انعقاد مؤتمر واشنطن الذي ضم روزفلت وتشرشل في ايار ١٩٤٣ أخذت العلاقة بين الاتحاد السوفييتي وحلفائه الغربيين تسير نحو التدهور بشكل ينبىء بالخطر. فقد رد ستالين بشدة على القرارات العسكرية التي أُتخذت في ذلك المؤتمر وخاصة تلك المتعلقة بمواصلة العمليات العسكرية الناجحة في البحر المتوسط لتشمل البر الايطالي برمته وليس جزيرة صقلية وحدها كما كان متفقاً عليه في الأصل، وهي عمليات من شأنها ان تؤدي الى تأجيل خطط الحلفاء لغزو شمال غرب أوربا الذي كان ستالين يطالب به منذ عام ١٩٤١.

وقد عبّر ستالين عن انزعاجه هذا في رسائل اتسمت بالمرارة بعث بها الى كل من تشرشل وروزفلت وأبدى فيها استياءه من حقيقة ان قرارات تؤثر بشكل حيوي على مصالح الاتحاد السوفييتي قد أُتخذت في واشنطن دون استشارته هو. ولكي يدلل على امتعاضه سَحَبَ موافقته المبدئية لمقابلة روزفلت في تموز او آب من ذلك العام كما عمد الى قطع علاقاته مع حكومة بولنده في المنفى التي كانت تتخذ من لندن مقراً لها في نيسان وبذلك زاد من تعقيد الأمور بالنسبة لابرام اتفاق حول مستقبل بولندة. وعلاوة على هذا فقد كانت هناك نقطة احتكاك اخرى بين لندن وموسكو بالنسبة لموضوع القوافل التي تحمل المؤن العسكرية والتي تقوم انكلترا بارسالها الى المناطق

المنجمدة في الاتحاد السوفييتي كجزء من التعاون العسكري بينهما والتي كلفت بريطانيا كثيراً. وقد عد ستالين هذا الأمر ملزماً للحكومة البريطانية وهو رأي لم يوافق عليه تشرشل. في غمرة كل هذه التوترات وصلت العلاقات بين روسيا والحلفاء الغربيين الى أدنى مستوى لها. ومما زاد في الطين بلة، المفاوضات الانكلو امريكية التي أعقبت ذلك حول استسلام إيطاليا بعد سقوط موسوليني. وهي مفاوضات يقول ستالين انه لم يلم بتفاصيلها بما فيه الكفاية.

جاء رد فعل روزفلت على امتعاض ستالين على شكل تعهد بمضاعفة الجهود لتحقيق لقاء شخصي بينهما - ولكن تشرشل من ناحيته لم يكن مكترثاً فهو قد تعود على مثل هذه المواقف السوفييتية خلال السنتين الماضيتين. وقد جعلت حقيقة ان الاتحاد السوفييتي بقي بمعزل عن الحرب خلال سنواتها الحاسمة ١٩٤٠ - ١٩٤١ في وقت كانت فيه بريطانيا تقف فيه بمفردها بوجه الطغيان النازي جعلت هذه الحقيقة من تشرشل أقل تعاطفاً من روزفلت للنداءات الصادرة من موسكو ومع هذا فقد أحس بضرورة القيام بعمل ما لاستعادة بعض الود في العلاقة مع موسكو امتثالاً لنصيحة اقترحها عليه سفيره في موسكو السير (ارخيبالد كلارك كير).

وهكذا اقترح تشرشل على وزير خارجيته انطوني ايدن التوجه الى موسكو في مهمة لتهدئة خواطر الروس. ولكن ستالين على أية حال لم يرَ جدوى من مقابلة الوزير الزائر مفترضاً انه سيتلو على مسامعه ما سبق له وان سمعه الى درجة الضجر من تشرشل.

وفي معرض تبرير عدم مقابلة ايدن أشار ستالين الى انه إذا كان لابد من عقد اجتماع فانه ينبغي ان يضم الأمريكان أيضاً.

وفي الثامن من آب بعث ببرقية الى روزفلت وتشرشل يقول فيها ان لقاءً للزعماء الثلاثة بات أمراً مرغوباً فيه في أقرب فرصة ولكنه أكد في ذات الوقت انه يفضل لاجتماع كهذا ان يُعقد في أواخر تشرين أول أو أوائل تشرين ثاني كما اقترح ان يجتمع ممثلون عن الدول الحليفة الثلاث قبل هذا التاريخ للاعداد لاجتماع القادة مؤكداً على الحاجة الى جدول أعمال متفق عليه ومقترحات محددة تطرح على القمة.

وبعد ان استشار وزارته وبشكل خاص وزير خارجيته ايدن طار الى كويبيك حيث التقى مع روزفلت إلا ان هذا الأخير أمضى بعض الوقت قبل ان يتخذ قراراً

بشأن المشاركة في الاجتماع خاصة وان لقاءً مثل هذا لم يكن في حسبانه. وعلاوة على هذا فان رغبة وزير خارجيته هول بحضور لقاء كهذا من المرجح ان يُعقد في موسكو قد أثار من جديد العقبات التي سبق وان تم تذليلها. وعلى أية حال ففي ١٨/ آب بعث روزفلت وتشرشل ببرقية الى ستالين يوافقان فيها من حيث المبدأ على فكرة عقد مؤتمر على مستوى وزراء الخارجية شريطة ان يكون ذا طبيعة استطلاعية بحت بدلاً من اجتماع لاتخاذ قرارات. ولم يكن روزفلت يعير في الواقع اهتماماً كبيراً لمؤتمر لم يحضره هو شخصياً. خاصة وان المناقشات المطولة حول زمان ومكان القمة القادمة والمسائل الفنية المتعلقة بها قد تستغرق شهرين او أكثر قبل ان يتبلور لقاء كهذا.

وهكذا تم أخيراً ربط كل النهايات السائبة ، وفي السابع من تشرين اول غادر هول واشنطن في المرحلة الأولى من رحلة طويلة وبعد يومين غادر انطوني ايدن لندن الى القاهرة وطهران ثم موسكو.



الفصل الثاني

أهداف وغايات متضاربة

١ ـ نظرة الولايات المتحدة للمؤتمر

خلافاً لما أراده روزفلت وتشرشل فان مؤتمر موسكو خرج عن طبيعته الاستطلاعية ليتحول الى مؤتمر أكثر تفصيلاً ولتنبثق عنه اتفاقات أكثر شمولاً من تلك التي تم التوصل اليها في أي مؤتمر عُقد في زمن الحرب ويرجع ذلك جزئياً الى عزم وزيري خارجية بريطانيا وأمريكا على الخروج بنتائج مهمة والى الشرط الذي وضعته الحكومة السوفييتية منذ البداية وهو ان على الحلفاء الغربيين أن يتقدموا باقتراحات تفصيلية الى المؤتمر بشأن المسائل المدرجة على جدول أعماله. وهكذا فان موقفاً بيروقراطياً فُرض على بريطانيا والولايات المتحدة منذ البداية بشكل يتناقض مع توجهات روزفلت وتشرشل. والواقع ان روزفلت عندما ارتأى أن يكون المؤتمر استطلاعياً أراد في ذات الوقت ان يفسح المجال أمام الوزراء مع ذلك لمناقشة كل الأمور. وقد عد الوزيران هول وايدن اتفاق روسيا وبريطانيا على مبدأ التعاون الدولي في فترة ما بعد الحرب على انه من أكثر الأمور الحاحاً في هذه المرحلة لما ينطوي عليه ذلك من ضمان المشاركة البريطانية ـ السوفييتية في المنظمات الدولية بما يعزز من أركان هذا التعاون. هذه الأهداف لم تكن كما يبدو للوهلة الأولى سهلة التحقيق. فقد كان على الوزيرين هول وايدن أن يحاولا في موسكو قبل كل شيء ازالة عدم الثقة لدى الحكومة السوفييتية والسعي لاقناعها بالتخلي عن تفضيلها اضفاء طابع السرية على مناقشات الحلفاء فالتجربة السوفييتية في منظمات دولية سابقة فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية لم تكن مشجعة في نظر الوزيرين. ويرجع تردد الاتحاد السوفييتي في الانضمام الى منظمات دولية جديدة الى تجربته المُرة مع عصبة الأمم المنحلة فتلك المنظمة فشلت فشلاً ذريعاً في وقف الزحف النازي في حين كانت، ـ أي المنظمة ـ نفسها في كثير من الأوقات مستعدة لادانة أي عمل قد يقدم عليه الاتحاد السوفييتي ولهذا كان الاتحاد السوفييتي في حاجة الى الاقناع للدخول في منظمة دولية جديدة. اما المشكلة مع البريطانيين فكان لها طابع مختلف الى حد ما. فالأمريكان كانوا يشككون في مدى اخلاص المسؤولين في الخارجية البريطانية لفكرة تعاون دولي يشترك فيه الاتحاد السوفييتي على قدم وساق مع الدول الغربية الحليفة.

والواقع ان المقترحات الأمريكية لتعاون كهذا كانت ذات أبعاد اقتصادية

فضلاً عن هدفها الأساس وهو المحافظة على السلام وتسوية النزاعات في فترة ما بعد الحرب بالطرق السلمية. ورغم ان روزفلت ووزير خارجيته لم يكونا من الاقتصاديين إلا انهما تأثرا كثيراً بالأزمة الاقتصادية التي عصفت بالعالم في الثلاثينيات والتي عانت منها الولايات المتحدة أكثر من غيرها نتيجة الركود الذي أصاب الاقتصاد الأمريكي. والرجلان يعزيان هذه الكارثة الاقتصادية الى انعدام التعاون الاقتصادي الدولي أولاً وبخاصة الاخفاق في ايجاد نظام يضمن تدفق القروض وتوفر السيولة النقدية. وثانياً الى سياسة الاستجداء من الجيران المتمثلة بارتفاع نسب التعرفة الكمركية والقيود على الواردات وغيرها من العراقيل التي وُضعت في طريق التبادل التجاري الحر.

على ان الامبراطورية البريطانية بما تمتلكه من الأفضليات بالنسبة للرسوم الكمركية مع الدول التي تتعامل معها ومعظمها من المستعمرات فيما وراء البحار تمكنت من اجتياز هذه الأزمة. أما روسيا فقد ترتب عليها في مواجهة الوضع أن تنتهج سياسة صارمة للسيطرة على التجارة متحاشية أي شكل من الاتفاقات الاقتصادية ما عدا تلك الصفقات الثنائية المعقودة مع دول كانت قد أبدت استعدادها للاتجار مع روسيا وفقاً للشروط التي وضعتها الأخيرة. وهكذا كان من المهم بالنسبة لأمريكا ان تلتزم بريطانيا وروسيا بما يمكن الوصول اليه مستقبلاً من اتفاقات في اطار التعاون الاقتصادي الدولي.

ومما لا شك فيه ان وزير الخارجية الأمريكي (هول) أحسَّ بان هناك عقبات جمة لابد من تجاوزها للوصول الى هدفه الرئيس، وهذا الشعور بحد ذاته كان السبب في حالة النشاط التي بدت عليه وهو عائد من رحلته الى موسكو مما يشير الى انه كان قد أنجز مهمته بنجاح.

قبل بدء أعمال المؤتمر كان هول قد نقل الى كل من روسيا وبريطانيا اقتراحاً باصدار اعلان من الدول الأربع الكبرى حول السلام والأمن ونزع السلاح. والواقع ان اقتراح تبني اعلان كهذا كان حجر الزاوية في الموقف الأمريكي في مؤتمر موسكو. وتنطوي أهمية الاعلان من وجهة النظر الأمريكية على رغبة الولايات المتحدة في ان ترى الصين كإحدى الدول الموقعة عليه، غير ان الحكومة السوفييتية ردت على الفور بان الاتفاق كان قد تم على الطابع الثلاثي للمؤتمر وبالتالي فانه لا ينبغي للصين المشاركة فيه. ولعل وزير الخارجية الأمريكي هول كان يدرك مقدماً انه

سيكون من الصعب عليه اقناع روسيا وبريطانيا بضرورة اشراك الصين في الاعلان المقترح. فالانكليز كانوا يرون ان الصين ضعيفة سياسياً وعسكرياً وبالتالي لا يمكن احتسابها ضمن الأربعة الكبار أو كما اسماهم روزفلت برجال الشرطة الأربعة. أما الروس فلم يكونوا يضمرون أية مودة لشانغ كاي شيك وكانوا يشاطرون البريطانيين الرأي في ضعف الصين. أضف الى ذلك انهم لم يكونوا يريدون ان تُطرح مشكلات الشرق الأقصى على المؤتمر وهو أمر كان سيحدث لو شاركت الصين في أعمـاله. والصينيون كما يرى ستالين ـ المقصود اعوان كاي شيك ـ لم يساهموا في محاربة اليابان وبالتالي فانه لا يمكن أن يندرجوا ضمن قائمة الحلفاء. وربما كان ستالين يخشى من انه لو تعاون مع الصينيين فقد يعد اليابانيون ذلك استفزازاً لهم يقودهم بالتالي الى مهاجمة الاتحاد السوفييتي. وفي هذه المرحلة من الحرب لم يكن اليابانيون راغبين في أن يضيفوا خصماً جديداً الى قائمة خصومهم الطويلة. وهكذا فإن مخاوف ستالين رغم كونها ليست حقيقية لكن أمريكا لم تستبعدها.

على أية حال فقد كان روزفلت ووزير خارجيته عازمين على ان وضع الصين كإحدى الدول الحليفة الأربع لابد من الاقرار به ولو في مرحلة لاحقة منطلقين من اعتبار ان الصين هي أفضل ما يمكن اختياره للاشراف على حراسة الأمن في شرق آسيا مستقبلاً. وفي هذا الوقت كان مثل هذا الرأي يبدو في نظر تشـرشل وايـدن وغيرهما واقعياً. فالصين كانت بلداً فقيراً متخلفاً اقتصادياً تعصف به الاضطرابات الداخلية والحرب الأهلية ولم تكن حكومة كاي شيك تسيطر إلا على ثلث مساحة البلاد ومعظم الأراضي التي تقع تحت سيطرتها كانت من المناطق النائية والبدائية في الوقت الذي كان فيه اليابانيون يحتلون نصف أراضي الصين بما فيها المناطق الزراعية والمراكز التجارية ، فيما كان الشيوعيون الصينيون يسيطرون على الباقي. على انه بعد مرور (٢٥) سنة ، انتهى وجود الامبراطورية البريطانية في الشرق الأقصى وبرزت الصين موحدة تحت قيادة حكومة واحدة لأول مرة منذ عام ١٩١٨ وبلغت من القوة والثقة بالنفس ما جعلها تتحدى الولايات المتحدة ومن ثم الاتحاد السوفييتي. والواقع ان (كورديل هول) وبعض حلفائه في الخارجية الأمريكية كانـوا يتمنون ان تـظل الامبراطورية البريطانية قائمة رغم كل الأخطاء التي وقعت فيها بدلاً من قيام نظام

شيوعي في الصين ولعل من خلفوا ستالين يشاطرون الانكليز هذا الرأي أيضاً. لو صرفنا النظر عن كل ما قيل فان الولايات المتحدة ظلت على اصرارها بان تصبح الصين احدى الدول الموقعة على الاعلان.

أما بالنسبة لما تبقى من بنود جدول الأعمال فقد كانت الحاجة قائمة الى اجراء دراسة أولية عن كيفية معاملة المانيا والدول الأخرى المتحالفة معها في فترة ما بعد الحرب. فمنذ هزيمة المانيا القاسية في ستالينغراد في شباط ١٩٤٣ راحت القوات السوفييتية تدفع القوات الألمانية الغازية نحو الوراء حتى أوصلتها الى الحدود البولندية. وفي ذات الوقت كانت خطط الحلفاء الغربيين لغزو شمال غرب أوربا قد قطعت مرحلة متقدمة من التنفيذ، مفترضين انه في خلال سنة على أبعد تقدير من تلك الهزيمة فان القوات السوفييتية والانكلو امريكية تكون قد أحاطت بالمانيا من الشرق والغرب وهذا ما حدث بالفعل. ولذلك فقد احتاج الحلفاء الى وضع سياسة قصيرة الأجل ومتفق عليها بأسرع ما يمكن لاحتلال وإدارة وحكم المانيا المهزومة وفرض شروط الاستسلام عليها. كما كان من المرغوب فيه ان يناقش مؤتمر موسكو موضوع إقرار تسوية طويلة الأمد للمشكلة الألمانية بما في ذلك مشكلات الحدود والتعويضات وما إذا كان ينبغي في فترة ما بعد الحرب ان يُسمح بقيام دولة المانية موحدة. وعلى هذا الأساس كانت المانيا هي البند الثاني في جدول الأعمال الأمريكي. ومع ان روزفلت وهول كانا في الأصل يريدان ترك تفاصيل مثل هذه التسوية الطويلة الأجل مع غيرها من المشكلات ذات العلاقة بالأراضي لتُبحث في مؤتمر خاص للسلام يُعقد في فترة ما بعد الحرب لكن الأمريكان يعترفون بأن دراسة أولية لهذه المواضيع كان لابد منها في لقاء موسكو.

كان ايدن وهول قد اتفقا على ان تقسيم المانيا رغم كونه أمراًمرغوباً فيه نظرياً إلا ان مثل هذا التقسيم سيكون صعب التنفيذ على شعب عُرف بمشاعره القومية الجياشة وانه من الأفضل بدلاً من ذلك تشجيع فكرة اقامة دولة اتحادية غير مركزية قد تحظى بالقبول من قبل الشعب الألماني في نهاية المطاف. على ان تشرشل وروزفلت كانا أكثر ميلاً للتقسيم، فتشرشل كان يعتقد ان بروسيا التي يعتبرها أصل الشرور الألماني ينبغي ان تُسلخ نهائياً من الجسم الألماني. في حين ان منطقة الروهر الصناعية ينبغي تدويلها وتوحيد جنوب المانيا مع النمسا وربما المجر في دولة اتحادية يمكن أن

تحل محل الامبراطورية النمساوية الهنغارية كعنصر مهم في ميزان القوى الأوربي الجديد. أما ايدن فكان يرى ان اتحاداً للدول المطلة على الدانوب ينبغي ان يشمل فقط النمسا والمجر وربما بعض المناطق السلافية. بينما رأى روزفلت من جانبه امكانية تقسيم المانيا الى ثلاث أو أربع أو حتى خمس دول، غير انه كان يميل في ذات الوقت التي ترك هذه الأمور لتُقرر بشكل نهائي في مرحلة لاحقة. ولم يكن الرئيس الأمريكي ولا وزير خارجيته يحبذان فكرة اتحاد للدول الدانوبية. وهكذا فقد كانت هناك ثلاث وجهات نظر تختلف أحدها عن الأخرى حول موضوع رئيس هو القضية الألمانية بين مخططي السياسة الغربية. ولا يمكن القول انه كان لدى أي من هول أو ايدن أية سياسة بعيدة الأمد ومتفق عليها لعرضها على الروس. أما بالنسبة لمسألة التعويضات فقد ألمح روزفلت لوزير خارجيته انه يحبذ أن تدفع المانيا التعويضات على شكل أيدي عاملة أو بضائع كالمكائن والآلات بدلاً من المال فهو - أي روزفلت - لم ينس بعد الدروس التي ترتبت على سياسات التعويض التي عُمل بها بعد الحرب العالمية الأولى وقد شاطره هول في هذا الرأي. وكذلك اتفقت الحكومتان الأمريكية والبريطانية على ان ينزع سلاح المانيا المستسلمة نزعاً تاماً مع الابقاء على شكل دائم من أشكال الاحتلال لألمانيا من قبل الحلفاء لفترة ما بعد الحرب. لكن كانت ثمة اختلافات بين الحكومتين حول طبيعة وأمد مثل هذا الاحتلال.

لقد أشار روزفلت على سفيره الجديد في موسكو (افريل هارمان) بأنه من الضروري التفاوض مع ستالين حول الوصول الى اتفاقات ولو غير رسمية لانهاء المشكلات الأخرى المتعلقة بالأراضي قبل انتهاء الحرب. ومن بين هذه المشكلات دونما شك مسألة الوحدة الألمانية. والتقسيم والحدود البولندية المتنازع عليها مع روسيا والمانيا كما تشتمل على مطالب روسيا الاقليمية في فنلندا ورومانيا ودول أخرى مطلة على بحر البلطيق. وعلى أية حال فان روزفلت كان يزمع الاحتفاظ لنفسه بحسم هذه الأمور الهامة خاصة وان هول لا يملك صلاحية للتفاوض بشأنها.

كذلك أقر المسؤولون الأمريكيون بأنه فضلاً عن ضرورة ايجاد ترتيبات طويلة الأمد للتعاون الاقتصادي الدولي في مجالات أخرى كالمالية والتجارة والنقل والعمل والزراعة فان الحاجة ماسة أيضاً لخطط قصيرة الأجل لاعمار المناطق التي خربتها الحرب في أوربا والاتحاد السوفييتي أيضاً. وبموجب هذه الخطط فان مساعدةً تقدمها

الولايات المتحدة التي لم يتأثر اقتصادها في الحرب ينبغي ان تلعب الدور الرئيس. والواقع ان الولايات المتحدة كانت قد قدمت مساعدة عسكرية سخية الى كل من بريطانيا والاتحاد السوفييتي أثناء الحرب بمقتضى برنامج الاقراض والمعونة وهو برنامج كان لابد من أن يستمر بعد الحرب على شكل مساعدات اقتصادية وهبات وقروض تخصص للاعمار. وهكذا فإن هذه المسائل الاقتصادية احتلت بدورها المركز الثالث في جدول الأعمال الأمريكي لاجتماع موسكو.

كما اعترف الأمريكيون بالحاجة للاستجابة لضغوط الاتحاد السوفييتي وبريطانيا لخلق جهاز ما بين الدول الحليفة مهمته مناقشة مختلف المشكلات الأوربية التي سببت أو يعتقد انها ستسبب صعوبات في المستقبل.

إن المشكلة المتعلقة بفرض شروط الاستسلام على المانيا والترتيبات المتعلقة بالاحتلال كانت بحد ذاتها مشكلة عويصة ومتشعبة. كانت الحكومة البريطانية قد تقدمت بمقترحات أولية بهذا الصدد في تموز من عام ١٩٤٣ غير ان المسألة الأكثر إلحاحاً هي كيفية ادارة المناطق المحررة من فرنسا بما يترتب على ذلك من مشكلات حول العلاقات مع حركة فرنسا الحرة التي يتزعمها الجنرال شارل ديغول. كان الجنرال ديغول الذي يعده الأمريكيون محمياً من قبل الانكليز / لعنة شخصية / لكل من روزفلت وهول، فكلاهما لم يغفرا له عمله / الوحشي / في الاستيلاء على جزيرتين قبالة الساحل الكندي عام ١٩٤٢ في وقت كانت فيه الولايات المتحدة لا تزال منهمكة في التفاوض بشأن استسلامها للحلفاء. وقد استبعد الرجلان حركة فرنسا الحرة من الحملة العسكرية لاحتلال شمال أفريقيا الخاضع للسيطرة الفرنسية ولكنهما وافقا على مضض على مشاركة الديغوليين في ادارتها لاحقاً. على ان ديغول كان يتمتع بنفوذ قوي وسلطة واسعة على حركة المقاومة الفرنسية، وعندما تتحرر فرنسا فان الغالبية العظمى من الزعماء السياسيين في فرنسا المحتلة سينظرون الى ديغول وحركته على انهم الورثة الطبيعيون للحكم في فرنسا. كان ايدن على علم بذلك ولذلك رأى ان الوقت سيحين عندما سيعترف الجميع بحركة فرنسا الحرة على انها الحكومة المؤقتة لفرنسا. أما المشكلة الأخرى التي القت بتأثيرها السلبي على العلاقات السوفييتية مع الحلفاء فكانت مشكلة إيطاليا. لقد توصل الانكليز والأمريكان الى اتفاق هدنة مع إيطاليا بسرعة وبسرية بعد أن أُطيح بموسوليني في تموز

عام ١٩٤٣ . وفي مطلع شهر إيلول من ذلك العام غزت القوات الانكلو امريكية المناطق الجنوبية من إيطاليا وما ان حل شهر تشرين أول حتى كانت هذه القوات قد احتلت ثلث مساحة البلاد. وقد أحست الحكومة السوفييتية بالامتعاض لأنها لم تُستشر في موضوع شروط الهدنة مع إيطاليا وراحت تشكك في استعداد الانكليز والأمريكان في التعامل معها او اعادة السلطة الى زعماء بارزين من العهد الفاشي من أمثال المارشال (بادوغليو) رئيس الوزراء في زمن موسوليني. لقد تساءل الروس مثلاً هل ان أمريكا وبريطانيا كانتا عازمتين بالفعل على تفكيك النظام الفاشي في إيطاليا. وفي ظروف كهذه فان سؤالاً من هذا القبيل يبدو مثيراً للدهشة. لقد طلب الزعماء السوفييت تشكيل جهاز مشترك بين الحلفاء يضمن للاتحاد السوفييتي الاطلاع مستقبلاً على ما يجري من تطورات ويمكنه بالتالي من ان يمارس دوره في رسم السياسات الحليفة هناك.

واستجابة لهذه الضغوط شعر الأمريكيون انه من المناسب اضافة بند رابع على جدول الأعمال تحت عنوان (طرق معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية الراهنة) وفي ذات الوقت أوضحوا ان الشكوك تساورهم حول الحاجة الى اقامة مزيد من الأجهزة فيما بين الحلفاء. فروزفلت لم يكن متحمساً لانشاء هيئات لا يمكن السيطرة عليها بشكل مباشر سواء في إيطاليا كما يطالب الروس أو في لندن كما اقترح ايدن.

وقد شاطر وزير الخارجية الأمريكي نظيره البريطاني في هذا الرأي واقترح اجراء مفاوضات حول هذه المسائل عن طريق القنوات الدبلوماسية. وهناك اضافة الى هذا كله مسائل أخرى من الممكن الحاقها بجدول الأعمال بعد الاتفاق على ادراجها بالتشاور بين الوزراء أو ممثليهم.

أما بالنسبة لطلب الاتحاد السوفييتي المشاركة في هيئة حليفة تتولى معالجة موضوع إيطاليا فقد وجدت بريطانيا وأمريكا انه من المناسب الاقرار بهذا من حيث المبدأ حتى قبل ان يبدأ وزراء الخارجية أعمالهم شريطة ان تكون مثل هذه الهيئة ذات طابع استشاري محض وليس هيئة من اختصاصها اتخاذ القرارات ومع هذا فان الأمريكان أشاروا الى ان قضايا كهذه لا ينبغي أن تُشكل أولويات على جدول الأعمال.

لقد أصبح واضحاً بالتأكيد ان نظرة الولايات المتحدة فيما يتعلق بهذا المؤتمر

كانت لها جوانب سلبية اضافة الى جوانبها الايجابية فبالنسبة للمسائل السياسية فانه من المعلوم ان وزير الخارجية الأمريكي (هول) لم يكن مخولاً بالموافقة على أية مبادىء عامة حول التسويات الأوربية كما كان زميله ايدن ، والأخير كان قد اقترح اصدار اعلان حول المسؤوليات المشتركة الملقاة على عاتق الحلفاء بعد الحرب بدلاً من المسؤولية عن أجزاء على حدة من هنا وهناك في أوربا.

وفي الواقع فان ايدن كان يقصد دعوة الولايات المتحدة وروسيا الى تبني مبدأ يقوم على ان أياً من الدول الثلاث الكبرى لن تسعى للحصول مستقبلاً على مناطق نفوذ خاصة بها في هذا الجزء أو ذاك في أوربا وهذا من شأنه ان يعطى للولايات المتحدة وبريطانيا حقوقاً متساوية لحق الاتحاد السوفييتي في ممارسة النفوذ حول تسوية الأوضاع في أوربا الشرقية كما يعطى للاتحاد السوفييتي حقوقاً متساوية مع بريطانيا وأمريكا فيما يتعلق بايطاليا وأوربا الغربية. انه من الصعب ان يرى المرء كيف ان الولايات المتحدة اعترضت على مبدأ كهذا خاصة وان ذلك من شأنه لن يجسد اعتراض هول على فكرة مناطق النفوذ برمتها معتبراً ان هذا هو جزء من منطق قديم وسيء لاقتسام السلطة السياسية بين الدول الكبرى وهو نظام كانت الولايات المتحدة ترغب في انهائه. ومع ذلك فان استجابة الولايات المتحدة لاقتراح ايدن كان فاتراً للغاية ومثبطاً للعزائم. وربما كان مرد ذلك الى ان الأخير عمد الى ادخال التزام في الاعلان المقترح يدعو الى تشجيع اقامة / اتحادات / بين دول أوربا الأصغر حجماً وربما كان روزفلت قدأعدّ اعلاناً كهذا بمثابة محاولة لتوريط الولايات المتحدة بشكل سابق لأوانه في مشكلات شائكة تتعلق بأوربا الشرقية وبخاصة المشكلة البولندية حيث كان يُفترض في أمريكا أن تساهم في دعم الحكومة البولندية في المنفى المقيمة في لندن لقد عدت الحكومة السوفييتية اقتراح ايدن بمثابة عمل رجعي معاد للاتحاد السوفييتي في وقت لم يكن روزفلت ولا وزير خارجيته يريدان اثارة قلق الاتحاد السوفييتي حول مسألة لا يعدانها حيوية للمصالح الأمريكية ، كما أوضح هول ذلك بنفسه للسفير البولندي في واشنطن. كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية قد وافقتا بالفعل في مؤتمر كيوبيك على مسودة اعلان حول الأراضي المحررة تُلزم الدول الحليفة بنقل السلطة في هذه الأراضي التي كانت محتلة من قبل المانيا من سلطة العسكريين الى السلطة المدنية المحلية في أقرب فرصة ممكنة. لقد قَبِلَ هذا الاعلان الذي أُبلغ الى

الحكومة السوفييتية بحقوق الحكومات الدستورية التي يعترف بها الحلفاء ـ أي الحكومات الأوربية في المنفى ـ بالمشاركة في الادارة المدنية بانتظار اجراء انتخابات حرة. لكنه لما اعترضت موسكو على هذا الاقتراح فقد جرى سحبه.

ولهذا وجد روزفلت الفرصة سانحة لممارسة الضغط على موسكو بالنسبة للمسألة البولندية وغيرها من المشكلات الناشئة عن مطالب الاتحاد السوفييتي في أوربا الشرقية. وقد أشار هول بذلك على ايدن عندما طلب هذا الأخير مساعدة الولايات المتحدة في تحقيق التصالح بين روسيا والبولنديين الموجودين في لندن ـ حكومة بولندا في المنفى ـ. وكان من الواضح ان هول يرغب في احاطة مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو بخلاصة لهذا الموضوع. كذلك لم يحظَ اقتراح ايدن سالف الذكر حول تشجيع اقامة ـ اتحادات بين الدول الصغيرة في أوربا ـ بالتأييد المطلوب، ولو ان هذا الاقتراح قوبل بالموافقة لكان من شأنه ان يوفر لدول أوربا الشرقية استقراراً اقتصادياً وسياسياً أوسع ويساهم في تعزيز استقلالها. على ان الحكومة السوفييتية كانت قد أوضحت سلفاً انها تعد هذه الخطط بمثابة محاولة لاحياء سياسة / الدول العازلة / بشكل مختلف ولكن أكثر فاعلية من تلك التي كانت قائمة قبل الحرب. والمقصود بالدول العازلة هي تلك المجموعات من الدول الصغيرة التي سخرت من قبل دول أكبر منها لتكون منطقة عازلة تبعد الدول الكبيرة عن نفوذ دول يخشى من توجهاتها العدوانية او العقائدية ـ والمقصود بهذه الأخيرة هو الاتحاد السوفييتي على الأغلب ـ. والزعماء السوفييت لم يروا سبباً يدعوهم الى الموافقة على مقترحات من شأنها أن تعزز القوى المعادية للاتحاد السوفييتي في أوربا او أن يساهموا بشكل او بآخر في اقامة مزيد من العقبات أمام تحقيق الأهداف السوفييتية.

ومن ناحيتهما فان الرئيس روزفلت ووزير خارجيته هول عدّا ممارسة الاتحاد السوفييتي الفيتو ضد هذه المقترحات على انه اجهاض للخطة برمتها وانهم لو أصروا عليها فمعنى ذلك انهم سيثيرون غضب الاتحاد السوفييتي. ولذلك فان على ايدن ان لا يتوقع إلا قسطاً ضئيلاً من التأييد الأمريكي في هذا الموضوع بالذات. أما ما يتعلق بالمسائل العسكرية والستراتيجية فإن موقف الولايات المتحدة اتسّم هو الآخر بالسلبية وكان منسجماً بالتالي مع الموقف البريطاني.

على ان القرارات الانكلو أمريكية بهذا الخصوص سواءاكانت سيئة أم جيدة

كانت قد أقرت بالفعل ولا مجال للعدول عنها خاصة ما يتعلق بالعمليات العسكرية في البحر المتوسط وتوقيت وحجم القوات التي كُلفت بالهجوم المقترح عبر القنال الانكليزي في عام ١٩٤٤ بهدف الاستيلاء على مناطق شمال غربي فرنسا. ولم يكن بوسع الأمريكان والانكليز أن يفعلوا أكثر من الافاضة في طرح التفاصيل لما فيه منفعة حلفائهم السوفييت ، فروزفلت وتشرشل كانا قد أوضحا لستالين قبل المؤتمر انه ليس بوسعهم ان يعدوا الاجتماع مقصوراً على المسائل العسكرية ، وبالتأكيد فان الوزراء لم يكونوا قد جهزوا أنفسهم من الناحية الفنية لمناقشة مثل هذه المسائل كما ألمح هول لنظيره السوفييتي ومع ذلك فان الأمريكان والانكليز أقروا بتذمر بانه ليس في وسعهم تفادي بحث هذه المسائل إذا ما طرحت على بساط المناقشة.

لقد أوضح الاتحاد السوفييتي ان الهجوم المخطط لعبور القنال الانكليزي يشكّل بالنسبة اليه أهم بند في جدول الأعمال وهو ما قابله الأمريكيون اخيراً بالموافقة وهكذا ضمن الروس ان العملية ستتم أخيراً. ولهذا فقد أضيف ممثلان عسكريان الى كل من الوفدين الأمريكي والبريطاني الى المؤتمر. فقد ضُم الجنرال جون دين رئيس هيئة الأركان المشتركة الى عضوية الوفد الأمريكي ليتولى شرح وجهة النظر الأمريكية حول المسائل العسكرية المطروحة ـ وهذا الجنرال تولى فيما بعد رئاسة البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو ـ كما أضيف الجنرال (هاستنغز اسماي) وهو ممثل تشرشل في هيئة أركان القوات البريطانية الى الوفد البريطاني وأُعطي صلاحية البت بجميع المسائل العسكرية المطروحة للبحث. وكانت مهمة الجنرالين هي إطلاع الروس على تفاصيل العمليات العسكرية المقبلة والرد على الأسئلة وتوفير الأجواء للعملية الرئيسة لعبور القنال الانكليزي والتي أُتفق على القيام بها في مايس عام ١٩٤٤. غير ان الجنرالين أوضحا للجانب السوفييتي انهما غير مخولين بتغيير القرارات المتخذة بالفعل.

كان موقف الولايات المتحدة في المؤتمر يتسم بالوضوح ، فعلى الحلفاء الثلاثة أن يتفقوا الآن على المبادىء العامة لتعاون دولي في فترة ما بعد الحرب ويتخذوا الخطوات لوضع ذلك موضع التنفيذ. أما بالنسبة للمسائل السياسية ذات الصلة بشروط استسلام المانيا والتسوية السلمية فانها يجب أن تخضع لمزيد من الدراسة. وبالنسبة للمسائل الأمريكية الأخرى والعلاقات بين الشرق والغرب فمن المفضل أن

تَناقش بشيء من التفصيل رغم انه ينبغي إقرار بعض التنازلات لبريطانيا بالنسبة لدور ووضع حكومة فرنسا الحرة. اما الجانب العسكري للمؤتمر فينبغي أن يقتصر على عرض خطط الحلفاء كل على حدة وكان هذا محور الموقف الأمريكي في المؤتمر.

٢ ـ نظرة بريطانيا للمؤتمر

لموقف بريطانيا أوجه شبه عديدة بالموقف الأمريكي رغم انه يختلف في معالجة بعض القضايا. فمن المؤكد ان تشرشل متفق مع الأمريكان على أن يكون المؤتمر ذا طابع استطلاعي بدلاً من اجتماع يكرس لاتخاذ القرارات. ولعل تشرشل شأنه شأن روزفلت كان يشعر ان القرارات الرئيسة ينبغي أن تتخذ في مؤتمر يُعقد على مستوى رؤساء الدول يحضره هو شخصياً ولكنه على أية حال قبل بفكرة ايدن بان يَجري بحث مستفيض للمشكلات، خاصة الأوربية منها والوصول الى اتفاقات بشأنها حتى ولو كانت اتفاقات مؤقتة.

بعض المشكلات آنفة الذكر بما في ذلك بولندا وفنلندا وأوربا الشرقية بوجه عام كانت مصدراً للاحتكاك بين روسيا وحلفائها الغربيين بين الحين والآخر، مشكلات أخرى أقل شأناً مثل دور حركة فرنسا الحرة ظلت هي الأخرى موضع ورد بين بريطانيا والولايات المتحدة.

كان ايدن شأنه في ذلك شأن الأمريكيين يتطلع الى اجراء مناقشة تمهيدية وتبادل الآراء حول المشكلة الألمانية سواء على المدى القريب، أي شروط الاستسلام والاحتلال والادارة العسكرية أو على المدى البعيد، أي التسوية السلمية الدائمة للمشكلة. كذلك كانت ثمة مشكلات عسكرية تتصل بدول البلقان وبخاصة صلات الحلفاء مع حركات المقاومة الوطنية في تلك الدول. ففي يوغسلافيا كانت هناك الى جانب حركة الأنصار الشيوعيين التي يقودها (جوزيف بروز تيتو)، حركة (چيتنيك) التي تسعى الى اعادة النظام الملكي الى يوغسلافيا، والحركتان رغم الصراعات القائمة فيما بينهما، إلا أنهما كانتا على اتصال مع الحلفاء، وكانت مشكلة الحلفاء هنا، هي ما إذا كان من الأفضل الابقاء على تأييد الملكيين أو مناصرة الحركة التي يتزعمها تيتو.

هـذه المشكلات وغيـرها كـانت بحاجـة الى مناقشـة لا سيـما وان القـوات السوفييتية كانت على وشك دخول تلك الأقطار كما كانت البعثات البريطانية تنشط بالفعل في يوغسلافيا واليونان. وكان ايدن يرى ان استمرار المشاورات بين الحلفاء حتى بعد المؤتمر هو أمر ضروري وانه لابد من اقامة جهاز لهذا الغرض.

وربما كان الاقتراح السوفييتي الداعي الى اقامة لجنة سياسية / عسكرية حول إيطاليا، يصلح لأن يكون نقطة البداية لجهاز كهذا، غير ان ايدن وكبار المسؤولين في الخارجية البريطانية كانوا يتوقون الى اقامة هيئة مستقلة يكون مقرها في لندن بدلاً من الجزائر كما اقترح السوفييت. ثم كان هناك الاعلان المقترح من قبل ايدن حول المسؤوليات المشتركة في أوربا بدلاً من توزيع المسؤوليات على كل من الحلفاء على حدة. ومع ان مواقف الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة تجاه هذا الاعلان لم تكن مشجعة إلا ان ايدن لم يتخلَ عن الاقتراح.

وهكذا فبقدر تعلق الأمر بـ (ايدن) فإن اتفاقاً على المباديء التي تحكم تعاوناً دولياً في المستقبل لم يوضع على جدول الأعمال كمادة ذات أولوية، لكن الرجل بما عُرف عن مناصرتـه لعصبة الأمم التي كـانت قائمـة قبل الحـرب ظل مؤيداً للاقتراحات الداعية الى اقامة منظمة دولية جديدة، بل لقد ذهب الى أبعد مما ذهب اليه تشرشل في هذا المسعى. وعلى أية حال كان واضحاً ان الأمريكيين راغبون في مناقشة الأمر مع حلفائهم. كذلك فإن كلاً من تشرشل وايدن كانا مدركين لمدى حاجة بريطانيا الى المعونة الأمريكية سواء أثناء الحرب أو بعدها. لذلك وجدا ان المقترحات الأمريكية للمساعدات المخصصة لبناء ما دمرته الحرب يمكن ان تشكّل نقطة انطلاق قوية لمسعاهم.

لهذا السبب فقد احتل موضوع التعاون الدولي و«الاعلان المشترك عن الدول الأربع الكبرى» مكاناً بـارزاً في جدول الأعمـال الذي تقـدمت به بـريطانيـا الى اجتماع موسكو.

كذلك أخذت مشكلتان تتعلقـان بالشـرق الأوسط مكانـاً لهما عـلى جدول الأعمال البريطاني، فالوضع في ايران تحت الاحتلال السوفييتي ـ البريطاني المشترك ظل ومنذ فترة ليست بالقصيرة مصدر قلق لبريطانيا والولايات المتحدة اللتين تحتفظ كل منهما لها في إيران. على أن الروس وحلفاءهم الغربيين لم يكونوا متعاونين

هناك على النحو المطلوب وغالباً ما بدت أهدافهم متضاربة ، فكل منهم كان يشك في نوايا الآخر وفي خططه في إيران لفترة ما بعد الحرب .

ليس هذا حسب ، فالأمريكان أنفسهم كانوا يشكّون في نوايا بريطانيا الاستعمارية . وكان ايدن قد اتفق مع الأمريكان في لقاءاته السابقة معهم على ممارسة الضغط على الروس لكي يبدو موقفاً متعاوناً أكثر خاصة وان الايرانيين بالذات كانوا يشعرون بالقلق وعدم الارتياح الى ما ينتظرهم مستقبلاً . كذلك سعى الحلفاء الغربيون الى حمل ممثلي الاتحاد السوفييتي في مؤتمر موسكو على الموافقة على اعلان عام يجدد فيه الجميع احترامهم لعهد كانوا قد قطعوه على أنفسهم بأن القوات المحتلة سوف تنهي احتلال إيران بعد مرور ستة أشهر فقط على انتهاء الحرب . وكان الغربيون يعتقدون ان تعهداً جديداً كهذا سيدخل الطمأنينة الى نفوس الايرانيين علاوة على انه سيكون بمثابة تأكيد الروس لمصداقيتهم في العزم على الانسحاب من إيران .

كذلك أضيفت مشكلة تركيا ، والمقصود بها هنا هو (حمل الأتراك على دخول الحرب ضد المانيا) والغريب ان الروس الذين كانوا حتى هذه اللحظة لا يريدون طرح الموضوع للمناقشة ، عدلوا عن رأيهم هذه المرة بل وأبدوا اهتماماً لبحثه . ولكن مسألة دخول تركيا الحرب كانت على نحو ما بالنسبة الى تشرشل قضية ملحة ، وطبقاً للتعبير الانكليزي فانها تعني (رأس الملك چارلس) ففي مرحلة مبكرة من الحرب كان يرغب في حدوث ذلك لكونها قاعدة محتملة لعمليات مستقبلية في البلقان ، ولكن ما ان دخل الأمريكان الحرب حتى عارضوا بشدة أي توجه من هذا القبيل . الآن وبعد ان أقنع الأمريكان ، تشرشل بعملية عبور القنال الانكليزي بعد سنتين من الأخذ والرد ، فانهم كانوا أقل ميلاً للتورط في أية مغامرة في البلقان أو في بحر إيجه . وفي مواجهة هذا الموقف ، أعد تشرشل بالتعاون مع الجنرال (مثيلاند ولسن) القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط العدة للقيام بعمليات عسكرية محدودة ، ضد الجزر اليونانية التي يحتلها الألمان قبالة الساحل التركي في بحر إيجه ، لكن هذه العمليات لم تكن قد جهزت على النحو المناسب عدة وعدداً ولذلك فقد تعثرت . إن المساعدة التركية ، وخاصة استخدام القواعد الجوية التركية من قبل الحلفاء ربما ستغير موازين القوى في رأي الانكليز ، ومع هذا فان ايدن لم يكن

متحمساً لطرح الموضوع للنقاش ، فقد كان يدرك كما هو حال تشرشل ان الأتراك كانوا حذرين للغاية بالنسبة لزج أنفسهم في أتون الحرب ضد المانيا. ولم يكن هذا بسبب الخوف أو الجبن ولكن لأسباب أخرى ـ فالحقيقة ان الأتراك كانوا يتوجسون الريبة من نوايا الروس تجاه بلادهم أكثر من تشككهم في نوايا الألمان ـ فمن المعروف ان أحد اهداف روسيا منذ القرن التاسع عشر هو السيطرة على البحر الأسود والقسطنطينية والدردنيل. وحتى قيام الثورة في روسيا عام ١٩١٧ كان هذا الهدف قائماً وتسبب في فقدان تركيا تدريجياً لأجزاء كبيرة من الامبراطورية التركية في أوربا ـ ولعل هزيمة روسيا في الحرب العالمية الأولى هي التي أنقذت وحدها القسطنطينية والدردنيل من السيطرة الروسية ـ غير انه لم يكن يساور الأتراك أي وهم بأن تغير النظام في روسيا قد أثر على أهداف الأخيرة ، في هذه البقعة من العالم ـ أما بالنسبة للحلفاء الغربيين فإن الأتراك لم ينسوا ان بريطانيا كانت في مقدمة الذين عملوا عام ١٩١٨ على تفكيك ما تبقى من الامبراطورية العثمانية خاصة ممتلكاتها في الشرق الأوسط. وان الولايات المتحدة لم تفعل شيئاً لمنع بريطانيا من القيام بذلك ـ فليس من المستغرب إذن ان الحكومة التركية بزعامة (عصمت اينونو) الذي قاتل الانكليز والروس في الحرب العالمية الأولى كان ينظر الى الحلفاء الجدد نظرة الحذر. وكإجراء تحوطي ضد أي عمل انتقامي قد تقوم به المانيا وكذلك كخطوة لمواجهة النوايا السوفييتية في المستقبل ، طلب الأتراك من حلفائهم الغربيين تزويدهم بالسلاح الحديث ولا سيما الطائرات المقاتلة كشرط لدخولهم الحرب. ولابد من القول هنا انه سبق لبريطانيا أن تعهدت بتوفير ٢٥ سرباً من الطائرات لتركيا إن هي قررت محاربة المانيا. ولكن عندما توسعت العمليات العسكرية في البحر المتوسط وجرى التخطيط لعبور القنال بدا واضحاً ان بريطانيا ليست في وضع يمكّنها من توفير هذا العدد من الأسراب. والواقع ان الأتراك كانوا بالنسبة للحلفاء الغربيين في وضع شبيه بوضع الجنرال (فرانكو) الزعيم الاسباني بالنسبة لدول المحور والمقصود بذلك (حليف متحمس لكنه نادراً ما ينتصر).

أما بالنسبة لأوربا الشرقية ، فلابد ان الأمر كان قد وضح امام (ايدن) في ضوء الموقف السوفييتي والأمريكي القائل انه لا يجب توقع الشيء الكثير من المؤتمر بصددها. ومع ذلك فإن جدول الأعمال البريطاني تضمن بنداً حول أوربا الشرقية

بما في ذلك اقتراح يدعو الحلفاء الآخرين الى الابتعاد عن اقامة مناطق نفوذ هناك. كما شملت المقترحات البريطانية اجراء مناقشة عامة «حول سياسة مشتركة للمناطق المحررة» (وهذه اشارة الى المناطق التي احتلتها دول المحور ولكنها لم تصبح حليفة بعد الاحتلال لهذه الدول).

وطالما ان موضوع فرنسا كانت ستتم مناقشته بمعزل عن الموضوعات الأخرى فلم يتبقَ إلا مسألة المناطق المنخفضة كالنروج والدانمارك وهي مسألة أُدرجت بالتالي وباقتراح الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ضمن البند المتعلق بأوربا الشرقية.

وكما أسلفنا فإن الأمريكيين لم يكونوا راغبين في هذه المرحلة للدخول في التزامات تفصيلية بالنسبة لأوربا الشرقية ـ وروزفلت كما هو حال تشرشل كان قد اتخذ قراراً بالاعتراف أخيراً بمطالب الاتحاد السوفييتي في بولندا وربما الاقرار أيضاً بضم دول البلطيق الى روسيا شريطة أن يتم ذلك باستفتاء سكانها، ولكن أموراً كهذه تستدعي مناقشة بينه وبين ستالين شخصياً.

كانت المشكلات المترتبة على تحرير أوربا الشرقية قد اتخذت طابعاً أكثر إلحاحاً في الآونة الأخيرة، في نظر الانكليز وذلك نتيجة للمفاوضات التي بدأها السوفييت مع رئيس حكومة جيكوسلوفاكيا في المنفى (ادوارد بنيس) رغم ان مقر حكومته كان في لندن ـ وكانت المفاوضات التي جرت بين (بنيس) والسفير السوفييتي في لندن قد قطعت مرحلة كبيرة من التقدم دون أن يكون لـ (ايدن) علم ببدئها كانت المعاهدة المقترح ابرامها بينهما هي بالضبط من نوع ما أُصطلح على تسميته بـ «الترتيبات الخاصة» بين الاتحاد السوفييتي ودولة صغيرة، وهي معاهدة من شأنها أن تضع حجر الأساس لاقامة منطقة نفوذ سوفييتية في أوربا الشرقية.

كانت هذه المسألة حسّاسة وعاجلة على نحو خاص نظراً لقيام الاتحاد السوفييتي قبلها بأيام بخطوة مماثلة مع الحكومة البولندية في المنفى وكذلك حقيقة كون جيكوسلوفاكيا شأنها شأن الاتحاد السوفييتي لديها نزاع حول الأراضي مع بولندا. ولهذا اشار (ايدن) على (بنيس) انه لا يرغب أن تمضي المفاوضات قدماً حتى تُتاح الفرصة لمفاوضات انكلو ـ سوفييتية في مؤتمر وزراء الخارجية، كما ان الحكومة البريطانية تفضل اتفاقاً ثلاثياً بين روسيا وكل من بولندا وجيكوسلوفاكيا بدلاً من اتفاقات ثنائية، وبكلمة أخرى فان المعاهدة المقترحة يجب أن تستند الى تسوية النزاع

السوفييتي البولندي مقترناً باعتراف الاتحاد السوفييتي بالحكومة البولدنية في لندن. وبدورها أعربت موسكـو عن استيائهـا من هذا المـوقف «غير الـودي» من جانب الحكومة البريطانية واصفة إياه بأنه يرمي الى عرقلة المفاوضات مع بولندا.

لم تكن الحكومة السوفييتية في الواقع متحمسة لأن تُلزم نفسها بمباديء عامة تتعلق بتحرير أوربا الشرقية ، رغم ان الاتحاد السوفييتي كان يبدو راغباً من قبـل وبالتحديد في عام ١٩٤٢ على القبول بشكل من نكران الذات والتضحية بهـدف الوصول الى اتفاقات محددة أو معاهدات مع الدول الحليفة الصغيـرة. كالمعـاهدة المقترحة مع جيكوسلوفاكيا.

عاد (ايدن) فاقترح هذه المرة انه ينبغي على الاتحاد السوفييتي وبريطانيا أن لا يدخلا في أية اتفاقات مع دول أخرى دون التشاور مسبقاً فيما بينهما.

لكن الموقف السوفييتي حول هذه القضية وغيرها من القضايا لم يعد يحتمل قبول آراء الآخرين. وكانت موسكو عاقـدة العزم عـلى المضي قدمـاً في موضـوع المعاهدة مع جيكوسلوفاكيا ولم تكن لترغب في ان تقف بوجهها التزامات التشاور مع حلفائها الآخرين بالنسبة لتوقيع اتفاقات كهذه مع «الدول التي تقع حدودها بمحاذاة الاتحاد السوفييتي».

إن الاصطلاح الأخير هذا لا ينطبق كما اتضح على بولندا وجيكوسلوفـاكيا ورومانيا فحسب بـل حتى على إيـران والصين. وهـما ما أدركتـه وزارة الخارجيـة البريطانية ولكن بشكل متأخر.

هنا وجد (ايدن) انه من المناسب ان يعيد الى أذهان الاتحاد السوفييتي ما سبق وان التزم به من «نكران للذات» ، غير انه لم يتلقَ رداً مشجعاً من السوفييت.

كانت قضية فنلنـدا هي الاستثناء الـوحيد في إقنـاع الأمريكيـين عن طرح مشكلات أوربا الشرقية بالتفصيل أمام المؤتمر ولذلك أُدرجت هذه القضية في جدول الأعمال البريطاني تحت بند «الدول الساعية للسلام من مجموعة المحور». ولعله من قبيل المفارقة انه إذا كانت مشكلة تركيا تنحصر في كيفية اقناعها بدخول الحرب فان مشكلة فنلندا من وجهة النظر الأمريكية تنحصر في كيفية اخراجها من الحرب بأقل قسط من الألم.

كان تقدم القوات السوفييتية وتقهقر الجيوش الألمانية قد بات يشكّل خطراً

داهماً على الفنلنديين خاصة وان الخوف بدأ يمتلك هؤلاء من ان يُتركوا وحدهم في مواجهة «التوغل» السوفييتي. وهكذا اضطرت الحكومة الفنلندية الى الاعتراف أخيراً بأنها وقفت الى جانب الطرف الخاسر عندما انخرطت في دول المحور ، وهي الآن راغبة في توقيع هدنة مع الحلفاء.

لذلك بدأت الحكومة الفنلندية بمحاولة جس النبض عند الآخرين مستغلة اعجاب الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي بالمقاومة التي أبداها الفنلنديون بوجه الهجوم السوفييتي فيما أُصطلح عليه بـ«حرب الشتاء» ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠. كما ان واشنطن كانت تكن الاحترام لفنلندا لأن هذه الأخيرة على خلاف بقية الدول سددت الديون التي كانت مترتبة بذمتها للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى.

على ان تشرشل وايدن كانا يريدان من الولايات المتحدة ان تبدي اهتماماً أقل بدولة عدوة واهتماماً أقوى بمصالح حلفاء أوفياء مثل بولندا واليونان ولكنهما كانا على أي حال راغبين في مناقشة هذه المسألة الى جانب قضية السيطرة على مداخل الدول الاسكندنافية الى بحر البلطيق. وكان ايدن يتوقع من الاتحاد السوفييتي أن يبدي استجابة لمناقشة ذلك.

باضافة كل هذه المواضيع والقضايا فإن جدول الأعمال الذي نقله تشرشل الى روزفلت في أوائل أيلول ١٩٤٣ كان طويلاً ومفصلاً ويشتمل على ستة عشر بنداً. وقد ضم كل الموضوعات آنفة الذكر ما عدا «مبدأ نكران الذات» الذي أضيف في وقت لاحق.

أعقب ذلك سلسلة من المشاورات الثنائية بين بريطانيا والولايات المتحدة حول مختلف المسائل وفي خلال هذه المشاورات وُجد انه من غير المستحسن أن يضم كل من جدول الأعمال الأمريكي والبريطاني قضايا متشابهة ولهذا حُذف اقتراح اصدار «اعلان من الدول الأربع الكبرى» من جدول الأعمال البريطاني ـ كذلك انتهز (ايدن) الفرصة ليقترح بعض التعديل في لهجة الاعلان المقترح بهدف احتواء أية اعتراضات من الممكن ان يثيرها الاتحاد السوفييتي. ولهذا اقترح «انه يجب أن يكون واضحاً انه ليست لدى بريطانيا أية نية في اعادة المانيا والدول التي حاربت الى جانبها الى الأسرة الدولية في المستقبل القريب» وهو اقتراح كان مؤكداً ان الاتحاد السوفييتي سيقاومه. في هذا الوقت كانت اقتراحات الرئيس روزفلت حول اقامة

منظمة دولية جديدة ، قد بدأت تأخذ شكلها العام . والى أن تتم اقامة منظمة كهذه فإن الدول العظمى الأربع ستضطلع بالمسؤوليات المترتبة عليها في المحيط الدولي على ان يصار الى ادخال دول اخرى مؤهلة . لم يبد تشرشل بوجه عام أي اعتراض على هذه المقترحات رغم انه كان يفضّل تشكيل لجنة تقتصر على الدول الأوربية .

وقد بدا من المنطقي ان كل المناقشات حول «جهاز للتشاور في المسائل المشتركة» ينبغي أن تندرج في بند واحد . والاقتراحات البريطانية في هذا الشأن يمكن بالتالي ان تدخل ضمن البند المتعلق بتشكيل لجان سياسية ـ عسكرية كما أراد الاتحاد السوفييتي ، ونزولاً عند رغبة الولايات المتحدة فقد أضاف وزير الخارجية البريطاني «الدول العدوة الأخرى» الى البند المتعلق بشروط استسلام المانيا والترتيبات الخاصة بالاحتلال والتسوية بعيدة المدى .

علاوة على هذا فان البند المتعلق بفنلندا قد وُسع ليضم «الدول الأخرى الساعية للسلام» وهي على سبيل المثال رومانيا وبلغاريا والمجر ، ثم كانت هناك مشكلة النمسا التي احتلها الألمان عام ١٩٣٨ ، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد اتفقتا بالفعل على انه بصرف النظر عن القرارات التي ستتخذ بالنسبة لألمانيا وأوربا الوسطى فإنه لابد من استعادة استقلال النمسا . كما اتفقتا على تقديم اقتراح باصدار اعلان بهذا الشأن من قبل اجتماع وزراء الخارجية .

ولكي تعكس الولايات المتحدة شكوكها بالسياسات البريطانية ، اقترحت أن يكون هناك التزام يقضي بتشجيع مشاركة النمسا في اتحاد يتم انشاؤه مستقبلاً .

وأخيراً وكنتيجة للأخذ والرد مع روسيا حول المعاهدة التي كانت تخطط لابرامها مع جيكوسلوفاكيا قرر ايدن اضافة بند حول هذاالموضوع الى جدول الأعمال ، وفي الوقت ذاته فان الوقت ما بين أيلول وتشرين أول كان كافياً لوزارة الحرب البريطانية لكي تفرغ من مناقشة العديد من المسائل المطروحة على بساط البحث في جدول الأعمال وكذلك بشأن المذكرات والاقتراحات التي أعدتها وزارة الخارجيةورُفعت الى ايدن . وهكذا جرت مناقشة مختلف جوانب القضية الألمانية القصيرة الأجل والبعيدة الأجل بشكل مستفيض . وقد كشفت المناقشات بعضاً من الاختلافات في وجهات النظر داخل الحكومة البريطانية حول مستقبل المانيا وبخاصة المسألة الجوهرية حول ما إذا كان الحلفاء سيسمحون لألمانيا الموحدة بالبقاء

في فترة ما بعد الحرب ـ على ان الجميع اتفقوا على وجوب تقليص حجم المانيا ـ كما اتفقوا على انه علاوة على السماح للنمسا باستعادة استقلالها فانه يترتب أيضاً اعادة مناطق (الألزاس واللورين) الى فرنسا ومنطقة (السودتينلاند) الى جيكوسلوفاكيا. كما انه يترتب اضافة أجزاء من (سيلسيا) العليا و(دانزغ) الى بولندا ـ وربما كان هـذا محاولة لتعويض بولندا عن المناطق التي خسـرتها في الشـرق ـ ولقد انبـرى الاتحاد السوفييتي ليقول ان تلك المناطق لم تكن أساساً أراضي بولندية بل أراضي سوفييتية سبق وان أُقتطعت من أراضيه بعد الحرب العالمية الأولى، وعلاوة على ذلك فان احتمال تدويل منطقة الروهر وقناة (كيل) كان قائماً هو الآخر. لو نُفذ كل ما تقدم ذكره لوصلت الأمور الى حد اقتطاع أجزاء كبيرة من المانيا ـ ثم عاد تشرشل ليلمح برغبته في فصل (بروسيا) برمتها عن المانيا وضم الأجزاء الجنوبية الألمانية في اتحاد مع النمسا تكون عاصمته فيينا ـ ولما كان تشرشل لا يثق كثيراً في النوايا السوفييتية فقد رأى ان الاتحاد السوفييتي سيصبح بمجرد انتهاء الحرب في وضع يمكنه من فصل المانيا الشرقية برمتها عن بقية الجسم الألماني. وفي حالة كهذه خاصة إذا ما عولج موضوع منطقة (الروهر) الصناعية على نحو مستقل، فان ما سيتبقى من المانيا لن يشكل عنصراً أساسياً في ميزان القوى الجديد في أوربا، غير ان ايدن، على أية حال كرر شكوكه في النتائج التي يمكن أن يسفر عنها تقسيم المانيا عملياً واقترح بدلاً من ذلك أن يصار الى اقامة نظام لامركزي بدلاً من التقسيم.

أما بالنسبة لمشروع تشرشل الخاص باقامة اتحاد للدول المطلة على نهر الدانوب يكون مقره فيينا فان (ايدن) كان على علم بأن الولايات المتحدة سترد ببرود على أية محاولة لتشجيع فكرة الاتحادات في وسط وشرق أوربا. أضف الى ذلك ان الروس أنفسهم قد يثيرون اعتراضات أمام مثل هذا التوجه.

لذلك لم يكن أمراً مفاجئاً عندما قررت الحكومة البريطانية عدم الزام نفسها بالمسألة الرئيسة المتعلقة بتقطيع أوصال المانيا ـ لقد أشار كل من تشـرشل ووزيـر خارجيته انه من الأفضل في الظرف الراهن على الأقل تفادي أية قرارات نهائية بهذا الخصوص وانه من الأفضل لهما أن ينتظرا ماذا ستكـون عليه المـواقف الأمريكيـة والسوفييتية والنتائج التي سيسفر عنها اجتماع وزراء الخارجية ـ كان هناك اتفاق عام على أية حال على ضرورة احتلال المانيا بكاملها ووضعها تحت الادارة العسكرية بعد

انتهاء الحرب ولذلك فانه من الأفضل عدم تشكيل حكومة جديدة في المانيا فوراً لتحل محل النظام النازي الذي كان الجميع عازمين على تصفيته مرة والى الأبد. وقد اتُفق أيضاً على ان تجريد المانيا من السلاح ووضع حد للروح العسكرية التي أنشأها النازيون وان الاحتلال يجب أن يستند على مناطق منفصلة إحداها على الأخرى عن ان تتم تنسيق ادارتها من جانب لجنة إشراف مشتركة من الحلفاء بدلاً من نشر القوات الحليفة في المانيا كيفما اتفق ، وكان الرأي السائد لدى الأغلبية يميل الى تقليص فترة الاحتلال لفترة زمنية قصيرة نسبياً لا تزيد على السنتين يتم خلالها ابرام معاهدة للسلام تكون في نظر تشرشل بداية لفترة من «اعادة تأهيل المانيا» تمهيداً لقيام دولة المانية بشكل من الأشكال تأخذ مكانها تدريجياً وسط الأسرة الأوربية.

لقد كانت هناك في واقع الأمر اختلافات في الرأي داخل الحكومة البريطانية حول موضوع «اعادة تأهيل المانيا» على نحو سريع ، وربما كان التأهيل أمراً لا يحظى بقبول الروس. كذلك جرى وكما كان متوقعاً نقاش حول المعضلة البولندية والمشكلات الأخرى المتعلقة بوضع أوربا الشرقية ، والمعاهدة السوفييتية الجيكوسلوفاكية المقترحة والمطامع السوفييتية في دول البلطيق. وقد أشار ايدن الى انه من الضروري تحقيق مصالحة بين الاتحاد السوفييتي والحكومة البولندية في المنفى ، الموجودة في لندن باعتبار ان ذلك سيرجع بالفائدة على وضع هذه الحكومة ومن شأنه أن يمكّنها بالتالي من ممارسة نفوذ أقوى في تحديد مستقبل بولندا والحيلولة دون نشوب صراع بين الجيوش السوفييتية الزاحفة وحركة المقاومة البولندية التي كانت تتطلع الى حكومة بولندا في المنفى لتكون قيادة المستقبل.

وفي اطار هذا المسعى اقترح ايدن على الحكومة البولندية في المنفى أن تقدم بعض التنازلات للاتحاد السوفييتي خاصة في المناطق الشرقية من بولندا. وان على هذه الحكومة ان تقبل ببولندا «أقل تخمة» من تلك التي كانت قائمة خلال سني الحرب ، على أن يقوم الغرب بتعويض بولندا عما لحقها من خسارة. وهذا الرأي كان في واقع الحال هو نفس ما عبّرت عنه الولايات المتحدة في محادثات كويبك الثنائية مع بريطانيا.

لقد قيل للبولنديين انه من الأفضل لكم أن تقبلوا بهذا النوع من المساومة وإلا فانه إذا تشددتم في موقفكم فلربما ستكون شروط الاتحاد السوفييتي أسوأ مما تتوقعون.

أو ما معناه انه بعد انتهاء الحرب وتحلل الاتحاد السوفييتي من التزاماته مع حلفائه ، فان الدول الغربية ربما لن يصبح بمقدورها ممارسة الضغط على موسكو كما تستطيع الآن . وهكذا كما أشار ايدن هو موقف الولايات المتحدة أيضاً .

والواقع ان حكومة بولندا في المنفى لم تجعل الأمور سهلة لبريطانيا في الوصول الى مصالحة مع الاتحاد السوفييتي . وبالتأكيد فهذه الحكومة حاولت الحصول على تعهد من (ايدن) بأن موضوع الحدود البولندية لن يطرح على بساط البحث في مؤتمر وزراء الخارجية ، في الوقت الذي لم تبدِ فيه إلا بعض الرغبة في التنازل عن الأراضي التي استولت عليها بولندا من الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الأولى وبالتحديد في عام ١٩٢٢ . علاوة على انها أي حكومة المنفى طالبت بضم أجزاء من المانيا للأراضي البولندية .

على ان الاتحاد السوفييتي من الجهة الثانية لم يرد بشكل ايجابي على الجهود البريطانية . وهكذا فان تشبث كل من الجانبين بموقفه وتشدده جعل من الصعب الوصول الى اتفاق . ومع هذا فان الوزارة البريطانية خولت (ايدن) مواصلة المساعي للوصول الى حل على هدي الخطوط العامة التي أشرنا اليها وربما من الضروري أيضاً القبول بمطالب الاتحاد السوفييتي في كل من فنلندا ورومانيا .

لكن (ايدن) على أية حال قد خُول فقط بتقديم تطمينات غير رسمية بهذا الخصوص وليس لديه صلاحية توقيع أية اتفاقية رسمية وعدم الالتزام بأي تعهد باسم بريطانيا في هذه المرحلة . وبالمقابل فان بريطانيا تتوقع من الاتحاد السوفييتي أن يقدم بعض التنازلات ليس بالنسبة الى تجديد الاعتراف بالحكومة البولندية بل باعطاء ضمانات باستقلال دول أوربا الشرقية مستقبلاً ، وكذلك استبدال المعاهدة المقترح ابرامها مع جيكوسلوفاكيا بمعاهدة ثلاثية تضم بولندا أيضاً . كذلك وافقت الحكومة البريطانية على مقترح (ايدن) حول اقامة جهاز استشاري فيما بين الحلفاء حول المشكلات الأوربية يكون مقره في لندن . ولعل السبب الذي دفع ايدن الى الدعوة لأن تكون لندن موقعاً لهذه الهيئة هو وجود العديد من الحكومات الأوربية في المنفى في العاصمة البريطانية . ولكن من الواضح ان هذا من وجهة النظر البريطانية سيكون ذا فائدة لبريطانيا لأنها عن طريق ذلك يمكن أن تكون على اتصال مباشر مع هذه الحكومات .

وأخيراً فقد تمت الموافقات ولكن بتحفظ على فكرة اقامة منظمة دولية هدفها حفظ السلام كما انطوى عليه الاعلان المقترح توقيعه بين الدول الأربع الكبرى ، فيما جددت الحكومة البريطانية جهودها لحمل تركيا على دخول الحرب إذا كان في الامكان الاستجابة للشروط التي وضعتها لمثل هذه الخطوة ، وكذلك ترتيب الأوضاع في إيران. وبوجه عام فان معظم المقترحات التي عرضها ايدن قد تم اقرارها ما عدا تلك التي تتعلق بالتسوية البعيدة المدى للمشكلة الألمانية التي لم تعدها الحكومة مقترحات ايجابية. وهذا بدوره عكس نوعاً من الاختلاف في الآراء بين رئيس الحكومة تشرشل ووزير خارجيته.

وبالطبع فان (ايدن) وزملاءه كانوا على علم بان الشيء الكثير سوف يعتمد على المدى الذي ستتضح فيه الآراء الأمريكية والسوفييتية في المؤتمر وبخاصة درجة التأييد الأمريكي للسياسات البريطانية حيال المسائل الجوهرية.

كان ايدن شأنه شأن تشرشل يتطلع بلهفة الى مثل هذا التأييد الأمريكي.

إن التوقعات كما رأينا لم تكن مشجعة وايدن كان يأمل على الأقل في لقاء مع وزير الخارجية الأمريكي في القاهرة لاجراء مباحثات أولية حيث من الممكن أن يحرز الأثنان قدراً كبيراً من التفاهم المشترك على الطريقة التي ستتعامل بها الولايات المتحدة وبريطانيا مع المشكلات المطروحة على لقاء موسكو.

كان (هول) وزير خارجية الولايات المتحدة حذراً ولم يكن لا هو ولا الرئيس روزفلت يريد ان يضفي على الموقف الأمريكي طابع التضارب مع الآراء البريطانية عشية انعقاد المؤتمر. كانت إحدى الأولويات الرئيسة للجانبين هي تقليص الشكوك السوفييتية وليس إذكاءها. وقد وافق (ايدن) على ان محادثات رسمية ، بين واشنطن ولندن حول هذه القضية أو تلك قد تثير الشكوك السوفييتية. ولذلك حرص على أن يكون وصوله الى القاهرة محض مصادفة وليس لأن (هول) موجود فيها ، وبالتالي في الأمر سينظر اليه في موسكو على انه صدفة ليس إلا. على ان الأمور سارت فيما بعد بشكل مختلف. ذلك ان (هول) أبلغ ايدن انه سوف لن يكون بوسعه ملاقاته إلا في طهران قبل يوم واحد من بدء المؤتمر. جاءت الاستجابة الفاترة التي قابلت بها الولايات المتحدة المقترحات البريطانية حول أوربا الشرقية وتشدد الموقف السوفييتي لتقضي على التفاؤل الذي أحست به بريطانيا باديء الأمر.

٣ - نظرة الاتحاد السوفييتي

رغم ان الحكومة السوفييتية فاتحت حلفاءها مراراً في ضرورة وضع جدول أعمال مفصل ومقترحات محددة من كل منهما إلا ان جدول الأعمال السوفييتية نفسه كان آخر من ظهر في أواخر أيلول.

ليس هذا وحسب بل انه كان مختصراً للغاية ومقتصراً على مادة واحدة فقط تحت بند «الاجراءات اللازمة لتقصير أمد الحرب». وفي هذا السياق حثت الحكومة السوفييتية على الاسراع بوضع جميع الترتيبات التي سبق وان تم الاتفاق عليها من جانب الحلفاء للقيام بهجوم عبر القنال الانكليزي. وقد أضاف الاتحاد السوفييتي الى هذا البند فيما بعد اقتراحاً يدعو الى اقناع تركيا والسويد أو حملهما قسراً إذا اقتضى الحال على دخول الحرب. لقد بات واضحاً ان أياً من بريطانيا والولايات المتحدة لم تكن لتريد أن يكون مؤتمر وزراء الخارجية مؤتمراً عسكرياً بأي حال من الأحوال. فالوزراء ليس من اختصاصهم مناقشة أمور كهذه، كما ان الحلفاء الغربيين لم تكن لديهم النية بادخال أي تعديل على القرارات التي اُتخذت في واشنطن وكويبك. ولكن السؤال الذي برز هنا هو هل ان الروس غيروا رأيهم ؟ وهل ما زالوا جادين بالنسبة للمؤتمر ؟

على أية حال فان الخبراء الأمريكان والانكليز في الشؤون السوفييتية سرعان ما استنتجوا ان شيئاً من هذا لم يحدث. ووفقاً لهؤلاء فان السوفييت في تفسيرهم لم يكونوا على استعداد لاعطاء أهمية قصوى لأي موضوع يرغب الحلفاء الغربيون في مناقشته معهم ما لم يتلقوا تأكيدات قطعية بأن العملية العسكرية المخططة لعبور القنال الانكليزي ستنفذ وفق ما اُتفق عليه. لقد أوضح ستالين بالفعل انه لا يرغب في ان يقتصر جدول الأعمال على هذه المادة فحسب ولذلك أضاف وزير خارجيته (مولوتوف) تأكيداً بأنه ليس لدى الاتحاد السوفييتي أي اعتراض على مناقشة «المسائل الأوربية». وسواء كان هذا التأكيد يعكس بُعد نظر أم لا، إلا ان الزعماء السوفييت كانوا قد خرجوا باستنتاج مفاده ان البريطانيين كانوا متلهفين على نحو خاص لمناقشة أوضاع أوربا الشرقية التي يعدها الروس أمراً يخصهم أكثر من غيرهم. كما انهم أي الانكليز لم يكونوا قد أبدوا استعداداً لمناقشة مسائل تتعلق بأفريقيا والعالم العربي

والهند حيث تحتفظ بريطانيا بمصالح واسعة . أضف الى ذلك كله ان الولايات المتحدة لم تبدِ من ناحيتها استعداداً لمناقشة أوضاع أمريكا اللاتينية . وهكذا فليس ثمة سبب يدعو للافتراض بأن الحكومة السوفييتية لم تكن مستعدة لبحث المسائل الأوربية من الزاوية الي تخدم أهدافها فقط .

لقد أبلغ السفير السوفييتي في لندن وزير الخارجية (ايدن) بأن الاتحاد السوفييتي راغب في مناقشة المسائل السياسية جنباً الى جنب مع المسائل العسكرية . وكان هذا بالطبع تلميحاً بأن وجهة النظر السوفييتية حول المسائل الأخرى ستكون مرنة إذا ما تم الاعتراف بالمطالب الاقليمية للاتحاد السوفييتي . ورد (ايدن) على ذلك بقوله ان اتفاقاً على المباديء العامة للتعاون مستقبلاً يجب أن يسبق أي اتفاق حول مطالب معينة ، مضيفاً بأنه يدرك مدى القلق العميق الذي يساور الاتحاد السوفييتي بالنسبة لمسائل ذات مساس بأمنه خاصة تلك المتعلقة بالحدود ، وبذلك وبلهجة دبلوماسية ، اراد (ايدن) أن يقول ان بريطانيا لا تعد المطالب السوفييتية غير منطقية برمتها بل انها تتعاطف معها . كما ان الانكليز والأمريكان وافقوا دونما تردد على ادراج موضوع العملية العسكرية لعبور القنال الانكليزي وبالتالي عززا وفديهما بعدد من كبار العسكريين .

كان هناك بالتأكيد هدف آخر وراء جدول الأعمال السوفييتي المختصر ، وهو ان الروس أرادوا بعدم الاشارة الى المسائل السياسية ابداء احتجاجهم على عدم اشراك الاتحاد السوفييتي في اللجنة السياسية / العسكرية حول مستقبل إيطاليا . كما ان موسكو أشارت على الغرب انها في الوقت الذي تبدي فيه استعدادها لبحث المسائل الأوربية وتلك التي تخص أماكن أخرى من العالم إذا ما أرادت لندن وواشنطن ذلك فهي ليست لديها الرغبة الملحة فيه . غير ان هذا كان مجافياً للواقع ففي عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ عندما بدت الأمور قاتمة بوجهها بذلت موسكو قصارى جهودها لمناقشة مطالبها الاقليمية بل وذهبت الى حد مطالبة الولايات المتحدة وبريطانيا بالاعتراف بحدود الاتحاد السوفييتي لعام ١٩٤١ وهو العام الذي كانت فيه الجيوش النازية على أبواب موسكو ولينينغراد . أما الآن والجيوش السوفييتية تلاحق الألمان باتجاه الحدود المتنازع عليها لكل من بولندا وفنلندا ورومانيا فقد اختلف الموقف وبالتالي اختلفت السياسات . ان موافقة الحلفاء الغربيين على مطالب روسيا الاقليمية بقدر ما هي

مرغوبة الآن إلا انها ستكون وبعد مضي وقت قصير ليست ضرورية ما يريد الغرب تحقيقه فلو ان الحلفاء الغربيين انصرفوا الآن نحو حشد قواتهم للعمليات العسكرية في أوربا الغربية ، فسوف يكون احتمال دخول القوات الأمريكية والبريطانية الى البلقان واوربا الشرقية أمراً بعيد المنال.

لذلك لم يكن ثمة سبب يدعو الحكومة السوفييتية لأن تلزم نفسها بالموافقة على الاعلانات المقترحة بصدد «المسؤولية المشتركة» و«السياسة التي ستُنتهج في الأراضي المحررة» وكذلك على مقترحات اقامة اتحادات للدول الصغيرة في فترة ما بعد الحرب ذلك لأن السوفييت يريدون ان تكون لديهم حرية التصرف وقد أوضحوا منذ زمن بعيد ان مباديء السيادة الوطنية والوحدة الاقليمية وحق تقرير المصير التي تعلق عليها الولايات المتحدة أهمية كبيرة ستكون قريباً متعارضة مع مطالبهم ومصالحهم في مناطق ستخضع لسيطرتهم إن آجلاً أو عاجلاً. إن ما تغير نتيجة للجهود السوفييتية والقرارات الاستراتيجية للحلفاء الغربيين ينحصر فقط في مدى مساحة الأراضي التي كان الاتحاد السوفييتي يتطلع للسيطرة عليها بعد انتهاء الحرب. والى ان تفتح سجلات ووثائق تلك الفترة أمام الغرب (إذا ما حدث ذلك يوماً) فسوف لن يكون بوسع المرء أن يدرك بالضبط ما هو الذي دفع ستالين الى وضع مسألة دخول تركيا والسويد في الحرب على جدول الأعمال ، ذلك ان المزايا العسكرية تتضارب مع بعضها في كلتا الحالتين. ان تخلي السويد عن حيادها سوف يهيء للألمان الحجة الكافية للقيام بغزو سريع لتلك البلاد. وهو غزو لن يكون الحلفاء قادرين على الحيلولة دون وقوعه.

كان ستالين يشك دائماً في السويديين ويعتقد ان لديهم توجهات موالية للألمان ولذلك وجد ان ربط السويد بقوة الى معسكر الحلفاء ستكون له بعض المزايا. هذا من جهة أما من الجهة الثانية فلو ان فنلندا اختارت البقاء بعيداً عن الحرب فانه سيكون لدى الاتحاد السوفييتي من الأسباب ما يدفعه الى ارسال قواته نحو الحدود الفنلندية واحتلال فنلندا بكاملها. كذلك كان اقحام تركيا في السيناريو يرجع ولو بشكل جزئي الى قلق الروس من النجاح المحتمل للأتراك في الحصول على سلاح حديث من الغرب دون ان يقدموا تنازلات بالمقابل أو حتى يظهروا حماساً لاستخدامه ضد المانيا. وهكذا لابد أن يقال للأتراك وبعبارة صريحة وقوية إما ان تدخلوا

الحرب او ان لا تتوقعوا أية مساعدة. أضف الى ذلك كله انه كان الاتحاد السوفييتي مطالب في الموانيء التركية على البحر الأسود وقد سعى للسيطرة على مضيق الدردنيل ولم يكن يريد ان يرى تركيا قوية وبوسعها ان تقاوم أهدافه هذه.

إن الطابع الذي اتسم به الموقف السوفييتي والقائم على عدم المساومة قد ظهر أيضاً في نظرته الى الصين. فمولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي كان قد اعترض في وقت مبكر على ادخال الصين في «اعلان الدول الأربع الكبرى». وقد ذهب ستالين الى أبعد من هذا حينما بعث في السادس من تشرين اول ١٩٤٣ برقية الى الرئيس فرانكلين روزفلت يقول فيها «طالما ان المؤتمر هو مؤتمر لثلاث دول فقط، فانني افترض ان اعلاناً للدول الأربع الكبرى لا ينبغي أن يدرج على جدول الأعمال».

ولعل ستالين كان جاداً كما لم يكن من قبل، وربما كان يدرك أيضاً ان اصدار هذا الاعلان بالنسبة للولايات المتحدة هو السبب الرئيس لحضورها المؤتمر.

في رده على برقية ستالين قال روزفلت إنه مستعد لقبول اعلان من ثلاث دول على ان تنضم دول أخرى من بينها الصين اليه لاحقاً، لكن هذه كانت قضية تختلف تماماً عن سحب الاعلان المقترح برمته من جدول الأعمال. كان موقف الاتحاد السوفييتي تجاه هذه القضية دليلاً كافياً على انه غير مستعد لتقديم أية تنازلات للغربيين ما لم يتم ذلك على أساس المقابلة بالمثل، أي ان يقدم الغربيون ما يريده من تنازلات.

لا يمكن اعتبار الموقف السوفييتي للوهلة الأولى على انه موقف عنيد أو شاك أو أناني، فقد كان خليطاً من هذه جميعاً. ولكي يكون المرء عادلاً في تقويمه للموقف السوفييتي فليس من الضروري أن يمسك بالمنظار من الجهة الثانية وينظر الى كل الأمور من الزاوية التي تنظر بها موسكو كما يحلو لبعض المؤرخين ان يرددوا لكن منطق العدل يستدعي أن نذكر ان الاتحاد السوفييتي قد عانى أكثر مما عاناه أي بلد من محن الحرب والغزو الألماني عبر سنتين متتاليتين ـ كابوس من الدمار والموت والمعاناة والمشاق ـ ورغم ان الغرب قدم الى الروس مساعدة سخية سواء في السلاح أو التجهيزات، إلا ان موسكو ظلت تنظر بعين الريبة والشك الى حلفائها الغربيين خاصة عندما لم يلبوا نداءاتها بفتح جبهة ضد الألمان في أوربا الغربية في أيام الحرب

الشديدة حتى يخففوا الضغط الألماني على الاتحاد السوفييتي. وبدلاً من فتح جبهة كهذه ارسل الغربيون قواتهم لغزو شمال أفريقيا وحوض البحر المتوسط. وهذا ما دفع الى التساؤل هل كان الانكليز في قرارة أنفسهم يريدون للاتحاد السوفييتي والمانيا ان يُنهكا سوية في صراع طويل على الجبهة الشرقية ؟. وهل ان روزفلت سمح لنفسه أن يصبح مخلب القط لتشرشل ؟. كان موقف الغرب في كثير من النواحي غير معقول فعلاً بالنسبة لشعب كان يقاتل من أجل حياته.

لو نظرنا الى الوضع من الزاوية التي كانت تنظر بها موسكو. فانه يبدو واضحاً ان الغربيين كانوا أشبه بمن يخوض حرباً خاصة به بأقل الخسائر، ويتشاورون فيما بينهم دون أن يكون لموسكو رأي فيما يتفقون عليه في كثير من الأحيان. وعلاوة على الافتقار الى الرغبة في التعاون العسكري مع موسكو، فان الغربيين لم يكونوا راغبين في الاقرار بمطالب الاتحاد السوفييتي الاقليمية، وهي مطالب لم تتعد استعادة حدود روسيا التي كانت قائمة عام ١٩١٧ وهي حدود كانت السلطة السوفييتية بعد ثورة اكتوبر ترى انها ضرورية لحماية الاتحاد السوفييتي ضد أي هجوم جديد من النوع الذي عانى منه ثلاث مرات في ظرف ثلاثين سنة. وكان (ايدن) على ما يبدو جاداً في منع الاتحاد السوفييتي من توقيع معاهدات مع حكومات أوربا الشرقية خدمة لمصالحه رغم ان الحكومة البريطانية نفسها كانت قد وقعت ما تريده من اتفاقات مع بعض هذه الحكومات. إذن لماذا يُمنع الاتحاد السوفييتي من عمل الشيء نفسه ؟. ربما لأن موسكو ستصبح عما قريب في غنى عن السعي وراء النوايا الحسنة للغرب بالنسبة لمطالبها الاقليمية ! وان الجيش الأحمر سيتولى بنفسه القيام بما هو ضروري.

بمثل هذا المزاج من الشك والعناد والاصرار على تحقيق الأهداف المنشودة، دخل الزعماء السوفييت الى قاعة المؤتمر.

إنه لمن الصعب أن يرى المرء (رغم ان الأمور كانت واضحة لتشرشل وايدن) كيف ان الأهداف السوفييتية والبريطانية في أوربا كانت متضاربة في كثير من النواحي. كان هدف بريطانيا هو استعادة الاستقلال لدول المنطقة وتعزيز وضعها وضمها الى هيئات ومنظمات تساعدها على الدفاع عن استقلالها بوجه الضغوط من أية جهة كانت بما في ذلك الاتحاد السوفييتي، غير ان الصراعات والعداوات التي كانت قائمة بين دول البلقان الواحدة ضد الأخرى وكذلك فيما بين دول أوربا

الشرقية جعل من هذا هدفاً بعيد المنال. كان المطلوب لتحقيق هدف كهذا ، ان يحظى الجهد البريطاني بتأييد أمريكي وسوفييتي ، غير انه ربما كان بقاء هذه الدول على وضعها صغيرة ومتناحرة وضعيفة هو أمر يناسب الاتحاد السوفييتي أكثر من غيره. أما بالنسبة للأمريكان فقد كان هؤلاء يشكّون في نوايا الانكليز ودوافعهم ولم يكونوا يريدون ان يستدرجهم أحد الى التورط في مشكلات أوربا الشرقية بالشكل الذي يجعلهم يخدمون الغايات البريطانية ولو بشكل غير مباشر. كما ان الأمريكان كانوا يعلّقون آمالهم على توفير مناخ مناسب لعلاقات دولية جديدة واقامة نظام عالمي للأمن من شأنه أن يبدد مخاوف الاتحاد السوفييتي ويقنعه بالتعامل مع جيرانه الضعفاء بروح من الانصاف. هذا الموقف الأمريكي كان جديراً بالانتقاد ، لأنه كان موقفاً مفرطاً في التفاؤل الى الحد الذي يثير السخرية لسببين : أولهما انه تجاهل تاريخاً طويلاً من التوسع الروسي ولأنه تجاهل ثانياً حقيقة ان الزعماء السوفييت يؤمنون بعقيدة تضمر العداء الدفين للرأسمالية الأمريكية ولكل المؤسسات السياسية الغربية.

لكن الاتحاد السوفييتي كان كما يبدو قد غير من حماسه العقائدي خلال سنوات الحرب. وهكذا فقد تم حل المكتب الشيوعي الأممي (الكومنتيرن) الذي كان يشرف عليه الحزب الشيوعي السوفييتي. وفي عام ١٩٤١ وقع الاتحاد السوفييتي على «الميثاق الأطلسي» مجسداً بذلك احترامه للمُثل الأمريكية في الحرية السياسية ولو أُتيح له ان يقوم بالدور الذي كان يتطلع اليه في الساحة الدولية لتخلى عن عدائه، وشكوكه تجاه الدول الغربية ولبدأ يتعاون مع الغرب من أجل الأهداف المشتركة. لكن الفرصة لدور كهذا لم تكن مواتية ، ولذلك دخل الروس الى المؤتمر الثلاثي وشكوكهم قد تضاعفت. اما الانكليز فقد كان القلق يعتمل في نفوسهم والأمريكان جاءوا الى المؤتمر بتفاؤل مشوب بالحذر.

الفصل الثالث

رحلة الى موسكو

١ - الاجراءات التمهيدية

خلال الأيام التي كان فيهاوزيرا خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا في طريقهما الى موسكو فان الماكنة الدبلوماسية لم تتوقف عن العمل . فقد استمر تدفق البرقيات الى وزارتي الخارجية في لندن وواشنطن ، بينما كانت وزارة الحرب البريطانية ، والمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي وهيئة مستشاري الرئيس روزفلت في حركة دائبة من الاجتماعات لمناقشة الموضوعات المعروضة على مؤتمر موسكو. وكانت المقترحات السوفييتية لتشكيل لجنة سياسية عسكرية حول إيطاليا في مقدمة الموضوعات التي بحثت في هذه الاجتماعات. ورغم أن الغرب وافق من حيث المبدأ على تشكيل مثل هذه اللجنة إلا ان الأمور التفصيلية الأخرى كالموقع الدائم لها وعضويتها وصلاحيتها وحجم اهتماماتها بقيت دونما بحث. وبالطبع فان الحكومة السوفييتية كانت تريد اعطاء اللجنة صلاحيات واسعة باعتبارها أول هيئة ثلاثية حليفة تشكّل لمعالجة المشكلات المترتبة على الحرب. ومثل هذه اللجنة ستتيح للاتحاد السوفييتي ولأول مرة مجالاً للتدخل في شؤون منطقة البحر المتوسط وأوربا الغربية. لقد اقترح الروس أيضاً أن تناط باللجنة المقترحة مهمة معالجة المسائل المترتبة على انهاء الأعمال العسكرية ضد كل الدول العدوة وليس إيطاليا فحسب. وهذا يشمل مفاوضات الهدنة وشروط الاستسلام وترتيبات الاحتلال الخ . . على ان ايدن كان قد قرر من ناحيته الاقتراح بتشكيل هيئة منفصلة يكون مقرها لندن لمعالجة هذه الأمور بشكل أوسع. بينما أبدت الحكومة السوفييتية رغبتها في ان تُعطى اللجنة العسكرية السياسية حول إيطاليا ، وعلى الفور صلاحيات حول الحكومة العسكرية المشكّلة حديثاً في إيطاليا وهو ما لا تريده بريطانيا والولايات المتحدة. كان تفضيل بريطانيا لاقامة هيئة منفصلة مقرها لندن يعني بالتأكيد وجود اختلاف في الرأي مع الاتحاد السوفييتي. لكن ايدن سارع بتقديم حل وسط يقضي بأن تبدأ اللجنة عملها في البحر المتوسط وفي الجزائر على وجه التحديد ومن ثم تنتقل الى إيطاليا لتعالج المسائل الايطالية الصرفة. بعد ذلك تنتقل الى لندن لتتولى بحث المسائل على نحو أوسع على أن تترك لجنة متفرعة عنها في إيطاليا. أما بالنسبة لموضوع تشكيل حكومة عسكرية من الحلفاء في إيطاليا ، فكانت وجهة النظر الغربية تختلف تماماً عن وجهة النظر السوفييتية. فلم يكن الانكليز أو الأمريكان مستعدين للسماح

لأية هيئة أن تتدخل مباشرة في اختصاصات الجنرال دوايت آيزنهاور العسكرية أو الشؤون الايطالية بوجه عام طالما ان عمليات عسكرية نشطة لا تزال جارية في المنطقة وذلك ان من شأن مثل هذا التدخل أن يعرقل مهمة الجنرال آيـزنهاور وربما يعيق السبيل أمام المفاوضات الشاقة حول تحويل إيطاليا من عدو مهزوم الى بلد يساند الحلفاء. كانت هذه المفاوضات تنطوي على بعض التخفيف في شروط الهدنة بالنسبة لايطاليا بالشكل الذي يغريها بالتعاون مع الحلفاء. لكن الحكومة السوفييتية ترى انه لابد من استبعاد أي نوع من الرأفة في التعامل مع إيطاليا، في الوقت نفسه الذي أبدت فيه شكوكها في الأسباب التي دفعت الانكليز والأمريكان الى استخدام بعض من أعوان موسوليني ومن بينهم المارشال (بادغوليو) الذين وجد الحلفاء الغربيون ان كسب ودهم ضروري لاستمالة الرأي العام الايطالي الى جانب الحلفاء. رد تشرشل بلهجة صارمة على معارضة الاتحاد السوفييتي لمثل هذا التعاون مع أعـوان النظام الفاشي السابق بقوله «إن الغرب لا يمكن أن يتحمل «فيتـو» سوفييتي عـلى كيفية معالجة الجنرال آيزنهاور لأوضاع إيطاليا) وبالتأكيد فان الأمريكان كانوا يشاطرون تشرشل موقفه هذا.

كانت قضية العضوية في اللجان المقترحة لفترة ما بعد الحرب ستتسبب على ما يبدو في قيام خلافات بين بريطانيا والولايات المتحدة خاصة فيما يتعلق بانضمام من يُمثّل حركة فرنسا الحرة الى الانكليز والأمريكان والروس في عضويتها. ونظراً لأن قوات التحرير الوطني التي يقودها الجنرال ديغول كانت قد قاتلت في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فقد كان في رأي الانكليز انها يمكن أن تساهم في القوات الحليفة التي ترابط في إيطاليا. وعلاوة على ذلك فان فرنسا نظراً لموقعها الجغرافي، كانت تبدي اهتماماً كبيراً في مستقبل إيطاليا. لذلك كان هناك نوع من المنطق في دعوة بريطانيا الى مساهمة حركة فرنسا الحرة مع الحلفاء كأعضاء في اللجنة المقترحة حول إيطاليا. على ان هذا كان أمراً صعباً بالنسبة للولايات المتحدة نظراً لعدم ارتياحها من تصرفات الجنرال ديغول (كما سبق وأسلفنا). والواقع ان ديغول نفسه لم يكن يثق بالمقابل في الولايات المتحدة. وكان هذا الجنرال يتطلع الى إحياء التعاون السوفييتي - الفرنسي الذي كان قائماً قبل عام ١٩١٤ كما صرح بذلك السفير (افريل هاريمان) حينما توقف هذا الأخير في الجزائر وهو في طريقه الى موسكو.

ومن جانبها فقد أقرت واشنطن على مضض بأن حركة فرنسا الحرة هي الآن أقوى مما كانت عليه في بداية الحرب ، فالديغوليون يسيطرون ويديرون شمال أفريقيا والمستعمرات الفرنسية الأخرى فيما وراء البحار كما ان قوات فرنسا الحرة قد ترعرعت وازدادت مساهمتها في المجهود الحربي للحلفاء ، وهي تبعاً لذلك أصبحت جديرة بتمثيل فرنسا أكثر مما كان الحال في السنوات الأولى للحرب. والواقع انه حتى عام ١٩٤٢ كان للأمريكان روابط قوية مع حكومة (فيشي) الفرنسية التي كانوا يعتقدون انها تسيطر على فرنسا أكثر من الحركة التي يقودها الجنرال ديغول. كذلك كانت هذه الحكومة أي حكومة (فيشي) تسيطر على الأسطول الفرنسي الذي لم يقع في يوم من الأيام بأيدي الألمان. ولكنه في تشرين الثاني عام ١٩٤٢ غزا الحلفاء الغربيون شمال أفريقيا وعندها انتقل الألمان الى ما كان يُطلق عليه المناطق الواقعة تحت سيطرة (فيشي) واستولوا عليها. أما حكومة فيشي نفسها بزعامة المارشال بتيان فقد أصبحت مجرد آلة بأيدي الألمان.

وبصرف النظر عن العداء الذي كان يكنه البعض للجنرال ديغول بما فيهم روزفلت ووزير خارجيته هول ، إلا ان هؤلاء الأعداء كانوا يختلفون فيما بينهم حول ما إذا كان هذا الجنرال سيبرز كدكتاتور فاشي يميني أو انه قد يقع في حبائل الشيوعيين. ولكن عدم الثقة في الجنرال كانت هي القاسم المشترك لخصومه فالرئيس روزفلت لم يكن ليشاطر الانكليز ايمانهم بمستقبل فرنسا ، كما انه لم يكن يريد أن يرى فرنسا وقد استعادت موقعها البارز في الشؤون الأوربية والدولية. ومع ذلك فقد أقر الرئيس الأمريكي بضرورة تقديم بعض التنازلات لحركة الجنرال ديغول. فيما يتعلق بالعضوية في اللجنة المقترح تشكيلها حول إيطاليا. هذا على الرغم من رفض الأمريكان الاعتراف بأن هذه الحركة يمكن أن تكون بمثابة الحكومة المؤقتة لفرنسا كما كانت بريطانيا تسعى من أجله.

وفي هذا السياق أصر الرئيس روزفلت ووزير خارجيته هول على ان حق الشعب الفرنسي في اختيار النظام الذي يريده لا يجب أن يخضع لنفوذ من أي كان ، وكضمانة لقطع الطريق أمام النفوذ الديغولي على اللجنة المقترحة ، فقد نادت واشنطن بادخال الصين وحتى البرازيل في عضويتها ، وربما جاء هذا الاقتراح بمثابة رد حازم ليس على دعوة بريطانيا الى اشراك حركة ديغول في اللجنة بل حتى الى

محاولاتها ضم حكومتي يوغسلافيا واليونان في المنفى الى اللجنة. على ان الحالتين تخلف الواحدة منهما عن الأخرى اختلافاً بيناً، فاليونان ويوغسلافيا، هما جارتان لايطاليا وقد عانتا الشيء الكثير من انضمام إيطاليا الى دول المحور أثناء الحرب. وعلى النقيض من ذلك فان الدعوة الى عضوية الصين في اللجنة كان يبدو مثيراً للسخرية الى حد ما، فالصينيون لم يلعبوا أي دور كان في الحرب الدائرة في أوربا، أضف الى ذلك انهم يجهلون كل شيء عن أوربا وعن إيطاليا بالذات، فكيف سيكون لهم يا ترى رأيهم في الشؤون الايطالية!

استغل ستالين بشكل بارع الخلافات الانكلو - امريكية حول وضع الصين في المؤتمر الذي عُقد في طهران فيما بعد، فاضحاً السجل الأوربي السابق القائم على أعمال القرصنة وقطع الطرق في الصين ومعرباً عن استغرابه بالتالي. كيف يمكن للغرب على هذا الأساس أن يستسيغ التدخل الصيني في الشؤون الأوربية؟ وكان هذا في الواقع افتراضاً صحيحاً. أما بالنسبة لاقتراح ضم البرازيل الى عضوية اللجنة فهذه الأخيرة لم تكن أفضل حالاً من الصين فهي لم تحارب في أوربا أو في إيطاليا بالذات وهي لا تمتلك أي إلمام او معرفة بأوضاع الايطاليين ومشكلاتهم. وهكذا فان الاختلافات في الآراء بين الحلفاء وتضارب المقترحات التي قدمها كل منهم جعل من المؤكد انها ستحتل حيزاً واسعاً من المناقشة في مؤتمر موسكو.

في محاولة لتلطيف الأجواء قبل أيام فقط من بدء المؤتمر بعث ستالين رسالة الى تشرشل حول مشكلة القوافل القطبية (أشرنا الى طبيعة هذه القوافل في الفصل). كان صبر تشرشل قد أوشك على النفاد بسبب فقدان موسكو الثقة في بريطانيا بصدد هذا الموضوع بالذات. وهكذا بات تشرشل على وشك أن يعلن رفضه لمحتويات الرسالة ويعيدها الى السفير السوفييتي في لندن. لكنه وجد أخيراً أن بوسع وزير خارجيته (ايدن) أن يحاول تسوية الموضوع في موسكو بشكل ودي بدلاً من أن يتطور الأمر الى مناقشات غاضبة عبر البرقيات والرسائل المتبادلة. غير ان ردّ فعل تشرشل العنيف لم يقابل بالغضب في موسكو. فعندما طرح (ايدن) الموضوع للمناقشة في لقاءات جانبية عقدها في موسكو قبل انعقاد المؤتمر كان رد الاتحاد السوفييتي معقولاً بشكل غير متوقع. غير ان هذا الموقف السوفييتي المعتدل لم يساهم في تلطيف الأجواء عشية الاجتماع.

ومن جانبها فقد قامت الحكومة البريطانية ببادرة للتدليل على حسن نواياها فوافقت على ان يكون المطلب السوفييتي الرئيس (أي الهجوم عبر القنال الانكليزي) وكذلك مطلب الولايات المتحدة الرئيس (باصدار اعلان توقعه ثلاث أو أربع دول كبرى) على رأس مواد جدول الأعمال. ويبدو ان ايدن كان وراء هذه الموافقة كتطمين للسوفييت بأن عملية عبور القنال ستتم وفقاً لماهومخطط لهاوبالتالي اعطاء الفرصة لبريطانيا للمناورة حول الموضوع الشائك المتعلق بضم الصين الى الاعلان بشكل يجعل الاعلان مقبولاً من لدن موسكو، وهذا من شأنه أن يلطف مزاج الروس والأمريكان ويجعل مواقفهما أكثر مرونة. ويمكن القول ان خطوة ايدن هذه ساهمت في تحسين الجو قبل انعقاد المؤتمر.

كذلك اغتنم ايدن وهول فرصة التوقف في هذه العاصمة أو تلك وهما في طريقهما الى موسكو لاستمزاج آراء دول أخرى حول مواقفها من المشكلات المطروحة على الاجتماع. ففي الجزائر أجرى ايدن محادثات مع قادة الحلفاء ولكنه تلقى تقارير غير مشجعة عن مدى التقدم في العمليات العسكرية ضد إيطاليا. فقد كان الحشد الألماني العسكري للدفاع عن روما قد تم بشكل فاق كل التوقعات. بعد عمليات الانزال الشاقة والمكلفة التي قام بها الحلفاء في (ساليرنو)، لم يدخر الجنرال آيزنهاور وسعاً في تقديم المساعدة الى القوات البريطانية التي كانت تتعرض للضغط في (دودكانيس) وهي مجموعة من الجزر اليونانية التي كانت على وشك السقوط بأيدي الألمان. وفي القاهرة، كان ايدن مجتمعاً مع ملك اليونان جورج الذي يعيش في المنفى مع عدد من وزرائه، وكذلك مع الحكومة اليوغسلافية في المنفى، مستفسراً منهم عن سبب الانقسامات في حركات المقاومة الوطنية في بلدانهم الواقعة تحت الاحتلال. وكان ايدن قبل ذلك قد أوصى حكومته والولايات المتحدة بضرورة مضاعفة المساعدة التي تقدم الى حركة المقاومة اليوغسلافية ككل إذا ما أُريد وضع حد للنزاع القائم بين قوات الأنصار التي يقودها تيتو والقوات المؤيدة للنظام الملكي اليوغسلافي.

وقد دارت مباحثات ايدن مع الزعماء اليونانيين الذين يعيشون في المنفى (في القاهرة) حول امكانية تولي الأسقف (داماسكينوس) رئيس أساقفة اليونان، منصب ولي العهد بصورة مؤقتة في اليونان ريثما يتم تحرير البلاد ويعود الملك الى عرشه. وفي

هذا السياق ورغم حل المنظمة الشيوعية الأممية (الكومنتيرن) إلا ان الاتحاد السوفييتي ظل يحتفظ ببعض النفوذ على التنظيمات الشيوعية في حركات المقاومة في دول البلقان (حركة الأنصار الشيوعيين التي يقودها تيتو وحركة الجيش السري اليوناني المعروفة باسم ايلاس). وكان هذا أحد الأسباب وراء رغبة (ايدن) في مناقشة هذه المشكلات في لقاء موسكو.

في هذه الأثناء برز عنصر خطير، فقد ابلغ دبلوماسي سوفييتي سابق مشكوك في أمره هو (هلفاند)، وزير الخارجية البريطاني بأن الاتحاد السوفييتي بعد ان أخرج العدو من أراضيه ربما يوقع على اتفاق صلح منفرد مع المانيا رغم ان الحلفاء كانوا قد تعهدوا كل على حدة، بعدم القيام بخطوة كهذه. كما زعم هذا الدبلوماسي ان الألمان قد أوفدوا مبعوثين عنهم الى استوكهولم لجس النبض السوفييتي تجاه امكانية كهذه. وهذا ماسبب الخوف لدى الغرب. كذلك أشار (هلفاند) الى ان الألمان ربما يعرضون على موسكو مساومة مماثلة لتلك التي عرضوها على ستالين وقبل بها عندما تم توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين البلدين عام **١٩٣٩** وبعبارة أخرى، الاقرار بكل المطالب الاقليمية السوفييتية بل وحتى عرض منطقة نفوذ واسعة للسوفييت في جنوب شرق أوربا. وقد حث (هلفاند) الغرب على التصرف وبسرعة لمواجهة الاحتمالات.

كان رد فعل وزارة الخارجية البريطانية على هذه الشائعات متسماً بالحذر، فـ (هلفاند) لم يعد منذ زمن بعيد على علاقة بالسياسة السوفييتية وربما يكون «عميلا مزدوجاً». لهذا فقد كان الرأي في الخارجية البريطانية أن تمضي بريطانيا والولايات المتحدة، في تنفيذ ما سبق وان تفاهمتا عليه وهو الاقرار بمعظم المطالب الاقليمية للاتحاد السوفييتي لقطع الطريق أمام توجهات سوفييتية كهذه إن صحت. وفي الواقع فقد ذهب تشرشل الى أبعد من هذا في الاتفاقيات الشهيرة (رغم ان البعض يسميها اتفاقيات سيئة الصيت) والتي وقعها مع ستالين في تشرين اول **١٩٤٤** والتي عرفت (باتفاقيات النسب المئوية).

دعونا لا نستبق الأحداث ولنعد الى ما نحن فيه. فقد توجه ايدن بعد ذلك الى طهران لبحث الموقف الشائك في إيران مع السفير البريطاني هناك (سير ريدر بولارد). كانت هناك مشكلات عدة تقلق بال (ايدن) أيضا وهو يستقل الطائرة الى

طهران ومنها الى موسكو ، لعل أهمها مسألة بولندا وما يرتبط بها من مشكلات أوربا الشرقية ، وثانيها مهمة اقامة جهاز مناسب يتولى مواصلة بحث المشكلات الأوربية.
وفي الوقت ذاته كان (هول) وهو في طريقه الى موسكو أيضاً قد توقف في الجزائر حيث تحادث مع القائد الأعلى للقوات الحليفة الجنرال آيزنهاور وغيره من كبار العسكريين ومع الممثل السياسي للولايات المتحدة (روبرت مورفي). كذلك التقى مع الجنرال ديغول لمناقشة أوضاع فرنسا. وفي التقرير الذي رفعه الى الرئيس روزفلت عن لقائه مع الجنرال ديغول يقول هول «لقد وجدت هذا الرجل ودوداً أكثر مما كنت أتوقع.» لابد ان مزاج قائد المقاومة الفرنسية في ذلك اليوم كان رائقاً ، فقد أصبح أكثر فظاظة مع أيفرل هاريمان حين قابله بعد بضعة أيام ، كما سبق لنا الاشارة الى ذلك). ثم تابع (هول) سفره الى القاهرة حيث اجتمع ، كما اجتمع ايدن من قبله مع الزعماء اليونانيين واليوغسلاف الموجودين هناك.

وأخيراً التقى الأثنان سوية في طهران ، ولم يكن هناك متسع من الوقت لمحادثات مطولة خلافاً لرغبة (ايدن) فلم يتبقَ إلا وقت قصير أمام التئام اجتماع موسكو. ومع هذا فقد تباحث الرجلان وقد وصف ايدن نتائج لقائهما بأنها مفيدة. وجرى خلال اللقاء تبادل وجهات النظر حول القضايا المدرجة على جدول أعمال اجتماع موسكو.

والواقع ان (ايدن) كان يخدع نفسه لو تصور ان بامكانه تشكيل «جبهة» انكلو - أمريكية في المؤتمر ، ذلك ان (هول) لم يكن يرغب في ذلك.
ولعل الجنرال (اسماي) العضو العسكري في الوفد البريطاني الذي حضر لقاء طهران. كان قد خرج بهذا الاستنتاج قبل غيره فقد أبلغ لندن بأنه يرى ان هول «عجوز سهل الانقياد» وانه بالتالي يعتقد ان المؤتمر سيبدأ بداية سيئة بقدر تعلق الأمر بالحلفاء الغربيين. وسواء كان هذا الحكم صحيحاً أم لا فان مدى صحته أو عدمها ستتقرر عما قريب. وهكذا أقلعت الطائرة التي تقل جميع اعضاء الوفدين الأمريكي والبريطاني من طهران متجهة الى موسكو في الثامن عشر من تشرين اول حيث كان في استقبالهم في مطار موسكو وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف وكبار المسؤولين في الخارجية السوفييتية.

٢ ـ الممثلون البارزون

كان وزير الخارجية الأمريكي (هول) رجلاً تخطى سن السبعين وهو ذو خبرة طويلة في ادارة السياسة الخارجية ، وقد عمل وزيراً للخارجية منذ بداية فترة الرئاسة الأولى للرئيس روزفلت. وهو ينحدر من جنوب الولايات المتحدة وعضو سابق في الكونغرس عن الحزب الديمقراطي. وكان ينتسب من الناحية السياسية الى المدرسة نفسها التي ينتسب اليها رئيسه روزفلت (المدرسة الليبرالية التي أسسها وودروولسن) والقائمة على أساس الالتزام بالمعاهدات والمؤسسات الدولية ، والعمل المشترك لصيانة السلام واحترام حقوق السيادة الوطنية والاستقلال لجميع الأمم والأمن الجماعي وحق تقرير المصير وأعضاء هذه المدرسة يمقتون الدبلوماسية الأوربية القديمة الطراز والقائمة على الحفاظ على ميزان القوى واقامة التحالفات وتقسيم العالم الى مناطق نفوذ واقامة دول عازلة. ليس لأن هذه السياسة لم تكن مناسبة لروح العصر بل لأنها في تقديرهم غير مجدية وغير عملية. فهذه السياسة كما يرى اتباع المدرسة الليبرالية قد أخفقت في الحيلولة دون نشوب حربين عالميتين مدمرتين زُجت فيها الولايات المتحدة دون رغبة منها.

أما (ايدن) فقد كان زعيماً للجيل الجديد من المحافظين الأكثر تقدمية والذين دافعوا عن عصبة الأمم قبل الحرب. وبسبب اختلاف الميول السياسية والآراء فانه لم يكن من المحتمل أن يصبح ايدن وهول صديقين حميمين في يوم من الأيام. كان ايدن مزهواً بنفسه للغاية وواثقاً للغاية من ادارته للشؤون الخارجية وللدبلوماسية البريطانية التي تخصص فيها طيلة حياته السياسية ـ ولكن هول كان يشعر على الأقل ان (ايدن) لم يكن بعيداً عنه بالنسبة الى فكرة اقامة منظمة دولية لعالم ما بعد الحرب ـ كان هول نفسه مثابراً وصبوراً ومجاملاً شأنه شأن جميع الرجال الذين عملوا معه ولكنه غالباً «ما ينفجر». ولم يكن هول على سعة اطلاع بالمشكلات الأوربية وتفاصيلها. وكان يعد هذه المشكلات طفيفة إذا ما قيست بالمهمة العظمى لاقرار السلام على أساس تعاون الدول الأربع الكبرى. كانت علاقته مع روزفلت علاقة يشوبها نوع من عدم الاطمئنان على خلاف العلاقة الوطيدة التي كانت تربط (ايدن) مع رئيس وزرائه تشرشل ـ كان الرئيس روزفلت قد عين (هول) وزيراً للخارجية بسبب

سمعته ونفوذه في الكونغرس أولاً ، ولأنه رجل ذو مبادىء ومُثل عليا ثانياً ـ ومع ان روزفلت كان يحترم وزير خارجيته ، إلا انه لم يكن كما يبدو يثق في كونه رجلاً يتمتع بكياسة ودرجة عالية من الذكاء. وعلاوة على هذا فرغم ان الرئيس روزفلت يقدّر (هول) مشاركته له الرأي في الشؤون السياسية الدولية ، إلا انه لم يكن يثق في عدد من كبار المسؤولين الذين عينهم هول في الخارجية الأمريكية ، وكان يعد معظم هؤلاء ذوي عقليات محافظة بالنسبة لسياسته الداخلية وبالتالي مناوئين لسياساته الاقتصادية والاجتماعية. أما في المجال السياسي الخارجي فكان يشك في انهم معادون للاتحاد السوفييتي ، وبالتالي يمكن أن يكونوا عقبة في طريق سياسته للتقرب من موسكو. وقد نُقل عن الرئيس روزفلت قوله لتشرشل ذات مرة «بوسعي شخصياً ان أتعامل مع ستالين أفضل منك ومن وزارة خارجيتي». لهذا السبب فان روزفلت كان يميل الى ابقاء الخارجية الأمريكية بكاملها بما فيها الوزير (هول) تحت اشرافه ، مستعيناً بذلك بعدد من مستشاريه من أمثال (هاري هوكَبنز) و(افريل هاريمان) و(روبرت مورفي) وهذا الأخير كان الرئيس روزفلت قد عينه ممثلاً سياسياً للولايات المتحدة في شمال أفريقيا يقدم له التقارير عما يجري مباشرة حتى دون الرجوع الى الخارجية الأمريكية انه حقاً لموقف غير اعتيادي ان يتجاوز رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كبير مستشاريه للشؤون الخارجية أي وزير الخارجية ، ولكن الذنب كما يبدو يقع على هول دون سواه. وكان هول يحترم موقع الرئيس معتبراً نفسه المنفذ الأول لسياسته الخارجية ومستشاره الأقرب عندما يكون الرئيس بحاجة الى استشارة. كما كان يرى انه لا ينبغي عليه أن يفرض نفسه وآراءه على الرئيس. ولكن هول مع هذا لم يكن ذا سطوة في الخارجية الأمريكية ، كما كان مساعده (سومر ويلز) الذي يعده الكثيرون (وكيل الرئيس روزفلت) في الوزارة ـ وكان هول يعترف بأنه لا يملك النفوذ الكافي في دائرته ـ لكنه على أية حال حينما خُير الرئيس روزفلت فيمن يختار للسفر الى موسكو اختار (هول) دونما تردد.

بلغ انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية أوج قوته وسمعته في عام ١٩٤٣. وقد بنى شهرته السياسية من خلال دعمه اللامحدود لعصبة الأمم في الثلاثينات ، وعزز موقعه عندما بلغت به معارضته لسياسة رئيس الوزراء البريطاني آنذاك (نيفل شامبرلن) القائمة على كسب ود الأنظمة الدكتاتورية والتزلف اليها ، الى حد

الاستقالة من وزارة الخارجية. يقول المؤرخ البريطاني (جي. بي. تايلور) في معرض تعليقه على كتاب ايدن «مواجهة الطغاة»، ان ايدن لم يكتفِ بمواجهة هتلر وموسوليني بل لقنهما درساً في كيفية المواجهة.

أعادت الحرب (ايدن) الى الخارجية البريطانية من جديد عام ١٩٤١. وكان وضعه السياسي في الداخل قوياً للغاية فضلاً عن تمتعه بثقة تشرشل الذي كان يعده خليفته ووريثه الطبيعي. وقد أكسبه سجله ما قبل الحرب تأييد زملائه المحافظين البريطانيين وخصومه في حزب العمال المعارض. كذلك كان يحظى باحترام الرأي العام البريطاني أكثر من أي الزعماء السياسيين أو العسكريين في تلك الفترة. وكان تشرشل يصطحب ايدن معه الى جميع المؤتمرات التي عُقدت خلال سني الحرب، علاوة على ترؤسه للوفود البريطانية في عدد منها. وبالتالي تمكّن ايدن من التعرف شخصياً على معظم الزعماء من الدول الحليفة عن كثب. وكانت هذه هي ثالث زيارة يقوم بها الى موسكو، كما انه لم يكن هناك من يشك في مدى قدرة الرجل على ادارة الشؤون الخارجية ومهارته والصبر الذي يتحلى به في المفاوضات، والشيء الوحيد الذي يؤخذ عليه انه كان هناك بعض العيوب في التشكيلة التي اختارها من الرجال للخارجية البريطانية، وهي عيوب ظهرت خلال الحرب بوضوح. كما ان زهو ايدن بنفسه واعتداده بها قاده في بعض الأحيان الى اعطاء قيمة للاتفاقات التي توصل اليها، أكثر مما كانت تستحقه هذه الاتفاقات فعلاً.

لم يكن ايدن حازماً في بعض الأحيان وكان غالباً ما يشغل نفسه كثيراً في التفاصيل على حساب الصورة العامة، وكان يفتقر الى الرؤية الخلّاقة كتلك التي يتحلى بها رئيس وزرائه تشرشل. وبكلمة أخرى، فقد كان يفتقر الى الالهام. ومع ذلك فقد كان وزيراً كفءً وواسع الاطلاع.

إن بريطانيا التي مضى عليها أربع سنوات وهي تحارب الألمان قد منيت بالكثير من الانتكاسات وخسرت مناطق واسعة في آسيا لليابانيين وأخفقت في وقف المد الألماني في فرنسا والبلقان ولا يمكن للانتصارات التي حققتها القوات البريطانية في العَلَمين وتونس أن تطمس معالم تلك الهزائم وآثارها. كذلك كان الوضع الاقتصادي البريطاني في حالة يرثى لها. ولكي تواصل دعم مجهودها الحربي كان لابد من أن تستعين بما لديها من الاحتياطي النقدي، بما في ذلك تلك التي كانت لديها في

مستعمراتها فيما وراء البحار ، وان تستغني عن معظم أسواق صادراتها. ولعل الخسارة التي منيت بها شركات النقل البحري البريطانية في الحرب كانت جسيمة الى حد كبير. أما خسائرها من الرجال والخسائر المادية فكانت هي الأخرى كبيرة ، وذلك يرجع الى تعدد حملاتها في مختلف بقاع الأرض. ومع هذا فقد كان لبريطانيا قوات عاملة في الميدان الحربي أكثر مما لدى الولايات المتحدة. لكن العبء المتمثل في ابقاء زهاء مليون جندي تحت السلاح ، كان قد أصبح ثقيلاً جداً ، أضف الى ذلك النفقات الهائلة لسلاحها البحري والجوي. وكان هذا كله يلقي بثقله على الاقتصاد البريطاني رغم المساعدة السخية التي كانت تتلقاها من الولايات المتحدة. وقد أدى ادراك حكومة تشرشل بأن مجهودها الحربي سوف ينهار بمجرد توقف هذه المساعدة الأمريكية عنها ، الى اضعاف موقفها التساومي في المفاوضات مع الأمريكان. كما ان الاتحاد السوفييتي الذي يزيد عدد سكانه على ثلاثة أضعاف سكان بريطانيا والذي لديه بضعة ملايين من الجنود تحت السلاح وتحمّل العبء الأكبر من مقاتلة الألمان على الجبهة الشرقية ، فقد كان وضعه الاقتصادي أفضل من وضع الامبراطورية البريطانية ، كل ذلك حدد من امكانات ايدن.

كان ايدن المعروف بدفاعه وحماسه لاستعادة ، وحدة الأسرة الأوربية أقل ميلاً من رئيس وزرائه تشرشل في الانصياع لكل ما يطلبه الأمريكان خاصة عندما تتعارض هذه الطلبات مع أهدافه. كذلك مارس درجة كبيرة من ضبط الأعصاب والصبر في التعامل مع ديغول الذي كان يعده أفضل أمل لتوفير قيادة من شأنها أن تعيد فرنسا الى الوضع الذي كانت تتمتع به قبل الحرب والتأثير بالتالي على مجمل الأوضاع الأوربية وهو هدف كان ايدن يعده حيوياً. كما انه كان يرى ثمة ضرورة ملحة في قيام دولة قوية تستطيع أن تعيد الاستقرار الى أوربا الوسطى شريطة أن لا تمتلك مثل هذه الدولة الامكانات التي أهلت المانيا النازية للعدوان.

أما كيف يتم الوصول الى هذا الهدف فلم يكن هو شخصياً يعرف الطريق الى بلوغه. كانت الحكومة البريطانية في واقع الحال منقسمة على نفسها حول السياسة المستقبلية التي كان ينبغي انتهاجها ازاء المانيا. أما فيما يخص مشروع تشرشل لاقامة اتحاد للدول المطلة على نهر الدانوب ، فلم يكن ايدن يرى جدوى من مثل هذا التجمع ، وكان يميل أكثر من ذلك الى قيام نظام ديمقراطي لامركزي في

المانيا كأفضل حل للمسألة الألمانية ـ غير ان ايدن وأمام الحاح تشرشل وروزفلت على ضرورة قيام توازن في القوى في أوربا مستقبلاً ، أضطر الى مساندة مشاريع التحالفات المقترحة. كثيراً ما اختلف ايدن في وجهات النظر مع روزفلت وهول حول فرنسا والشؤون الفرنسية ، كما انه كان يرى في وجهة النظر الأمريكية بالنسبة لمستقبل الأمن الدولي ما يتعارض كثيراً مع آرائه شخصياً ـ أما فيما يتعلق بالمنظمة الدولية المقترحة ، فقد كان على استعداد ـ شأنه شأن روزفلت ـ لدعمها عاقداً الأمل في الوقت ذاته على ان يقوم الاتحاد السوفييتي بدور بنّاء كعضو في منظمة كهذه.

على ان ايدن كان قبل هذا وذاك مستعداً للقتال من أجل المصالح الامبراطورية البريطانية حتى ولو كان هذا القتال ضد السوفييت والأمريكان إذا ما حاولوا تهديد هذه المصالح. وقد لاحظ ايدن في أكثر من مرة ، انه عندما كانت المصالح الأمريكية عرضة للتأثير سواء في الشرق الأقصى أو أمريكا اللاتينية ، فإن واشنطن كانت تتصرف بشدة ـ لم يكن ايدن كتشرشل استعمارياً من الطراز القديم ، فقد كان يؤمن ان رياح التغيير لابد وان تهب على الامبراطورية البريطانية خاصة في الهند ، ولكنه كان يفضّل ان يتم ذلك تدريجياً. وهو يؤمن ان الامبراطوريات الاستعمارية الأوربية (مثل هولندا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وهي دول كانت لديها مستعمرات فيما وراء البحار). وفي المقدمة من هذه جميعاً الامبراطورية البريطانية ، تشكّل في مجموعها عنصراً مهماً في الاستقرار الدولي ، وان الزوال السريع لهذه الامبراطوريات لن يحل مشاكل العالم القائمة بقدر ما سيزيدها تعقيداً. وهذه المواقف والمباديء التي يؤمن بها ايدن كانت متعارضة مع وجهات النظر الأمريكية.

أما الشخصية الثالثة في مؤتمر موسكو فكانت وزير الخارجية السوفييتي (مولوتوف) وهو من البلاشفة القدامى وأحد من بقوا على قيد الحياة من زعماء ثورة ١٩١٧. وكان مولوتوف واحداً من الذين تمكنوا من البقاء على قيد الحياة بينما اختفى كثيرون غيره. كان مولوتوف شأنه شأن كل الوزراء الروس يخشى بأس ستالين ، وقد كرّس حياته ومنصبه للفوز برضاه ، وهكذا تحوّل الرجل بعد سني الخدمة الطويلة مع المارشال ستالين الى رجل شكوك ، غاية في الحساسية في التعامل مع الآخرين ، ويقال انه عندما كان يسافر في رحلات الى الخارج كان ينام والمسدس الى

جـانبه ، وقـد زادت عقيدتـه الماركسيـة اللينينية من صـلابته في معـالجة الشؤون الخارجية ، خاصة وان الرجل كان شيوعياً مؤمناً إيماناً بعقيدته وقد كرّس حياته من أجلها . لقد جعلت الحرب من الولايات المتحدة ، وبريطانيا حليفتين لروسيا ، لكن ذلك وحده لم يكن سبباً كافياً لأن يضع مولوتوف ثقته في نوايا أي منهما . كانت نظرته شأنها شأن نظرة رئيسه ستالين ، الى العالم الرأسمالي تقوم على الشك ، خاصة وان بريطانيا ودولاً غربية أخرى مارست قبل نشوب الحرب سياسات التزلف والتودد الى المانيا النازية واستمرت على هذا المنوال حتى قبل أيام من اندلاعها في حين كانت طيلة تلك الفترة تدير ظهرها للاتحاد السوفييتي ، ولربما كانت هذه السياسات مجتمعة هي التي دفعت موسكو الى التوقيع في عام ١٩٣٩ على معاهدة عدم اعتداء مع المانيا ، جاعلة من هذه المعاهدة ، وسيلة للتساوم مع الغرب فيما بعد ، بعد أن تركت بقية دول أوربا لتواجه قدرها وحدها . كان سقوط فرنسا في عام ١٩٤٠ بمثابة ضربة غير متوقعة لروسيا بقدر ما كانت مؤلمة لبريطانيا . فالجيش الفرنسي كان يمثّل الضمانة الأساسية لصد الهجوم النازي على الاتحاد السوفييتي ، ولكن الزعماء الروس ظلوا مع ذلك يأملون في أن يقف هتلر عند حدوده .

على انه عندما لم يتحقق ما كان الروس يتطلعون اليه ووقعت الضربة عليهم عام ١٩٤١ قبلوا دون تردد وبحكم الضرورة بالتحالف مع بـريطانيـا والولايـات المتحدة دون أن يغيروا كما يبدو نظرتهم الى الاثنين . لم يكن مجيء تشرشل ، هذا العدو اللدود للشيوعية السوفييتية لسنوات طويلة كرئيس وزراء لبريطانيا مشجعاً للسوفييت بقدر تعلق الأمر ببريطانيا ، أما روزفلت وأمريكا بوجه عام فقد كانت بالنسبة لموسكو عنصراً جديداً غير معروف ، ولعل جهل موسكو بأهداف الأمريكان ونواياهم يرجع الى ان هؤلاء كانوا بعيدين عن أوربا قبـل الحرب ولم يكن لـديهم اهتمام بمعالجة أو التدخل في أي من الشؤون الأوربية . وإذا كانت السياسة الأمريكية لم تساعد الروس فهي على الأقل لم تعمل ضدهم .

لكن الولايات المتحدة ، من جهة ثانية كانت أقوى دولة رأسمالية في العالم ، ولهذا السبب كانت الشكوك السوفييتية في نواياها أمراً يكاد يكون طبيعياً . ورغم مرور سنتين على التحالف الانكلو ـ أمريكي ـ السوفييتي بكـل ما حفلت بـه هذه

الفترة من تعاون الدول الثلاث في مواجهة الزحف الألماني ورغم المساعدات التي تدفقت على الاتحاد السوفييتي من حلفائه الغربيين ، إلا ان ذلك كله لم يسهم في ازالة الشكوك السوفييتية.

ونظراً لأن (مولوتوف) كان قد تولى رئاسة الحكومة في الاتحاد السوفييتي في الثلاثينات ، فهو قد ساهم بشكل بارز في رسم السياسات السوفييتية. وما أن أصبح وزيراً للخارجية عام ١٩٣٩ حتى تولى شخصياً الاشراف على سياسة التقارب مع المانيا النازية. كانت السياسة السوفييتية غالباً ما تتميز [illegible] فمصالح الشيوعية العالمية بالنسبة لموسكو هي قبل كل اعتبار آخر ، وسعياً وراء الدفاع عن هذه المصالح كانت الغاية بالنسبة اليهم هي التي تبرر الوسيلة وليس العكس.

وكدبلوماسي ومفاوض ، كان مولوتوف يتسم بالعناد والصبر والصرامة ، وربما يُعزى تصلبه وعدم استعداده للتساوم أو القبول بحلول وسط حتى لقضايا صغيرة دون أن يحصل بالمقابل على ما يريده ، الى اعتقاده بأن أي تنازل أو لين يبديه قد لا يروق لسيده ستالين. لكن المفاوضين الغربيين خرجوا بانطباع ان هذا الدور لم يكن متجانساً مع طبيعة الرجل ومزاجه. ولهذا وجد فيه الانكليز والأمريكان من الدماثة وسعة الصدر ما لا يمكن ان يجدوه في غيره. وربما يمكن أن يرجع السبب في ذلك ولو بشكل جزئي الى حقيقة ان (ستالين) لم يكن في كثير من الأحيان موجوداً في المواقع التي يوجد فيها وزير خارجيته وبالتالي لا يمكنه استشارته بشكل فوري حول النقاط التي تحتاج الى مشورة.

كان مؤتمر موسكو بحد ذاته مصدر ارتياح للزعماء السوفييت فهاهم وزراء خارجية الدول الحليفة قد حضروا الى العاصمة السوفييتية بأنفسهم للتشاور مع حليفهم الكبير وهو ما عدوه تغيراً في النظرة الى الاتحاد السوفييتي مقارنة مع سنوات من العزلة الدبلوماسية فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ضم الوفدان الأمريكي والبريطاني مسؤولين من وزراتي الخارجية فقط ولم يكن هناك من السياسيين البارزين في الوفد الأمريكي سوى (افريل هاريمان) السياسي المخضرم ورجل الأعمال الناجح سابقاً أصبح هاريمان الذي كان صديقاً لعائلة السيدة روزفلت عقيلة الرئيس الأمريكي فيما بعد سفيراً للولايات المتحدة في موسكو وكان كما يصفه زملاؤه رجلاً عملياً بعيداً عن الأفكار المثالية وحاذقاً في ادارة الشؤون

الخارجية وهي صفات عَرَفَ الكثير من الرؤساء الأمريكان السابقين منهم واللاحقين كيف يقدرونها. وكان الرئيس روزفلت يثق فيه وقد انتدبه في العديد من المهام كممثل شخصي له ، وبذلك تجاوز هاريمان كونه مجرد سفير الى موسكو. وفي بريطانيا أقام هاريمان علاقات شخصية حميمة مع تشرشل وايدن وغيرهما من الزعماء البريطانيين. وقد مكّنته زياراته العديدة الى لندن من الاطلاع بشكل واسع على وجهات النظر البريطانية بشكل فاق ما كان يملكه وزير الخارجية (هول) من تصور ، ولذلك كان وجوده في مؤتمر موسكو مهماً جداً بالنسبة لايدن. كان هاريمان يدرك مدى أهمية مشكلات أوربا الشرقية بما فيها بولندا والأولويات الغربية المتمثلة في اعلان من الدول الأربع الكبرى بضم الصين أيضاً ، إذ بينما فشل هول في الحصول على تطمينات من الاتحاد السوفييتي بالنسبة لمشاكل أوربا الشرقية فان هاريمان كدبلوماسي بارع تمكن الى حد ما من ضمان الحصول على مثل هذه الضمانات ولو من ناحية مبدئية. ولذلك كان هاريمان الى حد ما رجلاً لا يرتاح اليه هول خاصة وانه يتمتع بصفة ممثل لرئيس الولايات المتحدة ، وهذا أمر كان يبعث الغيرة في نفسه كرئيس للوفد الأمريكي الى مؤتمر موسكو. وكما أسلفنا فان بقية أعضاء الوفد الأمريكي الى المؤتمر كانوا من الموظفين المخضرمين في السلك السياسي بالخارجية الأمريكية ، ومن بينهم (جيمس دن) المستشار السياسي للوزارة في الشؤون الأوربية. وقد عمل (دن) مع هول منذ عام ١٩٤٢ ، كذلك لعب دوراً بارزاً في وضع مسودة الاعلان الانكلو ـ امريكي حول المناطق المحررة الذي قُدم الى مؤتمر (كيوبيك) ، وهو الاعلان الذي نَصَّ في أجزاء منه على تقييد حرية الاتحاد السوفييتي في نشر قواته في المناطق المحررة في أوربا وفقاً لما يريد. ولم يكن روزفلت مخطئاً عندما أضاف (دن) الى الوفد الأمريكي الى مؤتمر موسكو. كذلك ضم الوفد الأمريكي (جي. هاكورث) المستشار القضائي لوزارة الخارجية الأمريكية الذي كانت مهمته منحصرة في النواحي القانونية والدستورية للموضوعات المطروحة في المؤتمر بما في ذلك الاعلان الرباعي المقترح ودور الولايات المتحدة مستقبلاً في الهيئات الدولية الى جانب الموضوعات المتعلقة بتطبيقات القانون الدولي والتي يمكن أن تثار في معرض بحث الاتفاقيات التي قد يتم التوصل اليها في مؤتمر موسكو بما في ذلك بعض المسائل القضائية كاقتراح تشرشل الذي يدعو الدول الحليفة الى اصدار اعلان يتعهد بتقديم مجرمي الحرب الألمان الى

محاكمة علنية ، وهو اقتراح كان هدفه كما يبدو العمل على وضع حد لارتكاب المزيد من الفظائع في الدول التي لا تزال رازحة تحت الاحتلال الألماني. كذلك ضم الوفد الأمريكي مسؤولين من دوائر الاعلام وشؤون الشرق الأدنى والدائرة التجارية وشؤون الشرق الأقصى في وزارة الخارجية الأمريكية وممثلين عن سفارتي الولايات المتحدة في موسكو وطهران اضافة الى مساعد وزير الخارجية (سي. دبليو. غراي) وعدد من المترجمين ، لعل أبرزهم (بوهلن) الذي كان يتكلم الروسية بطلاقة والذي أصبح فيما بعد ذا تأثير كبير في السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي في السنوات التي عرفت فيما بعد بسنوات الحرب الباردة. وهكذا فقد كان لدى (هول) تشكيلة من أكثر الموظفين كفاءة وخبرة يشكّلون في مجموعهم الوفد الأمريكي الى مؤتمر موسكو.

ونظراً لاصرار الاتحاد السوفييتي على مناقشة قضايا عسكرية مهمة كالعملية المخطط لها لعبور القنال الانكليزي فقد طُعم الوفد الأمريكي بمجموعة من العسكريين يتصدرهم الجنرال (دين) الذي أصبح فيما بعد رئيساً للبعثة العسكرية في موسكو ، وموظفين اثنين من وزارة الدفاع الأمريكية وبذلك وصل عدد الوفد الى عشرين عضواً اضافة الى الكتّاب والمساعدين ورجال الأمن وطبيبين اثنين.

والواقع ان الوفدين الآخرين السوفييتي والبريطاني لم يتجاوزا هذا العدد أيضاً ، وكان الجنرال (اسماي) أكثر الاعضاء اثارة للاهتمام في الوفد البريطاني وأكثرهم كفاءة ومقدرة في المسائل العسكرية والدبلوماسية في آن واحد ، فهذا الجنرال قام خلال السنوات الثلاثة الماضية بمهمة شاقة هي الابقاء على علاقة ودية بين تشرشل ورؤساء الأركان البريطانيين بما فيهم الجنرال (ألن بروك) الذي كان يعتقد انه من الصعب التعامل مع سياسي مثل تشرشل. كان الجنرال اسماي عبقرياً ذا صبر ومزاج رائق خاصة في الأوقات الصعبة وكان مظهره التقليدي يخفي وراءه ذهناً حاداً ودهاءاً لا حدود له. جاء هذا الجنرال الى المؤتمر ومعه فريق من خمسة رجال من وزارة الحرب بعضهم لا يقل كفاءة ومهارة عنه شخصياً مثل البيريغادير (لزلي هوليس).

أما الفريق الذي رافق ايدن فقد ضم مساعد وكيل وزارة الخارجية (وليم سترانغ) والسفير البريطاني في موسكو (ارخيبالد كلارك كير) وعدداً من كبار موظفي الوزارة بما فيهم ممثلون لدوائر أوربا الشرقية وأوربا الوسطى والدائرة الاقتصادية

وعضوان من البعثة البريطانية في إيران وأثنان من السكرتارية الخاصة بايدن.

أما الوفد السوفييتي فقد ضم علاوة على وزير الخارجية مولوتوف (ا. ي. فيجنسكي) وهو محام بارز واختصاصي في الشؤون القضائية وكان قد عمل مدعياً عاماً في العديد من محاكمات الخيانة في الثلاثينات وقد كسب حب ستالين لكونه واحداً من الشخصيات الرئيسة في حاشيته. كما عين ممثلاً للاتحاد السوفييتي في اللجنة الاستشارية الخاصة بايطاليا. كذلك ضم الوفد السوفييتي في عضويته (ماكسيم ليتفينوف) وهو وزير خارجية سابق وممثل للاتحاد السوفييتي في عصبة الأمم المنحلة وهو رجل عُرف بقوله المأثور (السلام لا يمكن ان يتجزأ). كان ليتفينوف قد طُرد من منصبه في الثلاثينات عندما فشلت سياسته القائمة على الأمن الجماعي والتحالف مع الغرب، ولكن عندما بعثت الحياة في الروابط الجديدة بين الاتحاد السوفييتي والغرب، أُعيد ثانية الى موقع بارز في الخارجية السوفييتية، ربما لأن خبرته وتجربته واتصالاته مع الغرب كانت أكبر بكثير من تلك التي يملكها مولوتوف وحتى ستالين. كان (ليتفينوف) قد عمل أيضاً سفيراً لموسكو في الولايات المتحدة. أما الشخص الثالث المهم في الوفد السوفييتي فهو المارشال (فورشيلوف) وهو وزير دفاع سابق وهو اضافة الى هذا شأنه شأن (مولوتوف) و(فيشنسكي) كان نائباً لرئيس الوزراء اضافة الى منصبه وكان (فورشيلوف) واحداً من أكثر الرجال ولاءً لستالين وقد وضع فيه هذا الأخير ثقة لا حدود لها. كما ضم الوفد السوفييتي الميجر جنرال (اي. كريزلوف) من هيئة الأركان لمساعدة المارشال فورشيلوف في عمله في الشؤون العسكرية. كذلك ضم الوفد السفير السوفييتي السابق لدى إيران وممثلاً من وزارة التجارة السوفييتية وخمسة نواب لوزير الخارجية وممثلين من الدائرة القانونية وشعبة الشؤون الأمريكية ودائرة أوربا الشرقية ودائرة الشرق الأدنى ومسؤول دائرة الاعلام سابقاً (لوزوفسكي). وقد عمل هؤلاء كمستشارين ومساعدين ولم يحضروا الاجتماعات الموسعة للمؤتمر بشكل منتظم. فقد أُستدعي بعضهم عندما اقتضت الضرورة، بخلاف الوفد الأمريكي الذي حضر جميع أعضائه بما فيهم هاريمان والجنرال دين الجلسات جميعاً الى جانب وزير الخارجية هول كما فعل الوفد البريطاني الشيء نفسه.

كانت هذه تشكيلة الوفود الثلاثة التي اجتمعت في موسكو في الفترة الواقعة بين التاسع عشر والثلاثين من تشرين الأول ١٩٤٣ لمناقشة الحرب والسلام.

الفصل الرابع

مؤتمر موسكو

استسلام أوربا الشرقية

كان مؤتمر موسكو بالنسبة لبعض المشاركين فيه وبخاصة ايدن بمثابة اجتماع عمل مطول. لكن لو اخذنا بنظر الاعتبار حجم وتشابك المواد المدرجة على جدول الأعمال وحساسيتها فان الاثنى عشر يوماً التي استغرقها المؤتمر لم تكن طويلة. اجتمع الوزراء في جلسات موسعة بعد ظهر كل يوم خاصة عند الساعة الرابعة في دار الضيافة بوزارة الخارجية السوفييتية. وعلاوة على هذه الجلسات الرسمية، كانت هناك لقاءات جانبية تارة بين هول ومولوتوف وتارة بين ايدن ومولوتوف وتارة ثالثة بين ايدن وهول. كما كانت هناك محادثات غير رسمية في فترات الاستراحة مابين الجلسات وعلى موائد الغداء والعشاء وحفلات الاستقبال. كما ان ايدن التقى مرتين في اجتماع خاص مع ستالين بينما كان لهول اجتماع واحد مع الزعيم السوفييتي. وقد تم تشكيل لجنة للصياغة تتألف من ستة اعضاء اثنين من كل من الوفود الثلاثة اجتمعت بشكل منتظم بين الثالث والعشرين والتاسع والعشرين من تشرين اول. كما تم تشكيل لجنة فرعية ثلاثية لبحث وسائل تنسيق سياسات الدول الكبرى الثلاث في إيران، وامكانية اصدار اعلان ثلاثي حول الموضوع.

كان أمام المؤتمر جدول أعمال متفق عليه مؤلف من (١٧) مادة، من بينها مادة واحدة تحت عنوان (الاجراءات الكفيلة بتقصير أمد الحرب) تقدم بها الاتحاد السوفييتي رسمياً. كما اقترحت الولايات المتحدة اضافة أربع مواد، اثنتان منها تتعلقان بالتعاون السياسي والاقتصادي لفترة ما بعد الحرب. أما بريطانيا فقد اقترحت ١٤ مادة للمناقشة، ثم اضافت مادتين أخريين. كانت إحدى المواد الأربع عشرة تتضمن اقتراحاً حول المسائل التي تتطلب تعاوناً وثيقاً وبذلك تداخل هذا الاقتراح مع اقتراح أمريكي حول طرق معالجة المشكلات الراهنة. واقتراح سوفييتي آخر يدعو الى تشكيل لجنة سياسية عسكرية للبحر المتوسط. أما المادتان البريطانيتان الأخريان الأولى حول المانيا والثانية حول التعاون الاقتصادي في فترة ما بعد الحرب، فقد كانتا عبارة عن نسخة متشابهة من المقترحات الأمريكية، ولذلك ضُمت المادتان مع بعضهما في مادة واحدة على جدول الأعمال رغم ان الانكليز كانوا يهدفون من وراء طرحهما الى بحث موضوع الاتحادات المقترحة لدول الدانوب ودول

البلقان. هذا اضافة الى مادتين أخريين تتعلقان بتركيا وإيران ، كذلك أضيف الى جدول الأعمال موضوع تحت عنوان (معاقبة الألمان على الفظائع التي ارتكبوها في المناطق المحتلة) وذلك بمبادرة من الوفد البريطاني. وبمعزل عن موضوع اللجنة السياسية العسكرية حول إيطاليا فان الاتحاد السوفييتي لم يبدِ رغبة ملحة في مناقشة مسائل أوربية أخرى شرقية أو غربية.

كذلك كان أمام المؤتمر جملة من الاقتراحات المحددة ، ومسودات مشروعات قرارات ، ثلاثة منها مقترحات سوفييتية تحت بند واحد قُدمت جميعاً في اليوم الأول للمؤتمر. تدعو هذه المقترحات الى التعجيل بغزو انكلو امريكي لفرنسا ومطالبة الحلفاء الثلاثة لتركيا الدخول في الحرب حالاً ، ومطالبة السويد بالسماح للحلفاء باستخدام قواعدها الجوية. وعلى أية حال فقد طرح الاتحاد السوفييتي ثلاثة مقترحات أخرى فيما بعد أثنان منها يتعلقان بايطاليا. فقد اقترحت الحكومة السوفييتية اصدار بيان بالمباديء الخاصة بمعاملة إيطاليا وهذا يعكس عدم ارتياح الاتحاد السوفييتي للسياسة الانكلو أمريكية في هذه المنطقة. كذلك طلب السوفييت بأن يتم تسليم جزء من الأسطول الحربي الايطالي وكذلك من الأسطول التجاري الايطالي الى روسيا كجزء من تعويضات الحرب. كما اقترح الوفد السوفييتي تشكيل لجنة ثلاثية تبحث في تفاصيل تشكيل هيئة دولية في فترة ما بعد الحرب بما ينسجم والشروط التي سترد في الاعلان المقترح من الدول الأربع.

أضاف الوفد الأمريكي سبعة اقتراحات الى جدول الأعمال تحت بند واحد يتعلق بتحسين التعاون العسكري. والاقتراحات الأخرى تتعلق بالمساعدة الأمريكية المخصصة للاعمار في الاتحاد السوفييتي ودول أخرى كمعونات الاغاثة والتعمير. وتقدم الوفد الأمريكي بثلاثة مقترحات تتناول أولاً مسألة التعويضات الألمانية ، حجمها ، كيفية تقديمها ، الفترة الزمنية لهذا التقديم ، ومدى تأثيرها على الاقتصاد الألماني وعلى الانتعاش الاقتصادي في أوربا ككل ، وكذلك حول تحديد اختصاصات لجنة الاغاثة واعادة التوطين في فترة ما بعد الحرب. والثالث يدعو الى اقامة منظمات دولية متخصصة من بينها وكالة اقراض دولية تتولى تقديم القروض الى الدول التي تضررت من جراء الحرب. وربما كان الهدف من المقترحات الأمريكية بشكل عام ، هو الزام الاتحاد السوفييتي في نهاية المطاف بجملة من الاتفاقات الدولية تقوده شيئاً

فشيئاً الى الدخول في نظام جديد للتعاون الدولي لما بعد الحرب وهو ما سعى اليه الأمريكيون طويلاً. أما المنظمات التي أُقترح انشاؤها كجزء من النظام الجديد فهي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة النقل الدولية والاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الكمركية ومنظمة الغذاء والزراعة. وقد عكست هذه الاقتراحات مدى الأهمية التي كانت تعلّقها الولايات المتحدة، على الحاجة الى تعاون اقتصادي دولي وثيق يحول دون حدوث أزمات اقتصادية كبرى تعصف بالعالم كتلك التي شهدتها فترة الثلاثينات. كذلك تقدم الوفد الأمريكي بمذكرة حول المباديء العامة التي توجب على الحلفاء الاستناد اليها في المسائل المتعلقة باستسلام المانيا ومعاملتها بعد الحرب بما في ذلك الأمور المتعلقة بالاحتلال والادارة العسكرية ونزع السلاح وازالة الروح العسكرية النازية واقامة حكومة لامركزية في نهاية الأمر. لكن المذكرة، لم تتضمن أية التزامات بالنسبة الى حدود المانيا مستقبلاً وما إذا كان سيجري تقسيم المانيا أم لا. وقد عولجت هذه المذكرة الأمريكية من قبل المؤتمر على اعتبار انها برنامج متكامل لتسوية القضية الألمانية. كذلك أضاف الوفد الأمريكي اقتراحات جديدة الى المقترحات السوفييتية حول «تقصير أمد الحرب» استهدفت جميعاً تطوير التعاون العسكري بين روسيا والحلفاء. وقد تضمنت هذه المقترحات قيام القوات الجوية الحليفة باستخدام القواعد الجوية السوفييتية للقيام «بمكوك من عمليات القصف والغارات» والهبوط ثانية في هذه القواعد بعد العودة من مهماتها القتالية لاعادة التسليح والخ. وكذلك اقترح الأمريكيون تبادل المعلومات بين الحلفاء حول أحوال الطقس وتحسين وسائل المواصلات بما في ذلك الاتصالات الجوية ولجملة من الأسباب المختلفة فان هذه المقترحات لم ترق للاتحاد السوفييتي.

أما مشاريع القرارات التي طرحها البريطانيون على المؤتمر فكانت أكثر عدداً من تلك التي قدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مجتمعة، مما يعكس مدى الأهمية التي كانت تعلّقها لندن على نتائج المؤتمر، وفضلاً عن الاقتراحات البريطانية الأخرى فقد شارك البريطانيون والأمريكان سوية في تقديم اقتراحات مشتركة تناولت انشاء جهاز للبحث في ايجاد الحلول لمشكلات أوربا الشرقية مستقبلاً. خلال المراحل الأولى لمؤتمر موسكو، أجرى ايدن بعض التعديلات على اقتراحه بشأن اقامة لجنة عسكرية ـ سياسية حول إيطاليا، مقترحاً اقامة هيئتين منفصلتين الأولى تتناول

المشكلات الايطالية ويكون مقرها في الجزائر. والثانية تتناول المشكلات الأوربية الأخرى ويكون مقرها لندن. وبالنسبة الى أوربا الشرقية ارتأى البريطانيون عقد اتفاقات بين الدول الكبيرة والصغيرة تحت اسم «اعلان المسؤولية المشتركة» وتشجيع فكرة الاتحادات التي سبق وان ذكرناها، وكذلك اعلان حول «المناطق المحررة». كذلك تقدم البريطانيون باقتراح آخر حول اصدار اعلان يضمن استعادة استقلال النمسا على أن يقترح اعلان كهذا تشجيع النمسا على الانضمام الى تحالف للدول المطلة على الدانوب وهو ما كان يرغب فيه تشرشل لم تقتصر المقترحات البريطانية على هذين الميدانين فحسب، فايدن الذي كان يتوقع نشوء مشكلات جديدة بعد انتهاء العمليات العسكرية المتصلة بالحرب، تقدم باقتراحين آخرين الأول ينظِّم المباديء الخاصة بانهاء أعمال العداء، والثاني يتعلق بالتنسيق فيما بين الحلفاء في العمل على اقرار السلام والاستقرار في المناطق المحررة. وقد أوصى ايدن في اقتراحه الثاني بأن يفرض الحلفاء الشروط التي سبق واتفقوا عليها لانهاء المظاهر المسلحة وقبول الاستسلام من دول المحور سواءً من الحكومات الشرعية لهذه الدول أو من قادة القوات المسلحة فيها. وان يتم تشكيل لجان للهدنة بعد ذلك تتولى وضع هذه الدول تحت الاحتلال وفق الخطط المعدة بالفعل، على أن تكون سلطة الاحتلال تحت اشراف القيادة العامة لقوات الحلفاء. كذلك اقترح ايدن انشاء هيئة استشارية حول أوربا، وهو اقتراح أثار جدلاً واسعاً في المؤتمر، مما حدا بايدن التوضيح بأن اقتراحه هذا ما هو إلا صيغة موسعة لاقتراح السوفييت باقامة لجنة عسكرية ـ سياسية حول إيطاليا ولا يختلف في شيء عن مقترحات سبق للأمريكيين أن طرحوها.

ليس هذا وحسب فقد اقترح الانكليز أيضاً ان تكون الدول الحليفة على اتصال مستمر فيما بينها بالنسبة للتعامل مع الدول التي ساندت المانيا في الحرب، وذلك بهدف الحيلولة دون تكرار سوء التفاهم بين الحلفاء وبخاصة ذلك الذي تسبب في استياء الاتحاد السوفييتي من انفراد بريطانيا والولايات المتحدة، بمعالجة مشكلات إيطاليا دون الرجوع أو التشاور معه.

وقد عكس هذا الاقتراح المخاوف الانكلو ـ امريكية من اشاعات تحدثت عن احتمال تقرب الاتحاد السوفييتي الى المانيا، ولذلك فقد تضمن أيضاً دعوة الى الحكومات الحليفة الثلاث لأن تطلع إحداها الأخرى وفي الحال على أية عملية «جس

نبض سلمية» مع «الدول العدوة» للوقوف على ردود فعل بعضها البعض.

كانت مشكلة الوصول الى درجة من التجانس في سياسة الحلفاء تجاه إيران مصدر قلق للحكومتين البريطانية والأمريكية. وهكذا أُدرج الموضوع على جدول الأعمال من جانب بريطانيا، وكان الوفد البريطاني هو الذي وقف وراء تشكيل لجنة فرعية ثلاثية حول إيران (والتي شكّلها المؤتمر فيما بعد). ولم يكتفِ الانكليز بذلك فقد تقدموا بثلاثة مقترحات أخرى، الأول يدعو الى اصدار اعلان من الحلفاء يتعهد بمساعدة الايرانيين على تجاوز الآثار التي تركتها الحرب على اقتصادهم فيما يدعو الاقتراح الثاني الى اصدار تعهد بمقتضى المعاهدة الانكلو-سوفييتية المعقودة مع إيران عام ١٩٤٢، وباحترام استقلال إيران وسحب القوات الحليفة من الأراضي الايرانية في غضون ستة أشهر فقط من انتهاء الحرب. أما الاقتراح الثالث فتتعهد بموجبه الدول الحليفة بدفع ما ترتب بذمتها لايران من مبالغ لقاء استخدامها لخطوط السكك الحديد الايرانية خلال الحرب. وقد عكست هذه الاقتراحات رغبة البريطانيين في تطمين الايرانيين وتأكيد حسن نواياهم واحترامهم لتعهداتهم السابقة وبالتالي حمل موسكو على ابداء قسط مماثل من الاحترام بما ينسجم ومعاهدة ١٩٤٢.

وأخيراً اقترحت بريطانيا اصدار مشروع قرار يدعو الى تحسين تبادل المعلومات بين الحلفاء حول الامكانات العسكرية لدول المحور. وكان هذا الاقتراح بمثابة استجابة لثلاثة مقترحات تقدم بها الوفد الأمريكي تحت بند «تطوير التعاون بين الحلفاء». وكان السوفييت يبدون قسطاً كبيراً من الحذر في كشف النقاب عن أية معلومات عسكرية يملكونها لحلفائهم الآخرين، ولذلك فان الاقتراح الأخير جاء بمثابة تلميح مهذب بأن انفتاحاً أكبر في هذا الشأن من شأنه أن يساهم هو الآخر في تقصير أمد الحرب. وقد أكمل الانكليز قائمة مقترحاتهم بالدعوة الى اقامة نظام مشترك لادارة فرنسا المحررة، وهذا النظام كان قد حظي بموافقة روزفلت وتشرشل حتى قبل انعقاد المؤتمر. وينص المشروع بين أمور أخرى على اقامة حكومة عسكرية تحت قيادة حليفة، تكون احدى مهامها تمهيد الطريق لتسليم السلطة الى المدنيين في أقرب فرصة ممكنة. وبهذا يُفتح الباب على مصراعيه أمام ارتباط حركة التحرير الوطني الفرنسية بزعامة ديغول بالادارة العسكرية للحلفاء عن طريق تعيين مدير للشؤون المدنية تتولى هذه الحركة تسميته.

وكانت الموافقة على مشروع كهذا تعني رضوخ الأمريكان أمام واقع الحال الذي يتمثل في نفوذ وقوة ديغول في فرنسا. وكان ادخال فقرة «الارتباط بقيادة الحلفاء» في فرنسا يهدف ظاهرياً الى التقليل من وقع هذا التنازل الذي أُكره عليه الأمريكيون أمام حركة ديغول. أما من الناحية العملية فلم تكن لهذه الفقرة أية تأثيرات فعلية.

وهناك مشروع قرار آخر اقترحه تشرشل مبدئياً ووافق عليه روزفلت حول معاقبة الألمان على الفظائع التي ارتكبوها. وكان هذا المشروع يهدف الى كبح جماح أية جرائم قد ترتكب مستقبلاً ولذلك لم يلق أية معارضة في مؤتمر موسكو.

كان تشعب المواد المدرجة على جدول الأعمال وكثرة الاقتراحات والمشاريع، التي عُرضت عليه كافيين لأن يستغرق البحث فيها وقتاً طويلا. لذلك فان الاثني عشر يوماً التي استغرقها المؤتمر لم تكن مفاجئة لأحد، خاصة إذا ما قارنا ذلك بالفترة القصيرة التي استغرقها مؤتمر رؤساء الدول الذي عُقد فيما بعد.

في الرابع والعشرين من تشرين الأول أي بعد خمسة أيام من بدء أعمال المؤتمر، بعث ايدن ببرقية الى تشرشل يقول فيها ان «المؤتمر بدأ يحقق تقدماً طيباً، وان الآمال أخذت تنتعش في امكانية الموافقة على اقتراحه بان اللجنة العسكرية السياسية حول إيطاليا سيكون مقرها لندن، ولكنه اشتكى من ان أعمال الاجتماع تسير سيراً بطيئاً». وفي البرقية ذاتها اعترف (ايدن) بان الوقت المخصص للترجمة في الجلسات والمسائل المتعلقة بالصياغة والتعديلات جعلت البطء في سير أعماله أمراً محتماً. ومع ذلك فقد اسرَّ (ايدن) لزميله هول بعد ذلك بيومين بأنه غير مرتاح للتقدم الذي يتم احرازه قائلاً «إنه نظراً لهذا البطء... بدأتُ أتساءل... ما إذا كان بامكاننا الوصول أخيراً الى أية اتفاقات ؟».

ويقول ايدن ان هول شاطره هذا الرأي وأيده في طلب مقابلة ستالين في الحال وذلك بهدف التعجيل في الوصول الى اتفاقات حول المسائل الملحة.

ويبدو ان (مولوتوف) انزعج من هذا الطلب الذي اعتبره (شكوى من كفاءته هو شخصياً باعتباره رئيساً للمؤتمر).

على انه من المشكوك فيه ما إذا كان هول شأنه شأن ايدن قد بدأ ينفد صبره. فلم يشتك وزير الخارجية الأمريكي من بطء تقدم أعمال المؤتمر لدى مولوتوف رغم

ان الفرصة كانت متاحة أمامه في عدة مناسبات ، كما انه لم يبدِ تذمراً من ذلك عندما التقى مع ستالين لأول مرة في الخامس والعشرين من تشرين اول. ولكن على أية حال فقد أشار (هول) على (مولوتوف) بأن الاسراع في معالجة الأمور والوصول الى اتفاقات بشأنها هو ما به يرغب الجميع ، مقترحاً انشاء لجنة متفرعة عن لجنة الصياغة تتولى «وضع القرارات في شكلها النهائي» ومشيراً في ذات الوقت الى ان ارتباطاته تحتم عليه مغادرة موسكو خلال الثلاثة أو الأربعة أيام القادمة.

كان نفاذ صبر (ايدن) في هذه المرحلة بالذات مبالغاً فيه طالما ان السوفييت وكما جاء في مذكرات سكرتيره الخاص «كانوا على ما يبدو عازمين على انجاح المؤتمر».

وكان أمام لجنة الصياغة الشيء الكثير لتفعله فيما يتعلق بتشكيل الهيئات الجديدة الحليفة منها أو الدولية ، صلاحياتها ، كيفية تشكيلها ، والاعلان الرباعي ، الاعلان حول السياسة التي ستُنتهج ازاء إيطاليا ، الاعلان حول مستقبل النمسا والاعلان حول فظائع الحرب الألمانية.

برزت الاختلافات في وجهات النظر بشكل خاص حول الاعلان الرباعي المقترح والسياسة المنوي اتباعها حول إيطاليا بشكل خاص ، وهي خلافات كان لابد من تسويتها إذا أُريد للمؤتمر الوصول الى نهاية ناجحة. ونظراً لشعور ايدن بأن الاختلافات حول كل موضوع على حدة ، ينبغي أن تُحل بشكل منفصل عن الاختلافات على موضوعات أخرى ، فقد اقترح أن تكون هناك هيئات منفصلة حول إيطاليا والشؤون الأوربية الأخرى ، على أن يكون مقر الأخيرة في لندن. وهو ما كان يعتقد انه سيحظى بالقبول في هذه المرحلة من المناقشات. ولعل نفاذ صبر ايدن كان يرجع بشكل جزئي الى الاحباط الذي أحس به وهو يتلقى الرفض تلو الآخر من لدن الوفد السوفييتي لآرائه تجاه أوربا الشرقية ، والى موقف رئيسه تشرشل الذي اختار هذا الوقت بالذات للتشكيك في مدى التزام الحلفاء للقيام بهجوم انكلو ـ أمريكي عبر القنال الانكليزي أو على الأقل تعهد الغربيين في (كويبك) بالقيام بهذه العملية في ربيع عام ١٩٤٤. وصلت تصريحات تشرشل الى اسماع ايدن في نفس الوقت الذي كان فيه هو والجنرال (اسماي) يطمئنان مولوتوف بأن الالتزام لا يزال قائماً. وعندما كان نجاح المؤتمر قد أصبح يعتمد بشكل كبير على ما إذا كان السوفييت سيقبلون بهذه التطمينات انصب عمل الوفد البريطاني الى المؤتمر على

افتراض ان مفاوضات ناجحة مع روسيا على المسائل الأخرى كان يعتمد على ضمانات قوية بشأن عملية عبور القنال. وعندما سمع (ايدن) بتصريحات تشرشل انتابه الغضب، وشعر كما لو ان الأرض أخذت تميد تحت أقدامه. ووصل به الأمر الى حد التهديد بالاستقالة. لكنه أحسّ أخيراً انه ليس لديه خيار آخر سوى الاستمرار في رئاسة الوفد البريطاني. كما لو انه لم يحصل هناك أي تغيير في الموقف البريطاني ومعتقداً ان الأمريكان لابد وان يردوا بقوة على موقف تشرشل. ويؤثروا عليه. على ان تشرشل أصر على أن تنقل شكوكه هذه شخصياً الى ستالين. الذي تلقاها بدهشة كبيرة. وهكذا توترت الأمور، وشعر ايدن ان موقف الوفد البريطاني بات ضعيفاً جداً على طاولة المفاوضات. ولم تفد محاولاته لتطمين ستالين بأن الأمور ليست بهذه الدرجة من الخطورة. على ان الجو (كما يروي ايدن في مذكراته) أخذ يتغير ففي الثلاثين من تشرين اول أخذ مولوتوف بمنتهى الفطنة والمهارة والحنكة السياسية بايصال مختلف الموضوعات المطروحة الى نهاياتها. بعد يوم أو يومين من ذلك، كان ايدن يبرق الى تشرشل قائلاً انه لم يكن يدرك من قبل «كم كان السوفييت حريصين على إنجاح المؤتمر»، و«انه رغم حدوث بعض النكسات إلا ان أعمال الاجتماع تكللت أخيراً بالنجاح». وهو نفس الرأي الذي خرج به هول كما سنرى.

٢ ـ المؤتمر يوماً بيوم

١٩ ـ تشرين اول ـ الترتيبات التنظيمية.

أُفتتح المؤتمر (نزولاً عند اقتراح ايدن) في مساء نفس اليوم الذي وصلت فيه الوفود، ولكن الجلسة الافتتاحية اقتصرت على بحث الاجراءات التي ستتبع فيما يتعلق بمواعيد الجلسات الموسعة ومن سيشارك فيها.

وقد عُقدت الجلسة الموسعة الأولى في اليوم التالي حيث طلب رئيسا الوفدين الأمريكي والبريطاني أن يتولى (مولوتوف) رئاسة المؤتمر وهو ما قبله الأخير شاكراً لهم هذا الشرف الذي أولوه إياه. كان تكتيكاً منطقياً ان يُدعى الوزير السوفييتي لرئاسة المؤتمر، فهو فضلاً عن كونه مجاملة دبلوماسية معمول بها، إلا ان خطوة كهذه ألقت بالمسؤولية الرئيسة في نجاح أعمال المؤتمر على كاهل (مولوتوف). لقد أُتفق في هذا

الاجتماع على أن بوسع الوزراء الوصول الى قرارات حول نقاط معينة. وفي هذا الشأن قال هول ان حصول كل وفد من الوفود المشاركة على تخويل من حكومته بصدد قرارات كهذه ينبغي ان يتم في أسرع وقت ممكن إذا اقتضت الضرورة. كذلك وافق الاجتماع على جدول الأعمال الذي أعده الجانب السوفييتي. وكانت النقطة الوحيدة، التي بات عليهم ان يبتوا فيها هي ما إذا كان مشروع اعلان الدول الأربع الكبرى الذي اقترحته الولايات المتحدة سيُدرج على بساط البحث. نشأ الشك حول هذه النقطة من تبادل البرقيات بين روزفلت وستالين التي كشفت تبايناً في طبيعة مواقف الاثنين. واستجابة لاعتراض الاتحاد السوفييتي على اشراك الصين في اعلان كهذا، تخلى روزفلت مؤقتاً عن الاقتراح، داعياً الى اقتصار النقاش في هذه المرحلة على «النوايا المستقبلية للدول الحليفة الثلاث» على أن يصار الى توسيع نطاق المشاركة في وقت لاحق. وجاء في رد ستالين على ذلك قوله فقط «انه يأمل أن يصل المؤتمر الى اتفاق حول هذا الموضوع». وعلى أية حال ففي السابع والعشرين من تشرين اول، اقترح (هول) على (مولوتوف) انه ينبغي الاسراع في حسم هذا الموضوع. وقد أيده في ذلك (انطوني ايدن) ومع هذا فقد طرح (هول) الاعلان على بساط البحث، ولم يجد اعتراضاً من مولوتوف، سوى ان هذا الأخير اقترح أن يدرج الاعلان كمادة ثانية في المناقشة، وهنا وجد ايدن الفرصة مناسبة فاقترح ادراج موضوع إيطاليا والبلقان كمادة ثالثة.

تولى (مولوتوف) بعد ذلك توزيع المقترحات السوفييتية «الاجراءات اللازمة لتقصير أمد الحرب» على انها المادة الأولى للبحث.

وكما أشرنا سابقاً فهذه الاجراءات تضمنت دعوة تركيا الى دخول الحرب والطلب من السويد وضع قواعدها الجوية تحت تصرف الحلفاء. سارع (ايدن) و(هول) الى تطمين الوفد السوفييتي باستعدادهما لبحث هاتين النقطتين وغيرهما من الاجراءات بشكل تمهيدي على أن يعتمد القرار النهائي بشأنها عن نتيجة مشاورات كل وفد مع حكومته.

أرجأ المؤتمر أعماله بعد ذلك حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي، بعد الاتفاق على أن يكون اجتماع الغد المكرس لبحث المسائل العسكرية مقتصراً على عدد محدود من أعضاء الوفود الثلاثة، وفي صباح اليوم التالي عقد الوفدان

البريطاني والأمريكي اجتماعاً ثنائياً على هامش المؤتمر لتنسيق رد فعلهما على الهجوم المقترح عبر القنال وغيره من المسائل العسكرية. وفي هذا الاجتماع أوضح ايدن لهول وجهات نظره حول اللجنة العسكرية ـ السياسية المقترحة بالنسبة لموضوع إيطاليا. وسعى في الوقت ذاته للحصول على تأييد من نظيره الأمريكي لموقفه من قضية بولندا. وبدوره عرض (هول) الآمال التي يعلّقها على المؤتمر وعلى الحاجة الى ضرورة ازالة الشكوك لدى الجانب السوفييتي. وبعد هذا اللقاء عُقد لقاء هامشي ثنائي آخر بين هول ومولوتوف اغتنم فيه الوزير الأمريكي الفرصة للتأكيد على ضرورة التعاون بين الدول الحليفة الثلاث في فترة ما بعد الحرب.

٢٠ تشرين اول : الموضوعات العسكرية : تركيا ، السويد وعملية غزو شمال غرب فرنسا.

شرع المؤتمر في عمل جدي في اليوم التالي بعد مأدبة غداء تبودلت خلالها الأنخاب ، وهي مأدبة وصفها (اوليفر هارفي) سكرتير ايدن بقوله «كانت أفضل استعداد لاجتماع طويل وشاق». لكنه أضاف انه في خلال المناقشة التي جرت أثناءها حول عملية عبور القنال والتي سبق وان أثارت الجدل في مرات عديدة من قبل ، لم تثر الجدل هذه المرة على نحو يثير الدهشة. وأبرق (ايدن) الى تشرشل يقول إنه لم يلاحظ أية معارضة سوفييتية هذه المرة. وأعطى الجنرال اسماي والجنرال دين للروس خلال الاجتماع الضمانات التي سعوا اليها طويلاً ، رغم ان قرارات كويبك ظلت دونما تغيير. وأبلغا الوفد السوفييتي ان جميع الاستعدادات لعملية العبور تجري على قدم وساق وستكون الخطوة الأولى العبور وغزو شمال غربي فرنسا في ربيع ١٩٤٤ على ان تشترك ١٨ فرقة انكلو ـ امريكية في الهجوم الأولى يتم تعزيزها فيما بعد بـ ١٢ فرقة أخرى خلال الشهور الثلاثة الأولى بعد عمليات الانزال. مشيرين الى ان هناك ثلاثة شروط لابد من توفرها وهي العمل على اشغال القوة الجوية الألمانية ، وان يصبح بالامكان التأكد من ان الألمان سوف لن يكون بمستطاعهم زج أكثر من ١٢ فرقة لمواجهة عمليات الانزال في مراحلها الأولى ، بحيث لا تزيد عدد الفرق التي ستُرسل لتعزيزها عن ١٥ فرقة ، وأخيراً على حل مشكلة إيصال الامدادات للقوات

التي سيتم انزالها عن طريق البحر على افتراض ان الألمان سيدمرون جميع الموانيء المجاورة. على ان الجنرالين اسماي ودين أكدا انه من المتوقع ان يتم توفير جميع هذه الشروط بالشكل المناسب. ففي خلال الأشهر الستة التي ستسبق عملية الانـزال سيتم اضعاف الألمان عن طريق الضغط على الجبهة الايطالية والقيام بعمليات قصف جوي متواصلة. كذلك سيتم انزال آخر للحلفاء في جنوب فرنسا ليكون متزامناً مع عملية عبور القنال. وسيتم كمرحلة أولى استقدام سبع فرق محاربة من إيطاليا مع سفن الانزال للتمهيد للعملية. وكما أشار الجنرال (اسماي) فان هذا التوضيح الذي قدمه مع زميله دين الى الروس، بدا بالنسبة الى هؤلاء على انـه تغيير في الميـزان الاستراتيجي الانكلو- امريكي. ففي خلال الثمانية عشر شهـراً الأولى من عمر التحالف الانكلو- أمريكي طغت المفاهيم الاستراتيجية البريطانية على ما سواها. وهذا ما أدى الى القيام بغزو شمال أفريقيا الذي كان خاضعاً للسيطرة الفرنسية، وكذلك الهجوم الحليف الناجح على جزيرة صقلية، وأخيراً عمليـات الانزال في جنوب إيطاليا بشكل عكس مخطط بريطانيا في جعل عمليات البحر المتوسط حربة تستهدف طعن «أسفل بطن دول المحور» كما يطلق عليه تشرشل.

كان لابد للأمريكان وللسوفييت في اعتقادهما ان هجوماً عبر القنال سيشكّل ضربة لألمانيا في القلب، وكان لابد لهما من الأخذ بحجة بريطانيا القائلة بأنه من الضروري تهيئة قوات كافية لمثل هذه العملية الكبيرة. أما الآن وقد زجت أمريكا بثقلها العسكري في الحرب فان العملية ينبغي أن تتم عام ١٩٤٤.

أُرغم تشرشل على القبول بهذا الرأي عندما التقى مع روزفلت في كويبك. على ان تشرشل كما يقول سكرتيره هارفي في مذكراته، كان على وشك اعادة النظر في موقفه غير انه رضخ أخيراً. ذلـك ان القرارات التي خـرج بها من اجتمـاعه مـع روزفلت كانت تمثل في واقع الحال استراتيجية متفق عليها مع الأمريكان.

أعاد الوفد السوفييتي في المؤتمر التأكيد على الأهمية التي تعلّقها موسكو عـلى عملية عبور القنال مع الاصرار في الوقت ذاته على ارغام تركيا على دخول الحرب.

الى حد هذه النقطة كان الجو لا يزال ودياً. فقد رحب السوفييت بالتطمينات الانكلو- أمريكية. لكنه ولأسباب مختلفة قابل الانكليز والأمريكان الاقتراح الأخير بشأن تركيا بالتحفظ. كان الأمريكيون يعارضون تماماً تشتيت الجهود والامكانات

بعيداً عن الهدف الرئيس «عبور القنال». وتحريض الأتراك على دخول الحرب في هذه المرحلة قد يؤدي بالتالي الى نوع من الالتزام الانكلو ـ أمريكي في منطقة شرق البحر المتوسط، وهو ما كانوا يسعون الى تفاديه. أما ايدن وهو ذو تجربة سابقة مع مواقف الأتراك، فقد كان على علم بأن الأتراك سيطلبون مقابل ذلك مساعدات عسكرية كبيرة بما فيها ٢٥ سرباً من المقاتلات، لن يكون بوسع الحلفاء توفيرها في هذا الوقت بالذات. أما أن يُرغم الأتراك على الأتيان بخطوة كهذه مقابل تعهد من الحلفاء بأن مصالحهم ستؤخذ بعين الاعتبار في تسويات ما بعد الحرب، فان ايدن كان يرى ان تركيا لا يمكن أن تُضَّلل بمثل هذه البيانات الغامضة.

كانت الحكومة التركية تدرك انه من مصلحة بريطانيا منع الروس من بسط سيطرتهم على الدردنيل. كما انها أي الحكومة التركية، كانت في هذه المرحلة تفضل المجازفة بمصالح أصدقائها بدلاً من القيام بمجازفة كبرى وتدخل الحرب ضد المانيا. والواقع انه لم يدر في خلد الحلفاء يوماً أن يستخدموا القوة لحمل تركيا على دخول الحرب أو تهديدها بالغزو إن هي امتنعت عن ذلك. فأعمال كهذه من شأنها أن تجعل من تركيا بلداً معادياً لهم. بدلاً من حليف للمستقبل.

في هذه الأثناء تلقى (ايدن) رسالة من تشرشل يبدي فيها شكوكه في إمكانية القيام بعملية عبور القنال في الربيع، كما سبق واتفق عليه مع روزفلت في لقاء (كويبك). وقد اقترح تشرشل على وزير خارجيته ملاحقة موضوع تركيا مع السوفييت بما في ذلك بحث إمكانية توسيع نطاق العمليات العسكرية في بحر إيجه والسماح للبحرية البريطانية باستخدام مضيق الدردنيل. وربما يقود هذا بالتالي الى ان تسمح بريطانيا للروس بأن يكون لهم منفذ على الدانوب، وهذا ما سيسعد موسكو بالتأكيد كما يرى تشرشل.

في هذا الوقت وردت أنباء غير سارة من إيطاليا، فعمليات الحلفاء لم تكن تجري وفقاً لما كان مؤملاً لها. وكان هذا بالنسبة لتشرشل سبباً كافياً لتأجيل عبور القنال الى أن تستقر الأوضاع في إيطاليا.

رغم ان ايدن كان قد أبرق الى رئيس وزرائه تشرشل قائلاً «إن السوفييت متشبثون أكثر من أي وقت مضى بالمضي قدماً في عملية عبور القنال». إلا ان الأخير أصر على موقفه، مضيفاً ان بريطانيا لا تستطيع في هذه المرحلة تلبية مطالب تركيا من

المساعدات العسكرية وبخاصة أسراب الطائرات التي أشرنا اليها. ومع ان ايدن كان قد أشار في برقيته الى انه من الممكن اقناع الأتراك تدريجياً، على أن تبدأ الخطوة الأولى بالسماح لقوات الحلفاء باستخدام مضيق الدردنيل. إلا ان تشرشل اقترح على وزير خارجيته أيضاً أن يطلع ستالين شخصياً على الصعوبات التي اكتنفت العمليات العسكرية في إيطاليا ويبلغه برغبة بريطانيا بتأجيل عملية عبور القنال.

وفي اليوم نفسه أبرق روزفلت الى وزير خارجيته (هول) قائلاً «إنه لا دعوة تركيا الى دخول الحرب ولا دعوة السويد للسماح باستخدام قواعدها الجوية من قبل الحلفاء، تبدو مناسبة لرؤساء هيئة الأركان الأمريكية المشتركة. وان كلتا العمليتين ليست لهما علاقة من قريب أو بعيد بعملية عبور القنال على انه ينبغي في هذه المرحلة فقط جس نبض الأتراك في إمكانية استخدام قواعدهم الجوية».

في هذا الوقت بالذات وفي هذه المرحلة المبكرة من مؤتمر موسكو، شعر ايدن انه لابد من استغلال عامل الوقت بالنسبة للمسألة التركية. وإدراكاً منه بأن بريطانيا هي التي سبق وان كانت أول المنادين بضرورة دخول تركيا الحرب ضد المانيا لا يمكن لها بهذه السهولة ان تقف الآن موقف المعارض أو حتى موقف المعرقل. خاصة وان الاتحاد السوفييتي أصر على هذه النقطة أكثر من ذي قبل، وإلا اعتبر الأمر وكأن هناك خدعة بما يترتب على ذلك من ازدياد الشكوك السوفييتية في النوايا البريطانية. ولهذا فقد قال ايدن بحذر «إن بريطانيا تحبذ الفكرة من حيث المبدأ، مشيراً الى صعوبة تلبية مطالب الأتراك ومقترحاً ان تتم دراسة الموضوع لاحقاً بشيء من التفصيل. أما بالنسبة لمسألة السويد فإنه من المفضل ان يتعهد الاتحاد السوفييتي كخطوة أولى باحترام استقلال فنلندا المجاورة.» وهذا ما قوبل برد فعل متحفظ من مولوتوف الذي رد بقوله نحن بصدد بحث موضوع يخص السويد وليس فنلندا.

أما هول فقد تذرع بقوله ان الموضوع هو من اختصاص العسكريين ولذلك لابد من تركه لاحقاً ليقرر العسكريون ما يرونه بشأنه ولكنه كان يعتقد ان آراء الأمريكان لا تختلف عن آراء ايدن. لذلك اقترح أخيراً اعطاء الوقت للوفدين الأمريكي والانكليزي للرجوع الى حكومتيهما والى رؤساء الأركان فيهما على ان يعود المؤتمر الى استئناف بحث الموضوع لاحقاً. ورد السوفييت على ذلك بقولهم «طالما انه ليس في المستطاع حمل تركيا إذن على دخول الحرب فوراً فإنه يترتب على البريطانيين

وقف مساعداتهم العسكرية للأتراك على اعتبار ان هذه المساعدات لا تستخدم ضد الألمان». هذا الرد اعتبره الانكليز بمثابة قبول بالأمر الواقع. أي عدم الاصرار على عملية عبور القنال. غير ان هذا لم يكن بالضبط ما يدور في خلد ستالين ووزير خارجيته مولوتوف. فقد كان الاصرار السوفييتي على الاسراع بهذه العملية على أشده في مؤتمر طهران الذي عُقد فيما بعد، الى الحد الذي كانوا يطالبون فيه بأن هذه العملية ينبغي ان تتم ولو على حساب كل العمليات العسكرية الأخرى في البحر المتوسط.

٢١ تشرين أول: اعلان الدول الأربع: والقوافل القطبية

في اليوم التالي انتقل المجتمعون الى بحث الاقتراح الرئيس للولايات المتحدة ألا وهو اصدار اعلان من الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة، روسيا، بريطانيا والصين) حول الأمن الدولي. قبل الجلسة الموسعة لهذا اليوم التقى هاريمان والجنرال دين مع مولوتوف، وكان الموضوع الرئيس هو امكانية عقد مؤتمر لرؤساء الدول الحليفة. ولم يتوسع المجتمعون في بحث الموضوع بالتفاصيل رغم ان هاريمان أعرب عن تفاؤله المشوب بالتحفظ عقب الاجتماع. في التقرير الذي أبرق به هاريمان الى الرئيس روزفلت عن هذا الاجتماع قال «ربما تكون هناك صعوبات أمامنا، إلا ان السوفييت قد اقتنعوا برغبة الولايات المتحدة في التعاون معهم، وكانوا من جانبهم يبدون كمن كان قد قرر بالفعل المضي قدماً.».

كانت الجلسة الموسعة لهذا اليوم هي جلسة (هول). ففي جلسة الأمس لم يساهم هول بالشيء الكثير في النقاش تاركاً العسكريين وايدن يناقشون ويتبادلون وجهات النظر. أما الآن فقد بدأ (هول) أولاً بطرح موضوع اعلان الدول الأربع على زملائه، قائلاً ان اعلاناً كهذا سيكون بمثابة دليل على ان الدول الكبرى عازمة على العمل سوية في المستقبل ليس في فترة ما بعد انتهاء الحرب مباشرة بل على المدى البعيد من أجل صيانة أمن العالم وسلامه. وان العودة الى الانعزالية التي إتسمت بها مواقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في السنوات الماضية ستكون كارثة حقيقية. وعلى الدول الكبرى ان تغتنم فرصة توفر الأجواء المناسبة لدى الرأي العالمي في نبذ الحرب ومآسيها. وانه بموجب هذا الاعلان فستترتب على هذه الدول

التزامات أهمها مواصلة التعاون من أجل حفظ السلام ، واقامة منظمة دولية ، وأخيراً العمل على تحقيق نزع شامل للسلاح. وكان الهدف الأخير هذا ، القضية التي يدافع عنها الليبراليون في فترة ما قبل اندلاع الحرب. وإذا كان من الممكن بلوغ هذا الهدف فان من شأنه ان يعزز من موقع المنظمة الدولية المقترح اقامتها ، خاصة وان الاقتراح بصدد انشاء هذه المنظمة يدعو الى أن تكون هناك قوات خاصة لحفظ السلام تحت إشراف هذه المنظمة ، وبالتالي تكون هيئة كهذه أكثر فعالية من عصبة الأمم المنحلة التي كانت «مجردة من السلاح» وعاجزة في عالم مسلح حتى الأسنان.

اتسمت المناقشات التي جرت في هذه الجلسة بأنها كانت ودية جداً ، وقد أحس هول بأنه حقق خلالها مكسباً كبيراً عندما أعلن كل من ايدن ومولوتوف عن قبوله بالمباديء العامة للاعلان ، وبخاصة ما أعلنه وزير الخارجية السوفييتي من ان حكومته تساند هذه المباديء غير ان مولوتوف اعترض على تسمية الاعلان «باعلان الدول الأربع» في غياب الصين عن المؤتمر. وحينما اقترح (هول) ان توضع المسودة النهائية للاعلان أولاً ثم يجري استحصال موافقة الصين على الالتزام ببنوده في أثناء انعقاد المؤتمر ، تساءل مولوتوف ما إذا كان مثل هذا الأمر ممكناً. وبعد ان شرح (هول) كيف سيؤثر استبعاد الصين عن اعلان كهذا على وحدة الحلفاء ، اقترح (ايدن) حلاً وسطاً يقوم على أساس الموافقة على الصيغة النهائية للاعلان أولاً ومن ثم الطلب الى الحكومة الصينية الموافقة على هذه الصيغة والتوقيع عليها. وبعد ان اغتنم (هول) الفرصة وراح يحاول اقناع مولوتوف بأنه في موضوع مهم كهذا لا ينبغي ان تُوجه صفعة للصينيين بعدم دعوتهم للمشاركة فيه ، انتقل المؤتمر الى مناقشة تفصيلية لمسودة الاعلان. وقد أبدى ايدن بعض الملاحظات بالنسبة لبعض التعديلات في الصياغة وذلك بهدف تحقيق غايتين ، الأولى التأكيد للجانب السوفييتي بأن الانكليز والأمريكان لا ينوون على الفور تحويل اعدائهم الألمان الى «أعضاء محترمين» في الأسرة الدولية كما كان يعتقد الروس ، والثانية تطمين موسكو بأن المنظمة الدولية المقترح انشاؤها ستكون عضويتها مفتوحة فقط للدول المحبة للسلام. وهذا الصنف من الدول لا يشمل المانيا ومن حارب الى جانبها ، على الأقل في الوقت الحاضر وفي فترة ما بعد الحرب والى أن تتأهل هذه الدول بمرور الوقت لعضوية هذه المنظمة.

لقيت هذه التعديلات ترحيب الروس وتمت الموافقة عليها بعد ان أبدى

الأمـريكيون عـدم اعتراضهم أيضـاً. ولعـل مـا دفـع (ايـدن) الى ادخـال هـذه التعديلات ، هـو الضغط الذي مـارسته بعض دول الكـومنويلث عـلى بريـطانيا كاستراليا وكندا ، بهدف تطمين الدول الصغيرة بأن «اعلاناً للدول الأربع» لن يكون يوماً بمثابة «دكتاتورية للدول الأربع». ولهذا السبب أُدخلت فقرة في المادة الخامسة من الاعلان تنص على شكل من أشكال التشاور مع الدول الأخرى فيما يتعلق بالمسائل التي تهم المحافظة على السلام والأمن الدوليين. وقد قُبل هذا التعديل الأخير دونما مناقشة. وهنا اقترح مولوتوف تغييرات أكثر جوهـرية وهي تغييـرات جعلت من الواضح أمام (ايدن) وربما (هول) أيضاً ، ان الاتحاد السوفييتي غير مستعد للقبول بأية قيود يفرضها حلفاؤه على حريته في العمل في فترة ما بعد الحرب مباشرة ، لا سيما في المناطق التي احتلتها الجيوش السوفييتية ، وبالذات في أوربا الشرقية.

كانت الحكومة السوفييتية قد أبدت استعدادها لإلزام نفسهـا بموجب البنـد الثاني من الاعلان بالعمل المشترك في فرض شروط الاستسلام على المانيا والدول التي ساندتها. ولكن هذا الالزام لا ينسحب على «العمل المشترك اللاحق» في الدول التي كانت الجيوش الألمانية قد احتلتها من قبل. كذلك اعترض الوفد السـوفييتي على إحدى مواد البند السابع من الاعلان يلزم الاتحاد السوفييتي في فترة ما بعد الحرب بأن لا يستخدم قواته ضمن أراضي دول أخرى ما لم يتم ذلك عن طـريق المشاورات والاتفاق مع الحلفاء الآخرين. وربمـا كان لـمولوتـوف هذه المـرة ، أسس منطقيـة للاعتراض. فالمادة الثانية من البند السابع بالشكل الذي صيغت به و(هذا قوله هو) تجعل القيام بأعمال عسكرية ضد دول عدوة لم تهزم بعد معتمداً على موافقة الحلفاء. وبذلك فان هذه المادة ستقيد حرية الجميع في الدخول في اتفاقـات حول مـرابطة القوات الحليفة في قواعد ضمن المناطق المحتلة أو المحررة. وفي هذا الصدد أشار (مولوتوف) الى ان بريطانيا والاتحاد السوفييتي قد وقعتا معاهدات من هذا القبيل.

لم يكن بوسع (ايدن) ان يواجه هذا الاعتراض السوفييتي نظراً لما استند اليه من أسس قوية ، ولهذا اسقطت الفقرة المتعلقة «بالمشاورات والاتفاق مع الحلفـاء الآخرين». واقترح اجراء مناقشة ثانية لاحقاً للبند السابـع بكامله ، حيث وعـد الوفدان الانكليزي والأمريكي بدراسة صيغة جديدة.

ولكن في نهاية الجلسة أحس (هول) ان اقتراحه قد قبل من حيث المبدأ وانه قد

شق طريقه في الموضوع الشائك المتعلق بمشاركة الصين في الاعلان. ولهذا خرج من الاجتماع مرتاحاً من نتائج ما حققه.

أما ايدن فكان أقل ارتياحاً. وربما كان سبب ذلك انه أثار مسائل حساسة بمحاولته ادخال تعديلات على اتفاقات قائمة بالفعل. في مساء ذلك اليوم (٢١ تشرين اول) طلب ستالين مقابلة ايدن لبحث موضوع القوافل القطبية، وهو موضوع ظل معلقاً حتى الآن وتسبب في جدل طويل بين البلدين. وقد اشتكى ستالين في بداية اللقاء من ان تشرشل لم يعد على اتصال معه عن طريق الرسائل منذ أمد بعيد. قال (ايدن) وقد أثارته هذه الملاحظة، ان المستر تشرشل ربما اعتقد ان لهجة الرسالة الأخيرة، التي تلقاها من ستالين كانت خشنة الى حد ما. ولكنه على أية حال (أي ايدن) يأمل في مناقشة الموضوع من جوانبه كافة. تحسن الجو وراح ستالين يصغي باهتمام الى الشرح الذي قدمه ايدن عن الصعوبات التي تكتنف تسيير القوافل، وانه طلب شخصياً بارسال المزيد من العاملين في البحرية البريطانية الى ميناء مورمانسك (وهو ميناء سوفييتي يقع في المنطقة القطبية) لخدمة السفن البريطانية التي ترسو هناك. وهنا تدخل ستالين، شاكياً من ان البحارة الانكليز لا يعاملون البحارة الروس على قدم المساواة. وهي ملاحظة بدت أشبه ما تكون بالعتاب، وجاءت في وقت كان فيه ايدن على وشك أن يشتكي من البحارة الانكليز هم الأجدر بالتظلم وليس زملاؤهم السوفييت. توسع ستالين في الحديث، وأثنى لدى مناقشته للعمليات العسكرية على الحملة الانكلو-أمريكية على إيطاليا قائلاً «إن عملكم هذا قد قيد حركة أربعين فرقة المانية في إيطاليا والبلقان ومنع الألمان من استخدامها على الجبهة الروسية. وكان هذا بالتأكيد اعترافاً كريماً غير متوقع. ذلك ان هذه كانت المرة الأولى التي يُقر فيها السوفييت اهمية الحملة على إيطاليا بالنسبة اليهم، ثم انتقل الحديث الى امكانية اجتماع رؤساء الدول. ولكن ايدن شأنه شأن هاريمان من قبل لم يتوسع في هذا الموضوع.

ومع هذا فقد تم الاجتماع في جو من الود بوجه عام وهو ما جعل ايدن يبرق الى تشرشل بما لمسه من ستالين بمجرد خروجه من القاعة. كما نقل ايدن في اليوم التالي الى زميله السوفييتي مولوتوف ارتياحه لأن موضوع القوافل القطبية قد سوي على نحوٍ مُرضٍ.

٢٢ تشرين اول : اللجنة الاستشارية الأوربية والمجلس الاستشاري الايطالي ، الحكومة الايطالية وقضية البحرية الايطالية .

كان ايدن بحاجة الى أكبر قسط من الثقة بالنفس والتفاؤل لمعالجة ما سيتم عرضه في مناقشات اليوم التالي.. وانتقل المؤتمر الى بحث المادة الثالثة ألا وهي اللجنة العسكرية / السياسية المقترحة حول إيطاليا. واقتراح جديد بتقسيم هذه اللجنة الى هيئتين الأولى تختص بايطاليا والثانية بأوربا الشرقية. كان ايدن على علم بأن الأمريكيين غير متحمسين لتشكيل لجنة ثلاثية يكون مقرها لندن أو أي مكان آخر باستثناء واشنطن بالطبع. كما انه كان قلقاً لعدم وجود تنسيق انكلو- أمريكي تجاه العديد من المشكلات التي سيبحثها المؤتمر. وقد خشي أن تظهر الشقوق في جدار التضامن الانكلو- أمريكي في جلسة ما بعد الظهر ،وهذا ما كان يتطلع اليه مولوتوف حسب اعتقاده. على ان ايدن سارع الى الاجتماع مع (هول) قبل بدء الجلسة ، وقد طمأنه هذا الأخير بأن مخاوفه مبالغ فيها رغم ان الوزير الأمريكي لم يلزم نفسه بموقف معين. أما ماذا سيكون عليه الموقف السوفييتي فهو غير معروف ولا يمكن التكهن به وربما يرحب مولوتوف بفكرة توسيع قاعدة عمل اللجنة التي ستمثل فيها روسيا. هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فانه كان يترتب على ايدن ان يصارح السوفييت بأن اللجنة الثلاثية المقترحة سوف لا تتمتع بسيطرة مباشرة على الحكومة العسكرية الايطالية كما كان السوفييت يرغبون فيه. ثم هناك مشكلة معقدة أخرى ألا وهي مشاركة الفرنسيين في اللجان المشتركة. كان ايدن على الأرجح يأمل بأن تأييده لموقف (هول) بضرورة اشراك الصينيين في الاعلان الرباعي ، سيدفع هذا الأخير بالمقابل الى تأييد بريطانيا في دعوتها لمشاركة الفرنسيين في هذه اللجان ، خاصة وان روزفلت كان قد أبدى موافقته المبدئية على مشاركة كهذه. لكن روزفلت ، على أية حال كان قد غيّر موقفه كما يظهر ، ففي رسالة بعث بها الى ستالين وتشرشل قبل يومين فقط ، اقترح ان تكون المشاركة الفرنسية في اللجنة المقترحة محدودة وشكلية ، وهذا ما معناه انه لن يكون للفرنسيين أي دور مهما كان في احتلال إيطاليا من قبل الحلفاء ، وهذا ما أدى بالتالي الى احاطة هذه القضية بجو من الغموض. أضف الى

هذا كله ، انه كان هناك تعقيد آخر بالنسبة الى دفاع الولايـات المتحدة عن ضم البرازيل والصين الى الاعلان المقترح . وهو موقف عده ايدن غير موات ، وقد يدفع بدول أخرى عديدة ساندت الحلفاء الى التقدم بطلبات مماثلة . وأخيراً عزم ايدن على المطالبة بمشاركة كاملة للفرنسيين في اللجنة المقترحة حول إيطاليا . ولكنه في الوقت ذاته إرتأى أن يكون حذراً في طرح هذا الموضع الذي قد يغضب ليس موسكو بل واشنطن أيضاً . كذلك ترتب على الرجل مهمة شاقة أخرى هي محاولة التنصل عن الاقتراحات التي سبق له وان تقدم بها في هذا الاطار إذا ما اصطدم اصراره عـلى مشاركة الفرنسيين بمعارضة قوية من الأمريكان والسوفييت . وبالتالي سيترتب عليه أيضاً ان يشرح لحليفيه لماذا غيّرت بريطانيا موقفها مرتين وعلى هذا النحو . وقد كانت تلك مهمة عسيرة أيضاً . لهذه الأسباب وغيرها اقترح ايدن ان تجتمع اللجنـة في إحدى عواصم الدول الحليفة الثلاث ، ولتكن لندن ، قائلاً انه بقدر تعلق الأمر بالعمليات العسكرية الفعلية فان اللجنة ستكون ذات طبيعة استشارية محضة ولن تكون لها سلطات تنفيذية على الحكومة الايطالية التي قال انها ستكون من مسؤولية الحلفاء . أما فيما يتعلق بعضوية اللجنة فقد أشار الى إمكانية ضم ممثلين من حركات المقاومة الفرنسية واليونانية واليوغسلافية الى مندوبي الدول الحليفة الثلاث . مضيفاً الى قوله بلباقة «إذا كان ذلك مرغوباً» . لم يعلق لا مولوتوف ولا هول على هذه النقطة الأخيرة ، لكن رد الفعل الأولي لوزير الخارجية السوفييتي على الاقتراح بشكل عام بدا وكأنه ينطوي على شيء من التضايق . وربما كان سبب ذلك يرجع بشكل جزئي الى النوايا الواضحة لدى كل من بريطانيا والولايات المتحدة بأنهما يسعيان الى تقييد حرية الاتحاد السوفييتي في التدخل مباشرة في أمر الحكومة الايطالية (رغم ان ايدن أضاف الى ذلك ان القائد العام للقوات الحليفة قد يضع إذا اقتضت الضرورة مناطق بعيدة عن مسرح القتال تحت الاشراف المباشر للجنة الثلاثية) .

ولعل مولوتوف قد إمتعض أيضاً من الطريقة التي عالج بها الوفد البريطاني الاقتراح السوفييتي بالشكل الذي يخدم الأهـداف البريـطانية . وقـد انعكس هذا الامتعاض حينما تساءل مولوتوف بقوله «ما هي إذن قيمة المقترحات التي عرضتها بريطانيا في الأول من تموز الداعية الى تشكيل لجنة تابعة للأمم المتحدة تخول صلاحية الاشراف على الحكومات العسكـرية في المنـاطق التي يجري احتـلالها من أراضي

العدو. وهي مقترحات كانت الحكومة السوفييتية قد وافقت عليها في حينه. ورد (ايدن) بلباقة أيضاً «لجنة الأمم المتحدة كنا قد ارتأيناها لمعاجة موضوع استسلام المانيا واحتلالها فقط. وبريطانيا تعتقد الآن ان لجنة أوسع أصبحت ضرورية. لم يعقب مولوتوف ثانية على الموضوع لكنه أثار سؤالاً يتعلق هذه المرة بالمقترحات الأمريكية الواردة في المادة الخامسة. كيف ترون هذه المقترحات مناسبة إذن ؟ على أية حال اقترح مولوتوف العودة الى الموضوع في اليوم التالي. هنا تدخل (هول) بشكل ساعد موقف ايدن قائلاً ان المقترحات الواردة في المادة الخامسة لا تنطوي على معارضة لموقف بريطانيا وانه يرى ان عمل اللجنتين المقترحتين سيتم على نحو أفضل بالوسائل الدبلوماسية. كان هذا بمثابة بادرة ترحيب من وجهة النظر البريطانية.

كان تساؤل مولوتوف في هذه المرحلة عما إذا كان عمل اللجنتين سيحول دون معالجة الأمور بالوسائل الدبلوماسية، مؤشراً على ان الاتحاد السوفييتي لا يرغب في اعطاء الكثير الى لجنة يكون مقرها لندن. لقد أُتفق على أية حال على ان يتولى المؤتمر بحث الموضوع في جلسة اليوم التالي، على أن توضع الاقتراحات البريطانية بما فيها (اقتراحات الأول من تموز) أمام لجنة الصياغة التي شكّلها المؤتمر بتوصية من ايدن عند بدء الجلسات ومن بين أعضائها (دن) و(فيشنسكي) و(سترانغ).

عاد المؤتمر الى بحث المادة الرابعة من جدول الأعمال والتي تضمنت اقتراحاً بريطانياً بتبادل الآراء حول إيطاليا ودول البلقان. بدأ مولوتوف النقاش بالحديث عن عدم ارتياح موسكو بالنسبة لموضوع إيطاليا، قائلاً ان ذلك مرجعه الى افتقاد حكومته لمعلومات وافية عما يجري هناك (وهذا يُفسَّر على انه يعكس شكوكاً سوفييتية في مدى التنفيذ الدقيق لشروط الهدنة خاصة وان الانكليز والأمريكان لم يعودوا يعتبرون الايطاليين اعداءً. ورد ايدن بقوله ان تشكيل اللجنة المختصة بموضوع إيطاليا من شأنه أن يوفر للاتحاد السوفييتي ما يريده من معلومات بهذا الخصوص. أما بالنسبة الى اتفاقية الهدنة، فإنها تُنفذ بحذافيرها رغم اسقاط صفة العدو عن الايطاليين. مضيفاً «أما من الناحية السياسية فان الفاشستية والهيكل الفاشي للنظام، فانه يجري اقتلاعه من الجذور، وان الانكليز والأمريكان يأملان في الأتيان بشخصيات ليبرالية الى الحكومة الايطالية. إلا انه بعد عشرين عاماً من النظام الفاشي فان ايجاد مثل هؤلاء الناس أمرٌ ليس سهلاً. هنا عاد مولوتوف ليجدد تأكيد الاتحاد السوفييتي على

ضرورة المضي قدماً في تدمير الفاشية ومحو آثارها من إيطاليا ، مقترحاً تصفية جميع المنظمات التي كانت مرتبطة بالنظام الفاشي واعتقال أعضائها على انهم مجرمو حرب . وبموافقة من (هول) عقب ايدن على ذلك بقوله «إن الحكومة العسكرية التي أقامها الحلفاء في إيطاليا تعمل على هدى ذلك . ومع هذا فان المقترحات السوفييتية ستدرس . وأخيراً عرض الرجلان تزويد الوفد السوفييتي بالوثائق المتعلقة بهذا الموضوع . وعاد هول ليؤكد ان ازالة الفاشية هو هدف الجميع ولكنها تحتاج الى وقت . رد (مولوتوف) بشكل ودي مجدداً طلب الاتحاد السوفييتي بتسليم جزء من الأسطولين الحربي والتجاري الايطاليين الى الاتحاد السوفييتي كبعض من تعويضات الحرب .

واعترف مولوتوف بأن القوات السوفييتية لم تلعب دوراً كبيراً جداً في الحرب ضد إيطاليا ، لكن مشاركة هذه الأخيرة في الحرب قد جلبت الأذى للاتحاد السوفييتي بالتأكيد . واقترح ان تسلم الى الاتحاد السوفييتي سفينة حربية وطراد وثماني مدمرات وأربع غواصات وما زنته أربعين الف طن من المعدات البحرية تسديداً لحصة روسيا من التعويضات (تعادل هذه القطع بمجموعها سُبُع البحرية الحربية الايطالية وربع الأسطول التجاري) . ولعل ايدن وهول فوجئا بطلبات لم يكونا يتوقعاها ، فبريطانيا خاصة كانت قد عدت القطع البحرية الايطالية والسفن التجارية بالذات تعويضاً لها لما فقدته من قطع بحرية خلال الحرب . على أية حال وافق الرجلان على تقديم الطلب السوفييتي الى حكومتيهما . ورد مولوتوف بقوله انه لا يتوقع قراراً فورياً بشأن الطلب .

والواقع ان موقف هول كان إيجابياً ومساعداً بالنسبة للمقترحات البريطانية الرئيسة التي عُرضت على المؤتمر ولعل تأييد ايدن على ضرورة اعطاء الأولوية لاعلان الدول الأربع قد أثمر . أما مولوتوف فلم يكن بالصلابة التي كان يتوقع هول وايدن ان يجدانه عليها . لكن دعونا لا نستبق الأمور ، فموضوع اللجان سيُستأنف البحث فيه في اليوم التالي بما في ذلك العضوية والمكان والاختصاصات .

كان ايدن مدركاً ان هول لم يكن يولي أهمية كبيرة ، لأن يكون مقر اللجنة في لندن ، كما ان مولوتوف لديه تحفظات بهذا الشأن . وبقدر تعلق الأمر بايطاليا فان المناقشات التي دارت حولها ، لم تسر في طريق شاق . فايدن أدلى بما لديه من وجهات

نظر ولم تكن هناك ردود فعل انفعالية من الجانب السوفييتي. أما بالنسبة للمبادىء التي وردت في الاعلان السوفييتي المقترح ، فهذه لم تكن لتختلف كثيراً مع وجهات النظر الغربية. وبقدر تعلق الأمر باقامة أنظمة حكم ديمقراطية بديلة للأنظمة الفاشية والنازية فالوفود الثلاثة كانت تفترض ان ما يعنيه كل منها بـ «الديمقراطية» يختلف من وجهة نظره عن «الديمقراطية» التي يقصدها الآخر. ولعل هذا الأمر يستحق ان يُسجل على انه تصوير مبكر للطريقة التي ستؤدي بها مقتضيات التحالف الانكلو-أمريكي - السوفييتي ، زمن الحرب الى قبول ضمني لافتراضات مشكوك فيها كثيراً تؤدي بالتالي الى اماطة اللثام عن الاختلافات الجوهرية في الآيديولوجية والأهداف بين الدول الحليفة. وهي اختلافات كان من المفضل في هذه المرحلة ، أن لا تخرج الى العلن. وربما كان تشرشل أكثر الزعماء الغربيين إقراراً بـذلك. وإلا فـانه من المفترض مستقبلاً أن يُعامل الاتحاد السوفييتي كعدو ، وهذا ما لا يمكن تصوره بعد كل هذه السنين من التحالف ورفقة السلاح. او أن يتم التـوصل الى اتفـاق بين بريطانيا والولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفييتي من الجهة الثـانية ، يحتـرم بموجبه كل من الجانبين المصالح الحيوية للجانب الآخر. وفي هذه المرحلة لم يكن الغربيون عازمين على المضي قدماً في التعاون الكـامل مـع الاتحاد السـوفييتي على المستوى العالمي. بل انهم وجدوا في هذا سياسة هم ملزمون بانتهاجها.

لكي نحكم على ما إذا كان ايدن قد شعر حقاً بالتزامه بهذه السياسة بدلاً من محاولة «اغراق الزورق وسط النهر» بالنسبة للعلاقة مع الاتحاد السوفييتي يكفينا ان ننظر بامعان الى موقفه من المعاهدة السوفييتية - الجيكوسلوفاكية المقترحة. لقد عرض مولوتوف في جلسة العمل السادسة للمؤتمر موضوع المعاهدة مع جيكوسلوفاكيا طالباً من الوفدين البريطاني والأمريكي اتخاذ قرار قطعي بشأنها. كانت المعاهدة معـدة للتوقيع فلماذا لا يمضي الاتحاد السوفييتي قدماً في توقيعها ؟ الجواب هو انه لو فعل ذلك فان بريطانيا وربما الولايات المتحدة قد يسلكان نفس السبيل ويـوقعان عـلى معاهدات ثنائية مستقبلاً مع دول أخرى دون أن يطلبا مشورة أو نصح موسكو.

حينما سحب ايدن معارضته المبدئية للمعاهدة قوبلت هذه الأنباء بالترحاب ووقف (كادغون) السكرتير الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ليعلن في لندن بـأن الحكومة البريطانية بهذه الموافقة لم تستسلم لوجهة النظر السوفييتية وإنما اعتبرت ان

تنازلاً كهذا سيمهد الطريق أمام استئناف العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والحكومة البولندية في المنفى (الموجودة في لندن)». ورغم ان المعاهدة السوفييتية الجيكوسلوفاكية لم تتضمن نصاً كهذا ، إلا ان ايدن أبلغ تشرشل في تقرير لاحق ان مولوتوف قد قطع شوطاً لا بأس به في الرغبة للاستجابة الى مطالبنا». كان هناك بند في المعاهدة ، يسمح لدول أخرى بالانضمام اليها. لكن هذا قد يعني كل شيء وقد لا يعني شيئاً بالمرة. على ان (كادغون) اعترف على أية حال بأن ايدن قد تأثر باعتبارات أكثر شمولاً ، أهمها رغبته في ان يكلل المؤتمر بالنجاح بما في ذلك الموافقة على أن يكون مقر اللجنة العسكرية / السياسية المقترحة في لندن ، خاصة وان المقترح البريطاني بشأنها لا يزال معلقاً في الميزان ، رغم ان المؤتمر كان على وشك أن يدخل يومه السابع. لذلك وجد انه لا مناص من التنازل في بعض الأمور المتعلقة بأوربا الشرقية.

كانت النقطة الرئيسة في اعتراض بريطانيا بادىء الأمر على المعاهدة السوفييتية ـ الجيكوسلوفاكية هي استبعاد بولندا (المقصود هنا حكومة بولندا في المنفى). بالنسبة لهذه النقطة بالذات لم يترك اصرار الاتحاد السوفييتي وفتور الرد الأمريكي والانعزال البولندي لايدن إلا بضع ورقات رابحة ليلعبها في المؤتمر. ولذلك فضل أن لا يخذل الاتحاد السوفييتي في قضية كان الأخير يرى انها منطقية للغاية بدلاً من طرح المشكلة البولندية مباشرة دونما تنازل بصددها. كذلك كان على ايدن أن يتذكر موقف زميله (هول). فقد أعلن هذا الأخير بكل وضوح ، انه يعد مشكلات أوربا الشرقية مشكلات ثانوية بالقياس الى المهمة الكبرى ألا وهي ضمان تعاون الاتحاد السوفييتي في فترة ما بعد الحرب كما يجسّد ذلك اعلان الدول الأربع.

وبالتأكيد فان (هول) كان سيغضب كثيراً لو ان ايدن سمم الجو وأحبط الوصول الى هذا الهدف المنشود الذي كان بوسع الاتحاد السوفييتي ان يجد الكثير من الطرق لعرقلة بلوغه لو أراد ذلك.

لهذه الأسباب مجتمعة رضخ ايدن.

٢٣ تشرين اول : يوغسلافيا ، اللجنة الاستشارية الأوربية والمجلس الاستشاري الايطالي.

في اليوم التالي التقى (هول) مع مولوتوف على حدة قبل بدء الجلسة

الموسعة. وفي هذا اللقاء عرض وزير الخارجية الأمريكي الموضوعات ذات الأولوية بالنسبة للولايات المتحدة، حاثاً الوزير السوفييتي على أهمية أن يسود جو الثقة والتفاهم المشترك أعمال المؤتمر ومجدداً الرغبة في ضرورة مشاركة الاتحاد السوفييتي في كل المناقشات الانكلو - أمريكية حول سياسات ما بعد الحرب. وقد أشار على نحو خاص الى المفاوضات الجارية في واشنطن لرسم تعاون اقتصادي لفترة ما بعد الحرب قائلاً: ان وقت العمل قد حان من أجل قيام تعاون دولي، وانه ما لم نغتنم الفرصة المواتية للوصول الى هذا الهدف، فان الآمال قد تتلاشى. وربما كان هول يعيد الى ذهن مولوتوف بذلك تجربة الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى. ليس هذا حسب، بل راح يحذّر من ان الانعزاليين في الولايات المتحدة ربما سيستغلون عوامل الضعف بما في ذلك الخشية من توغل النفوذ السوفييتي، لقطع الطريق أمام التقارب السوفييتي الغربي بعد الحرب. لم يعقب مولوتوف على النقاط الأخيرة، كما لم يبدِ تشجيعاً لمسألة التعاون الاقتصادي. إن المرء ليستغرب حقاً في هذا الحديث افتراض هول بأن أية مصاعب مستقبلية في التعاون الاقتصادي ستنشأ من عدم توفر الرغبة في مثل هذا التعاون بدلاً من ذكر الصعوبات الموضوعية أمام بلوغ هذا الهدف بين نظامين اقتصاديين مختلفين لكل منهما أهدافه وغاياته. وربما لأن مولوتوف كان يدرك هذا فقد جاء رده مقتصراً على إمكانية عقد صفقة ثنائية تقدم الولايات المتحدة معونة اقتصادية الى الاتحاد السوفييتي.

هكذا توجه الرجلان الى الجلسة الموسعة الخامسة للمؤتمر وكان ايدن قد لاحظ في تقريره الأخير الى تشرشل ان لا زال أمام المؤتمر مهمة معالجة بعض المسائل الأكثر إلحاحاً ومنها يوغسلافيا وبولندا. وكان تبادل الآراء حول الوضع في دول البلقان قد أُدرج ضمن الجزء الثاني من البند الرابع في جدول الأعمال. اقترح مولوتوف أن تجري مناقشة مسألة يوغسلافيا كمادة مستقلة محتفظاً بحقه في التعليق على ما قد يثار بشأنها. اغتنم ايدن فرصة بحث الموضع كمادة منفصلة، لايضاح مدى الصعوبات التي يواجهها البريطانيون نتيجة للصراعات القائمة بين حركتي المقاومة اليوغسلافية الشيوعية وتلك التي تنادي بعودة الملكية، وضرورة العمل على توحيد نشاطهما. مشيراً الى ان مساعدة الاتحاد السوفييتي للوصول الى هذا الهدف من خلال تأثيره على حركة المقاومة التي يتزعمها الشيوعيون هي أمر لا غنى عنه.

(المقصود بهذه الحركة هم الأنصار بزعامة تيتو اما الحركة الأخرى فهي التي كانت بزعامة (ميهايلوفيج) والتي تدين بالولاء لحكومة يوغسلافيا الملكية في المنفى والتي تتخذ من القاهرة مقراً لها. لم يُلزم (مولوتوف) نفسه بموقف ازاء ما أبداه ايدن وبدا وكأنه لا يعرف شيئاً عن الصراع بين الحركتين. وقد كان هذا بالفعل هو واقع الحال. فلم يكن للاتحاد السوفييتي بعد بعثة عسكرية في يوغسلافيا. ولم يكن يملك سوى وسيلة اتصال بالراديو مع تيتو.

والحقيقة ان تبادل البعثات العسكرية بين الاتحاد السوفييتي وحركة الأنصار في يوغسلافيا لم يتم إلا بعد ستة أشهر من هذا التاريخ. بينما كان الانكليز قد أرسلوا بعثة الى يوغسلافيا وأخرى الى اليونـان في آذار ١٩٤٣. وكانت البعثتـان تقومـان بالفعل بتزويد حركات المقاومة في البلدين بالسلاح والتجهيـزات والمؤن. وكانت مشكلة البريطانيين هي ان القوات التي يقودها (ميهايلوفيج) لم تكن نشطة كما ينبغي في مقاومة الألمان، بينما كان الأنصار (جماعة تيتو) يوزعون وقتهم بين مقاتلة الألمان ومقاتلة أعوان (ميهايلوفيج). كذلك نشأ موقف مماثل في اليونان بين حركتي مقاومة إحداهما شيوعية وتدعى (ايلاس) والأخرى موالية للملكية.

اتسم موقف الاتحاد السوفييتي من حركات المقاومة التي يقودها الشيوعيون في البلقان بالتجاهل والشك شأنه في ذلك شأن أي حركة لا تخضع لسيطرته المباشرة. وكما اشتكى (ميلوفان جيلاس) وهو أحد زعماء حـركة الأنصـار في مذكـراته عن الاتصالات الأولى بين الأنصار والاتحاد السوفييتي فان الأخير لم يكن متحمساً للثورة التي كان يعد لها اليوغسلاف. أما موقف هول من الموضوع برمته فكان سلبياً مرة ثانية كما هو الحال عند طرح أية قضية تخص أوربا الشرقية ونظراً لأنه يعد قضية كهذه عسكرية بحتـة فقد طلب الى الجنـرال (دين) عضو الـوفد العسكـري الأمريكي التحدث بالنيابة عن الولايات المتحدة بصددها. أما هو أي (هول) فلم يكن لديه ما يضيفه ولذلك بدا غير مكترث تماماً للموضوع أمام (مولوتوف). أيد الجنرال دين بحماس قيام الحلفاء بتشجيع عمليات التخريب ضد الألمان في دول البلقان. ولكن بناء على اقتراح (مولوتوف) أُجل بحث الموضوع الى وقت لاحق حيث وعد (ايدن) بتقديم معلومات عن نشاطات البريطانيين التخريبية في المنطقة.

لم يحصل (ايدن) على الشيء الذي كان يتوقعه من التأييد من أي من زميليه.

ولذلك وجد من المناسب ترك مناقشة الموضوع ، مفضلاً الانتقال الى الموضوع الشائك المتعلق بتشكيل لجنة (لندن) بدلاً من معالجة موضوعات أوربا الشرقية الأكثر صعوبة. وهو في ذلك كان يعتقد ان تشرشل وحكومته هما الآن بانتظار نجاحه في موضوع اللجنة بدلاً من الخوض في قضايا يصعب تحقيق أي نجاح فيها. وهكذا عاد المؤتمر الى بحث القضية التي تشغل بال ايدن بالدرجة الأولى (قضية اللجنتين المقترحتين) وهي قضية كانت الأمور تسير بالنسبة اليها حتى الآن كما يريد (ايدن). قَبِلَ مولوتوف بفكرة اللجنتين من النوع الذي اقترحه ايدن ، ولم يثر أية صعوبات بالنسبة الى تحديد صلاحيات اللجنة الخاصة بايطاليا. وقد اتفق على أن يتم تشكيل هذه اللجنة في الحال ، وأُحيل الموضوع الى لجنة الصياغة تبعاً لذلك وعلى الأسس التي اقترحها ايدن. ولكن عندما انتقل النقاش الى اللجنة الأوربية ، لم تكن الأمور مرضية من وجهة النظر البريطانية. فمع ان مولوتوف قَبِلَ أن تكون لندن مقر للجنة ، إلا انه أوضح انه لا يرغب أن تكون للجنة لندن من الصلاحيات ما يمكنها من بحث المسائل الراهنة. ولذلك اقترح أن تعمل لجنة الصياغة على هدى مقترحات ايدن التي تقدم بها في الأول من تموز والتي نصت على ان مهمة اللجنة ستقتصر على انهاء العمليات العسكرية فقط. كانت اقتراحات (ايدن) قد نصت أيضاً على إعطاء اللجنة صلاحيات واسعة للاشراف على تنفيذ الحلفاء لشروط الهدنة دون أن يكون لها شأن في السياسات المتعلقة بالاحتلال والادارة.

لكن ايدن قال هذه المرة ان لجنة كهذه ينبغي أن تعطى الصلاحيات اللازمة لمعاجة كل الموضوعات الأوربية الراهنة. وضرب مثلاً على ذلك «مساعي السلام» من قبل الدول العدوة. وفي الجلسة السابقة كان (ايدن) قد اقترح أن تكون من ضمن الاختصاصات الأخرى للجنة ، معالجة المسائل الطويلة الأمد كمستقبل المانيا والسياسة التي ستتبع في المناطق المحررة. جاء رد مولوتوف على ذلك المقترح غاية في الفتور. فقد قال إنه لو توسعنا في اعطاء اللجنة كل هذه الصلاحيات الواسعة فماذا سيتبقى لوزراء الخارجية أن يعالجوه. أما اقتراح هول (بأن العديد من القضايا من الممكن معالجتها في الاجتماعات الثلاثية بين وزير خارجية كل دولة وسفيري الدولتين الأخريين في عاصمته) فقد لقي تأييد الجانب السوفييتي. وبموجب اقتراح ايدن فان لجنة (لندن) ينبغي أن تبدأ عملها ببحث شروط الهدنة مع العدو. أما

بالنسبة للمسائل الأخرى التي ستعرض عليها فان خليطاً من أفكار ايدن و(هول) يمكن أن تكون أساساً لذلك. لم يكن هذا ما يريده ايدن ، خاصة وان الرجل قد تغيرت آراؤه منذ اقتراح الأول من تموز بالنسبة الى تشكيل لجنة استشارية ربما تهيء للاتحاد السوفييتي فرصة استخدام حق النقض ضد أية سياسة احتلال للحلفاء في المانيا ودول المحور. وعلى أية حال فيجب على ايدن أن يقنع بما حصل عليه حتى الآن. في اليوم التالي (٢٤ تشرين اول) قُدمت الى لجنة الصياغة مجموعة من المقترحات البريطانية التفصيلية حول صلاحيات واختصاصات اللجنتين المقترحتين. تضمنت المقترحات التي قُدمت بالنسبة الى لجنة لندن والتي أصبح اسمها «اللجنة الاستشارية الأوربية» تنازلات معينة لآراء كل من مولوتوف وهول ، على أن تبدأ هذه اللجنة عملها بوضع المباديء التي ستحكم انهاء العمليات العسكرية. على أن يُؤخذ بالاجتماعات الثلاثية بين وزير الخارجية والسفيرين التي عرضها كلما اقتضت الحاجة. ومن أجل ارضاء (هول) الذي كان تأييده حيوياً ، فلم تشر المقترحات البريطانية الى مسألة تمثيل حركة فرنسا التي يقودها ديغول في اللجنة واكتفت بدعوة أعضاء آخرين في الأمم المتحدة في بعض الأحيان. وأخيراً استقر الرأي على ان تجتمع اللجنة لبحث أية «مشكلة أوربية» يوافق الحلفاء الثلاثة على احالتها اليها.

على أية حال لم تخرج المقترحات من لجنة الصياغة إلا بعد أن أجرت هذه الأخيرة بعض التعديلات عليها. فبموجب الشروط التي تم الاتفاق عليها أخيراً أصبح من الواضح ان لجنة لندن ستقتصر على معالجة المسائل المرتبطة بوضع حد للعمليات العسكرية فقط ، وهو ما أُطلق عليه «شروط الاستسلام والجهاز المكلف بوضع هذه الشروط موضع التنفيذ». ليس هذا وحسب بل أُدرجت فقرة أخرى في الاتفاق المتعلق باقامة اللجنة تقول ان بامكان الدول الثلاث ان تعيد النظر في اختصاصات اللجنة إذا استدعت الظروف ذلك. مُني ايدن في الواقع بهزيمة. وكان سبب هذه الهزيمة يرجع بالأساس الى ان الولايات المتحدة لم تقف الى جانبه بالشكل الذي كان يتوقعه. أما بالنسبة للجنة الخاصة بايطاليا والتي سميت بـ «المجلس الاستشاري حول إيطاليا». فان خط المقترحات البريطانية المتعلقة بها كان أفضل في لجنة الصياغة. ذلك لأن الأمريكيين أيدوا هذه المرة تلك المقترحات. اقتصرت مهمة

المجلس على تقديم المشورة الى الحكومات المعنية والقيادة العامة للقوات الحليفة بالنسبة للمشكلات المتعلقة بالحكومة الايطالية على أن يكون من اختصاصها أيضاً تقديم التوصيات الى الحلفاء ، ولكن هذا المجلس شأنه شأن اللجنة الاستشارية ليس من اختصاصه اتخاذ القرارات النهائية. ووفقاً لما تم الاتفاق عليه فان القيادة العامة لقوات الحلفاء سوف تواصل العمل كسلطة عسكرية في إيطاليا. وتتلقى الأوامر من الحكومتين البريطانية والأمريكية وان القائد العام سيُعطى صلاحية دعوة المجلس الاستشاري للاجتماع متى ما وجد في ذلك ما يستدعي الضرورة بالتشاور بالطبع مع بريطانيا والولايات المتحدة. خرجت هذه المقترحات بشكلها النهائي من لجنة الصياغة دون تغييرات جوهرية ربما لأن الاتحاد السوفييتي نفسه كان يريد ان تُشكّل هذه الهيئة بأسرع ما يمكن. ولكن يمكن القول هنا ان (مولوتوف) هو الذي قَبِلَ بهزيمة جزئية هذه المرة. فالفكرة القائلة بأن المجلس الاستشاري هو الذي سيتولى ادارة الحكومة العسكرية الحليفة في إيطاليا ، كما اقترح الاتحاد السوفييتي ، انسحب أيضاً على اليونان. كذلك تقدم الأمريكيون ببعض التنازلات لوجهة النظر البريطانية ، فهم اضافة الى موافقتهم أخيراً على تمثيل فرنسا في المجلس ، لم يعارضوا عضوية حركات المناومة اليوغسلافية واليونانية فيه. وهكذا اقترح أن تصبح الحركات أعضاء دائمين في أسرع وقت ممكن. وفي الوقت نفسه صرف النظر نهائياً عن عضوية الصين والبرازيل. وفي النتيجة يمكن القول ان ايدن شعر بكثير من الارتياح بالنسبة لهذه القضية. بقيت هناك مشكلة شائكة أخرى هي مشكلة تركيا. كان ايدن قد تلقى رسالة مشجعة من تشرشل بشأن المقترحات السوفييتية حول مشاركة الأتراك والسويديين في الحرب من شأنها أن تعطيه المهلة الكافية لتبني موقف أكثر واقعية مستقبلاً حول هذا الموضوع. ولكنه لم يكن متأكداً ما إذا كانت هذه فعلاً المهلة التي يريدها. كان ايدن يعتقد ان الجزء الصعب والشاق من مناقشات المؤتمر لم يتبلور بعد. في اليوم التالي أي الرابع والعشرين من تشرين اول ، كان من المقرر ان يناقش المؤتمر المسائل المتعلقة بأوربا الشرقية بما في ذلك بولندا ومسألة الاتحادات المقترحة في أوربا. في ذات الوقت كان هول يشعر بالارتياح ليس لأنه حظي بالموافقة على اعلان الدول الأربع الذي تقدم به بل لأنه وبتأييد من ايدن أصبح في موقف قوي بالنسبة لموضوع مشاركة الصين في الاعلان. لكن مولوتوف من جهته أثبت انه

صعب الانقياد بالنسبة لمسألة مشاركة الاتحاد السوفييتي في الحكومة العسكرية للحلفاء في إيطاليا. علاوة على هذا فقد كان واضحاً ان وزير الخارجية السوفييتي يشاطر (هول) الرغبة في تحديد حجم اللجنة الاستشارية الأوربية ولذلك أبدى موقفاً ودياً تجاه الآراء الأمريكية بوجه عام، مما أنعش آمال الولايات المتحدة، في إمكان الوصول الى التعاون الدولي الذي كانت تنشده لفترة ما بعد الحرب. وبالمقابل كان (هول) حريصاً على أن لا يثير قلق الاتحاد السوفييتي بالحديث عن مشكلات أوربا الشرقية. وكان يعتقد ان نتائج مرضية حول هذه الموضوعات يمكن الوصول اليها فقط عن طريق تعزيز النوايا الحسنة لدى الاتحاد السوفييتي. لذلك فان الأمر المهم في هذه المرحلة كان الفوز بثقة موسكو واستمرار تعاونها.

من وجهة النظر السوفييتية كانت نتائج المؤتمر حتى هذه اللحظة عبارة عن خليط من الرضا وعدم الرضا. فموسكو قد حصلت على الضمانات التي كانت تسعى اليها بالنسبة لعملية عبور القنال، كما ان مولوتوف تشجع كثيراً لما لمسه من اتفاق وجهات النظر الأمريكية ـ السوفييتية حيال الكثير من المسائل التي جرى بحثها. في الوقت نفسه حدثت تشققات في الجبهة الانكلو ـ امريكية بشكل لم يكن متوقعاً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان الأمريكيين لم يبدو استعداداً كبيراً للتعاون فيما يتعلق بالمقترحات السوفييتية حول تركيا والسويد أو حول مطالب الاتحاد السوفييتي بتسليمه عدداً من القطع البحرية الايطالية كجزء من تعويضات الحرب. هذه وتلك جعلت موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة للمسائل المتعلقة بأوربا الشرقية أكثر صلابة.

٢٤ تشرين اول: بولندا، إيران، أوربا الشرقية، مناطق النفوذ والمعاهدة السوفييتية الجيكوسلوفاكية. مبدأ (نكران الذات).

اغتنم ايدن، وفي ذهنه كل هذه المصاعب، فرصة جديدة صباح الرابع والعشرين من تشرين اول للسعي من أجل الحصول على تأييد زميله الأمريكي (هول) لممارسة الضغط على الاتحاد السوفييتي حتى يستأنف الأخير علاقاته مع الحكومة البولندية في المنفى. واقترح ان يعالجا هذه المسألة أثناء المناقشة العامة

للمؤتمر. لكن استجابة هول جاءت مخيبة للآمال ، فكل الذي فعله هو انه قال لمولوتوف «ان الولايات المتحدة ترغب في اصلاح هذا «الخرق» في جدار التحالف بين الدول الثلاث. وبكلمة أخرى فقد كانت استجابة هول عبارة عن مجرد نداء وليس نوعاً من الضغط كما سبق وان تعهد به. وقد تذرع الوزير هول في دفاعه عن هذا الموقف بقوله «إن هذه مشكلة تخص بريطانيا أكثر مما تخص الولايات المتحدة». مما لا شك فيه ان (ايدن) استخلص من هذا ان حكومة بولندا في المنفى قد بالغت كثيراً في توقعها تأييداً كبيراً من الولايات المتحدة. ولكنه وجد انه يترتب عليه القبول بهذا الموقف مهما كان. في خلال هذا اللقاء توصل الرجلان الى اتفاق عام حول الأهداف التي ينبغي عليهما الوصول اليها عند مناقشة موضوع إيران. كانت الولايات المتحدة قد وافقت بالفعل على اقتراح ايدن بأن يصدر المؤتمر اعلاناً يتضمن نوايا الحلفاء ازاء إيران. وقد اقترح ان يتضمن الاعلان تأكيداً على عزم الحلفاء سحب قواتهم من الأراضي الايرانية بمجرد انتهاء العمليات العسكرية. ولما كان يترتب على الولايات المتحدة وبريطانيا ان تحصلا على تعهد سوفييتي بالتعاون مع الحلفاء الغربيين بشكل كامل في هذه المنطقة ، فقد اقترح هول على زميله البريطاني ان يقبلا بالاعلان السوفييتي المقترح حول إيطاليا حتى يضمنا مثل هذا التعهد ، (وذلك على أساس ان المباديء التي انطوى عليها الاعلان هي نفسها التي تحكم سياسة الحلفاء في إيطاليا) ، مؤكداً على ايدن في الوقت ذاته ان موقفهما ينبغي أن يكون حازماً فيما يتعلق بالاصلاح السياسي في إيطاليا ، رغم انه لا يمكن تغيير نظام مضى عليه عشرون عاماً بين عشية وضحاها. وان موقف كهذا من الحلفاء الغربيين كان يعني مزيداً من التأخير في تنفيذ البرنامج المتفق عليه لازالة كل مظاهر الفاشية في إيطاليا.

وعندما إلتأم المؤتمر ثانية في الساعة الثالثة بعد الظهر أُتفق (بناء على طلب مولوتوف) على تأجيل بحث المشكلة الألمانية (وكانت مدرجة كمادة رقم ٧ على جدول الأعمال) الى وقت لاحق. كما أُتفق على ان موضوع فرنسا (المادة السادسة) يجب ان يُطرح للنقاش أولاً. كان هول قد سلّم الى مولوتوف قبل يوم فقط المقترحات الأمريكية حول المانيا ولذلك فان مولوتوف بحاجة الى مزيد من الوقت لدراستها مع ستالين وغيره من كبار المسؤولين. ولكن (هول) ، كما يقول في تقريره الى روزفلت ، قد أُبلغ من قبل مولوتوف بأن رد الفعل الأولي لستالين على هذه المقترحات كان

مشجعاً جداً ، بل ومتحمساً.

كانت المادة التالية على جدول الأعمال هو اقتراح ايدن حول الاتفاقات المستقبلية بين الدول الكبرى والدول الصغيرة (المادة ٨).

كان ايدن قد قرر بالفعل أن يفسح المجال بشكل مهذب لكي يمضي الاتحاد السوفييتي قدماً في توقيع معاهدته مع جيكوسلوفاكيا. ولكنه مع ذلك كان يأمل في الوصول الى صيغة متفق عليها لتغطية الاتفاقات من هذا النوع التي قد توقع مستقبلاً. وبكل حذر قال ايدن ان الهدف الحقيقي هنا هو تفادي وقوع تنافس بين الدول الحليفة لضمان ولاء الدول الصغيرة او اقامة مناطق نفوذ في أوربا. كان ايدن يسعى لضمان اجراء مشاورات انكلو ـ سوفييتية حول هذه المسائل بدلاً من التصارع بين الحلفاء. ولهذا لم يبدِ أية معارضة للمعاهدة السوفييتية ـ الجيكوسلوفاكية بحد ذاتها. وربما كان ايدن يلوح بما كان يريده للسوفييت في الوقت نفسه الذي أراد فيه اعطاء (هول) الفرصة للاعراب عن معارضته لاقتسام مناطق النفوذ في أوربا في هذه المرحلة. ورغم ان ايدن لم يكن يتوقع موقفاً حازماً من (هول) بهذا الخصوص. لكن بياناً أمريكياً عاماً يعلن المعارضة فقط «لمناطق النفوذ» سيكون مفيداً في هذه المرحلة ، وسيكون متفقاً في ذات الوقت مع الآراء التي سبق لهول وروزفلت ان عبرا عنها. ولكن (هول) لم يكن بالرجل الذي يمكن استدراجه بهذه السهولة. واستجابة لاستفسارات مولوتوف أوضح هول بكل جلاء ان الولايات المتحدة لا تريد التورط في هذه المسألة معتبراً إياها قضية انكلو ـ سوفييتية بحتة. في هذه المرحلة وافق ايدن بعد ان اقتنع بأن (هول) عازم على عدم التورط وان وجوده بالتالي في أية مناقشات لاحقة حول الموضوع لن يكون ذا فائدة ، ان يحيل الموضوع الى لجنة انكلو ـ سوفييتية فرعية يتم تأليفها من عضو واحد من كل من الوفدين. تلا مولوتوف بعد ذلك بياناً حول المسألة أوضح فيه بجلاء ان الاتحاد السوفييتي ليس بوسعه ان ينظر في أي اتفاق مع بريطانيا يقيد حريته في العمل في الدول التي تقع بمحاذاة حدوده ، أو كما أشار بالحرف الواحد «في الدول التي تشكّل حدودها مسألة تهم أمن الاتحاد السوفييتي».

كان هذا في الواقع تعبيراً مطاطياً ربما قصد به كل من بولندا وفنلندا وجيكوسلوفاكيا ورومانيا (وجميعها دول لها حدود مشتركة مع الاتحاد السوفييتي) أو حتى الى الجنوب كتركيا أو الشرق كالصين. الواقع ان موقفاً بهذا الوضوح والحزم لا يحتاج حتى الى

المناقشة في لجنة فرعية كما اقترح ذلك ايدن. ولو ان هذا الأخير أبدى أية معارضة لانقلب الأمر ضد بريطانيا. إذ ان موسكو ستثير آنذاك موضوع المعاهدات المعقودة بين بريطانيا ودول أخرى كاليونان مثلاً. وكلنا يعرف ان اليونان دولة ليست لها حدود مع بريطانيا، إذن كان لابد لايدن أن ينسحب في وقت كان فيه مولوتوف يعلن انه بعد ان تخلت بريطانيا عن معارضتها يستطيع القول الآن ان للاتحاد السوفييتي حرية العمل الكاملة في عقد اتفاقات مع جميع جيرانه. وباختصار فهذا ما معناه ان «مبدأ نكران الذات» الذي سبق للحلفاء وان تعهدوا باحترامه بمجرد انتهاء الحرب، قد غرق دون أي أثر.

وهكذا مُني ايدن بهزيمة مرة ومنيت سياسة بريطانيا تجاه اوربا الشرقية بانتكاسة. ولكن الأسوأ من ذلك كان في الطريق.

كانت تركيا هي الموضوع التالي على جدول الأعمال، لكنه أُتفق على مناقشة هذا الموضوع كجزء من البند الأول عندما يعود المؤتمر الى مناقشة المقترحات السوفييتية التي أُدخلت ضمنه. كانت هذه المسألة قد نُوقشت بالفعل بشكل تمهيدي في بداية المؤتمر وظلت معلقة على بحث وجهات النظر البريطانية والأمريكية بصدد اشتراك تركيا في الحرب.

بعد فترة استراحة عاد المؤتمر الى البند رقم عشرة وهو تحت عنوان «السياسة المشتركة ازاء إيران». وعلى الفور بادر مولوتوف الى الاعلان بأن الاتحاد السوفييتي غير متحمس لمثل هذه المناقشة، باثارته نقطة قانونية هي انه بمقتضى المعاهدة الانكلو - إيرانية الموقعة عام ١٩٤٢ فان مشاركة الايرانيين في مناقشة كهذه هي أمر ضروري. وهنا وجد ايدن وهول ان مناقشة مشكلات دول أخرى في غياب ممثلين عن هذه الدول، إنما تقلق مولوتوف فقط عندما تكون لديه أسباب للاعتراض، كما حدث بالنسبة لاشراك الصين في اعلان الدول الأربع. على أية حال سحب مولوتوف اعتراضه بكل أدب حينما وجد ان ثمة اصراراً على المناقشة واقترح تشكيل لجنة فرعية صغيرة تتولى دراسة الموضوع.

شُكلّت هذه اللجنة على عجل وضمت ممثلين اثنين من كل الوفود الثلاثة بما فيهم دبلوماسيون سبق لهم العمل في إيران او انهم يعملون حالياً هناك. اجتمعت هذه اللجنة لأول مرة في السادس والعشرين من تشرين اول حيث استعرضت

المقترحات البريطانية والتعديلات التي تقدمت بها ألولايات المتحدة بصدد اعلان من المؤتمر حول إيران. وبالنظر لعدم اكتمال ترجمة النصوص الى اللغة الروسية ، فلم يجد الوفد السوفييتي أية صعوبة في الدعوة الى تأجيل المناقشة لحين اتمام الترجمة. على انه حتى الاجتماعات اللاحقة التي عقدتها هذه اللجنة لم تثمر عن أي اتفاق.

بعد هذا التوقف عند قضية شرق أوسطية كان لابد للمؤتمر أن يعود الى موضوع أوربا الشرقية وليدخل في مرحلة صعبة من المناقشات بالنسبة لايدن.

كان البند الثاني عشر من جدول الأعمال المتعلق بامكانية اقامة اتحادات لدول البلقان ولتلك المطلة على نهر الدانوب قد دُمج مع البند السابع عشر والمتعلق باقتراح ايدن «مناطق المسؤولية المشتركة للحلفاء في أوربا». وهكذا فان ما تبقى من سياسة ايدن الخاصة بأوربا الشرقية كانت ستبحث. سياسة كان لها ثلاث نواح ، فهي تدعو الدول الثلاث (وهنا بشكل أدق الاتحاد السوفييتي أكثر من غيره) الى الامتناع عن القيام بعمل انفرادي (كالمعاهدة المقترحة مع جيكوسلوفاكيا) في أي جزء من أوربا ، وهذا كان محاولة لبعث الروح في مبدأ «نكران الذات» بشكل او بآخر رغم ان ايدن لم يكن يقصد أوربا الشرقية فحسب بل الغربية أيضاً. أما الوجه الثاني لهذه السياسة فهي تدعو الدول الحليفة الى العمل على تشجيع ضم الدول الصغيرة في أوربا ببعضها البعض على شكل اتحادات. (وما ينطبق على أوربا الشرقية هنا ينطبق على أوربا الغربية أيضاً). كما ان اعلان ايدن المقترح ينطوي على التزام إيجابي باحترام استقلال الدول الأوربية الصغيرة وحقها في تقرير المصير. وفي هذه النقطة بالذات كان وزير الخارجية البريطاني يتوقع تأييداً كاملاً من الولايات المتحدة.

على ان ايدن كان يعتقد ان النوايا السوفييتية ستقف حجر عثرة بوجه هذه المقترحات. فهو كما يبدو ، كان يرى ان الاتحاد السوفييتي يمارس سياسة «فرّقْ تَسُدْ» في أوربا الشرقية ، وهي سياسة من الصعب أن تتمشى مع رغبة الدول الصغيرة في الحفاظ على استقلالها. والحل في حالة كهذه لا يمكن أن يتم إلا عن طريق ضم هذه الدول في اتحادات فيما بينها. كانت بريطانيا ومنذ أمد ليس بالبعيد أحد المدافعين الرئيسيين عن فكرة الاتحادات الأوربية فهذه الاتحادات من وجهة النظر البريطانية ستعوض الدول الصغيرة عن الأضرار السياسية والاقتصادية التي لحقتها في أعقاب انهيار الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية وروسيا القيصرية والدولة العثمانية بعد

الحرب العالمية الأولى. كانت وزارة الخارجية البريطانية قد استغلت وجود العديد من حكومات أوربا الشرقية في المنفى ، في العاصمة البريطانية لتشجيع اجراء مفاوضات فيما بينها لتحقيق هذا الهدف. وكانت بولندا وجيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا واليونان من بين الدول المَرشحة لبدء هذه المفاوضات. (كذلك كان تشرشل كما سنرى لاحقاً يخطط لاقامة مجموعات أوربية من نمط آخر). ولو ان الحلفاء (كما كان ذلك يبدو مخططاً له) قرروا تجزئة المانيا بعد الحرب ، فان المناطق الجنوبية من المانيا ستتشجع على الاتحاذ مع النمسا وهنغاريا. والواقع ان الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية كانت قد ازدهرت سابقاً بسبب خلوها من العنصر السلافي المثير للقلاقل.

كان واضحاً ان الاتحاد السوفييتي سينظر بعين الريبة والشك الى دولة المانية من هذا النوع ، ولهذا فمن المحتمل ان يعارض هذا الاقتراح الأخير. غير ان موقف الاتحاد السوفييتي حيال اتحادات مقترحة أخرى كان ايجابياً الى درجة تدعو الى الدهشة. وكان ايدن يدرك انه اضافة الى الموقف السوفييتي فان الصراعات المحتدمة بين الأجناس المختلفة في مشرق أوربا سيجعل من بلوغ هذه الأهداف أمراً صعباً. وفي خضم الدعوة الى هذه الاتحادات بدأ الاتحاد السوفييتي يشك في وجود «دافع شرير» لاقامة حزام من الدول المعادية له حول حدوده خاصة وان امراً كهذا سبق وان حدث بعد الحرب العالمية الأولى. ومما عزز هذه الشكوك ، الأقوال الطائشة التي صدرت من بعض الزعماء البولنديين واليوغسلاف الذين يعيشون في المنفى.

إدراكاً منه للوضع قرر الزعيم الجيكوسلوفاكي أن يدخل في أفضل مساومة ممكنة مع السوفييت ولذلك تفاوض معهم حول ابرام المعاهدة الجيكية ـ السوفييتية.

وهكذا ، ما ان بدأت جلسة المؤتمر التالية حتى كانت سياسة ايدن تواجه ريحاً عاتية ، في وقت كان فيه موقف الولايات المتحدة من الطروحات البريطانية مثبطاً للعزائم.

إن واشنطن ، كما قال هول لا تعارض فكرة اقامة الاتحادات ولكن اتحادات كهذه ينبغي أن ينظر في أمرها بعد ان نكون قد أرسينا الأسس اللازمة لتعاون ثلاثي لفترة ما بعد الحرب. لهذا لم يكن ايدن متفائلاً بفرص النجاح أو الخروج بنتائج ملموسة من المؤتمر. وعلى افتراض ان الاتحاد السوفييتي لم يضع العراقيل في وجه الاتحادات المقترحة من قبل بريطانيا ، وان موقف الولايات المتحدة لم يكن على هذه

الدرجة من السلبية فان بوسع ايدن ان «ينتشل بعضاً من الحطام» . وقد وجد ايدن في المناقشات التي تمت في هذا اليوم وتلك التي جرت في اليوم التالي ما يبرر مخاوفه . عاد (هول) ليقول انه لم يدرس مقترحات ايدن بعناية (رغم ان محاضر وزارة الخارجية الأمريكية كانت قد تضمنت اشارة الى ان تلك الوثائق كانت بحوزة هول منذ ثلاثة أسابيع) .

على أية حال اقترح مولوتوف ترك الموضوع الآن والعودة اليه فيما بعد . لكن ايدن في هذه الأثناء كانت لديه فكرة واضحة عما سيكون عليه رد الفعل السوفييتي ، إلا انه بدون تأييد امريكي فلن يكون بوسعه ثانية أن يحقق أي تقدم . هنا أظهر (هول) ما كان يدور في فكره . فقد استفسر ما إذا كانت لجنة الصياغة مستعدة لتقديم تقريرها حول اعلان الدول الأربع أو ما انتهت من انجازه من هذا التقرير . وهكذا اتفق على ان يبحث المؤتمر في هذا التقرير عندما يعود للاجتماع في اليوم التالي على أن ينتقل بعد ذلك الى المسألة الألمانية .

وهكذا انتهى يوم من النقاش لم يكن مريحاً لايدن لكنه كان كذلك بالنسبة الى مولوتوف وهول . ووجد السوفييت انهم يسيرون بخطى حثيثة نحو توقيع المعاهدة مع جيكوسلوفاكيا ، يشجعهم في ذلك عدم الاكتراث الذي يبديه هول . وهو موقف اعانهم أيضاً في «فتح المدافع على النواحي الخطرة لسياسة ايدن حيال أوربا الشرقية» . لقد تحاشى هول ان يُستَدرج في نقاشات وأخذ ورد حول أوربا الشرقية ، وهو ما جعل السوفييت يتوددون اليه ، وبالتالي سارت الأمور على ما يرام في لجنة الصياغة بالنسبة الى اعلان الدول الأربع الكبرى الذي اقترحته الولايات المتحدة . ولعل خير تعبير عن الموقف الودي الذي اتخذه السوفييت من هول جاء على لسان (فيشنسكي) ممثل الاتحاد السوفييتي في لجنة الصياغة الذي اغتنم فرصة لقائه مع أعضاء الوفدين الأمريكي والبريطاني في حفل الباليه الذي أُقيم تلك الأمسية حينما قال «إن الاتحاد السوفييتي لا يرى أية عقبة حقيقية في الطريق الى اقامة أوثق أنواع التعاون مع الولايات المتحدة» .

٢٥ تشرين اول : تقسيم المانيا ، النمسا ، وتعاون ما بعد الحرب

لم تكن لجنة الصياغة حتى هذا اليوم قد فرغت من إعداد اعلان الدول

الأربع ، لذلك انتقل المؤتمر مباشرة الى الموضوع التالي على جدول الأعمال وهو المانيا. كان مولوتوف قد أوحى الى (هول) في اليوم السابق ، ان الروس يرحبون بالمقترحات الأمريكية حول هذا الموضوع. وهذه المقترحات تقوم على الاستسلام غير المشروط للقوات الألمانية ، نزع شامل للسلاح في المانيا ، احتلال ثلاثي تحت إشراف لجنة حليفة مشتركة ، لجنة ثلاثية لدراسة موضوع التعويضات ، وضع كل مظاهر الحياة الاقتصادية والسياسية تحت السيطرة الكاملة للحلفاء ، والتمهيد لاقامة حكومة ديمقراطية. كذلك أوصت المقترحات بانهاء النظام المركزي في المانيا. لكن المقترحات بمجموعها لم تلزم الحلفاء بتقسيم المانيا ولم تتضمن أية أفكار محددة حول مشكلة الحدود. كانت تلك المقترحات قد نوقشت بالفعل بالتفصيل بين لندن وواشنطن ولم تكن هناك اختلافات انكلو ـ امريكية بشأنها. (على الأقل بين ايدن وهول) وروزفلت كما عرف عنه كان من أشد أعداء فكرة التقسيم.

بدأ (ايدن) المناقشة قائلاً بحذر «إنه في الوقت الذي لا تستسيغ الحكومة البريطانية فكرة تقسيم المانيا الى دول منفصلة ، فانه من غير المؤكد ما إذا كان هذا التقسيم سيفرض فرضاً ويبقى عليه بالقوة.» استمرت المناقشات في جو من الود ، لكنه بدا واضحاً فيما بعد ان السوفييت رأوا ان المقترحات الأمريكية لم تذهب الى الحد الكافي. ولذلك وقف مولوتوف مؤكداً انه يجب تجريد المانيا من كل وسائل الحرب والعمل على ضمان عدم تكرار روحها العدوانية مستقبلاً. وفي هذا الصدد أوضح ان الاتحاد السوفييتي سيفعل كل ما في وسعه من أجل تجزئة المانيا. وفي محاولة خبيثة لاحداث مزيد من الشقوق في الاتفاق الانكلو ـ امريكي الهش حول المانيا ، وصف مولوتوف موقف ايدن الذي لم يلتزم بفكرة التقسيم بأنه موقف «غير حازم». (وربما لم تكن لدى مولوتوف حتى هذه اللحظة فكرة واضحة عن آر اء روزفلت).

بادر (هول) الى تصحيح انطباعات مولوتوف قائلاً ان الولايات المتحدة هي الآن أقل تحمساً لفكرة التقسيم مما كانت عليه في السابق. ومن الواضح ان وزير الخارجية السوفييتي قد فوجيء بملاحظة هول هذه ولذلك قال «إن الولايات المتحدة وبريطانيا كما يظهر قد قطعتا شوطاً بعيداً في دراستهما للموضوع أكثر من الاتحاد السوفييتي وهذا يرجع الى انشغال الاتحاد السوفييتي بسير العمليات الحربية. تابع مولوتوف بشيء من التأكيد قائلاً «إن الرأى السائد في الاتحاد السوفييتي يميل تماماً الى

جانب تقسيم المانيا وهو لا يستبعد ان يتم هذا التقسيم بالقوة وان تُحرم المانيا من ثمار غزواتها. حول هذه النقطة بالذات عبّر ايدن وهول عن موافقتهما التامة وانه لابد من عودة المانيا الى حدود عام ١٩٣٧ . وهذا ما أدى بايدن الى الاقتراح بضرورة استعادة النمسا لاستقلالها. لم يكن هناك اختلاف حول ذلك ، وتم الاتفاق في الحال على احالة موضوع النمسا مباشرة الى لجنة الصياغة. اما المقترحات الخاصة بألمانيا فقد أُتفق على احالتها على اللجنة التي سيكون مقرها لندن.

كان هناك متسع من الوقت لبحث موضوع آخر خاصة مسألة «إيماءات السلام» من الدول التي حاربت الى جانب المانيا (المادة ١٣) والتي تقدم ايدن بخصوصها باقتراح يلزم الدول الحليفة الثلاث بالتشاور فيما بينها بالنسبة الى أي من هذه «الايماءات» وتنسيق الرد عليها. وهذا الاقتراح أُحيل هو الآخر الى لجنة الصياغة ، التي لم تدخل عليه أي تعديل ، والفضل يعود في ذلك الى موقف ايدن التوفيقي ازاء «محاولات التقرب» التي أبدتها بعض الجماعات من دول شرق أوربا التي وقفت الى جانب المانيا.

حول هذه المحاولات رد مولوتوف بحزم قائلاً ان الاتحاد السوفييتي لا يقبل بما هو أقل من الاستسلام غير المشروط من هذه الدول ، وهو غير مستعد بأي حال من الأحوال للتفاوض معها على أي أساس آخر. وما ينطبق على هذه الدول (والمقصود بها هنا ، هنغاريا ورومانيا) ينطبق على فنلندا أيضاً. ولعل رد مولوتوف الحازم هذا يرجع بشكل جزئي الى استيائه من محاولات قام بها زعماء هذه الجماعات مع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وفي بعض الأحيان بالتعاون مع حكومات كانت لا تزال متواطئة مع دول المحور.

كانت معظم هذه الجماعات التي أشار اليها مولوتوف تنتمي الى تيارات سياسية يمينية ، لم تكن الحكومة السوفييتية ترتاح اليها. وهؤلاء في الواقع لم يفعلوا شيئاً لمعارضة المانيا عندما كان نجم هذه الأخيرة آخذاً بالصعود، أما الآن فهم يسعون الى استدرار العطف والتأييد من الحلفاء الغربيين لانقاذهم ودولهم من النتائج المترتبة على أعمالهم. ورغم ان الولايات المتحدة وبريطانيا تصرفتا بالشكل المناسب وأحاطتا الحكومة السوفييتية بتفاصيل هذه المحاولات ، إلا ان موسكو كانت تنظر الى الموضوع كله بشيء من الشك. وهو شك عززته سياسة الحلفاء الغربيين في إيطاليا.

حيث تساوموا مع الفاشست وراحوا يبحثون مع الايطاليين عن مخرج سهل للمشكلات التي وقعوا فيها نتيجة لتحالفهم مع المانيا. لذلك كانت الحكومة السوفييتية غير مستعدة للسماح لمثل هذا النمط من السلوك لأن يتكرر في مكان آخر خاصة في دول أصبحت ضمن دائرة العمليات العسكرية السوفييتية.

ربما تكون هذه الشكوك مبالغاً بها ، ولكنها في كل الأحوال كانت طبيعية. وفي رده على مولوتوف كان ايدن توفيقياً للغاية. محاولاً كل ما في وسعه تبديد شكوك موسكو. فقد قال ان الغرب يدرك تماماً موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة لمسائل يعدها غاية في الأهمية. مشيراً في الوقت ذاته الى ان الحلفاء الغربيين يحتفظون لأنفسهم باتخاذ ما يرونه مناسباً بالنسبة للسياسة المتبعة ازاء إيطاليا في أثناء العمليات العسكرية الفعلية ويقرون للاتحاد السوفييتي أيضاً ان يكون له نفس الحق في المناطق التي سرعان ما ستعمل فيها القوات المسلحة السوفييتية. وكما جرت العادة عند مناقشة المسائل ذات العلاقة بأوربا الشرقية أمام المؤتمر ، فان هول لم يتدخل. مما حدا بايدن أخيراً ان يقترح ان يجرى بحث هذه المسائل اضافة الى تلك المتعلقة بالمقاومة اليوغسلافية (المادة ١٦ على جدول الأعمال) في لقاءات ثنائية على هامش المؤتمر. ولعل هذا الاقتراح كان يعكس شعور ايدن بأن وجود هول كان محرجاً له ، وربما تمكّن في محادثات ثنائية مع مولوتوف ان يخرج بنتيجة من دون حضور وزير الخارجية الأمريكي.

إن بوسع المرء أن يرى في موقف ايدن هذا نقطة الانطلاق لما قامت به الحكومة البريطانية بعد سنة من هذا التاريخ بفتح الباب على مصراعيه أمام احتمال تقسيم جنوب شرق أوربا «كأمر واقع» الى مناطق نفوذ ، رغم ان العمليات العسكرية لم تكن قد توقفت نهائياً. ولو كانت الولايات المتحدة غير مستعدة لاستخدام نفوذها في هذه المنطقة ، فربما تكون هذه استراتيجية لابد من استطلاعها. فهل كان هذا هو ما تريده موسكو ؟ كان بوسع ايدن ان يعرف ما هو موقف السوفييت من هذا الأمر بعد المناقشة التي ستجري في اليوم التالي حول «المسؤولية المشتركة للحلفاء» في مختلف مناطق أوربا وهو الموضوع التالي على جدول الأعمال. وفي الواقع فان وزير الخارجية الأمريكي لم يحرك ساكناً أيضاً عندما طرحت الحكومة البريطانية في العام التالي فكرة تقسيم دول البلقان الى «مناطق نفوذ مؤقتة». إن الاحساس بالسخط أمر مقبول ، أما

عدم الشعور تماماً فهذا أمر صعب عندما يطالع المرء في مذكرات هول ذلك البيان الذي أدلى به بعد دخول القوات السوفييتية الى رومانيا في نيسان ١٩٤٤ والذي قال فيه بالحرف الواحد «إن علاقتنا مع الاتحاد السوفييتي ودول البلقان تحتل مكان الصدارة في دبلوماسيتنا».

في ذلك اليوم نفسه أي في الخامس والعشرين من تشرين أول سنحت الفرصة أمام هول لكي يطلع أكثر وأوضح على ما يشغل بال الاتحاد السوفييتي في هذه المرحلة. ففي ذلك اليوم وبعد الظهر التقى هول لأول مرة مع ستالين، كما أجرى محادثة شخصية قصيرة على حدة، مع مولوتوف أثناء تناول المرطبات في فترة الاستراحة ما بين الجلسات. واستغل هول المناسبتين ليكرر دعوته بأن يعمل المؤتمر على وضع الأسس للتعاون السياسي والاقتصادي في فترة ما بعد الحرب، مشيراً بشكل خاص الى الأهمية التي تعلقها واشنطن على عقد مؤتمر قمة للدول الحليفة في أسرع ما يمكن.

لم يتلقَ (هول) التشجيع المناسب لهذه الفكرة من جانب ستالين. فاختيار المكان لانعقاد قمة كهذه تشكّل عقبة كأداء في طريقه. غير ان مولوتوف طمأن (هول) من ناحية أخرى، بأنه يعتقد بوجود فرصة طيبة للاتفاق على موضوع التعاون في فترة ما بعد الحرب، وعلى تسوية القضية الألمانية، وهما الموضوعان الرئيسان اللذان أثارهما وزير الخارجية الأمريكي في اللقاءين. كذلك اغتنم مولوتوف فرصة اجتماعه على حدة مع هول، ليضغط على هذا الأخير بالنسبة لمسألة مشاركة تركيا في الحرب، موضحاً بجلاء أكثر من السابق بأن الحكومة السوفييتية تعارض تماماً استمرار تدفق السلاح الغربي على تركيا، في وقت لم يساهم فيه الأتراك بأي نصيب في الحرب ضد المانيا. وهنا عاد (هول) من جديد ليقول ان هذه مسألة عسكرية بحتة وقد أحالها بالفعل على حكومته وهي الآن تنتظر البت فيها من قبل هيئة الأركان الأمريكية المشتركة.

٢٦ تشرين أول: أوربا الشرقية (مناطق النفوذ والاتحادات المقترحة) واعلان الدول الأربع

أخيراً عكف المؤتمر في السادس والعشرين من تشرين اول على تناول

موضوع أوربا الشرقية. او بكلمة أدق لنقل ان مولوتوف وهول هما اللذان تناولا الموضوع فيما بينهما. وبموجب المادة ١١ و١٢ من جدول الأعمال عاد الرجال الثلاثة الى مناقشة الاعلان المقترح من قبل ايدن حول مناطق النفوذ والاتحادات. ولابد من التذكير هنا بأن هذا الاعلان ألزم الموقعين عليه بثلاثة مباديء رئيسة هي :

أولاً - اعادة الحريات وحق تقرير المصير للشعوب المستعبدة في أوربا.

ثانياً - تشجيع قيام مجموعات من الدول (الاتحادات) شريطة أن لا تكون مثل هذه المجموعات موجهة ضد دول أخرى.

ثالثاً - تعهد الدول الحليفة الثلاث بنبذ أية فكرة لخلق «مناطق منفصلة لممارسة المسؤوليات» أي (مناطق النفوذ) في أوربا.

ونظراً لأن المباديء التي تضمنها الاعلان تشجع بشكل عام على فكرة اقامة الاتحادات واحترام حق تقرير المصير، وهي مباديء تدافع عنها الولايات المتحدة بشدة. فقد كان من المنطقي جداً الافتراض بأنه أي الاعلان سيحظى بالتأييد الأمريكي. ولكن هول ظل مع ذلك أسير ما يؤمن به أولاً ان يتم الاتفاق على المباديء العامة لتعاون الدول الثلاث في فترة ما بعد الحرب، وثانياً انه لا ينبغي اقحام الولايات المتحدة في أية مخططات بريطانية في أوربا الشرقية، خاصة إذا كانت هذه المخططات قد تثير قلق الاتحاد السوفييتي. وأفاض (هول) بالحديث عن هذين الشرطين قبل أن يترك الكلام الى زميليه، بعد ان أعطى لمولوتوف كل ما كان هذا الأخير يحتاجه لاطلاق «رصاصة الرحمة»، للقضاء على المقترحات البريطانية. ولكن مولوتوف مع هذا أشار الى ان لدى حكومته ما تريد قوله بصدد فكرة الاتحادات المقترحة. ثم تساءل ما إذا كان (هول) يعني ان مقترحات ايدن غير جديرة بالدراسة والبحث؟ إذا كان الأمر كذلك فان الحكومة السوفييتية - والكلام لا زال لمولوتوف - راغبة في دراسة هذه المقترحات. وقد وقع هذا الكلام وقوع الصاعقة على (هول) الذي يبدو انه أحس بتأنيب الضمير، فقال في الحال «إن الولايات المتحدة تأمل بأن لايلزم المؤتمر نفسه بأي موقف مؤيد لـ «مناطق النفوذ». ويبدو ان الطريقة التي تكلم بها مولوتوف كانت مرضية. من وجهة نظر ايدن التي وجد فيها رغم سلبيتها

ما يخفف من الألم الذي اعتمل فيه نتيجة موقف زميله الأمركي. وبلهجة من الاحتجاج عاد مولوتوف ليقول «ليس لدى الحكومة السوفييتية أية نية في تقسيم أوربا الى مناطق معزولة إحداها عن الأخرى» ولكن (ايدن) كما أضاف قد ألمح انه يعد معارضة مناطق النفوذ والالتزام باحترام حق تقرير المصير أهم من أي تشجيع إيجابي لفكرة الاتحادات. وأضاف وزير الخارجية السوفييتي يقول «لو ان هذين المبدأين من الممكن تطبيقهما بشكل عملي فانه لابد بالتالي من إدراجهما ضمن بنود اعلان الدول الأربع وبذلك نعطيهما صفة التطبيق الدولي». كانت هذه نقطة معقولة ليس بوسع ايدن إلا ان يوافق عليها، فهي تنسجم وسياسة الحكومة البريطانية، ولكنه كان من المستغرب ان يتبنى مولوتوف مثل هذا الخط، سوى انه كان من الأرجح يريد أن يضع ايدن في حيرة من أمره. فهذا الأخير سيضطر الى التخلي عن الموضوع حتى لا يعقّد مهمة (هول) في العمل على اخراج الاعلان الى حيز الوجود.

عاد مولوتوف الى موضوعه الأساسي (الاتحادات المقترحة في أوربا الشرقية) عاكساً بشكل او بآخر الشكوك التي تراود الحكومة السوفييتية حول رغبة الغرب الحقيقية في تشجيع مثل هذه الاتحادات في هذه المرحلة بالذات. قال مولوتوف محاجاً «انه لامر يدعو الى الاستغراب كيف ان بمقدور حكومات تعيش في المنفى معظمها لم يأتِ عن طريق الانتخاب وليس لها إلا طبيعة مؤقتة أن تكون لها صلاحية الدخول في مشاريع كهذه. وعلاوة على ذلك فانه «إذا كانت دول المحور مثل هنغاريا وبلغاريا أو رومانيا ستدخل في اتحادات كهذه، فان الدول الحليفة ستجد نفسها ملزمة بمعاملتهم بشكل أفضل مما لو كانت دول عدوة سابقاً. هذا أمر ليس من الانصاف في شيء. وكان محور معارضة مولوتوف لقيام اتحادات من هذا النمط يقوم على الشك بأن الهدف من هذه السياسة برمتها هو اقامة حزام من الدول المعادية للاتحاد السوفييتي بمحاذاة حدوده. واعترف ايدن بعد ان أيقن ان القضية التي يدافع عنها هي قضية خاسرة، اعترف في رده ان الحجج التي أوردها مولوتوف «تستند الى بعض الأسس الواقعية». ولذلك ألمح بأن بريطانيا ستكف عن الالحاح في هذه المرحلة بالذات على تشجيع الاتحادات. وهكذا تلقت سياسة اقامة الاتحادات في أوربا الشرقية وهي السياسة التي شجعتها بريطانيا وعملت من أجل تحقيق أهدافها عبر ما يقرب من ثلاث سنوات، ضربة قاتلة في مؤتمر موسكو وبسقوط هذه السياسة

سقطت كذلك محاولات الحكومة البريطانية لتقييد يد الاتحاد السوفييتي في العمل بحرية في أوربا الشرقية.

كان هول يعلق الآمال على اعتقاده بأن الاتحاد السوفييتي سيتصرف بشكل مقبول في أوربا الشرقية وغيرها من المناطق إذا أولاه الغرب الثقة وضمن موافقته على مبدأ التعاون في مرحلة ما بعد الحرب ولعله كان يظن انه بحجبه التأييد عن زميله ايدن قد ضمن لمسعاه هذا النجاح.

انتقل المؤتمر بعد ذلك الى بحث اقتراح (هول) الرئيس ألا وهو اعلان الدول الأربع بما في ذلك موضوع مشاركة الصين في توقيع هذا الاعلان خاصة بعد ان رفع (فيشنسكي) و(هاكورث) وهما العضوان السوفييتي والأمريكي في لجنة الصياغة تقريراً الى الوزراء عن وجود اختلافات طفيفة حول صياغة الاعلان. وهنا شكك (مولوتوف) فيما إذا كان اقتراح (هول) بالحصول على تخويل من الحكومة الصينية لسفيرها في موسكو بالتوقيع على الاعلان هو اجراء عملي. وردّ هول بأن طمأن وزير الخارجية السوفييتية بأن ذلك أمر ممكن وعملي. ـ كان واضحاً ان استفسارات مولوتوف الكثيرة لها ما يبررها، بينما راح هول من جانبه يخطط لاستخدام كل القنوات الدبلوماسية لضمان وصول هذا التخويل في الوقت المناسب ـ كذلك كان واضحاً من خلال المناقشات الجارية ان قلق مولوتوف ينحصر في الآثار المحتملة لتحديد استخدام القوات العسكرية ضمن أراضي دول أخرى بمعزل عن الأغراض التي استهدفها الاعلان (المادة السادسة). كانت الولايات المتحدة قد ادخلت تعديلاً على هذه المادة بشكل جعلها تنطبق فقط على الأعمال العدائية السابقة، وأزالت منها الشرط المتعلق بموافقة الحلفاء المسبقة على استخدام القوات في أي منها بعد انتهاء الحرب وكل الذي بقي مطلوباً هو التشاور. وأدى هذا التعديل في الواقع الى جعل هذه المادة أكثر قبولاً لدى الحكومة السوفييتية، ولكن مولوتوف كان يسعى الى المزيد من الايضاحات. فبعد ان قضى على المحاولات البريطانية لتقييد حرية الاتحاد السوفييتي في العمل بحرية في أوربا الشرقية، لم يكن ليكترث بإلزام بلاده بأية مقترحات أخرى قد يكون لها نفس التأثير، خاصة على المعاهدات التي سترتبط الاتحاد السوفييتي مع دول المنطقة. بعد ذلك وجه (هول) نداءاً ملحاً الى الاتحاد السوفييتي بأن تعالج هذه المادة في اطار المفهوم العام للاعلان والموجه أساساً الى

ضمان التعاون بين الدول الحليفة الثلاث بالنسبة الى استسلام المانيا ونزع سلاحها ومن ثم العمل على صيانة الأمن والسلام. ولم يثر (مولوتوف) ملاحظات أخرى حول هذه النقطة، عاكساً بذلك عدم وجود أية شكوك له في مراميها. ولكنه مع ذلك استفسر حول بعض من مواد الاعلان الأخرى حتى يطمئن الى انها لن تؤثر عند تطبيقها على العلاقات بين الحلفاء والدول التي ليست في حالة حرب معهم (الدول المعنية من وجهة النظر السوفييتية هي بلغاريا والسويد واليابان بالطبع). ويبدوان مولوتوف كان يرى في هذه المواد ما من شأنه ان يقيد حرية الاتحاد السوفييتي في العمل في تلك الدول. وبناء على ذلك فقد وافق هول على اسقاط هذه المادة من الاعلان. وهكذا أعلن مولوتوف أخيراً ان الجميع قد وافقوا على الاعلان، واقترح تشكيل لجنة ثلاثية كما نصت على ذلك المادة الرابعة لتتولى المناقشات حول اقامة منظمة دولية. كان من الطبيعي أن يرحب هول بما أعلنه مولوتوف على انه دليل على التزام الاتحاد السوفييتي وحتى حماسه لقيام هذه المنظمة، لكنه أضاف ان المناقشات في مراحلها الأولية ينبغي أن تكون غير رسمية وذات طابع سري. وبهذه الملاحظة اختتمت الجلسة الثامنة للمؤتمر وفي الحال أرسل هول برقية الى واشنطن يطلب فيها تخويلاً امريكياً وصينياً للتوقيع على الاعلان.

هكذا كان يوم ٢٦ تشرين الأول ١٩٤٣ يوماً حاسماً بالنسبة لمؤتمر وزراء الخارجية. ويوم انجاز كبير لهول ومولوتوف في الوقت نفسه الذي كان فيه يوم هزيمة لايدن. فمولوتوف بالتعاون مع وزير الخارجية الأمريكي، أجهض سياسات بريطانيا في أوربا الشرقية وأطلق يد الاتحاد السوفييتي للعمل بحرية وعلى نطاق واسع في تلك المنطقة. وبذلك مهد الطريق أيضاً أمام اصدار اعلان الدول الأربع. وبذلك أيضاً ضمن هول تحقيق اثنين من أهدافه الرئيسة: الأول مشاركة الاتحاد السوفييتي وبريطانيا في الخطة الأمريكية للأمن في مرحلة ما بعد الحرب، والثاني الاعتراف بالصين كإحدى الدول الأربع الكبرى. ولذلك أحس الرجل بسعادة ما بعدها سعادة. أما ايدن فقد راح يحاول الحصول على أقل ما يستطيع الحصول عليه وذلك باظهار لجنة (لندن) الى حيز الوجود وتخويلها صلاحيات أكبر من تلك التي اقترحها بالأساس. على أية حال فان بوسع المرء ان يرى الآن ان حالة الاحباط ونفاذ الصبر عند ايدن في هذه المرحلة من المؤتمر كانت على أشدها. ويتضح من

مذكرات سكرتيره (هارفي) انه رغم اعتقاد ايدن بأن الجانب السياسي للمؤتمر يسير بشكل لا بأس به ، إلا انه لم يكن يكتم عدم ارتياحه من سير الأمور في لقاءاته مع اعضاء الوفد البريطاني. ووصلت الأمور في ذلك اليوم الى الحد الذي نقل فيه ايدن الى هول عدم ارتياحه مما يجري عندما التقى الرجلان في فترة الاستراحة بين الجلسات. وسواء كان ايدن مبالغاً أو غير مبالغ في قوله (في مذكراته) بأن هول كان هو الآخر غير مرتاح. إلا ان الأخير أشار على ايدن بأن ينقل رأيه هذا الى ستالين شخصياً. في نفس اليوم تَسَلَّمَ ايدن رسالة من تشرشل يبلغه فيها ان الأمور لا تسير على ما يرام في إيطاليا ، وان الأخير عازم على ان لا يدع الحملة هناك تنتهي الى الفشل لمجرد ارتباطه بتعهد بموعد القيام بعملية عبور القنال الانكليزي وانه بالتالي لابد من احاطة ستالين بضرورة تأجيل العملية شهراً أو شهرين. أضافت هذه الرسالة هماً جديداً الى رأس ايدن المثقل بالهموم ، ولكنها كانت أيضاً سبباً كافياً له لطلب مقابلة ستالين ، خاصة بعد ان بلغه ان المندوبين السوفييت نجحوا في اجتماعات اللجان الفرعية في وضع العراقيل أمام الاعلانين المقترحين من بريطانيا حول إيران. وهكذا طلب ايدن من مولوتوف أن يرتب له لقاءاً مع ستالين في أقرب وقت ممكن. وهو ما وافق عليه الأخير.

٢٧ تشرين اول : السياسة تجاه إيطاليا ، الأسطول الايطالي ، الاعلان حول المناطق المحررة ، الادارة المدنية الفرنسية ، وموعد الشروع بعملية عبور القنال.

كان من المقرر في اليوم التالي أن يعود المؤتمر الى بحث الاجراءات العسكرية اللازمة لتعزيز انتصار الحلفاء في الحرب بمقتضى المادة الأولى ـ وكان ايدن قد طلب تأجيل البحث في هذا الموضوع لمدة ٢٤ ساعة لأنه ينتظر مقابلة ستالين لاطلاعه على رغبة تشرشل في تأجيل عملية العبور وان اللقاء كان قد حُدد له مساء اليوم نفسه. رأى ايدن انه لابد من الوقوف على رد فعل ستالين ازاء هذه الانباء غير السارة قبل ان

يطرح الموضوع للنقاش أمام المؤتمر. وهكذا انتقل وزراء الخارجية الى بحث موضوع السياسة التي ستتبع تجاه إيطاليا ومشروع الاعلان السوفييتي المؤلف من سبع نقاط بهذا الخصوص والمدرج ضمن المادة الرابعة من جدول الأعمال. وكان هذا الموضوع قد بُحث بشكل تمهيدي في الجلسة الرابعة للمؤتمر التي عقدت في الثاني والعشرين من تشرين اول. وقد وجد وزيرا الخارجية البريطاني والأمريكي انه سيكون من المناسب عند استئناف البحث فيه ان يطلعا مولوتوف على آراء الجنرال آيزنهاور القائد العام لقوات الحلفاء في إيطاليا حول المباديء التي ستحكم احتلال الحلفاء لايطاليا بشكل يتناسب وتلك التي تضمنها الاعلان السوفييتي، أي بكلمة أخرى تصفية النظام الفاشستي في إيطاليا واعادة الحريات الديمقراطية واطلاق سراح السجناء السياسيين واعتقال مجرمي الحرب. اما بالنسبة الى حرية الكلام والصحافة الخ... فقد أشار الوزيران الى انها يجب ان تخضع لما تمليه طبيعة العمليات العسكرية للحلفاء من ضرورات وهذا ينطبق أيضاً على توسيع حكومة (بادوغليو) لتكون أكثر تمثيلاً من خلال تطعيمها بعناصر ليبرالية ويسارية. كذلك أشار الوزيران في مذكرتهما الى ضرورة التعجيل باحالة المقترحات السوفييتية والملاحظات التي أبدياها بشأنها الى لجنة الصياغة لكي تقرر ما إذا كان بالامكان وضع مشروع قرار متفق عليه حول إيطاليا.
على انه عندما عاد المؤتمر الى مناقشة الموضوع، كان هول حذراً للغاية في معالجته له، رغم انه كان قد تلقى موافقة روزفلت على المباديء التي تضمنها الاعلان السوفييتي. ومع ان الرئيس الأمريكي أقر بأن هذه المباديء تنسجم بشكل عام مع سياسة الحلفاء في إيطاليا، لكنه شاطر وزير خارجيته الرأي بان الاحتياجات العسكرية ينبغي ان تحكم تطبيق هذه المباديء، وان قرارات القيادة العامة لقوات الحلفاء ينبغي أن يكون لها القول الفصل في مثل هذه المسائل. وهكذا فعندما تكلم هول في الجلسة لم يكن حاسماً بشكل أحس معه مولوتوف بأن الاعلان المقترح من جانبه ربما سينظر اليه على انه انعكاس لسياسة الحلفاء في هذه المرحلة. وفي الوقت الذي لم يوافق فيه روزفلت على اعتبار السياسة الانكلو ـ امريكية منسجمة مع الاعلان السوفييتي فانه أكد بلهجة دبلوماسية انه ليس لدى الاتحاد السوفييتي النية في تقويم سياسة قائمة ومعمول بها بالفعل، وكل الذي اقترحه هنا هو اصدار مشروع قرار حول الموضوع يتضمن مباديء متفق عليها فعلاً. عندها وافق ايدن وهول على احالة الوثائق الى لجنة الصياغة لاعداد مشروع القرار.

عاد مولوتوف بعد ذلك فكرر مطالبة الحكومة السوفييتية بجزء من الأسطول الايطالي الحربي والتجاري على شكل تعويضات عن أضرار الحرب. لكن هول أبدى نوعاً من الممانعة وكان معذوراً في ذلك فهو قد تسلم للتو برقية من روزفلت يشير فيها عليه بأن لا يلزم الولايات المتحدة بالاستجابة لطلبات من هذا النوع دون أن يكون لهول أية فكرة عن الدافع وراء برقية روزفلت. كان هول في الواقع شأنه شأن ايدن متعاطفاً مع الطلب السوفييتي. وفي نفس ذلك اليوم أبرق ايدن الى الحكومة البريطانية طالباً إياها أن تبدي موقفاً متعاطفاً مع الطلب السوفييتي، مما سيساعده هو شخصياً في احراز تقدم في مفاوضاته مع الروس، ولكن الجواب الذي وصله لم يكن كما يتوقع فقد كانت هناك معارضة من الحكومة البريطانية وبخاصة من الوزراء الذين كانوا يسعون للابقاء على ما تبقى من الأسطول الايطالي في خدمة الحلفاء الغربيين الذين كانوا بأمس الحاجة اليه. على ان الجواب تضمن أيضاً اقتراحاً من تشرشل بأن يُعالَج هذا الموضوع في مؤتمر لرؤساء حكومات الدول الحليفة. غير ان ايدن بالاتفاق مع هول قررا عدم البوح في هذه المرحلة من المناقشات بمعارضة حكومتيهما، واكتفيا بالقول خلال سير المناقشات بأنهما لم يتلقيا بعد توجيهات محددة من عاصمتيهما بشأن هذا الطلب. في هذه الأثناء يبدو ان مولوتوف أحس بأن وزيري الخارجية الغربيين كانا يضغطان من أجل احراز تقدم بالنسبة للمقترحات التي تقدما بها رغم انهما كانا أقل استعداداً للعطاء بالنسبة للمطالب والمقترحات السوفييتية. وقد كانت خيبة أمله واضحة في حديثه في الجلسات اللاحقة. على أية حال لم يعلق مولوتوف بشيء على

مسألة وضع حركات المقاومة في دول البلقان التي تضمنتها المادة الرابعة واكتفى بتوزيع وثيقة تتضمن المعلومات المتوفرة لدى الاتحاد السوفييتي حتى هذا الوقت عن الموقف في بعض هذه الدول وبخاصة بلغاريا. كانت اللهجة العامة للوثيقة تستند الى التأكيد بأن البلغاريين عموماً يرغبون في الخروج من الحرب، غير ان المجموعات السياسية المسيطرة في بلغاريا لم تكن مستعدة للمجازفة بذلك. وهذه المجموعات شأنها شأن مثيلات لها في رومانيا وهنغاريا رغم تعاونها مع الألمان، إلا انها كانت تحاول طمأنة الحلفاء بأن تعاونها هذا قد فُرض عليها فرضاً. والواقع ان ما جاء في هذه الوثيقة كان ينطبق الى حد ما على واقع الحال في إيطاليا. فقد كانت حكومة (بادوغليو) تتذرع بالحجة إياها أيضاً.

على أية حال لم تجرِ مناقشة هذه الوثيقة بل انتقل الوزراء الى المادة الرابعة عشرة ، وهي الاعلان المقترح من ايدن حول سياسة الحلفاء في المناطق المحررة. وكان هذا الاعلان بمثابة محاولة أخرى من ايدن لحمل الحكومة السوفييتية على القبول ببعض المباديء التي من شأنها ان تحكم سياسة الاتحاد السوفييتي في المناطق التي تحتلها او ستحتلها القوات السوفييتية ، رغم ان هذا الاعلان لم ينطوي على اشارة دقيقة الى الشروط التي يريدها ايدن لمثل هذه السياسة ولكنه مع ذلك كان واضحاً بما فيه الكفاية بقدر تعلق الأمر بهذه النقطة.

كان أمام المؤتمر أيضاً وثيقة تلزم الحلفاء بشكل محدد بالعمل على اعادة الديمقراطية في فرنسا وهي من أكثرالدول التي ستَحر في أوربا الغربية، وبموجب هذه الوثيقة أيضاً يلتزم الحلفاء بمباديء شبيهة لتلك التي تعهدوا باحترامها في دول المحور الرئيسة (المانيا وإيطاليا). لذلك كان واضحاً ان وقع هذا التعهد سيكون له نفس القوة عند تطبيقه على دول أصغر حجماً وأهمية في أوربا الغربية والشرقية على حد سواء. ولابد من ان نذكر هنا ان اعلاناً سابقاً من هذا النوع كان قد سُحب من المناقشة بوجه معارضة سوفييتية قوية ، رغم انه كان قد حظي بموافقة مسبقة من الولايات المتحدة وبريطانيا. لقد تضمن ذلك الاعلان مطالبة الدول الحليفة الثلاث بأن تقبل بشكل عام بمبدأ اعادة الحكومات المدنية في الدول المُحرَرة ، وعند عدم وجود حكومة كهذه فعلى الأقل يكون هناك تعهد باجراء انتخابات حرة في أسرع ما يمكن للاتيان بحكومات منتَخَبة ، وقد أشار ايدن في هذا الصدد الى دول أوربية صغيرة كالنرويج وهولندا وبلجيكا ، رغم انه كان من الواضح ان ما يدور في ذهنه هي حالات أصعب وأشمل وبعبارة أدق فقد كان يعني دولاً مثل بولندا ويوغسلافيا وربما جيكوسلوفاكيا. ولما كان ايدن يدرك انه سوف لن يحظى إلا بتأييد هزيل من هول إذا ما عاد الى طرح الموضوع فقد اعترف أخيراً بأن الفرصة غير مواتية لاصدار اعلان كهذا متفق عليه من قبل المؤتمر واقترح بدلاً من ذلك ان تطرح المقترحات البريطانية على اللجنة الاستشارية الأوربية وهو ما أيده ايدن في الحال قائلاً انه ليس لدى المؤتمر متسع من الوقت لمعالجة هذه النقطة. عند هذه الملاحظة وبسببها اشتكى ايدن من ان المقترحات البريطانية قُدمت منذ الخامس عشر من أيلول الماضي. ولهذا فانه كان أمام وزير الخارجية الأمريكي الوقت الكافي لو رغب حقاً في معالجتها. على

أية حال وجد ايدن رغم المرارة التي أحس بها من موقف زميله الأمريكي ، انه لا فائدة تُرجى من متابعة النقاش والأخذ والرد ، خاصة وان مولوتوف قد وافق هو الآخر على إحالة المقترحات الى اللجنة الاستشارية الأوربية ، وباختصار فقد كانت هذه هزيمة أخرى لايدن وخرق جديد لفحوى التحالف الانكلو ـ امريكي .

خلال فترة الاستراحة راح هول ومولوتوف يتبادلان على حدة الأحاديث في جو من الود الى درجة جعلت وزير الخارجية الأمريكي يقول لأعضاء وفده فيما بعد «انه وجد الروس أكثر وداً مما كان يتوقع» . وقد كان لدى هول بالتأكيد سبب معقول في اعتقاده هذا .

خلال تلك المحادثة ألمح هول الى محدثه انه من المفروض ان يغادر موسكو في ظرف أربعة أيام وهو ما أبلغه لايدن في اليوم السابق .

عندما أُستؤنفت المحادثات تم الاتفاق على تشكيل لجنة متفرعة عن لجنة الصياغة تضم كلاً من (هاكورث) ممثلاً للوفد الأمريكي و(فيشنسكي) ممثلاً للوفد السوفييتي و(سترانغ) ممثلاً للوفد البريطاني للتعجيل باعداد القرارات المتفق بشأنها .

وفي الجلسة الأخيرة لذلك اليوم عاد المؤتمر ولكن بشكل موجز الى مناقشة موضوع اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والوثيقة الانكلو ـ أمريكية بشأن الادارة المدنية في المناطق المحررة من فرنسا . كان (ايدن) في هذه الجلسة توفيقياً ودبلوماسياً أكثر من أي وقت مضى إدراكاً منه بأن الأمريكان قد قدموا من التنازلات ما يكفي ، بالنسبة الى هذا الموضوع ، فقد أكد أولاً ان اللجنة الفرنسية هي ليست (الحكومة الفرنسية المعترف بها) وان تلك الوثيقة ستلزم الحلفاء في نهاية المطاف باقامة سلطة ديمقراطية يتم انتخابها بالاختيار الحر للشعب الفرنسي . ولم ينبس (هول) ببنت شفة باستثناء انه أومأ برأسه موافقاً . لكن مولوتوف بقصد أو بدون قصد راح يعمل كمن يريد ان يعمّق الجرح بطرحه سيلاً من الأسئلة عمن ستتألف منهم الادارة المدنية الفرنسية وما إذا كان هؤلاء سيخضعون لموافقة القيادة العامة لقوات الحلفاء وما إذا كان الغربيون سيوفون بوعدهم بتصفية نظام (فيشي) وأخيراً راح يسأل «ما هي بالضبط (الموازنة) التي ستعمل قيادة قوات الحلفاء على الابقاء عليها بين كل الفئات الموالية للحلفاء؟» . وبهذا السؤال الأخير يبدو ان مولوتوف وضع اصبعه على ما كان يعتقد انه محاولة لحفظ ماء وجه (هول) .

وبطريقة دبلوماسية لبقة رد ايدن بقوله «أفضل موازنة يمكن ان نحصل عليها». على أية حال تم الاتفاق على ان اللجنة الاستشارية الأوربية هي أفضل هيئة يمكن ان تتفاوض مع اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني. وهكذا فقد أحيل الموضوع اليها. ربما كانت هذه أفضل لحظة من مناقشات ذلك اليوم بالنسبة لايدن، فهي برأيه تمثل تتويجاً ناجحاً لجهد دؤوب بذلته بريطانيا بالنيابة عن الجنرال ديغول بوجه معارضة قوية من الولايات المتحدة.

لم يكن عمل ايدن لذلك اليوم قد انتهى بعد، ففي المساء توجه برفقة الجنرال (اسماي) لمقابلة ستالين، وهي مقابلة لم يكن الرجلان يتوقعان لها أن تكون أفضل حظاً من مقابلتهما الأولى للزعيم السوفييتي. غير انه ولدهشتهما وجدا ستالين صاغياً، ودوداً وصبوراً. عندما راحا يشرحان له المشكلات التي وقع فيها الحلفاء في إيطاليا والنتائج المحتملة لعملية عبور القنال. كان جوابه معقولاً جداً فقد اقترح ان يختار الحلفاء الغربيون بين عملية العبور أو القيام بعملية عسكرية واسعة لاجتياح إيطاليا، ومنها ينطلق الهجوم الرئيس على المانيا. ولكن (ايدن) أجاب بقوله انه سيترتب على عملية كهذه ان تجتاز القوات المهاجمة جبال الألب الوعرة مما قد يعيق سير العمليات العسكرية. عاد ستالين ليعرض بديلاً آخر «تحقيق أهداف محدودة في إيطاليا كمرحلة أولى، ومن ثم التركيز على عملية عبور القنال». ولكنه اعترف في ذات الوقت بأن الحملة على إيطاليا ذات أهمية قصوى، لأنها ستؤدي الى عزل أربعين فرقة عسكرية المانية في إيطاليا ودول البلقان. رد ايدن بقوله «إن تحقيق أهداف محدودة في إيطاليا هو بحد ذاته محور استراتيجية الحلفاء الذين يهدفون الى الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) الى الشمال من روما على مقربة من وادي (البو). أما بالنسبة الى تأخير عملية عبور القنال، فقد طمأن ايدن الزعيم السوفييتي بأنه سيكون أقل تأخير ممكن (شهراً أو شهرين). وانتقل ايدن بعد هذا الى موضوع اجتماع رؤساء حكومات الدول الحليفة. وقبل ان يدخل في التفاصيل، اقترح ستالين أن يمثله مولوتوف في مؤتمر كهذا كنائبه ووزير خارجيته ومبعوثه الخاص. وكان اقتراح ستالين هذا مصداقاً لرأي سبق للسفارة الأمريكية أن ضمنته في تقرير مُرسَل الى واشنطن من ان العبء الأكبر في توجيه العمليات العسكرية السوفييتية الكبرى يقع على عاتق ستالين ولهذا فمن المرجّح أن لا يكون بمقدوره حضور لقاء القمة شخصياً.

في نهاية اللقاء عرج الرجلان على استعراض مدى التقدم في أعمال المؤتمر وقد استغل ايدن الفرصة للاعراب عن رأيه بأن المؤتمر يسير سيراً بطيئاً ، وانه يريد أن يرى قرارات نهائية وقاطعة حول الموضوعات المطروحة للبحث في ظرف أسبوع من الآن إن أمكن.

تلقى ستالين طلب ايدن بروح من المجاملة ووعد بأنه سيبحث الأمر مع مولوتوف ثم غادر ايدن قاعة الاجتماع. غير ان البُطء في سير أعمال المؤتمر استمر كما هو في اليوم التالي والذي بعده.

انعكس شعور ايدن بالارتياح من النتائج المحتَملة للأحداث بعد احالة الكثير من المقترحات الى اللجنة الاستشارية الأوربية ، انعكس في التقرير الذي بعثه الى تشرشل في اليوم التالي. جاء في تقرير ايدن (كما يقول تشرشل في مذكراته) انه وجد في الروس الرغبة في اقامة صداقة دائمة مع الغرب ، وقد التقت وجهات نظرنا في العديد من النقاط. في هذا الجو (الحافل بالانسجام) اقترح ايدن على تشرشل أن يبدي هذا الأخير دليلاً على حسن النوايا تجاه موسكو خاصة ازاء مطالبة الاتحاد السوفييتي ببعض القطع البحرية الايطالية ورجا تشرشل ان يخوله على الأقل صلاحية القول بأن بريطانيا توافق على الطلب من حيث المبدأ ، وان التفاصيل يمكن ان تبحث لاحقاً.

وكما أسلفنا لم يكن رد تشرشل مرضياً لايدن. الغريب في أمر هذا الرجل (ايدن) انه على الرغم من كل الانتكاسات التي ألمت به ، فان التقارير التي رفعها الى لندن لم تخلُ من نغمة الارتياح والثقة.

٢٨ تشرين اول: عودة الى المسائل العسكرية ، عملية عبور القنال ، تركيا والسويد

في اليوم التالي ، وهو اليوم العاشر من المؤتمر ، عاد الوزراء الى بحث المسائل العسكرية التي أُثيرت ضمن المادة الأولى. ويبدو انه بفعل الملاحظات التي أبداها ايدن في لقائه في الليلة الفائتة مع ستالين ، فان الوفد السوفييتي بدأ الجلسة بالتأكيد

على أهمية ما اُتفق عليه في اجتماع كويبك (بين روزفلت وتشرشل) من ان مخطط عملية عبور القنال الانكليزي لا يـزال قائـماً وان الظروف المتعلقـة بحجم الفرق العسكرية الألمانية يجب أن لا تُعطى من الجدية أكثر مما تستحقه. وبعد ان اطمأن مولوتوف الى التأكيدات التي سمعها على لسان هول وايدن بهذا الخصوص ، بدا وكأنه شعر ان ليس لديه ما يضيفه باستثناء الطلب بأن تدرج البيانات التي أدلى بها الوزيران الغـربيان في البـروتوكـول الذي سيصـدر عن المؤتمر جنبـاً الى جنب مع القرارات المعلنة. عاد ايدن ليقول «انني واثق تماماً ان بوسعنـا الاتفاق عـلى بيان يتضمن القرارات كجزء من وثائق المؤتمر». بعد هذا انتقل الوزراء الى المقترحات السوفييتية حول «تقصير أمد الحرب». وقد كان واضحاً في نهاية المناقشات حول هذا الموضوع ان الوفد السوفييتي لم يكن يشعر بالارتياح.

إذا كان ايدن وربما هول قد نفد صبرهما من التقدم البطيء في الوصول الى قرارات حول القضايا الأكثر إلحاحاً ، فلابد لكي نكون منصفين ان نذكر في هذا السياق ، ان الروس انتظروا أسبوعاً كاملاً لكي ترد حكومتا واشنطن ولندن على اقتراحهم بحمل تركيا على دخول الحرب. وعندما وصل الرد كان مخيباً للآمال ، خاصة الأمريكي منهما الذي كان مفرطاً في السلبية بربطه موضوع المباشرة بعملية العبور بموافقة هيئة الأركان الأمريكيـة المشتركـة (أعلى سلطة لاتخـاذ القرارات في القوات المسلحة الأمريكية). أما رد ايدن الذي عكس بالطبع موقف تشرشل فقد كان أكثر تعاطفاً مع وجهة النظر السوفييتية ، عندما سرد المزايا التي يمكن ان يجنيها الحلفاء من دخول تركيا الحرب ومن بينها فتح مضيق الدردنيل امام الأساطيل الحليفة وارغام الألمان على دفع قسم كبير من قواتهم باتجاه الحدود التركية واستخدام القواعد الجوية في تركيا للقيام بعمليات استطلاع فوق منطقة بحر إيجه.

لكن ايدن كان يدرك انه مقابل هذه الامتيازات فان الأتراك سوف يطلبون من السلاح والمساعدات ما لا يمكن للحلفاء أن يوفروه لهم في هذه الظروف بالذات. على ان (هول) إرتأى من ناحيته أن تدخل تركيا الحرب على مراحل. تبدأ الأولى بالطلب اليهم السماح للحلفاء باستخدام قواعدهم الجوية ، وبعبارة أدق فان موقف تركيا في حالة كهـذه سيكون ممـاثلاً لمـوقف مصر ، التي كـانت ذات فائـدة كبيرة للحلفاء ، ثم يصار بعد ذلك وعندما تصبح الأمور أكثر ملاءمة من وجهة النـظر

العسكرية دعوة تركيا الى دخول الحرب ضد المانيا.

أصبح واضحاً ان مولوتوف لم يكن مرتاحاً لهذا الرد خاصة وان استجابة ايدن من قبل لفكرة الطلب الى السويد بأن تسمح للحلفاء باستخدام قواعدها الجوية لم تكن بأقل سلبية من الرد الأمريكي.

وكانت حجة وزير الخارجية الأمريكي تقوم على أساس ان هذه القواعد لن تقدم مساهمة كبيرة في دعم المجهود الجوي للحلفاء. عاد مولوتوف ليؤكد انه بالامكان جرّ تركيا الى الحرب إذا ما مارست الدول الحليفة الثلاث ضغوطاً شديدة عليها قائلاً ان هذا سيكون من مصلحة الحلفاء وتركيا في آن واحد. ولكن هذه الدعوة وكذلك الاقتراح بمطالبة السويد السماح باستخدام قواعدها الجوية من قبل الحلفاء لم تلقَ موافقة تذكر من الانكليز والأمريكان. وأضاف مولوتوف «مهما يكن الحال فطالما ظلت تركيا بعيدة عن الحرب، فانه يترتب على الحلفاء الغربيين ان يوقفوا تزويدها بالسلاح متسائلاً «إذا كان الأتراك لن يستخدموا هذا السلاح ضد المانيا فبوجه من سيشهرونه يا ترى؟ «كان تساؤلاً ذكياً من مولوتوف، حاول ايدن تفادي الرد عليه بالقول ان الغرب سيفي بالوعود التي سبق وان قطعها لتركيا فحسب.

عاد مولوتوف أخيراً ليسأل ما إذا كان لدى الوفدين الأمريكي أو البريطاني أية مقترحات يضيفانها حول تقصير أمد الحرب. او الاتيان بأفكار جديدة طالما ان المقترحات السوفييتية لم ترق لهم كما يظهر. رد (هول) بأن جدد المقترحات الأمريكية حول تطوير التعاون في المجالات العسكرية بما في ذلك القيام بمهمات جوية مشتركة وتبادل المعلومات وتحسين وسائل الاتصال وتوثيق التعاون بين هيئات الأركان، وهي أمور قال ان من شأنها ان تسهم في التعجيل بنهاية الحرب رد مولوتوف بشيء من الانفعال «كل الذي تفضلت به ممتاز جداً. لكنه ليس من صلب الموضوع الذي نحن بصدده». ولما اتضح ان مزيداً من النقاش لن يكون مجدياً اقترح وزير الخارجية السوفييتية تأجيل البحث الى اليوم التالي.

لعل من المفيد أن نذكر هنا ان حقيقة مهمة غابت عن ذهن مولوتوف. وهي ان رؤساء الأركان الأمريكيين ساعدوا في تحقيق الأهداف السوفييتية بمعارضتهم اقحام تركيا في الحرب. فقد كان من مصلحة الاتحاد السوفييتي من وجهة النظر

العسكرية ، أن يركز الحلفاء الغربيون جهودهم في إيطاليا وعلى عملية العبور حتى ينصرف هو الى تركيز جهوده في أوربا الشرقية بدلاً من أن يصب جام غضبه على تركيا. وربما أدرك ستالين ومولوتوف هذه الحقيقة أخيراً ولعل هذا الادراك انعكس بحضور جميع أعضاء الوفد السوفييتي الى مأدبة العشاء التي أقيمت في السفارة البريطانية مساء ذلك اليوم وفي حفلة الاستقبال التي أقامتها السفارة الأمريكية في مساء اليوم التالي.

وخلال الأحاديث التي دارت بين أعضاء الوفود في حفلة السفارة البريطانية كشف أحد أعضاء الوفد السوفييتي النقاب عن عمق العداء الذي يكنه الاتحاد السوفييتي للحكومة البولندية في المنفى والموجودة في لندن ، فقد اتهم عضو الوفد (ليفتينوف) البولنديين بأنهم هم الذين ناصبوا موسكو العداء وانه ما لم يعتذروا عن البيانات العدائية التي سبق وان وجهوها ضد الاتحاد السوفييتي فان هذا الأخير لن يغير موقفه تجاههم.

٢٩ تشرين اول: شروط العضوية في اللجنة الاستشارية الأوربية والمجلس الاستشاري الايطالي ، التعاون الاقتصادي بعد الحرب ، التعويضات ، بولندا ، اعلان الدول الأربع ومسألة البحرية الايطالية.

يبدو ان ملاحظات (ليفتينوف) كانت مؤقتة لتعكير جو المؤتمر خاصة وانها قيلت عشية الجلسة المخصصة لبحث العلاقات البولندية ـ السوفييتية.

على أية حال بدأت جلسة اليوم بدراسة التقارير المرفوعة من لجنة الصياغة حول الخلافات التي برزت بالنسبة لتشكيل اللجنتين العسكرية والسياسية. وحول هذين الموضوعين وجد ايدن نفسه واقفاً بمفرده أمام معارضة امريكية ـ سوفييتية موحدة. بدأ وزير الخارجية البريطاني كلامه بالقول ان الصعوبة المتعلقة بعضوية اللجنة الاستشارية الايطالية نشأت من الاضطراب في الآراء حول اللجنة السياسية / العسكرية التي أُقترحت في الأصل وبين اللجنة المقترحة الجديدة. والواقع ان ايدن نفسه كان مسؤولاً عن هذا الاضطراب من خلال المقترحات

العديدة التي قدمها بشأن الموضوع. ثم أضاف ان معارضة روزفلت في اللحظة الأخيرة لعضوية فرنسا الكاملة في اللجنة يجب ان يُنظر اليها على انها تنطبق أيضاً على موضوع عضوية فرنسا في اللجنة التي سيكون مقرها لندن. أما بالنسبة لليوغسلاف واليونانيين فان المعاناة التي عانوها على أيدي الايطاليين الفاشست ومساهمتهم في الحرب الى جانب المانيا كافية لأن تؤهلهم لعضوية اللجنة. لم يكن بوسع هول إلا ان يوافق بأن رسائل روزفلت حول هذا الموضوع اقتصرت على الاشارة الى اللجنة التي اقترح تشكيلها في الأصل ولكن مما قد لا يساعد ايدن في مسعاه ان معارضة رؤساء هيئة الأركان الأمريكية المشتركة كانت تنطبق أيضاً على العضوية في المجلس الاستشاري الايطالي. واستشهد (ايدن) في رده على هذا القول بان الجنرال آيزنهاور القائد العام للقوات الحليفة (وهو أكثر اطلاعاً من غيره من رؤساء الأركان على الموضوعات العسكرية للدول الحليفة)، كان قد وافق بالفعل على ضم اليوغسلاف واليونان الى عضوية اللجنة. هذا الكلام أراح مولوتوف الذي لم يتدخل في النقاش وإنما ترك وزير الخارجية الأمريكي نفسه يرد بقوله انه يقترح إذن احالة الموضوع الى لجنة الصياغة التابعة للمؤتمر.

كذلك تضاربت المواقف البريطانية والسوفييتية مجدداً عندما طُرح موضوع العضوية في لجنة لندن للنقاش. وكان الموقف البريطاني الذي كان هذه المرة متفقاً مع الموقف الأمريكي، يقوم على اعتبار لجنة لندن لجنة ثلاثية وان عضويتها ينبغي ان تكون من الدول الحليفة الثلاث فحسب، وإلا فان كل الحكومات العاملة في المنفى ستريد من يمثلها فيها. كان هذا يشكّل تناقضاً مع تأييد ايدن لعضوية الفرنسيين واليوغسلاف واليونانيين في هذه اللجنة. هنا تدخل مولوتوف في النقاش ليذكّر ايدن بأن مقترح الحكومة البريطانية الأصلي الذي طُرح في الأول من تموز من ذلك العام حول تشكيل لجنة تابعة للأمم المتحدة تختص بالشؤون الأوربية لم يستبعد عضوية الدول الصغيرة ولذلك فان من شأن هذا المقترح أن يجعل حجم العضوية في هذه اللجنة دونما حدود. وهنا وجد ايدن انه يقف على أرضية صلبة فنهض ليقول «ولكن المؤتمر نفسه هو الذي عد هذه العضوية بحد ذاتها سياسة قائمة بذاتها ازاء المناطق المحررة.» على أية حال فان ايدن أشار الى استعداده للقبول بصيغة ما، شريطة ان تركّز هذه الصيغة على المهمة الأساسية للجنة ألا وهي «المسائل التي من شأنها

التعجيل بانتهاء الحرب». تدخل مولوتوف ثانية ليقول «إن هذا كان محور الاقتراح البريطاني الذي قدم في الأول من تموز» ولما وجد ان ايدن لم يعقب بشيء اقترح مولوتوف (وقد قبل تنازل وزير الخارجية البريطاني عن موقفه) أن يحال الموضوع المتعلق بالعضوية الى لجنة الصياغة مع توصية بأن يتم الاتفاق على صيغة حل وسط. (في هذه المرحلة يمكن القول ان اتفاقاً وسطاً قد تم بالفعل الوصول اليه ذلك ان ممثلي بريطانيا في لجنة الصياغة وافقوا على انه من الممكن دعوة الحكومات الحليفة الأخرى الى مناقشات لجنة لندن لمسائل تخصهم بالذات). ثم وافق ممثلو الاتحاد السوفييتي في لجنة الصياغة من جانبهم على ان تكون المهمة الأولى للجنة لندن هي وضع شروط استسلام العدو ومن ثم توسيع حجم اختصاصها ليشمل دراسة موضوعات أخرى. ظهر ايدن في فترة الاستراحة بين الجلستين الصباحية والمسائية ذلك اليوم كالمثخن بالجراح دون ان يحني هامته كما وصفه الجنرال هنيلي في مذكراته. فصحيح انه تعرض لضغوط شديدة، ولكنه مع ذلك لم يتزحزح عن موقفه، اعتقاداً منه كما يبدو، بأن الفرصة لا تزال مواتية لأن يأخذ الآخرون برأيه حول تشكيلة اللجنة وشروط العضوية، في آخر المطاف. وبهذا الموقف فقد أظهر ايدن من الكفاءة ما جعل أحد زملائه في الحكومة البريطانية يصفه فيما بعد بأنه «المقاتل الذي لا يكل عن المنازلة في أسوأ الظروف».

في هذا الوقت بالذات كان هول ومولوتوف يعكسان من خلال حديثهما في فترة الاستراحة «ارتياحهما» لنتائج مناقشات الجلسة الصباحية «ولكل منهما بالطبع سببه الخاص لهذا الارتياح» وانهما في هذه المسألة وتلك يتفقان الى حد ما في وجهات النظر لولا «هذا البريطاني ذو المواقف الغريبة».

بعد فترة الاستراحة عاد المؤتمر الى بحث المادة (١٥) من جدول الأعمال والتي اشتملت على كل المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصادي في مرحلة ما بعد الحرب بما في ذلك إعمار ما تركته الحرب من دمار. وفي خلال المناقشة عرض هول المقترحات الأمريكية بهذا الخصوص مبدياً استعداد حكومته لتقديم المساعدات الاقتصادية والمالية اللازمة، وكذلك اقتراحاته حول مسألة تعويضات الحرب، مشيراً الى ان الحكومة الأمريكية والحكومات الحليفة الأخرى يجب ان تستفيد من دروس الفشل

التي أعقبت الحرب العالمية الأولى في معالجة مشكلات مشابهة ومؤكدا أيضا ان واشنطن تريد اعطاء هذه الموضوعات أقصى ما تستحقه من جدية.

اتسمت المناقشة التي جرت فيما بعد بأنها كانت ودية لكنها لم تكن مثمرة كما أرادها هول. وكما كان متوقعاً فقد كان مولوتوف أكثر المرحبين بمسألة المساعدات الأمريكية لإعمار ما خربته الحرب. حيث أكد على ضرورة فتح باب المفاوضات مع واشنطن حول مساعدات اقتصادية طويلة الأجل للدول الأخرى. لكن مولوتوف لم يكن متحمساً من جهة ثانية لاقتراح الولايات المتحدة باقامة وكالة دولية للاقراض يناط بها تقديم المساعدات المذكورة.

وقد قال وزير الخارجية السوفييتية في هذا السياق انه رغم كون الاتحاد السوفييتي مستعداً للقبول بـ «المباديء العامة» التي تضمنها هذا الاقتراح وتلك المقترحات التي تدعو الى اقامة هيئات متخصصة للتعاون الدولي، ولكنه لا يفضل ان تجري مفاوضات فورية بشأنها، ذلك ان حكومات الدول المعنية بالمساعدات ينبغي ان تستشار في الأمر ويكون لها ما تقوله فيه. ولكنه قبل على أية حال باقتراح من هول بأن يصار الى عقد مؤتمر دولي لبحث المسائل المتعلقة بالمساعدات الاقتصادية.

أما فيما يتعلق برد الاتحاد السوفييتي على المقترحات الغربية الخاصة بتعويضات الحرب فقد أظهر اختلافات كبيرة في الرأي مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة. وهنا لابد أن نكون منصفين أيضاً، ذلك ان الاتحاد السوفييتي تحمل من أوزار الحرب ودمارها ما لم يتحمله أي بلد آخر، ولذلك فان حجم التعويضات التي يطلبها بالتأكيد أكبر بكثير من تلك التي تطالب بها دول لم تعانِ من ويلات الحرب إلا الشيء اليسير نسبياً.

كذلك لم يكن مستغرباً ان الاتحاد السوفييتي وجد من الصعب عليه ان ينظر الى موضوع التعويضات من الزاوية (الموضوعية) التي تنظر بها الولايات المتحدة من خلال مذكرتها الى المؤتمر والتي أكدت على ان هذه التعويضات لا ينبغي ان تتم على حساب تخفيض المستويات المعاشية للشعب الألماني أو ان تكون من الضخامة بدرجة تؤدي الى عرقلة الانتعاش الاقتصادي الأوربي بوجه عام. ولهذا السبب فقد عارض الوفد السوفييتي تشكيل أية لجان حول التعويضات ما لم يتم الاتفاق أولاً بين الدول الثلاث على المباديء العامة.

من خلال وقوفي على الوثائق البريطانية لهذه المرحلة من المؤتمر اتضح ان مولوتوف ربط بين مسألة المستويات المعاشية للشعب الألماني والمستويات المعاشية للشعوب التي وقعت ضحية لألمانيا النازية ، مؤكداً ان الألمان ومن ساندهم من دول المحور ينبغي أن يدفعوا التعويضات بصرف النظر عما سيترتب على ذلك من هبوط في أوضاعهم الاقتصادية. وهنا عاد هول ليطمئن زميله مولوتوف بأن الولايات المتحدة ستأخذ ذلك بعين الاعتبار وهكذا انتقل المؤتمر بعد ذلك الى بحث المقترحات الاقتصادية الأمريكية.

في هذه المرحلة من النقاش فاجأ (هول) المؤتمرين بطرحه موضوعاً لم يكن مدرجاً على جدول الأعمال حينما تقدم بمذكرة حول المباديء التي ينبغي ان تحكم ادارة المناطق المستعمَرة. وتدعو هذه المذكرة الى اصدار اعلان يتضمن مطالبة الدول الحليفة للسلطات التي تتولى ادارة هذه المناطق بالعمل على إعداد تلك المستعمرات لحكم نفسها بنفسها وتحديد مواعيد لاستقلالها في أسرع وقت ممكن وان تأخذ السياسات الاقتصادية المتبعة في هذه المناطق مصالح شعوبها قبل أي اعتبار آخر. هذه المباديء التي تضمنتها الوثيقة الأمريكية كانت في الواقع منسجمة مع ما ينادي به الكثير من السياسيين الانكليز بما فيهم (ايدن) نفسه ، ولكن طرح وثيقة كهذه على المؤتمر دون سابق انذار وعلى هذا النحو بدا لايدن ، على انه عمل يفتقر الى الذوق. كانت هذه الأفكار الأمريكية نفسها قد نقلت الى ايدن لأول مرة في آذار من ذلك العام ، وفي حينه رُفضت على انها «غير مقبولة للحكومة البريطانية بشكلها الحالي». ولكن هول مع ذلك نقل هذه الأفكار الى الحكومة السوفييتية في الرابع والعشرين من تشرين اول ، دون ان يتشاور مع ايدن مقدماً كما يظهر ، رغم ان الأخير كان قد ذكَّر هول ثانية بمعارضته لها. وعندما بلغت الأمور الى الحد الذي طرح فيه هول المذكرة على المؤتمر ، انزعج ايدن كثيراً لما اعتبره تجاهلاً لآراء بريطانيا فيما يتعلق باراضي كانت المذكرة بالتأكيد تريد ان تقول «انها المستعمرات البريطانية فيما وراء البحار». ولذلك رد ايدن بقوله انه غير مستعد لمناقشة الموضوع وان حكومته تختلف مع وزير الخارجية الأمريكي فيما طرحه. وبحذر وبشيء من اللباقة تدخل مولوتوف في النقاش قائلاً انه يفضل ان يدرس الموضوع بعناية أكبر. ثم انتقل الجميع الى المادة التالية.

في هذا الوقت كان ايدن يفكر في «اللهجة الغاضبة» التي قد يستخدمها تشرشل في برقية يبعث بها الى واشنطن لو ان هذا الموضوع لم ينته عند هذا الحد. وعلى أية حال كان من الواضح في طرح هول لموضوع المستعمرات انه يريد ان يزجر (ايدن) ويغيضه عن عمد.

كان موضوع تصفية الاستعمار بالنسبة للولايات المتحدة مسألة تحظى بالاحترام لكن طرحها بهذا الشكل وفي هذا الوقت (من وجهة نظر بريطانيا) بعيد عن الذوق ولا يمكن ان يؤدي الى نتائج، علاوة على انه ساهم في إضعاف موقف ايدن من مسألة بولندا وهي المادة القادمة على جدول الأعمال.

حينما شرع الوزراء ببحث هذه المادة ضمن البند المتعلق بالعلاقات السوفييتية البولندية حث ايدن الجانبين على وضع حد للانشقاق القائم بينهما، واصفاً أياه بأنه يعد خرقاً للتحالف الغربي من وجهة النظر البريطانية. وهذا الوضع قد جعل الحكومة البريطانية في حيرة من أمرها بالنسبة الى الكيفية التي تعامل بها الحكومة البولندية في المنفى الموجودة في لندن وكيف تبني مواقفها بالتالي حيال المقاومة البولندية. التي كانت تتطلع الى حكومة المنفى لتحقيق أهدافها.

رد (مولوتوف) وكان موقفه أكثر قوة هذه المرة بعد النقاشات الأخيرة بقوله «إن بولندا أمر يهم الاتحاد السوفييتي فقط أما بالنسبة للمقاومة البولندية فهو أي (مولوتوف) لا يحبذ تقديم العون والمساعدة الى «عناصر لا يمكن الركون اليها».

ثم تابع يقول ان الاتحاد السوفييتي يريد «بولندا مستقلة» ولكن في ظل حكومة «صديقة لموسكو».

ربما كانت هذه المرة الأولى التي يبدو فيها مولوتوف حازماً أكثر من أي وقت مضى بالنسبة لبولندا، وإن لم تكن هي المرة الأخيرة. ان نظرة متمعنة في تاريخ العلاقات الروسية البولندية، تجعل المرء يشك في ان مجيء حكومة موالية للسوفييت في بولندا مستقلة، هو أمر ممكن التحقيق. تدخل هول مستخدماً عبارات مسكنة حول أهمية استعادة علاقات حسن الجوار، وهي ملاحظات لم تبدُ مناسبة في نظر الجانبين المتناقشين (ايدن ومولوتوف). وعاد ايدن ليقول ان البعض من أعضاء الحكومة البولندية في المنفى اصدقاء للاتحاد السوفييتي بمن في ذلك رئيس الحكومة (ميكولايزج) ووزير خارجيته (رومر)، لكن قوله لم يلقَ أذناً صاغية من لدن

مولوتوف الذي كان يشك بأن هذا النفر من «الأصدقاء» ليست لديه القدرة على التأثير على الغالبية العظمى من الأعضاء وهم من ذوي الميول اليمينية. على أية حال أحس ايدن في هذه المرحلة انه لا جدوى من الاستمرار في المناقشة ثم اختتم كلامه بالقول «لقد أبديت وجهة نظرنا. . وكل الذي نأمله أن يكون في الامكان تحسين العلاقة مستقبلاً».

كذلك لم تؤثر التنازلات التي قدمها ايدن بالنسبة للمعاهدة السوفييتية - الجيكوسلوفاكية على التخفيف من حدة الموقف السوفييتي. وهكذا يمكن اعتبار ما جرى في المؤتمر اليوم هو هزيمة أخرى لايدن.

عاد المؤتمر بعد ذلك ولكن باختصار الى بحث موضوع اعلان الدول الأربع، وقد أصبح الآن في شكلة النهائي، وجاهزاً للتوقيع عليه. فقد وصل تخويل الحكومة الصينية لسفيرها في موسكو بالتوقيع على الاعلان نيابة عنها. وهكذا اتفق على ان يحتفل في اليوم التالي بتوقيعه. على انه لابد من أن أشير هنا الى ان جميع الفقرات الواردة في المسودة الأصلية للاعلان كما قدّمها هول في الأصل والتي قد تقيد حرية الاتحاد السوفييتي في العمل في المناطق ستقع ضمن نفوذه، قد حذفت من الاعلان في صيغته النهائية، كما ان هذه الصيغة خلت من أي التزام من الدول الموقعة الأربع على «التصرف بشكل جماعي في المسائل المتعلقة باحتلال أراضي العدو وأراضي الدول التي كانت تحتلها القوات الألمانية وقوات دول المحور الأخرى»، كما كان هول قد اقترح في المسودة الأصلية للاعلان. كذلك خلا الاعلان في شكله النهائي من أي تعهد «بالعمل المشترك على صيانة الأمن والسلام الدوليين واستعاض عن ذلك بعبارة تقول «تتشاور كل من الدول الموقعة مع بعضها البعض بهدف الوصول الى عمل مشترك. وأخيراً تضمن الاعلان فقرة تنص على «التشاور» قبل نشر القوات في أراضي دول أخرى، وهذا لا يعني بالطبع (التشاور والاتفاق على عمل كهذا). . وهذه أمور يفهمها الدبلوماسيون. والسؤال هنا هو ما إذا كان هول مدركاً تماماً لأهمية هذه التغييرات؟. انني أشك في ذلك.

ولو وجهنا هذا السؤال الى (هول) شخصياً ربما أجاب بقوله «المهم هو روح الاعلان وليس نصه». عاد مولوتوف وهو يشعر بالارتياح بعد ان ادخل ما أراد من تعديلات على الاعلان، عاد الى المطالبة من جديد بتسليم الاتحاد السوفييتي بعض

القطع التابعة للأسطول الحربي الايطالي ، وهو الطلب الذي سبق لـروزفلت ان رفض الزام الولايات المتحدة به في رده الذي أشرنا اليه آنفاً. بالطبع لم يكن ذلك مرضياً للاتحاد السوفييتي الذي انتظر الرد الأمريكي قرابة أسبوع ، ثم يأتي الرد بعدم التعهـد بتأييـد الطلب السـوفييتي أولاً ومن ثم احالـة المسألـة الى مؤتمر لـرؤسـاء الحكومات. كان ايدن في هذا الوقت قد تلقى رد تشرشل على الـطلب السوفييتي الذي كان أكثر إيجابية من الرد الأمريكي رغم انه أي رد بريطانيا عكس انقسامات داخل الحكومة البريطانية حول الأغراض التي ستستخدم من أجلها السفن المطالَب بها. كذلك فانه سرد بعض الصعوبات الفنية التي تتعلق بتسليم هذه القطع البحرية الى روسيا واحتمال مطالبة دول حليفة أخرى بقطع أخرى ، ولهـذا فان الـطلب السوفييتي لا يزال بحاجة الى مزيد من الدراسة ومن المفضل أن تتم هذه في مؤتمر لرؤساء الحكومات. على أية حال فقد خُول (ايدن) ، شريطة ان يوافق الأمريكان أيضاً ، صلاحية ابلاغ الجانب السوفييتي بموافقة بريطانيا على الطلب من حيث المبدأ على ان يقترن ذلك بمحاولة اقناع الروس بأن عدد السفن التي طلبوها ، أكثر من المعقول وانه لابد من تقليص هذا العدد. عاد هول ليبلغ الجانب السوفييتي بأنه قد بعث ببرقية الى حكومته طالباً اليها اتخاذ قرار قطعي وسريع بالنسبة للطلب وانه ينتظر الجواب. جاء الجواب بالفعل من روزفلت متضمناً الموافقة من حيث المبدأ وذلك في اليوم التالي وهو ما أضفى جواً من الارتياح العام على المؤتمر. على ان مولوتوف لم يترك الأمور تجري على هذا المنوال فقد قال في نبرة من التشكي انه لا يستطيع أن يفهم هذا التأخير في اتخاذ قرار حول مسألة بسيطة كهـذه ! . او لماذا تحـال الى مؤتمر رؤسـاء الحكومات الذي لم تُتخذ بعد أية ترتيبات بشأن انعقاده. ولقد لوحظ ان كلاً من ايدن وهول كانا يرغبان حقاً في تقديم بعض التنازلات للاتحاد السوفييتي في هذه المسألة ولكنهما وقفا عاجزين بسبب الافتقار الى استجابة معقولة من حكومتيهما. على أية حال انتهت الجلسة في جو لا يمكن أن يوصف بالانسجام.

مرَّ حتى الآن أحد عشر يوماً على بدء المؤتمر وأخذ صبر الجميع يتضاءل شيئاً فشيئاً بفعل الساعات الطويلة من الأخذ والرد ، وقد انعكس نفاد الصبر هذا في الجدل الذي قام بين ايدن وهول حول مستقبل المستعمرات وفي ملاحظات مولوتوف على الطلب السوفييتي بالحصول على القطع البحرية الايطالية. وقد فاتني ان أذكر انه

في اليوم السابق وعندما عاد هول الى الحديث عن مؤتمر رؤساء الحكومات فقد رد مولوتوف بحدة قائلاً «ولكن رؤساء الحكومات لديهم بالتأكيد موضوعات أكثر أهمية للبحث من موضوع السفن».

في مساء ذلك اليوم وخلال حفلة استقبال أقيمت في السفارة الأمريكية، التقى هول مع مولوتوف على حدة وخلال المحادثة راح وزير الخارجية الأمريكي يحاول ان يزيل ما قد يكون لدى زميله من قلق، فأخذ يثني على ما حققه المؤتمر من انجازات وعلى رئاسة مولوتوف له وطلب الى الأخير الحيلولة دون قيام الصحف السوفييتية بنشر تعليقات غير ودية حول مسألة العبور المخطط للقنال الانكليزي على سبيل المثال مما قد تنعكس آثاره على نتائج المؤتمر. كذلك أوضح هول انه إذا ما وافق ستالين علانية على أعمال المؤتمر وأبدى رغبة شخصية في حضور مؤتمر لرؤساء الحكومات عندما يسمح سير العمليات العسكرية بذلك، فان ذلك سيكون له مردود غاية في الايجابية على الجميع. ووافق مولوتوف على نقل هذا الرأي الى ستالين.. ويبدو انه قام بذلك فعلاً.

٣٠ تشرين اول: اختتام المؤتمر

قبل انعقاد الجلسة الختامية اجتمع ايدن مع نظيره الأمريكي على انفراد، واتفقا على ان نوعاً من الايجابية في الرد على المطالبة السوفييتية بهذه السفن من شأنه ان يلطّف الجو في جلسة اليوم. كما نقل ايدن الى هول جواب تشرشل المتعاطف مع الطلب السوفييتي، حاثاً إياه على استحصال موقف مماثل من الرئيس روزفلت. والواقع ان هول كان قد بعث في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم الى الرئيس روزفلت برسالة بهذا المعنى. كذلك اقترح (ايدن) دعوة الاتحاد السوفييتي الى ايفاد من يمثله في الاجتماع القادم للجنرالات الأمريكان والانكليز. وهكذا أصبح واضحاً ان الوزراء شعروا جميعاً بالحاجة الى الانتهاء من بحث ما بقي أمامهم بروح من الانسجام.

يقول ايدن في مذكراته عن الجلسة الختامية «لقد تبدل الجو تماماً بفضل الطريقة التي أدار بها مولوتوف المناقشة حيث بدأ بالقول ان كل ما نحتاجه الآن هو ان نفرغ من عمل لجنة الصياغة» مشيراً الى انه في ضوء المرحلة التي قطعها الوزراء من التقدم

فان المسائل التي بقيت معلقة حول بعض الوثائق والمقترحات لا تعدو كونها قليلة وطفيفة. ومن بين المسائل التي ظلت معلقة ، الاتفاق على المحضر السري للمؤتمر ، وهو عبارة عن وثيقة تتضمن مختلف الاتفاقات والقرارات التي تم الوصول اليها ، والاتفاق على صيغة البيان الصحفي الذي سيعلن عن نتائج المؤتمر وكذلك التقرير الذي قدمته اللجنة الفرعية حول إيران. قبل ان يباشر الوزراء باستعراض عمل لجنة الصياغة ، أثار ايدن مجدداً اقتراحه باصدار اعلان تتعهد فيه الدول الحليفة باستعادة الديمقراطية والاستقلال الى دول أوربا ونبذ فكرة مناطق النفوذ. . وقد تولى (ليفتينوف) هذه المرة الرد نيابة عن الوفد السوفييتي مستخدماً نفس الأسلوب الذي كان يستخدمه مولوتوف فقد قال «غني عن التذكير فنحن ملزمون بالشطر الأول من الاعلان المقترح. أما بالنسبة الى نبذ مناطق النفوذ فان هذا المبدأ ينبغي أن ينطبق لا على أوربا فحسب بل على مناطق أخرى في عالمنا». . ولما وجد ايدن انه قد هزم بالنقاط. . سحب اقتراحه في الحال.

كان تأكيد مولوتوف في بداية الجلسة بأنه لم يبقَ أمام الوزراء ما يستحق النقاش ، كان صحيحاً تماماً عندما وافق الجميع على التقرير النهائي للجنة الصياغة. غير ان ايدن عاد من جديد ليقول «ان الاعلان الخاص بالسياسة التي ستتبع تجاه إيطاليا لا زال يشير بصيغته الحالية الى بعض المؤسسات الفاشية التي لم تكتمل تصفيتها بعد وهذا ما قد يلقي ظلالاً من الشك حول السياسة التي اتبعها الانكليز والأمريكان حتى الآن في إيطاليا. رد مولوتوف بقوله «نحن لم نفعل سوى سرد الحقائق». ولكنه مع ذلك وارضاءً لزميله وافق على حذف هذه الفقرة.

أما نقطة الاختلاف الثانية فقد كانت متعلقة بمشروع القرار الخاص بمحاولات التقرب من الحلفاء ، من قبل دول ساندت المانيا دون ان تدخل الحرب الى جانبها ، كتطبيق مبدأ الاستسلام غير المشروط على جميع الدول العدوة. ومن بين هذه الدول بلغاريا التي لم تكن في حالة حرب مع الاتحاد السوفييتي وفنلندا التي لم تكن في حرب مع الولايات المتحدة والتي أراد الأمريكيون تجنيبها آثار الهزيمة. وُلم يُرق هذا الاقتراح السوفييتي الذي حاربه الفنلنديون بضراوة ولذلك أوضح الوزير السوفييتي انه يجب أن لا تكون هناك أية استثناءات. . . قائلاً اننا قصدنا بمشروع القرار هذا ان تتضافر كل الجهود الحليفة الى جانب بعضها البعض بوجه جميع الاعداء. . وبنفس

هذه اللهجة التوفيقية اقترح انه ما لم تجد لجنة الصياغة وبسرعة صيغة أخرى متفق عليها فانه لا بأس من اسقاط هذه الفقرة برمتها من مشروع القرار. (وربما كان ذلك يرجع الى معرفة مولوتوف بأن هول مضطر الى مغادرة موسكو غداً).

أخيراً جرت مناقشة قصيرة للمقترح السوفييتي الداعي الى تشكيل لجنة ثلاثية للبحث في اقامة منظمة دولية جديدة. وهو المقترح الذي كان هول قد أبدى عدم ارتياحه له في اليوم السابق. ولعل قلقه كان يستند الى الخوف من ان يستغل الانعزاليون الأمريكان (الساسة الذين يسعون الى ابقاء الولايات المتحدة بمعزل عن التورطات الدولية) أي بيان معلن بهذا الخصوص للقيام بحملة ضده ، وكذلك الى الرغبة في تهيئة الأجواء المناسبة لقيام منظمة كهذه. ومرة أخرى عاد مولوتوف ليقدم تنازلاً آخر أمام وجهة نظر هول واتفق الأثنان على ضرورة اجراء المزيد من الاتصالات الدبلوماسية قبل اتخاذ اجراء فعلي بشأن اقامة هذه المنظمة.

بعد ذلك عرض تقرير اللجنة الفرعية حول إيران. وقد أشير فيه الى عدم وجود اختلافات بين اعضائها بالنسبة للمسائل المطروحة أمامهم. واُتفق على مزيد من المناقشة لاحقاً بالوسائل الدبلوماسية.

أما بالنسبة للموضوعات الأخرى فقد كان الاتفاق كاملاً باستثناء بعض الحالات التي يمكن القول انه كان هناك «اتفاق على الاختلاف بشأنها. ومع ذلك فقد كانت القرارات التي تم الاتفاق بشأنها بوجه عام ، أمراً يبعث على الأرتياح حقاً. تضمنت تلك الاتفاقات ، اعلان الدول الأربع الذي نجح هول في الابقاء على خطوطه العامة وفقاً لما اقترحه في الأصل رغم قبوله ببعض التعديلات البسيطة ، والاتفاق على تشكيل المجلس الاستشاري الايطالي الذي قدم فيه الأمريكان بعض التنازلات بشأن شروط العضوية وتنازلات مقابلة السوفييت بالنسبة لصلاحيات المجلس ، وكذلك الاتفاق على اللجنة الاستشارية الأوربية والاعلانين حول السياسة التي ستتبع تجاه إيطاليا وفظائع الحرب التي ارتكبها النازيون والاعلان الثالث المتعلق باستقلال النمسا الذي لم يكن هناك أي اختلاف بشأنه والمذكرة الخاصة بالسياسة الحليفة في فرنسا والتي احيلت الى اللجنة الاستشارية الأوربية وكذلك السياسة العامة تجاه المناطق المحررة حيث تمت احالة الاقتراح البريطاني بشأنها الى اللجنة أيضاً.

أما بالنسبة للمسائل العسكرية فقد كان هناك اتفاق شامل حول الأهمية القصوى لعملية عبور القنال رغم التحفظات التي أبداها تشرشل ، هذا بينما لم يحقق الوفد السوفييتي التقدم الذي كان يتوقعه بالنسبة لموضوع اقحام تركيا والسويد بالحرب. وكما يقول ايدن في مذكراته فان الافتقار الى سياسة متفق عليها حول بولندا واجزاء أخرى في أوربا الشرقية في وقت كانت الجيوش السوفييتية تزحف نحوها بسرعة ، جعل موقف الاتحاد السوفييتي على الأرض قوياً الى درجة لا يحتاج معها تعزيزاً عن طريق الوثائق.

على أية حال وبينما كان المؤتمر يوشك على الاختتام كان جو من الحبور والارتياح التام يسيطر على الجميع. وقد قام الوزراء بتوقيع اعلان الدول الأربع في مراسيم احتفالية بينما وقعه السفير الصيني في موسكو نيابة عن حكومته.

ثم أُتفق على البيان الصحفي الذي سيصدر عن المؤتمر كما اعدته لجنة الصياغة. وقد تضمن جميع بنود اعلان الدول الأربع والاتفاق المتعلق بالمجلس الاستشاري الايطالي واللجنة الاستشارية الأوربية والاعلان المتعلق بالسياسة الحليفة في إيطاليا وكذلك بنود الاعلان الخاص باستقلال النمسا وذلك المتعلق بفظائع الحرب النازية مع اشارة بسيطة الى المناقشات التي جرت حول العمليات العسكرية للحلفاء والخطوات الرامية الى تعزيز التعاون العسكري.

كانت لجنة الصياغة قد اعدت قبل ذلك المحضر المفصل الذي يضم كل النتائج الكاملة للمؤتمر وكذلك القرارات المتفق عليها وتلك المحالة الى المجلس الاستشاري.

وبعد ان وقع الوزراء على جميع الوثائق ، شكر مولوتوف الجميع على تعاونهم بينما امتدح كل من ايدن وهول الطريقة التي أدار بها مولوتوف أعمال المؤتمر بصفته رئيساً له.



الفصل الخامس

ماذا بعد مؤتمر موسكو ؟

انتهى مؤتمر موسكو كما رأينا في جو من الحبور والاحترام المتبادل. وفي مأدبة عشاء وداعية أقيمت مساء الثلاثين من تشرين اول وحضرها كل من مولوتوف وايدن وهول ، كان لحضور ستالين شخصياً ، ما يدل على مدى شعوره بالارتياح للنتائج التي توصل اليها المؤتمر. أُجلس هول الى جانب ستالين ، وكان هذا مصدر سعادة للأخير. ولم يكتف الزعيم السوفييتي بتهنئة ضيفه بنجاح المؤتمر ، وإنما أكد رغبة الاتحاد السوفييتي في التعاون سوية من أجل السلام ووضع حد لـ «العزلة السوفييتية». كما كرر ما سبق لوزير خارجيته مولوتوف ان قاله من قبل بأن روسيا لا تنوي مطلقاً توقيع سلام منفصل مع المانيا ، وان محاولات «جس نبض السلام» التي كان الألمان يقومون بها عن طريق السويد ، لن تلقى آذاناً صاغية. قائلاً ان سلاماً منفصلاً هو أمر مستحيل. فوق هذا وأهم من هذا كله وكمفاجأة للجميع ، أعلن ستالين ان الاتحاد السوفييتي سيدخل الحرب ضد اليابان بمجرد هزيمة المانيا. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفصح فيها الزعيم السوفييتي عن نواياه في الشرق الأقصى. وسرعان ما عبّر هول وهو يعلم كم كان الرئيس روزفلت والجنرالات الأمريكان يتطلعون الى خطوة مثل هذه عن بالغ سروره لهذا الاعلان خاصة وان ستالين لم يضع (كما اعتقد هول) شروطاً لدخوله الحرب ضد اليابان. وسيتضح لاحقاً ان هناك فرقاً كبيراً بين بيانات كهذه تتلى في مآدب عشاء يسودها جو من السعادة ، وبين ما يمكن ان يُتفق عليه في مساومات صعبة على طاولة المفاوضات. الظاهر ان روزفلت كان مدركاً لهذا ، وهو لهذا السبب لم يفاجأ عندما اكتشف ان هناك ثمناً لابد ان يُدفع. على ان هول شعر بأن ستالين باعلانه هذا قد توج النهاية الناجحة للمؤتمر.

بسبب سوء الأحوال الجوية في اليوم التالي وما بعده ، فقد تأخر اقلاع طائرة هول من موسكو وكذلك كان الحال مع ايدن ، واضطرا الى المكوث في العاصمة السوفييتية حتى الثالث من تشرين الثاني. وقد أتاح هذا التأخير الفرصة أمام ايدن ومولوتوف ، لربط النهايات السائبة في الموضوع المتعلق بتركيا. كانت سلبية الرد الأمريكي لدعوة الاتحاد السوفييتي الى حمل تركيا على دخول الحرب ، قد جعلت من هذا الموضوع أشبه ما يكون بالقضية الثنائية بين موسكو ولندن. وهنا وجد ايدن انه يترتب عليه ان يحاول التوفيق بين رغبة روسيا الملحة في ممارسة الضغط على تركيا لحملها على دخول الحرب ، وبين سعي الولايات المتحدة الى تفادي أية التزامات

بهذا الخصوص. كان التوفيق بين وجهتي النظر واحدة من المهمات الصعبة التي تنتظر ايدن بعد ان عجز عن تسويتها في أروقة المؤتمر. وقد وَفرَ له اقتراح تشرشل بأن يُطلب الى الأتراك كمرحلة أولى السماح للحلفاء باستخدام قواعدهم الجوية وفتح مضيق الدردنيل أمام الأساطيل الحليفة كمرحلة ثانية، تنتقل بعدها تركيا الى دخول الحرب، وَفرّ لايدن فرصة مناسبة للمساومة. هذا بشرط ان ينجح أولاً في اقناع روسيا والولايات المتحدة بقبول هذا الاقتراح.

وعندما بحث ايدن امكانية مفاتحة هول للدخول في مناقشة للموضوع من جديد على هذه الأسس كان موقف الأخير حذراً للغاية. كانت البرقية التي بعث بها روزفلت الى وزير خارجيته في السادس والعشرين من تشرين اول قد أكدت انه ليس في الامكان الدخول في «مغامرات» مثل محاولة زج تركيا والسويد في الحرب على حساب إضعاف القدرات العسكرية التي يجري حشدها لعملية عبور القنال الانكليزي. مع هذا فانه كان من رأي هول انه من غير المرغوب فيه الآن إفساد جو الانسجام الذي خلقه مؤتمر موسكو. اما ايدن فقد قال من ناحيته انه سيطرح رأي زميله الأمريكي على مولوتوف رغم إيمانه بأن الأخير سيعد هذا الحل غاية في الاعتدال.

وبالفعل كان اجتماع ايدن مع مولوتوف مساء اليوم نفسه حول هذا الموضوع صعباً. فقد اشتكى هذا الأخير من انه سبق لبريطانيا والولايات المتحدة ان رفضتا كل المقترحات السوفييتة الرامية الى تقصير أمد الحرب دون ان يقدما من جانبهما مقترحات قد تساعد في بلوغ هذا الهدف. أعاد ايدن تذكير زميله السوفييتي بأن الحلفاء الغربيين لم يكونوا يعتزمون أن يكون مؤتمر موسكو مؤتمراً عسكرياً. ثم اقترح عليه تقديم مقترحات تشرشل الى الأتراك مباشرة.. وهذا ما وافق عليه مولوتوف في الحال مشترطاً فقط أن يحاول ايدن اقناع تركيا بدخول الحرب في أسرع ما يمكن وأضاف الى ذلك قوله انه سيترك أمر المفاوضات الى ايدن وحده، لأن الاتحاد السوفييتي ليست لديه الرغبة في المشاركة فيها. لكن مولوتوف اقترح على ايدن أيضاً ان يحاول استحصال موافقة هول لكي يكون الطلب الى تركيا مقدماً من الحلفاء الثلاثة جميعاً.

عند لقاء ايدن بهول في اليوم التالي وجد ان الأخير أقل استعداداً للعطاء

بالنسبة لهذه القضية من أي وقت مضى. ذلك ان وزير الخارجية الأمريكي اعتذر بقوله انه ليست لديه الصلاحية للموافقة على مسعى ثلاثي بهذا الخصوص. ولهذا كان ايدن نفسه مرغماً على الدخول في اتفاق ثنائي مع مولوتوف. وكانت المحاولات التي قام بها هول لثني حكومته بعدم مواجهة المقترحات السوفييتية برد سلبي (أثناء انعقاد المؤتمر) قد انتهت الى الفشل. لكنه في الرابع من تشرين الثاني وبعد ان غادر الوزيران هول وايدن موسكو، ألمح روزفلت بأنه من الممكن أن يكون المسعى لاقناع تركيا بدخول الحرب مسعىً ثلاثياً، موضحاً في ذات الوقت بأن الولايات المتحدة ستعارض أية محاولة لتشتيت الجهود التي حُشدت استعداداً لعملية عبور القنال والعمليات العسكرية الأخرى على البر الايطالي.

سمع ايدن بتصريح روزفلت أثناء وجوده في القاهرة في طريق العودة الى لندن من موسكو. ووجد فيه تخويلاً غير مباشر له بالضبط على الأتراك دون مقابل. ولذلك جرى الترتيب لاجتماع بينه وبين وزير خارجية تركيا (منعم اوغلو) الذي كان موجوداً في القاهرة. ورغم الطابع غير المؤكد الذي كان يلف مهمة ايدن هذه إلا ان الرجل كان متحمساً للغاية للقيام بها ربما لأن هذه ستكون إحدى النتائج التي يستطيع أن يفخر بأنه حققها والمؤتمر قد انتهى.

قصة محادثات ايدن مع الوفد التركي يمكن ايجازها كما يلي:

كما توقع وزير الخارجية البريطاني بالضبط، فان الأتراك لم يعيروا أذناً صاغية الى تملقاته، فقد ردوا على اقتراحه باستخدام قواعدهم الجوية بقولهم ان خطوة كهذه ستكون بمثابة نقطة الانطلاق لمشاركتهم الفعلية في الحرب. وهو رد لم يكن بوسع ايدن ان يحاججهم فيه. لأن هذا كان هو المقصود فعلاً. ليس هذا وحسب، فقد قال له الأتراك ان المانيا في وضع يمكنها من الرد بقوة على عمل كهذا دون أن يستطيع الحلفاء أن يهبوا لنجدتها ضاربين مثلاً لذلك ان القوات البريطانية وقفت عاجزة عن تقديم العون الى حامياتها العسكرية المرابطة في الجزر اليونانية عندما هاجمها الألمان. وكل الذي التزم به وزير الخارجية التركي هو انه وعد بنقل الاقتراح الى حكومته، وهو ما توقعه ايدن أيضاً. ثم انتقل ايدن الى الحديث بعد ذلك عن الوضع في اليونان حيث أخذت قوات المقاومة التي يقودها الشيوعيون تهزأ علانية من سلطة الحكومة اليونانية في المنفى ومن «عجز» الجنرال ولسن قائد القوات البريطانية في الشرق

الأوسط وشرق البحر المتوسط. وجرى الاتفاق على ان تقتصر المساعدات التي تقدمها بريطانيا الى العناصر غير الشيوعية في المقاومة اليونانية فقط. ونظراً لأن الشيوعيين اليونانيين كانوا يستغلون ضعف التأييد الشعبي للملك جورج الثاني ملك اليونان، لتوسيع قاعدة نفوذهم،تم الاتفاق على انه من الأفضل للملك اعلان الوصاية على العرش لحين تحرير البلاد، وان لا يدخل اليونان مع القوات الحليفة، ومن ثم يجري استفتاء شعبي عام على النظام الملكي. بعد ان أحس ايدن بالرضا بهذا الجزء من مهمته، غادر القاهرة الى لندن لاطلاع حكومته على نتائج لقائه مع وزير الخارجية التركي.

وصل ايدن الى لندن في العاشر من تشرين الثاني، في وقت كانت فيه الاستعدادات لعقد مؤتمر لرؤساء الدول الحليفة قد قطعت شوطاً بعيداً من التقدم. كان تشرشل على وشك أن يغادر الى الشرق الأوسط، ولابد من أن ينضم اليه وزير خارجيته في الأسبوع الأخير من ذلك الشهر.

في الأسبوعين اللذين مرا قبل هذا التاريخ (كما يقول ايدن في مذكراته) كرس الرجل جُلَّ وقته لمعالجة بعض المسائل التي لم تجد لها حلاً في موسكو، ومن أهمها قضية بولندا، وهي قضية كان من المؤكد ان تُطرح للبحث في مؤتمر رؤساء الحكومات. في هذه الفترة كانت الحكومة البولندية في المنفى التي مقرها لندن، أكثر عناداً في موقفها مما كانت عليه قبل مؤتمر موسكو، وقد رفضت أي فكرة بالتنازل عن أي شبر من الأراضي البولندية الى الاتحاد السوفييتي. كما وجد ايدن ان حكومة المنفى كانت أيضاً قلقة من صلابة الموقف السوفييتي في المؤتمر الذي اقترن بعدم اكتراث من الولايات المتحدة.

لهذا السبب فقد ابلغ الزعماء البولنديون (ايدن) بأنهم يعلقون الآمال الآن على بحث الموضوع في مؤتمر رؤساء الحكومات، مؤكدين له ضرورة الوصول الى خطة (مقبولة بولندياً) تضمن مستقبل بولندا.

في ضوء الموقف السوفييتي الصلب وعجز الحلفاء الغربيين الواضح في التأثير على موسكو، حذر ايدن الزعماء البولنديين من ان روسيا عازمة على الوصول الى خط (كورزون)، وانه ربما كان ممكناً اقناعها بتقديم بعض التنازلات لبولندا كأن تسمح بوقوع مدينة (لوو) البولندية ضمن الجانب البولندي من الحدود، على ان يعوض

الروس ببعض من أراضي (بروسيا الشرقية) و(دانزغ). ومقابل ذلك سيطلب هو - أي ايدن - بعدئذ من الاتحاد السوفييتي الاعتراف بحكومة بولندا في المنفى والسماح لها بالعودة الى وارشو بعد دخول الجيوش السوفييتية الأراضي البولندية مع تعهد الاتحاد السوفييتي باجراء انتخابات حرة بعد ذلك في بولندا.

غير ان أياً من هذه التنازلات والتنازلات المضادة لم تتبلور في واقع الحال. ومع هذا فقد شعر ايدن ان البولنديين وضعوا بين يديه بعض الأوراق الرابحة ليلعبها في الجولة القادمة من المفاوضات على مستوى رؤساء الحكومات. في واشنطن كان (كوردل هول) وزير الخارجية الأمريكي الذي عاد لتوه من رحلة ممتعة بالبحر في نفس اليوم الذي عاد فيه ايدن الى لندن، كان هو الآخر مشغولاً بالمسألة البولندية. وقد دفعه القلق من الانتقاد الموجه للولايات المتحدة على صفحات الجرائد البولندية التي تصدر في أمريكا بسبب اخفاقه في الوصول الى اتفاق حول بولندا في مؤتمر موسكو، الى السعي من أجل ازالة المخاوف وتوضيح الأمور. فبعد عودته اجتمع مع السفير البولندي في واشنطن (سيجانوفسكي) الذي حذر (هول) من ان الحكومة البولندية والجيش السري البولندي سيخلقان متاعب جمة للجيوش السوفييتية ما لم يتم الوصول الى تسوية مرضية. كان من رأي (هول) ان يجتمع رئيس وزراء بولندا (ميكولايزج) بالرئيس روزفلت وتشرشل قبل ان تجري أية محادثات أخرى مع الاتحاد السوفييتي. نقل هول ما سمعه من السفير الى أسماع الرئيس الأمريكي الذي غادر فيما بعد الى الشرق الأوسط لينضم الى تشرشل، والمخاوف المترتبة على المسألة البولندية على رأي أولوياته.

كان وزير الخارجية الأمريكي منهمكاً جداً بالخطط التي اتفق على تنفيذها على نطاق دولي بعد الحرب، ورد فعل الرأي العام الأمريكي والكونغرس تجاهها. ومع هذا فقد وجد هو والرئيس روزفلت فرصة سانحة من الوقت لبحث رغبات ايدن بالنسبة للدور المستقبلي للجنة الاستشارية الأوربية التي مقرها لندن. كان الرئيس روزفلت قد عين بالفعل (روبرت مورفي) ممثلاً في المجلس الاستشاري الايطالي، وها هو الآن يعين السفير الأمريكي في بريطانيا (جون وينانت) ليمثل الولايات المتحدة في اللجنة الأوربية. والواقع ان هذين التعيينين أظهرا موقفاً جديدا للولايات

المتحدة انطوى على سحب بعض التأييد الذي أولاه هول لايدن في مؤتمر موسكو. فـ (مورفي) كان واحداً من كبار موظفي وزارة الخارجية الأمريكية ، وكان مستشاراً للرئيس روزفلت ولرئيس الأركان الأدميرال (ليهي) . أما (وينانت) من الجهة الثانية فلم يكن مقرباً من الرئيس وكل ما كان يتمتع به هو القيام بواجباته الاعتيادية كسفير لكن وضعه أصبح الآن أكثر أهمية بعد سحب (افرين هاريمان) الممثل الشخصي لروزفلت في لندن. (هنا ينبغي ان نلاحظ ان مقر اللجنة هو لندن) .

أما الاتحاد السوفييتي فقد عين مسؤولاً كبيراً هو (فيشنسكي) ليمثله في المجلس الاستشاري الايطالي ، بينما عين سفيره في لندن (فيودور غوسيف) ليمثله في اللجنة الاستشارية الأوربية. وربما كان الأمريكان والروس بتعيين سفيريهما كممثلين في اللجنة يهدفان في الواقع الى تحويلها الى مجرد هيئة ثلاثية ترتبط بوزارة الخارجية في كل من موسكو وواشنطن بدلاً من جعلها لجنة ذات صلاحيات واسعة ، كما تعهدا بذلك في موسكو. وربما كان هذا بدوره مؤشراً ولو صغير الحجم على نشوء محور أمريكي ـ سوفييتي سيطر فيما بعد على الدبلوماسية الحليفة.

لم يكن بوسع ايدن ان يفعل شيئاً ازاء الموقف الذي نشأ فهو الآن منهمك في مشاكل البلقان وفرنسا ، وقد وصل الى استنتاجات متضاربة بالنسبة الى يوغسلافيا واليونان. فيما يتعلق بيوغسلافيا ، استنتج ايدن ان (تيتو) الذي لديه من المقاتلين ما يفوق بعشرين ضعفاً ما لدى (ميهايلوفيج) زعيم الحركة اليمينية الموالية للملكية وهو أي (تيتو) يحظى بتأييد شعبي واسع ، لذلك فهو أفضل من يمكن ان يمثل يوغسلافيا مستقبلاً. ولكن هذا الاستنتاج سيقضي بالتالي على آمال الحكومة اليوغسلافية في المنفى التي تنادي بعودة الملكية. ثم ان ايدن لم يكن كما يبدو على اطلاع واسع بمشاعر تشرشل المؤيدة للأنظمة الملكية في دول البلقان. أما في اليونان فقوات المقاومة التي يقودها الشيوعيون كانت حريصة على الاستيلاء على السلطة بعد انسحاب الألمان أكثر من حرصها على مقاتلة الألمان انفسهم. لكن الفارق هو ان الشيوعيين اليونانيين لم يكونوا يتمتعون بالشعبية التي يتمتع بها تيتو في يوغسلافيا. ولما كانت اليونان أكثر حيوية مستقبلاً لموقف بريطانيا في البحر المتوسط من يوغسلافيا فلابد إذن من سحب التأييد عن المقاومة اليونانية التي يتزعمها الشيوعيون. وفي البداية وجد ايدن ان من الصعب عليه اقناع زملائه في الحكومة البريطانية بصواب

استنتاجاته ولكنه أفلح أخيراً.

أما مشكلة ايدن الأخرى فكانت مع الجنرال ديغول وحركة فرنسا الحرة. وقد تعاظمت هذه المشكلة في وقت غير مناسب تماماً. كان ايدن يسعى للحصول على اعتراف الحلفاء الآخرين باللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بـأنها الحكومـة المؤقتة لفرنسا وبالتالي يكون لها من يمثلها في اللجنة الاستشارية الأوربية. وفي هذا الوقت بالذات تحرك ديغول ليثير غضب كل من روزفلت وتشرشل. ففي الجزائر حيث مقر اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني طرد ديغول ممثل أمريكا في اللجنة الجنرال (غيرود). وفي الشرق الأوسط اعتقلت السلطات الفرنسية في لبنان السياسيين الـذين كانـوا يطالبون بالاستقلال وأمرت بحل المجلس النيابي اللبناني المنتخب حديثاً. وعندما وصل النبأ الى أسماع تشرشل بعث ببرقية غاضبة الى الرئيس روزفلت هـدد فيها بسحب تأييده عن ديغول. وهكذا وجهت الحكومة البريطانيـة تحذيـراً رسمياً الى الفرنسيين من مغبة النتائج المترتبة على تصرفاتهم في لبنان. وقد قام ممثل بريطانيا في اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني (هارولد ماكملان) الموجود في الجزائر بدور كبير في تهدئة الأزمة، ويبدو انه نجح في هذا المسعى. إذ ان الفرنسيين أعادوا في الثالث والعشـرين من تشرين الثـاني وهو اليـوم الذي غـادر فيه ايـدن لندن الى الشرق الأوسط، أعادوا الوزراء اللبنانيين المطرودين الى مناصبهم وانتهت الأزمة بسلام. ولابد ان ايدن قد رأى وهو يهم بالصعود الى الطائرة «انه من الأفضل للمرء ان يخوض الحرب دون حلفاء».

٢ - ردود الفعل على مؤتمر موسكو

كانت ردود الفعل الأمريكي وبالذات رد فعل الادارة الأمـريكية متحمسةً للنتائج التي حققها المؤتمر. وهول كان مرتاحاً شخصياً لما انجزه، فمعظم الأهداف الأمريكية قد تم بلوغها. وها هو الاتحاد السوفييتي وقد تعهد بالتعاون في ظل نظام دولي جديد وسيشارك في منظمـة دولية لحفظ السـلام بتوقيعـه على اعـلان الدول الأربع. وها هي الصين وقد أُعترف بها كإحدى الدول الأربع الكبرى من خلال بصمة ابهامها على تلك الوثيقة. كما انه أصبح واضحاً من خـلال روح الصداقـة

والمودة التي أبداها الروس ، ان المسائل الأوربية التي كان (هول) يعلق عليها اهمية كبيرة سوف تحسم بروح من المساومة الودية . كما ان ترحيب الاتحاد السوفييتي بالمقترحات الأمريكية حول المانيا كان مشجعاً بنفس القدر الذي كانت فيه مقترحات موسكو حول إيطاليا مقبولة لدى واشنطن رغم صرامة تلك المقترحات . ومع انه لم يكن بوسع (هول) ان يحرز أكثر مما أحرزه بالنسبة للتعاون الاقتصادي الدولي فيما بعد الحرب ، إلا انه أحس برغبة موسكو في الدخول بمفاوضات بناءة بشأنه . وباختصار كان هول ينظر بعين الرضا الى نتائج عمله الدؤوب في موسكو سيما وانه قد نجح في تفادي الاستجابة لمحاولات الاتحاد السوفييتي بأنه يكون له قول في أمور إيطاليا ، رغم ان ايدن هو الذي تولى هذه المهمة بالنيابة عنه . أما من الجانب العسكري فهو لم يجد صعوبة في التأكيد على الأولوية التي تلتزم بها الولايات المتحدة لعملية عبور القنال ، كما أصبح بوسعه ان يشعر بالثقة الآن بأن القيود التي تكبلت بها مهمة ايدن مع الأتراك والحذر الذي أبدته الحكومة التركية تجاه المحاولات الرامية لجرها الى الحرب ، ستؤدي الى فشل المساعي التي بذلت في هذا الخصوص . وفوق هذا وذاك ، فان (هول) قد خرج من المؤتمر بكسب كبير غير متوقع تماماً ذلك هو اعلان ستالين بأن الاتحاد السوفييتي سيدخل الحرب أخيراً ضد اليابان .

هذه القناعات انعكست في المقابلات التي أجرتها الصحف الأمريكية مع (هول) ، وفي الخطاب الذي ألقاه أمام الكونغرس . ففي هذا الخطاب رسم وزير الخارجية صورة مشرقة لما توقع ان يكون «فصلاً جديداً وسعيداً من تاريخ العالم» ، مؤكداً ان مؤتمر موسكو قد خطا خطوات كبيرة نحو الامام في جو مفعم بالثقة والتفاهم المتبادل . أما بالنسبة الى المشكلات المتعلقة بالحدود والأراضي فقد تُركت لتحسم في مؤتمر سلام يعقد في فترة ما بعد الحرب ، مشيراً في ذات الوقت الى انه لم تعقد أية اتفاقات سرية في موسكو بصدد هذه المسائل ، كما حدث في المؤتمرات التي تلت الحرب العالمية الأولى . وتبعاً لذلك لم تكن هناك مناقشات تفصيلية لأوضاع الدول الأوربية الصغيرة باستثناء الاتفاق على مبادىء الديمقراطية بين الحلفاء الثلاثة لتطبيقها في إيطاليا لمرحلة ما بعد الحرب . وفي ذات الوقت وجه هول تحذيراً الى دول أوربا الشرقية بقوله «لا أستطيع ان أوفر لكم ضماناً بأن حكوماتكم التي تعيش في المنفى ستعود بالضرورة الى بلدانها» . وربما كانت هذه اشارة الى حكومة بولندا في

المنفى بالذات. كان البولنديون قد أظهروا عدم ارتياحهم من النتائج التي تم التوصل اليها في موسكو بقدر تعلق الأمر ببلادهم ، خاصة وان كلاً من هول وايدن قد انتقدا سوية «الموقف المتعنت . . الذي لا مبرر له» من جانب الزعماء البولنديين فيما يتعلق «بتعديلات» الحدود بينهم وبين الاتحاد السوفييتي.

شارك الرئيس روزفلت ، وزير خارجيته الارتياح لنتائج المؤتمر، ومقابلته له في المطار عند عودته دليلٌ على موافقته على النتائج وبعث ببرقية الى ستالين يعبر فيها عن سعادته لما أمكن الوصول اليه. واللهجة العامة للتعليقات التي صدرت تجاه المؤتمر في الصحف الأمريكية انعكست بما كتبه شيخ المعلقين الأمريكان (والتر لبمان) الذي وصف نتائج مؤتمر موسكو بأنها كانت بناءة ، أبعد مما كان يتوقع لها. بينما لم يتحفظ على تلك النتائج سوى معلق أو معلقين اثنين أبدياً عام الارتياح لعدم الحصول على ضمانات سوفييتية بالنسبة الى بولندا والدول الأخرى المطلة على بحر البلطيق وأوربا الشرقية بوجه عام. غير ان معلقاً واحداً من ذوي الاتجاهات اليسارية ذهب الى حد القول بأن الولايات المتحدة قد فتحت الأبواب أمام «التوسع السوفييتي» في المنطقة. ولكن تعليقات كهذه لم تؤخذ بعين الاعتبار لأنها لا تمثل إلا رأي قلة قليلة من الناس.

ولعل أكثر فقرات الخطاب الذي ألقاه هول في الكونغرس تأثيراً في الرأي العام الأمريكي كانت تلك التي قال فيها «انه لو وضعت بنود اعلان الدول الأربع موضع التنفيذ الفعلي الدقيق فلن تكون هناك حاجة الى مناطق نفوذ أو تحالفات او موازين قوى أو لأية ترتيبات خاصة تساعد مختلف الشعوب على الحفاظ على مصالحها». لكن هول. ظل على قيد الحياة بما يكفي لكي يرى بنفسه ان منطقة النفوذ السوفييتية في أوربا الشرقية قد أصبحت إحدى الحقائق المقبولة في الحياة الدولية ، وكذلك ليرى ان الولايات المتحدة دخلت في حلف واسع متعدد الجنسيات (معاهدة حلف شمال الأطلسي) من أجل ضمان توازن فعال لميزان القوى في أوربا. وهكذا ربما بدت كلمات هول إذا ما قيلت في يومنا هذا أشبه ما تكون بـ «تعليق على تفاهة الرغبات البشرية».

رغم هذا فان واحداً او اثنين من الأمريكيين الذين حضروا مؤتمر موسكو ، كانت لديهم تعليقات أكثر حذراً ، فـ (افريل هاريمان) وهو الذي عُين بعد ذلك

سفيراً لواشنطن لدى موسكو ، كان ينظر بعين الشك بوجه عام الى نتائج المؤتمر. فالاتحاد السوفييتي كما يعتقد ، تلقى الاشارة الخضراء من الغرب بالتصرف كما يشاء في بولندا ودول أوربا الشرقية. والغربيون على حد اعتقاده لم يطرحوا وجهات نظرهم المحددة بالشكل المطلوب ، وذلك بسبب الصمت الذي التـزم به هـول وموقفـه اللا مكترث في كثير من الأمور. وفي رأي هاريمان ان الاتحاد السوفييتي بمعـارضته للمقترحات البريطانية حول اقامة اتحادات للدول الأوربية الصغيرة ، كان يـريد الابقاء على هذه الدول بوضعها القائم ، لأن ذلك من شـأنه ان يسهـل السيطرة عليهـا. وهو أي (افـريل هـاريمان) يـأسف لأن (هـول) لم يقف الى جـانب تلك المقترحات وغيرها خاصة المتعلقة ببولندا.

في تقريره المرفوع الى الرئيس روزفلت جدد (هاريمان) اعتقاده بأن الروس سيتمسكون بحزم بمطالبهم الاقليمية وسيصرون على تقسيم المانيا وعلى حقهم في العمل من جانب واحد في أوربا الشرقية. لم يتوسع (هاريمان) كثيراً في تقريره اعتماداً منه على قابلية الرئيس روزفلت على «القراءة ما بين الأسطر» والخروج بالاستنتاجات على أساسها.

هناك من يقول ان (هول) كان مصيباً بعدم تأييد المقترحات البـريطانيـة ، آخذين بنظر الاعتبار ان الاتحاد السوفييتي لم يكن راغباً على الاطلاق في الدخول في أية اتفاقات قد تحد من حريته في العمل. ولذلك فان الاصرار عليها قد يقـوض المؤتمر. لكن هؤلاء يجادلون في ان تقويم مدى النجاح الذي حققه مؤتمر موسكو لا يجب ان يُنظر اليه فقط من خلال اعلان الدول الأربع والاتفاقات الأخـرى التي أمكن ابرامها بل من خلال استمرارية التحالف وديمومته في مرحلة ما بعد الحرب ، مع هذا فلابد من القول ان (هول) كان شجاعاً الى درجة انه أطلق بضعة «طلقات تحذيرية» الى الروس فيما يتعلق بمناطق النفوذ دون أن يخاطر بتقويض المؤتمر. بينما كان سكوته ازاء المسائل المتعلقة بأوربا الشرقية بالذات قد فُسِّر انه موافقة ضمنية على خطط الاتحاد السوفييتي في هذه المنطقة.

في بريطانيا ردود الفعل متشابهة الى حد ما ازاء نتائج المؤتمر مع ردود الفعل الأمريكية ، رغم ان حكومة تشرشل طبَّلت كثيراً في بياناتها الى «انجاز ايدن» في حمل المؤتمر على ان تكون لندن مكاناً للجنة الاستشارية الأوربية. وفي البيانات التي أدلى

بها (ايدن) وزملاؤه أعضاء الوفد البريطاني في مجلس العموم أكدوا على الأهمية الكبيرة لتشكيل هذه اللجنة واختيار لندن مكاناً لها ، وكذلك تشكيل المجلس الاستشاري الايطالي ، معتبرين ان هاتين الهيئتين ستساعدان الحلفاء الثلاثة على مواصلة العمل سوية في تنسيق وجهات نظرهم حول المسائل السياسة الناشئة عن الحرب . كما ان تلك البيانات أفاضت في الاشادة باعلان الدول الأربع معتبرة إياه «حجر الزاوية لسلام العالم مستقبلاً» . لكن (ايدن) وهذا أمر طبيعي أسدل الستار من جهة أخرى على اخفاقاته في المؤتمر .

على أية حال فان بعض اعضاء مجلس العموم أثاروا خلال المناقشة مسألة حذف بعض الفقرات من الاعلان وتجنب أية اشارة الى بولندا في بنوده وكذلك عدم البت في موضوع الاعتراف باللجنة الوطنية الفرنسية كحكومة مؤقتة . وفي هذا السياق وضع احد الأعضاء اليساريين في البرلمان البريطاني اصبعه على بعض ما كان يقلق (ايدن) عندما اشار الى ان روسيا ستصبح بعد الحرب اعظم قوة عسكرية في اوربا . كما اشار نفس هذا العضو الى الموقف الحرج الذي وضعت بريطانيا نفسها فيه ، مقترحاً ان استفتاءً شعبياً حول النظام الملكي سيكون دونما أدنى شك ، مسألة غاية في الالحاح . أدت هذه الملاحظة بأعضاء آخرين الى التساؤل ، لماذا لا تجري أيضاً استفتاءات مماثلة في دول البلطيق ؟

غني عن القول ان ايدن لم يكن لديه ما يعلق به على هذا الاقتراح المحرج خاصة وان هناك ميلاً كبيراً في مجلس العموم والصحف البريطانية الى جانبه .

مهما يكن من أمر فان ايدن كان يدرك ان النتائج التي توصل اليها مؤتمر موسكو لم ترق في بعض جوانبها الى ما كان يرغب فيه شخصياً . رغم ان تقريره الأولي الذي رفعه الى تشرشل كان قد رسم صورة غاية في الاشراق والتفاؤل بما تم تحقيقه وما ينتظر له ان يتحقق فيما بعد . على انه بقدر تعلق الأمر بأوربا الغربية ومنها إيطاليا ، فانه من الممكن القول ان ايدن حقق ما كان يتطلع اليه . فاللجنة الاستشارية الأوربية قد أُنشئت وسيكون مقرها لندن ، وكذلك المجلس الاستشاري الأوربي . وقد أفلح الرجل في ضمان تمثيل حركات المقاومة اليونانية واليوغسلافية في اللجنة ، وضمن مكاناً للجنة الوطنية الفرنسية للتحرير في المجلس الاستشاري . ومع ان الصلاحيات التي سعى لتخويلها الى اللجنة لم تكن بمستوى طموحه إلا انه

من الممكن توسيعها مستقبلاً.

وبالنسبة لألمانيا فان المظهر كان مشكوكاً فيه وبات من الواضح ان الصراع حول هذه المسألة سيحتدم أكثر مستقبلاً خاصة بعد ان رفض الاتحاد السوفييتي الحل البديل ألا وهو اقامة اتحاد قوي من دول أوربا الوسطى. أما بالنسبة لبولندا وأوربا الشرقية بوجه عام فان سياسة ايدن قد انتهت برمتها الى الانهيار.

اضافة الى هذا فان نتائج المؤتمر من وجهة النظر البريطانية قد انطوت على بعض السلبية. فمع ان الروس لم يظهروا أية رغبة في تقديم أي تنازل بالنسبة الى بولندا وقاوموا بشدة كل المقترحات التي استهدفت تقييد حريتهم في العمل في أوربا الشرقية، فان هول لم يبد من ناحيته أي استعداد لتأييد المبادرات البريطانية وهو بذلك أوحى للروس بأنه ليس هناك ما ينبغي أن يخشوه في هذا الصدد. او بكلمة أدق فان الأمريكيين كانوا راغبين على ما يبدو في اعطاء الروس الضوء الأخضر في تلك المنطقة. وبالمقابل فان الاتحاد السوفييتي قبل من ناحيته بأن تكون إيطاليا من مسؤولية الحلفاء الغربيين. وكذلك قبل بالمقترحات الغربية بالنسبة لفرنسا ولم يقل شيئاً من شأنه احراج الانكليز في قضية صعبة كاليونان أو يوغسلافيا.

كانت ردود فعل تشرشل مماثلة لهذه بعض الشيء ففي التقرير الذي قدمه الى حكومته وفي مذكراته على السواء، أكد على القيمة العملية للأجهزة الحليفة الاضافية التي شكّلت على شكل لجنة استشارية أوربية ومجلس استشاري إيطالي. لكنه التزم الصمت تجاه قيمة اعلان الدول الأربع وجو الانسجام الذي ساد المؤتمر. لكن تشرشل شأنه شأن ايدن كان يدرك ما اطلق عليه هذا الأخير بـ «نذير الشؤوم» حول بولندا وأوربا الشرقية بوجه عام.

ولعل ميل (ايدن) الى تجميل الأمور قد انعكس في التقارير المرفوعة الى حكومته ابان المؤتمر وكذلك في مذكراته حينما يقول «ان البحث عن سياسة مشتركة في البلقان كانت المسألة الوحيدة التي لم نحرز فيها التقدم المنشود». لكن واقع الحال هو انه بالنسبة للبلقان وبولندا وأوربا الشرقية. ربما كان ايدن سيصبح أكثر دقة وانصافاً لو انه اعترف بأنه مُني بانتكاسة تلو اخرى. مع هذا لابد من القول بأن شخصيات متمرسة من أمثال (كلارك كير) والجنرال (اسماي) عضوي الوفد البريطاني، قد تأثرا الى حدٍ بعيد بالحفاوة والضيافة اللتين لقياهما في موسكو لذلك وصف (كير)

المؤتمر بأنه «نجاح مرموق» بينما أعرب الجنرال اسماي ولأول مـرة عن تفاؤلـه من مستقبل العلاقة مع روسيا.

بعد دراسة مستفيضة للقرارات والاتفاقات التي خرج بها المؤتمر ، عدت وزارة الخارجية البريطانية في بيان رسمي مقتضب ان الأنجاز الرئيس الذي حققته بريطانيا في موسكو انحصر في الاتفاق على تشكيل اللجنة الاستشارية الأوربية وفي موافقة الاتحاد السوفييتي على السياسات الغربية في إيطاليـا وفرنسـا. ولكن البيان لاحظ بشيء من عدم الارتياح ان الاعلانات التي اقترحتها بريطانيا فيما يتعلق بمناطق النفوذ والأراضي المحررة والاتحادات الأوربية ، قد اصطدمت جميعاً بمعارضة قـوية من الاتحاد السوفييتي كما انه لم يتم الوصول الى نتائج حاسمة بالنسبة للبلقان وبولندا باستثناء تبادل المعلومات ، وكذلك لم يتم احراز أي تقدم في تنسيق سياسة الحلفاء تجاه إيران التي أحيل موضوعها الى سفراء الدول الحليفة الثلاث في طهـران. أما بصدد المسائل الثانوية كالموقف من محاولات التقرب من الحلفاء من جانب بعض الدول التي ساندت المانيا ، وكذلك بالنسبة لموضوع جرائم الحرب الألمانية ، فانه تم تحقيق بعض التقـدم رغم ان اللهجة العـامة للوثـائق المتعلقـة بهـا لا تبعث عـلى الحماس.

في بيان لاحق عقبت الخارجية البريطانية على الخطاب الذي ألقاه (هول) في الكونغرس الأمريكي ، بقولها انه من الواضح ان وزير الخارجيـة الأمريكيـة كان يسعى بهذا الخطاب الى الحصول على موافقة الكونغرس لمقترحاته الداعية الى انشاء منظمة دولية جديدة تبلور ما تحقق من نتائج في موسكو ، أما ملاحظاته الأخرى عن توازن القوى ومناطق النفوذ وتحالفات ما بعد الحرب فقد كانت «مجرد امنيات». ومع ان (هول) كما قال بيان الخارجية البريطانية لم يخرج عن مضامين مبدأ (مونرو) ، إلا انه سرعان ما سيجد نفسه وجهاً لوجه أمام حقائق مرة من بينها عزم الاتحاد السوفييتي على تشديد قبضته على دول البلطيق. في تعقيب ثالث لأحد كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية قال انه خرج باستنتاج بأن (هول) كان يكره الحكـومات التي تعيش في المنفى ، وقد انعكس هذا الموقف بعدم تأييده لمقترحات ايدن الداعية الى اعتبار هذه الحكومات الممثلة الشرعية لشعوبها ، وهو بالتالي ما جعل الزعماء البولنديين مثـلاً لا يتوقعون شيئاً من مساندة واشنطن لقضيتهم.

أما ردود الفعل السوفييتية لنتائج المؤتمر ، فرغم انه من الصعب تقويمها بشكل دقيق ، إلا ان بوسع المرء ان يقف على بعض جوانبها . فالصحف السوفييتية راحت تشيد بالمؤتمر معدة إياه «مؤتمراً ناجحاً» مؤكدة بشكل خاص على الأولوية التي اعطيت لاجراءات تقصير أمد الحرب ومن أهمها العملية المخططة لعبور القنال . وبوسعنا الافتراض هنا ان القادة السوفييت لم يشعروا بهذا القدر من الارتياح في الالتزامات الانكلو ـ امريكية التي حصلوا عليها في المؤتمر بل لأنه قد توفرت لديهم كل الدلائل بأن الولايات المتحدة ستقف الى جانب روسيا في أي جدل قد يقوم مع بريطانيا حول استراتيجية المستقبل . ولعل موقف الولايات المتحدة من مسألة حمل تركيا على الدخول في الحرب جاءت لتدعم توقعاتهم هذه .

أما بالنسبة للمسائل السياسية فان القادة السوفييت في الوقت الذي أظهروا فيه العزم على ان تكون لهم حرية العمل في أوربا الشرقية ، فانهم لم يحققوا أي تقدم في الحصول على مدخل يستطيعون عن طريقه التأثير في الشؤون الايطالية . وهذا ينطبق أيضاً على فرنسا وأجزاء أخرى من أوربا الغربية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان القادة السوفييت خرجوا من المؤتمر بانطباع بأن الأمريكان لن يدعوا عواطفهم تؤثر في معاملة المانيا بعد الحرب ولم يشاطروا الانكليز القلق على ميزان القوى في أوربا . بعد ان وضع القادة السوفييت كل هذه الحقائق أمامهم مقترنة بعدم وجود أية رغبة للولايات المتحدة للتورط في مشاكل أوربا الشرقية ، بدا لهم واضحاً ان هناك أساساً لتقسيم أوربا (كأمر واقع) الى مناطق للنفوذ بما في ذلك المانيا نفسها .

في العاشر من تشرين الثاني عُقد في موسكو مؤتمر صحفي تحدث فيه (ليفتينوف) بصفته الناطق الرسمي بلسان الحكومة السوفييتية ـ تناول فيه نتائج المؤتمر من تشكيل اللجان الثلاثية الى الاعلان الرباعي ثم انتقل الى «إيماءات السلام» التي صدرت من بعض الدول التي ساندت المانيا مؤكداً على عزم موسكو تطبيق مبدأ الاستسلام غير المشروط وذلك في اشارة واضحة الى دول المحور الأخرى مثل هنغاريا وفنلندا ، مؤكداً ان الاتحاد السوفييتي لن يسلك جانب الاعتدال في شروط الاستسلام كما حدث بالنسبة لايطاليا . وفي معرض حديثه عن أوربا الشرقية ، أوضح (ليفتينوف) بجلاء موقف حكومته بالقول انه رغم ان الاتحاد السوفييتي يرغب في علاقات ودية مع بولندا ، إلا انه يرى ان الفرصة ضئيلة لتحقيق ذلك في الظروف

القائمة على الأقل. كما كرر معارضة موسكو لـ «الاتحادات المصطنعة» في أوربا مشيرا الى ان المؤتمر كان قد وافق ضمنياً على وجهة النظر السوفييتة هذه. أما بالنسبة للحدود السوفييتية (حدود عام ١٩٤١ مع بولندا ودول البلطيق)، فمع انها لم تناقش في المؤتمر إلا ان هذه الحدود، كما أكد (ليفتينوف) غير قابلة للخرق من أي كان.

وجد (افريل هاريمان)، وهو الآن سفير الولايات المتحدة في موسكو، في هذه الملاحظة الأخيرة ما عزز اعتقاده بأن السوفييت لن يتزحزحوا قيد شعرة عن موقفهم بالنسبة لأوربا الشرقية ولذلك لابد للولايات المتحدة أن تبدي آراءها بوضوح هي الأخرى (كما كتب ذلك في رسالة الى الرئيس روزفلت).

كان استنتاج هاريمان صحيحاً، ذلك ان السوفييت لم يدعوا مجالاً للشك في مدى عزمهم على التأثير في ذلك الجزء من أوربا الذي تزحف جيوشهم باتجاهه والذين سيعدونه حصتهم الخاصة بهم من الحرب.

يميل بعض المؤرخين الى القول انه طالما ان الولايات المتحدة وبريطانيا قد تُركت لتفرض سياساتها وخياراتها في دول أوربا الغربية، فانه من حق الاتحاد السوفييتي أن يفعل الشيء نفسه في أوربا الشرقية التي كانت مصدر تهديد لأمنه خلال سني الحرب والتي ساهمت الجيوش السوفييتية بتحريرها من الاحتلال النازي.

لكي نحكم على مدى صواب هذا الاستنتاج لابد من ان نذكر هنا ان الحلفاء الغربيين طرحوا سياساتهم في فرنسا وإيطاليا في مؤتمر موسكو ليوافق عليها الاتحاد السوفييتي، في حين ان الأخير لم يطلب موافقة الغرب على سياسته في أوربا الشرقية ولم يطرحها للنقاش في المؤتمر. لذلك فان استنتاجاً كهذا مشكوك في دقته تماماً.

٣ - الاهتمامات السياسية والعسكرية الانكلو - امريكية والاستعدادات لمؤتمري طهران والقاهرة.

لم يُحرِزْ مؤتمر موسكو إلا قدراً بسيطاً من التقدم باتجاه تسوية مسألة واحدة كانت تقف بين روزفلت وبين تحقيق إحدى اعز أمنياته ألا وهي لقاء شخصي مع ستالين. كان الزعيم السوفييتي قد وافق في الثامن من أيلول على اجتماع لرؤساء حكومات الدول الحليفة يُعقد إما في أواخر تشرين الثاني أو أوائل كانون اول، على

ان يسبقه اجتماع تحضيري لوزراء الخارجية يعقد في موسكو في رسالة بهذا المعنى بعث بها الى روزفلت ، اقترح ستالين ان تكون طهران مكاناً لاجتماع القمة. وافق تشرشل في الحال ، اما روزفلت فقد أثار من جديد مسألة «الصعوبات الدستورية» التي تحول دون غيابه عن البلاد فترة من الزمن ، ذلك لأنه يترتب على رئيس الولايات المتحدة ان يتلقى اللوائح من الكونغرس ويعيدها بعد ان يوقعها او يرفضها في ظرف بضعة أيام. وفي اواسط أيلول عرض روزفلت بضعة خيارات على ستالين بقيت موضع أخذ ورد في كل من موسكو ولندن وواشنطن تارة بين وزراء الخارجية وتارة عن طريق سفراء الدول الحليفة. وفي النهاية أُخذ بالاقتراح الذي سبق لستالين ان عرضه في البداية وأُتفق على عقد القمة في طهران في السابع والعشرين من تشرين الثاني. بعد ان اقترح روزفلت وتشرشل اماكن عدة لعقد المؤتمر من بينها القاهرة والبصرة واسمرا وبيروت ، لكن روزفلت اقتنع اخيراً بالتقرير الذي رفعه اليه هول بعد عودته من موسكو وقال فيه ان الزعيم السوفييتي غير مستعد للذهاب الى أبعد من طهران ، ذلك لأن الألمان كانوا يعدون العدة لهجومهم الصيفي الواسع على الجبهة الروسية وانه لابد وان يكون قريباً من مسرح الأحداث لكي يشرف على إعداد الهجوم السوفييتي المضاد وانه بالتالي لا يستطيع الذهاب الى مكان بعيد قد لا تتوفر فيه وسائل الاتصالات المناسبة ليكون على اتصال مع قادته في جبهات القتال ثم ان ستالين كان يفضل ان يجتمع مع حليفيه في بلد فيه وجود عسكري سوفييتي وسفارة للاتحاد السوفييتي تستطيع بالتنسيق مع السلطات المحلية ان تضمن سلامته. وقد أوضح ستالين ذلك بجلاء الى روزفلت عندما قال في رسالته انه يرغب الاجتماع في مكان توجد فيه ممثليات دبلوماسية للدول الحليفة الثلاث ، وطهران مكان تتوفر فيه هذه الشروط.

في الخامس من تشرين الثاني عاد الزعيم السوفييتي وبعد انتهاء مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو ، الى ابلاغ روزفلت بأنه لا يستطيع الذهاب الى أبعد من طهران مكرراً ما سبق ان اقترحه على هول في موسكو بأنه سيوفد مولوتوف بصفته نائباً اول لرئيس الوزراء اضافة الى كونه وزيراً للخارجية وسيخوله كل الصلاحيات اللازمة للتفاوض مع حلفائه الآخرين. وفي هذه الأثناء نشأت تعقيدات أخرى على ما كان مقرراً حتى الآن ، فقد ترتب على تشرشل وروزفلت أن يشتركا في مؤتمر دولي آخر

يُعقد في الفترة ما بين مؤتمر وزراء الخارجية واللقاء المقترح لرؤساء الحكومات الحليفة. وقد كان تشرشل هو الذي اقترح ملاقاة روزفلت في القاهرة لمحاولة اقناعه بادخال بعض التعديلات على الجدول الزمني لعملية عبور القنال كما ان روزفلت أراد اغتنام الفرصة للالتقاء شخصياً هناك مع زعيم دولة حليفة أخرى هي الصين ممثلة بالجنرال (شيانغ كاي شيك).

في نفس الوقت الذي كانت فيه الاتصالات مع ستالين حول ترتيب لقاء طهران، توشك أن تدخل مرحلتها الأخيرة، كانت الاتصالات جارية بين واشنطن ولندن لترتيب لقاء منفصل بين روزفلت وتشرشل بناء على طلب هذا الأخير، فيما يمكن وصفه بأنه نزال للملاكمة بين السياسيين من الوزن الثقيل. نزال كان سيؤدي بروزفلت بما يملكه من تفوق الى الفوز بمعظم النقاط إن لم يكن بكلها.

كان تشرشل يريد من الاجتماع مع الرئيس روزفلت ورؤساء الأركان الأمريكان ان يقنعهم بتخفيف «البرنامج الشاق» لنقل القوات من مسرح العمليات في البحر المتوسط الى المسرح المعد لعملية عبور القنال. فقد كان تشرشل يعتقد ان تحريك سبع فرق عسكرية مع المعدات الثقيلة المخصصة للانزال من منطقة البحر المتوسط قبل تشرين الثاني من شأنه ان يؤثر سلبياً على الحشد العسكري للحلفاء في إيطاليا وربما سيجعل بامكان الألمان شن هجوم معاكس يزيحون به كل القوات الحليفة من شبه الجزيرة الايطالية. فهذه التحركات كما اقترح تشرشل في رسالة الى ستالين خلال مؤتمر موسكو ينبغي ان تؤجل بما سيترتب عليه بالتالي تأخير القيام بعملية العبور التي كانت مقررة في الأول من أيار عام ١٩٤٤ لمدة شهر أو ربما شهرين. وكان الزعيم البريطاني يرى انه لابد من تسوية هذه المسائل مع الأمريكيين قبل ان يربط هؤلاء انفسهم بالتزامات أكثر مع ستالين.

من جهة ثانية لم يكن تشرشل راغباً في الالتقاء مع (شيانغ كاي شيك) والدخول معه في مناقشات مطولة حول إمكانية قيام الحلفاء بعمليات عسكرية في بورما لمساعدة القوات الصينية العاملة تحت إمرته، فتشرشل لم يكن متحمساً لعمليات من هذا النوع تدور بين الأدغال وهي ما يفضله اليابانيون، بل كان يفضل التريث حتى يكون بالامكان استخدام قوة بحرية حليفة في المحيط الهندي (كتلك

القوة المستخدمة في المحيط الهادي) للقيام بعمليات انزال برمائية على الساحل البورمي وفي جزر الهند الشرقية الواقعة تحت السيطرة الهولندية.

وعلى أية حال فقد كان تشرشل يعد مسرح العمليات في بورما والصين على انه ذو أهمية طفيفة بالقياس الى العمليات الكبرى المخطط لها في أوربا أو حتى بالنسبة الى العمليات الواسعة التي تقوم بها القوات الأمريكية في المحيط الهادي بقيادة الجنرال (ماك آرثر).

على ان روزفلت ورؤساء الأركان الأمريكيين كانوا يعدون ان موضوع الاستراتيجية الأوربية لعام ١٩٤٤ قد تمت تسويته بالقرارات التي اُتخذت في اجتماع (كويبك) ولذلك فقد أقلقتهم رغبة تشرشل الواضحة في التنصل مرة أخرى من الخطة المتفق عليها لعبور القنال. كان تشرشل قد تنصل لأول مرة بنجاح من هذه العملية عام ١٩٤٢ عندما نقل زخم الجبروت العسكري الانكلو- امريكي الى مسرح العمليات في شمال أفريقيا، وجزيرة صقلية وإيطاليا. لكن رؤساء الأركان الأمريكان كانوا هذه المرة عازمين على ان لا يؤخذوا على حين غرة رغم انهم كانوا يريدون اقناع تشرشل ورؤساء الأركان الانكليز بالقيام بعمليات عسكرية في شرقي بورما بهدف فك الحصار الياباني عن قوات (شيانغ كاي شيك).

كان روزفلت الذي اقنعه الانكليز بتبني استراتيجيتهم الأوربية عام ١٩٤٢، عازماً هذه المرة على الالتزام بالخطة المقررة وتأييد رؤساء أركانه، وعلاوة على هذا فقد كان الرئيس الأمريكي يخطط لتحقيق هدفين سياسيين فقد كان يسعى لاستغلال «المزاج الطيب» الذي أظهره السوفييت في مؤتمر موسكو ويقيم علاقة شخصية ودية مع ستالين تصلح ان تكون أساساً لتعاون سوفييتي - امريكي مستقبلاً. وعلاقة كهذه قد تتقوض إذا استمر الأمريكيون بارضاء الانكليز والتنسيق معهم في عمليات عسكرية جديدة قبل الاجتماع مع ستالين، خاصة وان الروس كانوا قد ابدوا خلال العام الفائت شكوكهم في امر الاجتماعات المنفصلة والمنتظمة بين الجنرالات الانكليز والأمريكان والتي غالباً ما كانت تنتهي بتغلب الأفكار العسكرية البريطانية على مثيلاتها الأمريكية. لذلك كان روزفلت حريصاً على ازالة هذه الشكوك في لقائه المرتقب مع ستالين.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فان الرئيس الأمريكي كان يرغب في الالتقاء مع

الجنرال (كاي شيك) ، فالصين في منظور روزفلت كان يجب ان تحتل مكانها كإحدى الدول الأربع الكبرى في المنظمة الجديدة لحفظ السلام التي أُتفق على انشائها بعد الحرب. وللوصول الى هذا الهدف كان لابد من دعم مكانة الصين عسكرياً وسياسياً مع ما ينطوي عليه ذلك من مساعدتها على ان تلعب دوراً مهماً قدر المستطاع في انتصار الحلفاء في الحرب ، وكذلك تقديم العون للصينيين لاسترجاع ما فقدوه من أراضٍ وعلى ضمان اعتراف بريطانيا والأهم من ذلك روسيا بهم.

كانت البداية الناجحة لهذا المسعى الأمريكي قد تحققت بنجاح في موسكو حينما وضع الصينيون توقيعهم على اعلان الدول الأربع. ولذلك أراد روزفلت أن يستمر في هذا الطريق بمناقشة مستقبل الصين مع الزعيم السوفييتي. ومع ان اعلان ستالين بعد انتهاء مؤتمر موسكو بأن بلاده ستدخل الحرب ضد اليابان بمجرد انتهاء الحرب ضد المانيا كان موضع ترحيب من وجهة النظر العسكرية ، إلا انه جاء في نفس الوقت ليؤكد ضرورة التعجيل في هذا الأمر. فاذا قرر الاتحاد السوفييتي ان يزج بقوته العسكرية في الشرق الأقصى ، فانه من المتوقع ان يبدأ بـ (منشوريا) ثم في شمال الصين وبمجرد تعزيز مواقعه في هاتين المنطقتين فمن المحتمل انه سيحاول كسب بعض المزايا العسكرية والسياسية على حساب جيرانه الضعفاء. وقد تؤدي رغبة الاتحاد السوفييتي في الوصول الى المياه الدافئة وللموانيء التي لا تغطيها الثلوج في المحيط الهادي ، قد تؤدي به الى المطالبة باستئناف التسهيلات التي كانت مسموحة له باستخدام ميناء (بورت آرثر) كقاعدة بحرية وربما طالب بحقوق في موانيء أخرى. وإذا حدث هذا فان الاتحاد السوفييتي ومن أجل ضمان الاتصالات مع قاعدته أو قواعده في تلك المنطقة قد يسعى لبسط سيطرته الدائمة على منشوريا. لهذا السبب كان من المرغوب فيه ان يلتقي روزفلت مع الصينيين والانكليز قبل ان يبحث هذه المواضيع مع ستالين ، وذلك بهدف التنسيق مع الاثنين في مجال العمليات العسكرية وكذلك لمناقشة دور الصين في مرحلة ما بعد الحرب.

منذ حزيران عام ١٩٤٣ ، عندما اخذت هذه المشكلات تلوح في الأفق ، بعث روزفلت برقية الى (شيانغ كاي شيك) يقترح فيها الاجتماع به في الخريف. وهو اقتراح قبله هذا الأخير بكل سرور وهو يدرك تماماً مدى ضعفه العسكري وعزلته السياسية. كان روزفلت عازماً على عقد هذا الاجتماع وان يقتصر البحث خلاله مع

الانكليز والصينيين على المسائل المتعلقة بالشرق الأقصى . ولما كان روزفلت يدرك ان الروس سينظرون بعين الشك الى هذا الاجتماع الذي يجمعه مع تشرشل وكاي شك فقد اقترح دعوة الاتحاد السوفييتي الى ارسال عسكري يمثله في اجتماع لرؤساء الأركان الانكليز والأمريكان ، سيجري الترتيب له لاحقاً. ولقد لقيت هذه الفكرة التأييد الحار من لدن (هول) و(افريل هاريمان) ، وعلى نحو أكثر مدعاة للدهشة من جانب ايدن الذي وصف الدعوة بأنها دليل حازم على الرغبة في ادخال الاتحاد السوفييتي الى الاجتماعات المصغرة للتحالف الانكلو- امريكي . وبعد شيء من التردد وافق رؤساء الأركان الأمريكان على الفكرة. على ان السبب المباشر لتسارع الأحداث الذي أدى بالتالي الى قرار عقد مؤتمر انكلو- امريكي في القاهرة في شهر تشرين الثاني ، يرجع أساساً الى برقية كان روزفلت قد تلقاها من تشرشل في العشرين من تشرين اول في اليوم التالي لبدء مؤتمر موسكو. وهي برقية أملتها ظروف غير مواتية مرت بها الحملة العسكرية في إيطاليا وشرق البحر المتوسط والقلق الذي شعر به تشرشل ورؤساء الأركان الانكليز بصددها. ففي يوم استسلام إيطاليا في الثالث من أيلول كانت القوات الحليفة قد اجتازت مضيق (مسينا) من (صقلية) نحو البر الايطالي ، أعقبها بعد أسبوعين انزال برمائي في (ساليرنو) على الساحل الايطالي الغربي الى الجنوب من نابولي كما تم احتلال جزيرة سردينيا من جهة الغرب .

في شرق البحر المتوسط تقع مجموعة جزر (دوديكانيس) اليونانية التي يسيطر عليها الايطاليون والتي تقع قبالة الساحل التركي وهي جزر كان قد تقرر في لقاء كويبك ان يتم احتلالها عند توفر الظروف المناسبة ، ولكن في الوقت ذاته فان قرارات أخرى كانت قد اتخذت ، جاءت متناقضة مع هذا المخطط ومن بينها الاتفاق على ان

- بعض قطع الانزال البرمائي والقوات التي ستقوم بالعملية كان سيتم نقلها من الشرق الأوسط الى مسارح العمليات الأخرى في موعد لا يتجاوز نهاية شهر آب .

هذا القرار الأخير وضع موضع التنفيذ بشكل «ساذج» قبل استسلام إيطاليا . ولذلك فقد وجد الجنرال ولسن قائد القوات الحليفة في الشرق الأوسط وشرق المتوسط نفسه مع بداية شهر أيلول دون قوات كافية للقيام بعملية احتلال الجزر . ليس هذا وحسب بل ان الحلفاء دفعوا ثمناً باهضاً في أوربا من جراء تصرفات

الادميرال كنغ قائد البحرية الأمريكية. فهذا الادميرال احتكر تماماً كل قطع الانزال البرمائي وسخرها لخدمة عملياته العسكرية في المحيط الهادي ولم يترك سوى قطع محدودة لتساهم في العمليات العسكرية في اوربا. لقد أدى هذا النقصان في عدد القطع البحرية اللازمة للانزال في مسرح العمليات الأوربي الى تقييد حجم العمليات في إيطاليا وتطلب وضع جدول زمني مضغوط تُعاد بموجبه تلك القطع الى بريطانيا استعداداً لعملية عبور القنال.

جاء رد الجنرال (كيسرلنغ) قائد القوات الألمانية في إيطاليا سريعاً على استسلام الايطاليين، فقد أمر في الحال بتجريد القوات الايطالية في الشمال من السلاح ونقل تشكيلات مقاتلة على وجه السرعة الى الجنوب حيث سيطرت على روما قبل أن يتمكن الحلفاء من التحرك. وقامت قوات أخرى بتطويق رأس الجسر الذي كان الحلفاء قد أقاموه في (سالرينو). وهكذا تم وقف عمليات الانزال الحليفة. وما ان تمكنت القوات التي كانت تحاصر (سالرينو) من خرق الخطوط الحليفة لتصبح وجهاً لوجه أمام قوات الفيلدمارشال مونتغمري المتقدمة في الجنوب، حتى كان الألمان قد فرضوا سيطرتهم الفعلية على شمال ووسط إيطاليا. وقد ساعد الحشد العسكري الكبير الذي اقامه الجنرال (كيسرلنغ) الى الجنوب من روما، القوات الألمانية على الانسحاب الى خطوط دفاعية جديدة لحماية العاصمة شتاءاً. وهكذا فقد ذهبت كل آمال الحلفاء بالاستيلاء على روما في تشرين الأول، ادراج الرياح. كذلك تصرف الألمان بسرعة في شرق البحر المتوسط بناء على أوامر مباشرة من هتلر. فاستولوا على جزيرة (رودس)، أكبر جزر (الدودوكانيس) اليونانية وبدأوا عملياتهم العسكرية ضد الحاميات العسكرية الصغيرة التي كان الجنرال ولسن وبأوامر فورية من تشرشل قد أنزلها في الجزر الواقعة الى أقصى الشمال وهي جزر (كوس) و(ليروس) و(ساموس). استعاد الألمان جزيرة (كوس) في الثالث من تشرين الأول وبذلك حرموا الجنرال ولسن من استخدام القاعدة الجوية الوحيدة الصالحة للاستعمال في هذه الجزر. في هذه الأثناء راح تشرشل ولكن دون جدوى يضغط على الجنرال آيزنهاور القائد العام للقوات الحليفة في إيطاليا لامداده بقطع للانزال البري وقوات جوية، ووجه نداءً مباشراً الى روزفلت طالباً اليه المساعدة. لم يكن الجنرال آيزنهاور غير متعاطف مع نداءات تشرشل ولكن مشكلاته هو كانت تتعاظم يومياً. كما ان

الرئيس روزفلت ورؤساء أركانه الذين ظلوا على الدوام ينظرون بعين الريبة الى خطط تشرشل في شرق البحر المتوسط ردوا أخيراً بـ «كلا» قاطعة على نداءات الأخير. عندها رضخ تشرشل الى الأمر الواقع وألغى خططه لشن هجوم على جزيرة رودس ، تاركاً ما تبقى من الحاميات البريطانية في مجموعة من الجزر اليونانية لتواجه مصيرها مع الألمان.

لذلك وفي اواسط شهر تشرين اول لم يكن الموقف العسكري للحلفاء في منطقة البحر المتوسط غير مؤاتٍ تماماً. فلم تكن العمليات العسكرية في الجزر اليونانية تتجه وحدها نحو الانهيار ولكن الوضع في إيطاليا حيث كان الجنرال آيزنهاور والفرق العسكرية الاحدى عشرة التي كانت بإمرته تواجه الى الجنوب من روما حشداً من القوات الألمانية قوامه تسع عشرة فرقة. وكان التفوق الوحيد للحلفاء هو في سلاحهم الجوي. وهكذا بدأ يلوح في الأفق نوع من الركود العسكري وحملة عسكرية شتائية قاسية. وكان الطريق الوحيد أمام تغيير الموازين يكمن في استخدام الأساطيل الحربية للحلفاء لشن هجمات برمائية على ميمنة وميسرة القوات الألمانية ومؤخرتها. لكن القطع المستخدمة في عمليات كهذه كان لابد ان تعاد الى بريطانيا في تشرين الثاني لاستخدامها في عملية عبور القنال.

في التاسع عشر من تشرين اول اجتمع قادة الأركان الانكليز لتدارس الموقف ، وفي العشرين منه بعث تشرشل برقية الى روزفلت يقول فيها ان تغييرات هائلة قد استجدت في الموقف الحربي منذ ان تم الاتفاق على قرارات (كويبك) طالباً عقد اجتماع يحضره جميع رؤساء أركان القوات الحليفة المرابطة في شمال أفريقيا في موعد لا يتجاوز العاشر من تشرين الثاني.

وفي الحادي والعشرين من تشرين اول قدم الجنرال (الكساندر) القائد الميداني للقوات الحليفة في إيطاليا التي يقودها الجنرال آيزنهاور تقريراً مثبطاً للعزائم حول الاحتمالات القائمة. وبذلك ضاعف من القلق الذي كان ينتاب تشرشل ورئيس الأركان البريطاني الجنرال (ألن بروك) ، ومع ذلك ، فان روزفلت لم يكن في حالة تسمح له بالتجاوب ، وكما توقع بروك ، فان جهود تشرشل المحمومة ببدء الهجوم اولاً ومن ثم السعي لانقاذ عمليات شرق المتوسط ، قد أثارت أسوء مخاوف روزفلت

ومستشاريه العسكريين ، ومع ذلك فقد كانت للرئيس الأمريكي أسبابه الخاصة للتفكير بأن اجتماعاً لرؤساء الأركان الانكليز والأمريكان بات الآن ضرورياً على ان يرتبط بالشرق الأقصى أكثر من أوربا ، لذلك وفي الثاني والعشرين من تشرين اول غير روزفلت ولأول مرة من لهجته في الرد على تشرشل قائلاً «إن اجتماعاً لرؤساء الأركان سيكون ممكناً بعد تحليل نتائج مؤتمر موسكو وانتهاء المستشارين العسكريين الأمريكان من تقويم الاستراتيجية الحليفة. ولما كان مؤتمر موسكو قد انتهى في الثلاثين من تشرين اول ، فان هؤلاء المستشارين لن يقدموا تقريرهم قبل الأول من تشرين الثاني على اقل تقدير ، وعند ذلك فقط سيكون في الامكان عقد اجتماع عاجل لرؤساء الأركان في الأسبوع الثاني من تشرين الثاني.

لم يستطع روزفلت إلا ان ينتقد وبشدة الآمال العريضة التي علقها تشرشل على الحاق الأذى بالألمان في جبهة البلقان عن طريق الاستعانة بنشاطات رجال المقاومة اليونانيين واليوغسلاف. فقد لاحظ ان البلقان في حالة من الفوضى وان رجال المقاومة من اليونانيين واليوغسلاف يصرفون من الوقت في التقاتل بين فئاتهم المختلفة أكثر من ذلك الذي يصرفونه في مقاتلة الألمان. لذلك فربما كان ارسال جنرال أمريكي هناك قد يكون له بعض الأثر في تسوية الأمور. لكنه نظراً لأن منطقة البلقان وشرق البحر الأبيض المتوسط كانت تعد بشكل خاص منطقة عمليات بريطانية وان فيها عدداً من البعثات البريطانية فان عملاً كهذا لن يكون مجدياً على الأرجح. ومضى الرئيس روزفلت ليكشف النقاب عن إحدى اهتماماته الآنية وهي ان يتم الاجتماع المشترك لرؤساء الأركان بعد ان يكون هو قد اجتمع مع الزعماء الروس.

وفي الواقع فان كل سطر من برقية روزفلت كان فيها تقريع لتشرشل ولكن نظراً لأن الأخير كان أقل اكتراثاً بالشكوك السوفييتية فقد رد على رسالة الرئيس روزفلت بقوله «لكن ليس للقوات السوفييتية أي دور تلعبه في العمليات العسكرية التي سنناقشها» ، مؤكداً على وجوب تنسيق خططهما الاستراتيجية الثنائية قبل اجتماعهما مع الروس ، مع اقتراح بعقد اجتماع رؤساء الأركان في الخامس عشر من تشرين الثاني ، وبعد ذلك سيكون بوسعه ان يقابل الرئيس الأمريكي بعد بضعة أيام من ذلك ، وفي حالة تسوية الأمور مقدماً مع ستالين فسيكون بوسعهما الاجتماع سوية مع الزعيم السوفييتي. أما بالنسبة لدول البلقان فقد أشار تشرشل الى ان

عمليات حرب العصابات ضد الألمان مضافاً اليها التهديد بدخول تركيا الحرب ، قد ساعدت على تقييد حركة ما يقرب من ٢٥ فرقة عسكرية المانية في جبهة البلقان. وهذا ما من شأنه ان يوفر (في اعتقاده) الظروف المناسبة للقيام بعملية عبور القنال. وأضاف تشرشل الى ذلك قوله «انه لو كان الرئيس روزفلت مهتماً حقاً بازالة الشكوك السوفييتية في نوايا الغرب لكان من الأفضل ان يستجيب لرغبة موسكو في حمل تركيا على دخول الحرب بدلاً من أن يعرقل هذه المسألة ويجعلها أمراً مستحيلاً. ليس هذا وحسب فقد أبلغ تشرشل الرئيس روزفلت انه يشعر بالقلق العميق بشأن الحملة العسكرية في إيطاليا واحتمالات نجاح عملية العبور ، ذلك لأن القوات التي ستزج في كل من العمليتين غير كافية.

كان المخططون العسكريون الأمريكان قد خصصوا ما بين ٢٥ الى ٣٠ فرقة عسكرية امريكية وبريطانية لعملية العبور و٢٢ فرقة لحملة إيطاليا بينما كان لدى الألمان ٣٠ أو أكثر بقليل من الفِرق العسكرية في فرنسا والأراضي المنخفضة وأكثر من عشرين فرقة في إيطاليا وانه سيكون بوسعهم لو تراجعوا من البلقان نحو خطوط دفاعية جديدة فسيكون بوسعهم ان يسحبوا ما يكفي من القوات من تلك المنطقة للقيام بحشد يصل الى ٤٠ فرقة في كل من القاطعين. وإذا تحقق ذلك فسيجعلون من الصعب على قوات الحلفاء في إيطاليا الاحتفاظ بمواقعها. أما في فرنسا فان حشداً عسكرياً المانياً كهذا يمكن ان يهدد عملية العبور برمتها.

الظاهر ان روزفلت شعر من قول تشرشل ان الرجل كان قلقاً حقاً لذلك رد في الخامس والعشرين من تشرين اول بقوله يبدو من موقف ستالين ان أي اجتماع معه لن يكون ممكناً لكنه أي الرئيس روزفلت وتشرشل بوسعهما طبعاً ان يلتقيا في الجزائر أو القاهرة هي بحضور رؤساء اركانهما». لكن الشيء الذي لم يرق لتشرشل في هذا الجواب هو ما اقترحه روزفلت بأن ينضم اليهما (شيانغ كاي شيك) ومولوتوف أيضاً ليكون ذلك بديلاً للقاء مع ستالين. على ان روزفلت حاول في ذات الوقت تخفيف قلق تشرشل بقوله «هناك متسع من الوقت لمشاورات انكلو ـ امريكية على حدة قبل ان ينضم الينا الصينيون والروس» (وهذا ما كان يريده تشرشل). وكان تشرشل يعلم أيضاً بأن روزفلت لم يقتصر على دعوة مولوتوف ولكنه وجه الدعوة أيضاً الى جنرال روسي لحضور اجتماع لرؤساء الأركان الانكليز والأمريكان وهو ما لم يكن

مرتاحاً له. على انه في نفس ذلك اليوم كتب الادميرال (ليهي) رئيس الأركان الأمريكي الى روزفلت يقول «انه بعد بحث فكرة دعوة ممثل عسكري روسي وجدت انها غير عملية في هذا الوقت بالذات» ولا شك ان تشرشل شعر بالارتياح عندما بلغه النبأ.

كان الاجتماع مع ستالين لا يزال موضع شك لكن أصبح واضحاً الآن ان مناقشة انكلو- امريكية على مستوى الأقطاب ستتم. وعلى الرغم من ان فرصة ممارسة الضغط على القوات الألمانية في شرق البحر المتوسط كانت قد ضاعت تقريباً، فانه من الممكن على الأقل (من وجهة نظر تشرشل)، اقناع الأمريكان بتعديل الجدول الزمني الصارم لعملية العبور حتى يمكن مواجهة الضغط الألماني المتوقع في إيطاليا خلال فصلي الشتاء والربيع.

في السادس والعشرين من تشرين اول بعث تشرشل برقية الى روزفلت قائلاً وبحماس انه بالامكان ان يلتقيا في أي مكان على ان يتم ذلك قبل العشرين من تشرين الثاني ومن المفضل في الدار البيضاء على ان ينتقلا بعدها الى القاهرة لملاقاة (كاي شك) و(مولوتوف).

هنا القى روزفلت قنبلته ففي نفس اليوم (٢٦ تشرين اول) أبرق الى تشرشل يقول «انه نظراً للجو الودي الذي كان يسود مؤتمر موسكو الآن والذي يمكن ان يشكل بداية لتعاون حقيقي بين الحلفاء الثلاثة، فانه لابد من استغلال هذا الجو والعمل على كسب بل وزيادة ثقة ستالين بالحلفاء الغربيين. لذلك عاد روزفلت ليجدد اقتراحه بدعوة الاتحاد السوفييتي الى ارسال من يمثله في اجتماع رؤساء الأركان الانكليز والأمريكيين. في اليوم التالي طرح روزفلت الجزء الثاني من خطته لمراوغة تشرشل فقد اقترح ان يلتقيا مع (كاي شيك) في مصر بين العشرين والخامس والعشرين من تشرين الثاني وباقتراحه هذا ضمن الرئيس الأمريكي ان المناقشات المطولة التي كان يتطلع تشرشل الى عقدها معه حول الاستراتيجية الأوربية ستختصر الى أقصر حد ممكن. وفي هذه الأثناء حرص الرئيس روزفلت على ان لا يعرض نفسه للكثير من تململات تشرشل.

كانت لدى الرئيس الأمريكي أسبابه المعقولة في الرغبة في الاجتماع الى الروس والصينيين لعل من أهمها ان وجودهم في المحادثات سيؤدي الى عرقلة خطط

تشرشل. وكما توقع الجنرال بروك ، فان الضجة التي قامت حول عمليات الجزر اليونانية واستعداد تشرشل للاستجابة الى المقترحات السوفييتية بجر تركيا الى الحرب قد أثارت كل كوامن الشك عند الأمريكيين عن حقيقة التزام الزعيم البريطاني بعملية عبور القنال ، خاصة بعد ان أصبح واضحاً ان بريطانيا كانت تحرص على تحقيق أهدافها في شرق البحر المتوسط والبلقان دون اعتبار لأهداف الحلفاء الآخرين.

ومع ان تشرشل كان قد طمأن روزفلت منذ السابع من تشرين اول بعدم رغبته في زج قوات كبيرة من الحلفاء في البلقان ، إلا ان أعماله التي أعقبت ذلك جاءت لتناقض ما تعهد به.

هل كان للشكوك الأمريكية ما يبررها حقاً ؟ لا يمكننا ان نقول كلا بالطبع. فمن المعروف انه لا تشرشل ولا رؤساء الأركان البريطانيين عرضوا أية خطة جدية لغزو البلقان ، وان تشرشل غالباً ما قبل بالرأي القائل بأنه لابد من عبور القنال إذا كان لابد من الانتصار بالحرب. على ان كبار المعلقين الانكليز بمن فيهم (آرثر براينت) أقروا بأن تشرشل كانت تنتابه المخاوف من احتمال أن يقع حمّام دم على السواحل الفرنسية التي سيتم انزال القوات عليها كتلك المجازر التي وقعت في الجبهة الغربية ابان الحرب العالمية الأولى. وكلما كان بالامكان تشتيت القوة الألمانية بعمليات مطولة وغير باهظة التكاليف نسبياً في المحيط الأوربي وكلما ارغمت على سحب المزيد من الفرق الألمانية من الغرب باتجاه إيطاليا ، أصبح تبلور هذه المخاوف ضئيلاً. وربما كان تشرشل في قرارة نفسه يأمل في ان تستمر حرب الاستنزاف على أشدها ضد الألمان في منطقة البحر المتوسط لأن ذلك من شأنه أن يسهل عملية العبور ويجعلها أقل تكلفة.

ومهما يكن من أمر فان اصرار تشرشل على دخول تركيا الحرب وعلى مهاجمة الجزر التي يحتلها الألمان قبالة الساحل اليوناني كانت بمثابة دق ناقوس الخطر للولايات المتحدة.

كان وزير الحربية الأمريكي (ستمسون) قد استنتج من قبل انه لن يكون لعملية العبور نصيب من النجاح لو تمت تحت قيادة ضباط بريطانيين طالما ان الانكليز غير مؤمنين بالعملية ذاتها. ولذلك فقد راح يستخدم نفوذه لدى الرئيس روزفلت

ورؤساء الأركان الأمريكيين بأن يمضوا قدماً في عزمهم على تعيين الجنرال الأمريكي (مارشال) لقيادة العملية. ففي رأيه ان (مارشال) هو الرجل الوحيد الذي لديه من السمعة ما يجعله يرهب تشرشل والانكليز وان يعجل باتمام العملية في الموعد المقرر لها مهما كانت العقبات أو التملقات التي قد يلجأ اليها الانكليز. كان رؤساء الأركان الأمريكيون على وشك رفع توصية الى الرئيس روزفلت بأن يكون قائد عملية العبور هو الذي يتولى أيضاً كل العمليات العسكرية ضد الألمان. وبعبارة أخرى أن يكون مسؤولاً عن جميع عمليات البحر المتوسط ، وذلك من أجل ضمان الأولوية المعطاة لعملية العبور وتأمين القوات اللازمة لها. وفي غمرة هذا الموقف ينبغي على المرء ان يحكم على المراوغة التي انتهجها روزفلت بالنسبة للترتيبات المتعلقة بالمؤتمر القادم. فقد كان من مصلحته ان يؤجل موعد اجتماعه مع تشرشل أطول فترة ممكنة. وقد توفر له الآن «عذر» آخر لذلك عندما بلغه ان وزير خارجيته هول سوف لن يتمكن من العودة الى واشنطن من موسكو قبل العاشر من تشرين الثاني. كان بوسع روزفلت ان يحاجج تشرشل منطقياً بأنه كان لابد له من التحدث شخصياً مع هول حول نتائج مؤتمر موسكو ولذلك فلم يكن لديه متسع من الوقت لمغادرة الولايات المتحدة قبل هذا التاريخ. ولذلك اقترح ان يسافر بطريق البحر الى شمال أفريقيا (كما فعل وزير خارجيته عندما عاد الى واشنطن بحراً) على ان يمضي بضعة أيام في الجزائر ليبحث الموقف مع قادته العسكريين في البحر المتوسط. ولذلك فانه بات واضحاً ان اجتماعه مع تشرشل وانعقاد مؤتمر رؤساء الأركان من غير الممكن ان يتما قبل العشرين من تشرين الثاني بدلاً من العاشر او الخامس عشر منه كما كان يأمل تشرشل.

في هذه الأثناء رد الزعيم البريطاني بمنتهى الغضب على الاقتراح الأمريكي بأن يُمثل الاتحاد السوفييتي في اجتماع رؤساء الأركان. فقد قال ان هذا سيكون تصرفاً من جانب واحد نظراً لأن الروس لم يدعوا من يمثل الانكليز او الأمريكان الى اجتماعات جنرالاتهم بل وتكتموا أيضاً على ما دار في تلك الاجتماعات. وكما قال تشرشل فان وجود جنرال سوفييتي ليست لديه سلطة لمناقشة أي شيء في الاجتماع لن يكون ذا معنى ، وكل الذي سيفعله هذا الجنرال انه سيجلس وهو «يُمني نفسه بفتح جبهة جديدة». وعلاوة على ذلك فان الحاجة الى ترجمة أحاديث الجنرال ونقل ما يدور اليه من الانكليزية الى الروسية وبالعكس سوف يؤدي الى تأخير للمناقشات لا داعي لها.

وبرأي تشرشل انه لا يزال بوسعه ان يلتقي مع الرئيس روزفلت بحضور رؤساء اركانهما قبل العشرين من تشرين الثاني وقبل أن ينضم اليهما الآخرون على الأقل بيومين.

رد روزفلت على هذا بقوله «انه لا يستطيع ان يضمن سفره قبل العشرين من الشهر ولكنه على اية حال أبلغ تشرشل بأن (كاي شك) والروس لن يصلوا قبل الخامس والعشرين منه وبذلك ترك انطباعاً لدى رئيس الوزراء البريطاني بأنه سيكون هناك متسع من الوقت لمحادثات انكلو - امريكية ثنائية لمدة يومين أو ثلاثة. عاد تشرشل هذه المرة ليقترح ان يلتقي مع الرئيس الأمريكي في جبل طارق في الخامس عشر من الشهر على ان يتوجها من هناك الى القاهرة لمقابلة (كاي شك) و(مولوتوف) من الرابع والعشرين وحتى الثامن والعشرين منه وربما سيكون بوسعهما بعد ذلك ان يتوجها من القاهرة الى طهران لمقابلة ستالين ولو ليوم واحد. والواقع ان روزفلت لم يكن يرغب في مقابلة تشرشل على حده لا في شمال أفريقيا ولا في أي مكان آخر. وفي الثالث من تشرين الثاني وجد تشرشل نفسه مرغماً على القبول بملاقاة روزفلت في القاهرة في الثاني والعشرين منه ولكنه عاد ليؤكد ضرورة تشاورهما على حدة قبل ان ينضم اليهما الروس.

وفي الخامس من الشهر نفسه تلقى تشرشل برقية من روزفلت يشير فيها الى امكانية لقائهما في مدينة وهران الجزائرية في التاسع عشر من الشهر، مشيراً الى ان رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان سيكون لديهم متسع من الوقت لعقد عدة اجتماعات منفصلة قبل مجيء الروس والصينيين.

وعلى افتراض ان اجتماع التاسع عشر من تشرين الثاني سيتم في وهران كما ألمح الرئيس روزفلت، فقد وافق تشرشل على مجيء (كاي شك) الى القاهرة في الثاني والعشرين منه أي قبل ثلاثة أيام من الموعد الذي اتفق عليه أصلاً. في ذات الوقت أوضح ستالين بصراحة انه لن يذهب أبعد من طهران، وذلك في برقية بعث بها من موسكو السفير الأمريكي افريل هاريمان الى روزفلت يحثه فيها على الذهاب الى طهران لملاقاة الزعيم السوفييتي لأنه يشعر ان هذا اللقاء أصبح الآن ملحاً أكثر من أي وقت مضى. ويبدو ان هذه البرقية هي التي حسمت الأمور، ففي الثامن من تشرين الثاني ارسل روزفلت برقية الى ستالين يخطره فيها باستعداده للتوجه الى طهران،

ويقترح ان يتم الاجتماع ما بين السادس والعشرين والثلاثين من الشهر نفسه. ثم بعث الرئيس الأمريكي الى القضاء على ما تبقى من آمال تشرشل بابلاغه ستالين انه يأمل ان يبدأ رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان اجتماعهم في الثاني والعشرين من الشهر وان يصل ممثلو الاتحاد السوفييتي في نفس اليوم. وامعاناً منه في اغاضة تشرشل وجّه الدعوة الى (كاي شك) للمجيء الى القاهرة في ذلك اليوم (أي قبل اربعة أيام من الموعد الذي رُتب له سابقاً).

مع هذا كان تشرشل لا يزال يأمل في ان تكون هناك فسحة من الوقت تصل الى ثلاثة أيام ما بين اجتماع الجنرالات الانكليز والأمريكان وبين وصول الروس والصينيين، هذا في حين لم تكن لدى ستالين فكرة بعد بان الصينيين سيصلون الى القاهرة. ولعل عدم ابلاغ روزفلت ذلك الى ستالين كان خطأ كبيراً ارتكبه الرئيس الأمريكي، خاصة وان الزعيم السوفييتي لم يكن يريد لممثل رسمي من الاتحاد السوفييتي ان يجتمع علانية مع (كاي شك).

وبمعزل عن حقيقة ان المارشال ستالين لم يكن ينظر بعين الجدية الى ادعاء الصين بأنها احدى الدول الأربع الكبرى، إلا انه كانت هناك حقيقة أخرى وهي ان روسيا لم تكن حتى الآن وبخلاف بريطانيا والولايات المتحدة في حالة حرب مع اليابان او في حالة تحالف مع الصين.

في العاشر من تشرين الثاني بعث تشرشل ببرقية الى ستالين يبلغه فيها ان الصينيين سيكونون في القاهرة. وتلقى من موسكو ما يفيد بالمقابل ان مولوتوف قد دعي هو الآخر للمجيء الى القاهرة في الثاني والعشرين من الشهر نفسه. كما أُبلغ ولأول مرة بأن روزفلت قد قرر السفر الى طهران.

ثارت ثائرة الرجلين وبعث كل منهما ببرقية الى الرئيس روزفلت يشتكيان فيها من ان ما يعرفه هذا الطرف، لا يعرف به الطرف الآخر. ومما جاء في برقية تشرشل قوله «لقد حُملت على الاعتقاد بأنه سيكون بوسع رؤساء الأركان ان يجتمعوا قبل انضمام الروس ولهذا اقترح تأجيل مجيء الروس حتى الخامس والعشرين من الشهر». في هذه الأثناء اضطر الرئيس روزفلت وكان على وشك مغادرة الولايات المتحدة على متن السفينة الحربية (آيوا) ان يكشف عن اهتماماته الحقيقية. فقد بعث ببرقية الى تشرشل يقول فيها «سيكون خطأً فادحاً لو اننا حملنا ستالين على الاعتقاد

بأننا قد خدعناه فيما يتعلق بأمور كهـذه ، ولذلـك لست أرى سبباً لتـأجيل مجيء مولوتوف الى القاهرة كما هـو مقرر» . أدرك تشـرشل انـه قد هـزم وراح يفكر في الصعوبات التي قد يسببها له اصرار روزفلت على موقفه .

في الثاني عشر من تشرين الثاني تلقى كل من روزفلت وتشرشل برقيـة من ستالين يقول فيها «انه لن يكون بوسع مولوتوف ان يتوجه الى القاهرة بسبب توعك صحته هو (أي ستالين) وانه لابد لمولوتوف باعتباره النائب الأول لرئيس الوزراء ان يكون موجوداً في موسكو» . لكن مرض (ستالين) كان مرضاً دبوماسياً على الأرجح فقد قال في برقيته الى تشرشل «إن مؤتمر طهران يجب ان يقتصر على رؤساء الحكومات الحليفة الثلاث وانه ينبغي استبعاد مشاركة اية دول أخـرى فيه . ثم ختم بـرقيته بالقول «أتمنى لمؤتمركم مع الصينيين كل النجاح» . جاء في برقية تشرشل الجـوابية «اتفهم موقفكم وأنا متفق مع رغباتكم (أي ما معناه ان الصين سوف لن تشارك في مؤتمر طهران) . وهكذا فان الخطة التي سبق لروزفلت ورؤساء اركانه ان وضعوها للمجيء بالروس الى القاهرة لمساعدتهم في عرقلة اي اقتراح بريطاني للمماطلة في عملية عبور القنال لم تسفر عن شيء .

هذا المسلسل . الذي سردته أعلاه والذي لم تنقصه روح الدعابة ، كانت له في نفس الوقت جوانب خطيرة نظراً الى حساسية الموضوعات التي كانت موضع الأخذ والرد . وهو يكشف لنا الى أية درجة من التدني وصلت اليه الشراكة الانكلو ـ امريكية التي بدأت قوية للغاية في الأيام التي تلت دخول الأمريكان الحرب . أما الآن وبعد ان تعاظمت ثقة الأمريكان بأنفسهم ونمت قدراتهم وازدادت تجربتهم العسكرية فقد أخذوا يدركون انهم هم الشريك الأكبر في التحالف وانهم غير مستعدين بعد الآن للاستجابة لكل ما يقوله لهم الانكليز او الامتثال لكل ما يريده تشرشل ، فأولوياتهم قد تغيرت خاصة وان روسيا قد غدت الآن أكثر أهمية من أي وقت مضى . ولعل كل هذا التغيير في المواقف الأمريكية كان قد استند الى تقرير رفعه فريق من مخططي السياسة الأمريكية الى الرئيس روزفلت واتفقوا فيه على ان وضع روسيا في أوربـا سيكون وضعاً مسيطراً بعد الحرب . وانه لن تكون هناك قوة تستطيع الوقوف بوجه جبروتهم العسكري . ومع ان بريطانيا تقوم بتعزيز موقعها في البحر المتوسط إلا انها لن تكون قادرة بعد الحرب ان تقاوم الروس بمفردها ما لم تتلقَ مساعدة الآخرين . ومما جاء في

التقرير أيضاً «انه طالما ان روسيا كانت عاملاً حاسماً في الحرب ، فانه يترتب على الولايات المتحدة ان تبذل كل جهد ممكن لكسب صداقتها. وانه نظراً لأن الروس سيسيطرون على أجزاء واسعة من الأراضي بعد الحرب فلابد من العمل على ابقاء العلاقات ودية معها. وأخيراً يختتم التقرير بالقول «ان دخول الروس الحرب ضد اليابان من شأنه ان يعجل بتقصير أمدها ويجعلها أقل كلفة بالنسبة للولايات المتحدة» .

هذه إذن الاعتبارات التي أملت على الرئيس روزفلت طريقته في التفكير. فصداقة روسيا وكسب ثقتها باتت الآن أهم من صداقة بريطانيا وثقتها .

كل هذا بات واضحاً أمام عيني تشرشل. ولكن الرجل عمل ما كان قادراً على عمله .

وهكذا وفي الحادي عشر من تشرين الثاني وبعد مرور ما يقرب من سنتين على اول اقتراح من روزفلت بمقابلة ستالين ومرور ثلاثة اشهر على اختيار ستالين لطهران ، تم أخيراً تسوية موضوع لقاء القمة الثلاثي .

في ذلك اليوم كان روزفلت مبحراً على متن السفينة (آيوا) بادئاً المرحلة الأولى من رحلته يرافقه كبير مستشاريه (هاري هوبكنز) ورئيس الأركان الادميرال (ليهي) وبقية اعضاء هيئة الأركان الجنرال (مارشال) والادميرال (كنغ) وقائد السلاح الجوي الجنرال (ارنولد) مع فريق من المساعدين وبعثة طبية وفريق كبير من المستشارين من مختلف صنوف القوات المسلحة الأمريكية .

في اليوم التالي غادر تشرشل على متن السفينة الحربية (رينون) مع اثنين من هيئة رؤساء الأركان الادميرال (كنغنهام) والجنرال (اسماي) كما سافر معه على نفس السفينة السفير الأمريكي لدى بريطانيا (جون وينانت) ثم التحق بهم فيما بعد (انطوني ايدن) والجنرال (الان بروك) ومارشال الجو (بورتال) .

ومن موسكو شد السفير الأمريكي افريل هاريمان الرحال الى القاهرة برفقة الجنرال (دين) رئيس البعثة العسكرية الأمريكية . أما في الشرق الأقصى فقد استعد (كاي شك) ورئيس اركانه الجنرال الأمريكي (ستلويل) للتوجه الى القاهرة .

وهكذا فان واحداً من اهم مؤتمرات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية كان على وشك ان يبدأ .

الفصل السادس

الأربعة الكبار وجدول اعمال مؤتمر القاهرة

١ ـ قادة الحلفاء

كُتب الشيء الكثير خلال الأربعين سنة الماضية عن الزعماء الأربعة الذين اجتمعوا في القاهرة وطهران ، الى درجة لم يعد لدي معها ما أضيفه. كان فرانكلين روزفلت يتمتع في عام **١٩٤٣** بقدر كبير من الهيبة والمكانة المرموقة داخلياً وعالمياً. وقد تولى أرفع منصب في الولايات المتحدة مدة تزيد على عشر سنوات ، أُعيد انتخابه خلالها للرئاسة مرتين متتاليتين. والفضل يرجع الى روزفلت في انقاذ الولايات المتحدة من أسوأ أزمة اقتصادية في تاريخها ، ونقل بلاده تدريجياً من حالة العزلة الى المشاركة الكاملة في ائتلاف الحلفاء مما جعله الزعيم الذي لا ينازعه أحد في الولايات المتحدة. كما ان الكونغرس الذي غالباً ما وقف حائلاً في الماضي أمام خططه ، لم يعد بعد ان أثبت روزفلت أهليته كرئيس محنك خلال الحرب ، يقف أمام ما يطلبه الرئيس. وفوق هذا كله فقد حظي بمساندة الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي الذي وقف بصلابة وراء زعامته. وكان روزفلت يدرك ان بوسعه ان يضمن اعادة انتخابه لفترة رئاسية ثالثة وربما رابعة وان يبقى رئيساً للولايات المتحدة حتى عام **١٩٤٨**. وهو اضافة الى هذا كله رجل يتمتع بجاذبية كبيرة وحيوية نادرة ، لم تؤثر فيها صحته المعتلة في سنواته الأخيرة ، كان رجلاً يتمتع أيضاً بقسط كبير من الثقة في ادارة شؤون البلاد والتعامل مع رؤساء الدول الآخرين. أما في الشؤون العسكرية فقد كان الرئيس روزفلت غالباً ما يستأنس بآراء رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي الجنرال جورج مارشال ، وفي الشؤون السياسية كان (كوردل هول) وزير خارجيته و(هاري هوبكنز) كبير مستشاريه من أقرب معاونيه الذين غالباً ما يلجأ اليهم في الأمور السياسية التي تخص علاقات الولايات المتحدة على الصعيد الدولي ، ثم زوجته السيدة (اليانور روزفلت). وكان روزفلت فضلاً عن ذلك يجيد استخدام قابليته على اقناع الآخرين لتمرير سياساته ، وهو رجل حسن النوايا كان يتطلع الى عالم يسوده السلام والازدهار ويعيش فيه بنو البشر من رجال ونساء بحرية في ظل أنظمة من اختيارهم ، بعيداً عن التهديدات ولهذا فقد كان من أقوى المدافعين عن اقامة منظمة دولية فعالة جديدة تتولى حفظ السلام. وهو يرى ان نظاماً اقتصادياً دولياً عادلاً لا يمكن أن يقوم ما لم يحظ بتأييد ومساندة الدول الأكثر قوة. وهذه الدول (بعد

الانتصار على المانيا) هي الولايات المتحدة ، وروسياوبريطانيا، أما الصين فهي حالة خاصة. فصحيح ان هذا البلد متأخر اقتصادياً في هذا الوقت بـالذات ، ومقسّم سياسياً ، وضعيف عسكرياً (كما كانت روسيا قبل عشرين سنة) ولكن امكانياتها ، تكاد تكون هائلة. وعلى أساس الامكانات المستقبلية وليس على الواقع الحالي ، راح روزفلت يدافع بشدة عن ضرورة قبول الصين في «نادي الدول الكبرى». وقد ألمح خلال لقائه مع (ايدن) في واشنطن في أوائل عام ١٩٤٣ ، بأنه يعتقد ان قيام صين موحدة قوية بعد الحرب من شأنه أن يسهم في مواجهة النفوذ السوفييتي في الشرق الأقصى. ولعل إلحاح روزفلت على قيام الحلفاء بغزو (بورما) لم يكن يهدف فقط الى تخفيف الزخم العسكري الياباني عن الصين بل الى إشعار الصينيين الذين أنهكتهم الحرب ، بأن هناك من يقف الى جانبهم وهذا ما سيجعلهم يشعرون بالثقة في حسن نوايا حلفائهم الآن وفي المستقبل. وعلاوة على هذا فقد كان روزفلت يهدف من هذه العملية الى رفع معنويات الصينيين ودعم موقف (كاي شك) في استعادة الأراضي التي خسروها لليابانيين بما في ذلك فرموزا التي مضى على احتلال اليابانيين لها قرابة خمسين عاماً.

لهذا السبب فقد كان موقف روزفلت من دور الصين مستقبلاً هو موقف بعيد المدى. أما في المستقبل المنظور فان روسيا والامبراطورية البريطانية هما أكثر أهمية وحسماً بالنسبة للانتصار في الحرب وفي رسم السياسات لفترة ما بعد انتهائها. وبالنظر لأن انتصار الحلفاء في الحرب كان ذا أولوية مطلقة في اهتمامات سياسات روزفلت ، فانه من الضروري تماماً الابقاء على ائتلاف الحلفاء اولاً وتعزيز هذا الائتلاف عن طريق تقوية الثقة المتبادلة حتى يمكن ان يستمر بـالعمل في مرحلة السلام. وبغية الوصول الى هذا الهدف فانه لابد من القبول ببعض التنازلات كل ما كان ذلك ضرورياً خاصة فيما يتعلق بمبدأ تقرير المصير الذي تؤمن به الولايات المتحدة والذي ثبت في الاعلانات الصادرة عن الحلفاء في زمن الحرب ، فربما حان الوقت لـ «التساهل» في تطبيق هـذا المبدأ خـاصة وان مـطالب الاتحاد السـوفييتي الاقليمية في دول البلطيق قد أصبحت واضحة ولابد من تقديم تنازلات بشأنها من قبل واشنطن. كما انه سيترتب على الصين تقديم تنازلات إذا ما أثار الاتحاد السوفييتي مطالب مماثلة في الشرق الأقصى ، على ان يتم ذلك بضمانات من الولايات المتحدة

والاتحاد السوفييتي بالعمل على استعادة الأراضي التي فقدها الصينيون وضمان مكان مناسب للصين في المنظمة الدولية المزمع انشاؤها بعد الحرب.

ومبدأ تقرير المصير أيضاً بقدر ما ينطبق على الاتحاد السوفييتي ينطبق أيضاً على الامبراطورية البريطانية وقوى استعمارية اوربية أخرى مثل فرنسا وهولندا واسبانيا والبرتغال فهذه الدول لها أيضاً مستعمرات فيها وراء البحار ، ولابد أيضاً من انه يكون هناك تنازل امريكي بالنسبة الى تمتع تلك المستعمرات بحق تقرير المصير خاصة وان بريطانيا كانت على طريق الاضمحلال كقوة استعمارية كبرى. كما ان بعض الدول المُستعمرة الأخرى كانت قد هُزمت او أُحتلت أراضيها. ففرنسا في رأي روزفلت لم يعد بوسعها استعادة وضعها كقوة عظمى قبل مضي وقت طويل.

مع هذا فقد كان روزفلت يحاول اقناع بريطانيا مثلاً بتقديم تنازلات ازاء مطالب الشعوب المستعمَرة في نيل استقلالها الوطني في المستقبل غير البعيد ، معتبراً ان هذه التنازلات يمكن ان تكون أساساً لأفضل سياسة يمكن انتهاجها من قبل الدول الاستعمارية وبالذات بريطانيا. ولكن (روزفلت) بعد نقاشات عدة مع تشرشل حول مستقبل الهند (التي كانت آنذاك أكبر مستعمرة بريطانية) فشل في اقناع هذا الأخير بتقديم تنازل كهذا. ومع هذا فان روزفلت استمر في ممارسة الضغط على تشرشل من وقت لآخر عن طريق أطراف ثالثة. ولما وجد ان البريطانيين متمسكون بموقفهم تخلى عن محاولاته ، ذلك انه لم يكن مستعداً لتهديد التعاون الحالي او المستقبلي مع بريطانيا من أجل الفوز بهذه النقطة. وهكذا ترك الأمر ليقرره منطق التاريخ الذي لا يرحم.

كان من السهولة بمكان تشخيص رغبة روزفلت الأخيرة بقبول بعض الحلول الوسط تجاه بعض القضايا التي كان يؤمن بها إيماناً حازماً من قبل ، بأنها نوع من الانتهازية كما وصفها بعض النقّاد. ولكنه ليس من الخطأ بالنسبة لروزفلت عندما قبل بالرأي القائل ان السياسة وخاصة الدولية منها. . هي «فن ما يمكن بلوغه». فللوصول الى هدف رئيس كشراكة فعّالة بين الدول الأربع الكبرى في مرحلة ما بعد الحرب ، لابد من تقديم بعض التضحيات ولو كان ذلك على حساب المباديء. لكن السؤال الذي يبرز هنا هو ما إذا كانت شراكة كهذه أمراً سهل المنال ؟. وعلى أية حال كان روزفلت يفترض انها كذلك ، وإلا فان الخيار الوحيد لهذه الشراكة هو عالم

يسوده التوتر بما ينطوي عليه ذلك من احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة. ولعل تجربة عالم كهذا عبر الأربعين سنة الماضية تجعل من الصعب على المرء ان ينتقد روزفلت لمحاولته تفاديها.

وحتى تشرشل وايدن اللذين كانا أقل ميلاً من روزفلت لتبني وجهات نظر متفائلة بالنسبة لمستقبل العلاقة مع روسيا، كانا يقران هذا المنطق رغم كراهيتهما له. وكما اعترف ايدن لروزفلت خلال محادثاتهما في آذار من عام ١٩٤٣ «فانه لمن الأفضل ان تكون على صلة طيبة بالروس بدلاً من العكس». والواقع ان كلاً من تشرشل وايدن كانا مستعدين للتساوم مع الروس حول القضايا المتعلقة بالمطالب الاقليمية من أجل الفوز بثقة موسكو.

تجلت واقعية روزفلت وتفهمه لحقائق الأمور في آرائه المتعلقة بطبيعة المنظمة الدولية التي ستقام مستقبلاً بهدف المحافظة على السلام العالمي. فقد أظهرت تجربة عصبة الأمم التي كانت قائمة قبل الحرب انه ليس بوسع منظمة كهذه ان تعمل دون مساندة الدول العظمى. كذلك ارتأى روزفلت ان تضم منظمة دولية جديدة مجلساً يضم الدول الأربع الكبرى (ما يعرف اليوم بمجلس الأمن الدولي) مهمته الرئيسة المحافظة على السلام في عالم ما بعد الحرب.

أما فيما يتعلق بالمقترحات الاقتصادية التي عرضها الأمريكيون لمرحلة ما بعد الحرب فقد استندت على مباديء «التجارة الحرة التي لا تحدها قيود»، فالمقترحات التي تقدم بها هول الى مؤتمر موسكو مثلاً نادت بالحاجة الى تنظيم التجارة الدولية والسيطرة على التذبذب في أسعار السلع والعملات والتعامل التجاري المتكافيء والعمل على حمل مختلف الدول على التخفيف من اجراءات الحماية التي تتخذها ضد الواردات من دول أخرى. كما استهدفت أيضاً تشجيع الاتحاد السوفييتي على توسع تعامله التجاري مع الغرب.

في سعيه لتحقيق الأهداف التي كان يتطلع اليها، وجد روزفلت انه لابد من الاستعانة بالشخصيات الدولية التي تعامل معها في تلك الحقبة، ومن أهم هذه الشخصيات قادة الدول الحليفة الثلاث روسيا وبريطانيا والصين.

يمكننا أن نصف مشاعر روزفلت تجاه تشرشل بأنها خليط من الاعجاب أحياناً والسخط أحياناً أخرى، اعجاب بشجاعة الرجل وحنكته السياسية وسخط

لم يستطع اخفاءه في كثير من الأحيان. كثيراً ما تراسل الرجلان وبصراحة أيضاً طيلة فترة الحرب. وقد بعث روزفلت ذات مرة برقية الى تشرشل يقول فيها «انه لمن سخرية الأقدار حقاً أن نكون أنا وأنت من أبناء جيل واحد». على ان الرجلين كثيراً ما اختلفا حول هذه القضية أو تلك وكثيراً ما ضاق روزفلت ذرعاً بزميله في مناقشة قضايا مهمة كالعلاقات بين الحلفاء، واستراتيجيتهم، والموقف من روسيا والصين وفرنسا وما ينبغي عمله في فترة ما بعد الحرب. وكان روزفلت يرى ان انتماء تشرشل الى التيار المحافظ الذي عفا عليه الزمن وتعلقه بالنزعة الاستعمارية هي التي أملت عليه الكثير من المواقف التي اتخذها وأصر عليها. وكان يرى في أحيان أخرى انه يحاول جر تشرشل جراً الى مفاهيم القرن العشرين خلافاً لرغبات الأخير. أما زملاء تشرشل الآخرون في وزارة الحرب البريطانية بما في ذلك وزير الخارجية ايدن فرغم كونهم محافظين أيضاً إلا انهم كانوا أقل رجعية من رئيس وزرائهم. بينما كانت آراء زعماء حزب العمال البريطاني المعارض خاصة (اتلي) و(كريبس) أكثر تقدمية وانفتاحاً بالنسبة لموضوع الهند وقضايا المستعمرات البريطانية فيما وراء البحار. ولكن الأمريكان عندما كانوا يتعاملون مع بريطانيا وسياساتها بوجه عام كانوا وكأنهم يتعاملون مع تشرشل وحده. ولعل هذا هو الذي قاد الأمريكيين الى الاعتقاد بأن الرجل مسؤول أولاً وأخيراً عن كل السياسات الاستعمارية التي كانوا ينظرون اليها بعين الشك. ليس هذا وحسب بل ان الأمريكيين كانوا مقتنعين أيضاً ان الهدف الرئيس الذي يسعى اليه تشرشل هو الحفاظ على الامبراطورية البريطانية وتماسكها.
وهو ما أملى على الانكليز كل خطواتهم الدبلوماسية في علاقاتهم مع حلفائهم الآخرين، وهو ما جعل من الصعب على الأمريكان أيضاً ان يحكموا بموضوعية على المقترحات البريطانية بما فيها تلك المتعلقة بالمسائل الاستراتيجية. فإذا كان تشرشل ورؤساء أركانه يفضلون القتال في شرق البحر المتوسط على عملية عبور القنال الانكليزي فلأن ذلك يرجع سببه الى انهم يريدون استعادة مواقعهم في تلك المنطقة وفي الشرق الأوسط بوجه عام، وإذا كانوا مستعدين للقيام بعمليات انزال برمائية على ساحل سومطرا او الملايو بدلاً من القيام بحملة عسكرية برية في بورما، فذلك لأن ما يشغلهم هو استعادة سنغافورة. كذلك كانت مقترحاتهم حول عمليات البلقان وحتى خططهم لاحتلال المانيا ذات دافع شرير وهو توريط الأمريكان اعمق

فأعمق في مشاكل أوربا بعد الحرب. كثير من هذه الشكوك كان روزفلت نفسه يعبّر عنها في لقاءاته السرية مع كبار مستشاريه وهم على متن السفينة (آيوا) وهي تمخر عباب البحر متجهة الى القاهرة. كذلك كان الأمريكيون يرون أن هناك فتوراً من جانب الانكليز تجاه الأفكار الجديدة التي عرضها الرئيس روزفلت حول خططه باقامة نظام عالمي جديد في مرحلة ما بعد الحرب. أما عداء تشرشل الشديد للشيوعية، فهو من وجهة النظر الأمريكية سيقوض مهمة صعبة ألا وهي محاولة كسب ثقة السوفييت وتعاونهم في اقامة هذا النظام. وكان (هول) وزير الخارجية الأمريكي يرى في نظام الأفضليات المتعلقة بالتعرفة الكمركية والذي تنتهجه بريطانيا، عقبة كأداء لخططه الرامية الى تطوير التعاون الاقتصادي الدولي بعد الحرب. هذا ما يراه الأمريكيون في تشرشل فكيف كان ينظر هذا الأخير اليهم؟... كان تشرشل يعتقد ان الأمريكيين لا يعلمون إلا الشيء القليل عن موضوع الهند والمشكلات الأخرى المتعلقة بمستعمرات بريطانيا فيما وراء البحار. كما انه كان يعتبر الرئيس روزفلت جاهلاً بالكثير من الأمور المتعلقة بأوربا وربما كان ايدن يشاطره هذا الرأي أيضاً. مع هذا كان تشرشل يدرك انه يدين بالفضل الكثير للأمريكان، فلولا الولايات المتحدة لم يكن بوسع تشرشل ان يأمل في الخروج منتصراً من الحرب ضد المانيا، كما ان روزفلت فوق كل الرجال هو الذي يُعزى اليه الفضل في تحقيق التحالف الانكلو-امريكي وهو التحالف الذي كان تشرشل يعده أمراً حيوياً للغاية في رسم مستقبل سلام العالم كما ساهم في حسم الحرب.

في هذه المرحلة كان تشرشل شأنه شأن روزفلت، في ذروة قوته وسمعته. صحيح انه كان للشعب البريطاني تحفظات على تشرشل كرئيس وزراء لمرحلة ما بعد الحرب، وتحفظات أكثر على حزب المحافظين الذي يتزعمه، ولكن الانكليز عموماً وقفوا بصدق الى جانب هذا الرجل كأحسن من قاد بريطانيا في زمن الحرب. في مجلس العموم كان موقفه قوياً جداً حتى في أحلك ساعات الحرب وبعد انهيار الامبراطورية البريطانية في جنوب شرق آسيا وهزيمة القوات البريطانية في (طبرق) فان منتقديه من أعضاء البرلمان لم يستطيعوا ان يحشدوا سوى عشرين صوتاً فقط لتأييد اقتراح بسحب الثقة من حكومته. أما الآن وقد أخذ تيار الحرب ينقلب لصالحه

فان منتقديه أنزووا في أحد أركان البرلمان دونما حركة. كانت الحكومة التي يتزعمها تشرشل ابان الحرب ممثلة لجميع الأحزاب السياسية الرئيسة ولذلك ضمنت تأييد البرلمان، كما ان زملاءه من حزب العمال في الحكومة الائتلافية بما فيهم زعيم الحزب (كلمنت اتلي) كانوا غاية في الاخلاص والكفاءة. على انه إذا كان وضع تشرشل في الداخل قوياً فانه كان شخصياً يعتقد ان وضع بريطانيا على النطاق الدولي خاصة ازاء الولايات المتحدة كان ضعيفاً. فعدد القوات الأمريكية التي تقاتل الآن في مسرح العمليات الأوربي يماثل عدد القوات البريطانية. ثم ان حاجة بريطانيا الى استمرار المساعدة المالية الأمريكية قد أضافت بعداً جديداً على علاقة أصبحت تتسم بطابع الاتكال بدلاً من الشراكة المتكافئة. ولعله ولهذه الأسباب أخذ الأمريكيون يتعاملون بلهجة أكثر شدة مع حلفائهم الانكليز. ففي اجتماعي واشنطن وكويبك وجد تشرشل نفسه مرغماً على الموافقة على تحديد موعد للقيام بعملية عبور القنال بعد ان ظل يماطل مدة تزيد على السنة. وعلاوة على هذا، فقد كان الزعيم البريطاني يحس بقلق عميق من تنامي العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا. ومما زاد من قلقه ان (هول) لم يقف الى جانب (ايدن) في مؤتمر موسكو، كما ان روزفلت لم يكن راغباً في الاجتماع معه على حدة قبل مؤتمر رؤساء الدول الحليفة. وأخيراً جاء اقحام الصين على المسرح بتشجيع من الولايات المتحدة ليزيد قلقه. ولكن تشرشل مع هذا كله لم يفقد الثقة بالرئيس روزفلت.

لم يكن روزفلت ولا تشرشل قد التقيا من قبل مع (كاي شك). فهذا الأخير قد أمضى معظم سني حياته وهو يقاتل اليابانيين من أجل توحيد بلاده. و(كاي شك) كأي ضابط في أي مكان، كان محافظاً في توجهاته السياسية. وكان يرى في الحزب الشيوعي الصيني القوي رغم ما يملكه من قوة تقدر بنصف مليون محارب على انه لا يقل عداءً للصين من اليابانيين انفسهم. وفي الثلاثينيات تعرض (كاي شك) للانتقاد لأنه كرس معظم طاقاته لمحاربة اعدائه الداخليين بدلاً من محاربة الغزاة اليابانيين الذين احتلوا منشوريا في عام ١٩٣٢ ومن ثم معظم الأقاليم الشمالية من الصين بما في ذلك العاصمة القديمة (بكين) عام ١٩٣٧ وبعدها شانغهاي و(نانكنغ) و(كانتون) في الجنوب. ثم حوض نهر (اليانغتزي) الخصب. وهكذا احتل اليابانيون تقريباً معظم المناطق الشمالية والوسطى من الصين مما اضطر قوات (كاي شك) تحت

ضغطهم الى التراجع نحو أقاليم نائية ومتخلفة في المناطق الجنوبية الغربية بعد ان فقدوا السيطرة على معظم المراكز الصناعية والتجارية المهمة في البلاد. لم تقتصر آثار هذا التقهقر على المجالين العسكري والسياسي ، بل تعدتهما الى المجال الاقتصادي والنفسي أيضاً. فقد انتهى الأمر بـ (كاي شك) وحزب (الكومنتانغ) الذي يتزعمه الى الانعزال. وكانت عاصمة (كاي شك) وقت الحرب وهي مدينة (شونغكنغ) أكثر المناطق تخلفاً في الصين يسيطر عليها الاقطاعيون وملاكو الأراضي. وكانت المناطق التي يحكم فيها (كاي شك) والتي يطلق عليها اسم (الصين الوطنية) دولة ذات حزب واحد ونظام دكتاتوري يمثله هذا الجنرال وحده أما الشيوعيون فكانوا في المناطق التي يسيطرون عليها قد ضمنوا الى حد ما ولاء الفلاحين بفضل الاصلاحات التي أدخلوها والتي حدت من نفوذ الاقطاعيين وهيمنتهم. غير ان (كاي شك) لم يدخل اصلاحات كهذه في المناطق الواقعة تحت سيطرته وربما لم يكن يرغب في ذلك. بعد عشرين سنة من الحرب والحرب الأهلية تفاقمت مشكلات (الصين الوطنية) الى درجة كبيرة ، فالاقتصاد كان منهاراً ، والتضخم يسير بوتائر عالية غير قابلة للسيطرة عليها والادارة غير كفوءة وقد استشرى الفساد في كل مرافقها والناس قد انهكتهم الحرب. بينما المجاعة تفتك بالآلاف وقوات (كاي شك) في حالة معنوية متدنية وهي تفتقر الى السلاح والعتاد ، فضلاً عن عدم دفع الرواتب الى المجندين. ومع ان جيش الجنرال (كاي شك) كان قوامه (٣٠٠) فرقة ، إلا ان الخبراء الأمريكان يعتقدون ان ستين فقط من هذه الفرق قادرة على القتال. وكانت أسراب الطائرات الأمريكية المرابطة في الصين الوطنية بقيادة الجنرال الأمريكي (شينول) هي السلاح الفعّال الوحيد للصينيين الوطنيين بعد ان أصبحت قواتهم شبه مشلولة في مواجهة اليابانيين. من الناحية النظرية كان (كاي شك) رئيساً للدولة والحكومة وقائداً عاماً للقوات المسلحة ، ولكنه في واقع الحال كان مجرد العوبة بأيدي الاقطاعيين الذين كان يمثلهم وزير المالية في حكومته (اج. كونغ وهو أخو زوجة الجنرال (كاي شك). كذلك كان الجنرال يعتمد اعتماداً كبيراً على زوجته الشديدة المراس التي سيطر أقاربها وأصدقاؤها على مقاليد الأمور.

في ضوء كل ما تقدم فقد كانت حكومة (الصين الوطنية) تتطلع دوماً الى حلفائها وخاصة الولايات المتحدة لمساعدتها اقتصادياً وعسكرياً ضد اليابانيين ومن

أجل التغلب على أوضاعها الداخلية المتدهورة. ولما وجد (كاي شك) خلال السنتين الماضيتين دعماً عسكرياً متزايداً من الولايات المتحدة راح يحاول اقحام الانكليز والأمريكان هذه المرة في عمليات عسكرية في بورما ومناطق أخرى بهدف تخفيف الضغط الياباني عن قواته. كان هذا الجنرال يثق بروزفلت ثقة لا حدود لها، وفي الوقت نفسه لم يكن يرتاح لبريطانيا وروسيا. والواقع ان تشرشل نفسه لم يكن يرتاح هو الآخر لـ (كاي شك) ولا يطمئن لقدراته العسكرية. وقد ازدادت العلاقات بينهما سوءاً بعد ان ألغى (كاي شك) الامتيازات التي كان الرعايا الانكليز يتمتعون بها في الصين ردحاً طويلاً من الزمن ومطالبته بالجزء الأعظم من مرفأ هونغ كونغ الذي كان خاضعاً للسيطرة البريطانية والذي وقع هو الآخر تحت الاحتلال الياباني. ولعله ولهذا السبب فقد كان الانكليز يخشون من النوايا التوسعية لهذا الجنرال على حساب مستعمراتهم في جنوب شرق آسيا بما فيها الهند. وقد عبّر الانكليز عن مخاوفهم هذه بعد ان أعلن (كاي شك) عن تعاطفه مع تطلعات الشعب الهندي للاستقلال عن بريطانيا وتأييده للزعماء الوطنيين الهنود الذين زج بهم الانكليز في السجون. لهذا وجد تشرشل من الصعب عليه أن يرحب بأي اقتراح من شأنه أن يعزز مكانة (الصين الوطنية) بين الحلفاء ولهذا أيضاً رأى ان الأمريكيين بالغوا كثيراً في الأهمية التي علقوها على مساهمة الصين في المجهود الحربي للحلفاء وفي الدور الذي يمكن ان تلعبه في مرحلة ما بعد الحرب.

وكرد فعل على مواقف (كاي شك) هذه لم يبد (تشرشل) أي حماس تجاه الخطط الأمريكية للقيام بانزال بري في الأراضي البورمية بحجة ان أدغال بورما هي المكان الذي يفضله اليابانيون للقتال. ثم ان سير الحرب بشكل عام جعل عملية من هذا النوع ليست ضرورية، هذا علاوة على ان الاكتساح الواسع الذي قامت به البحرية الأمريكية في المحيط الهادي والذي رافقته عمليات انزال بريطانية في الملايو وجزر الهند الشرقية كان من شأنها أن تضيق الخناق على اليابانيين وتجعلهم بالتالي أقل ضغطاً على قوات (كاي شك) وانه إذا نجحت هذه العمليات الانكلو ـ أمريكية في قطع طرق الامدادات عن القوات اليابانية فان اليابان ستضطر الى الاستسلام. أما بالنسبة لدور الصين في المنظمة الدولية المقترحة لفترة ما بعد الحرب فان الانكليز كانوا يعتقدون ان الصين ستستخدم ثقلها في المنظمة وفي مجلس الأمن التابع لها

لمعارضة المصالح الاستعمارية البريطانية.

في معارضته لاعتبار الصين إحدى الدول الكبرى ، كان تشرشل يـرى ان وجودها في مجلس الأمن لن يكون بأكثر من «صوت مضمون» لما تـريد الـولايات المتحدة تمريره من قرارات. كذلك كان (ايدن) يشاطر رئيس وزرائه الرأي بأن الأمريكيين بالغوا كثيراً في تقدير امكانات الصين المستقبلية ، ولكنه مع ذلك رأى ان من مصلحة التحالف الانكلو ـ أمريكي أن تقبل بريطانيا بوجهة النظر الأمريكية. مع ان هذا الرأي لم يرق لتشرشل إلا انه وجد نفسه مضطراً ثـانية للتصـرف في حدوده.

كان تشرشل قد وافق بعد تمنع في لقائه مع روزفلت في (كويبك) بأن يدرس رؤساء الأركان الانكليز والقيادة المشكلة حديثاً في جنوب شرق آسيا بقيادة اللورد (مونتباتن) إمكانية القيام بعمليات انزال محدودة في بورما وعمليات انزال برمائية في المحيط الهندي على أن تبقى مثل هذه العمليات دون الأهمية والأولوية المعطاة لعملية عبور القنال أو عمليات البحر المتوسط. على ان روزفلت بقي متشبثـاً بموقفـه من الصين رغم التقارير المرفوعة اليه من الجنرالات الأمريكيين المتواجدين في مسرح العمليات في جنوب شرق آسيا والتي شككت كثيراً في قدرة (الصينيين الوطنيين) العسكرية واصفة الجيوش التي يقودها كاي شك بأنها غير مدربة ، وغير كفوءة وتعاني من الاهمال. ولعل أكثر التقارير انتقاداً لوضع (الصين الوطنية) هو ذلك الذي بعثه (غوس) سفير الولايات المتحدة لدى (كاي شك) الى حكومته وجاء فيه «ان الصينيين يعتقدون الآن انهم قاتلوا بما فيه الكفاية وانه يترتب عليهم الآن ان يجلسوا جانبـاً ويتركوا حلفاءهم الانكليز والأمريكان ليكملوا المشوار في محاربة اليابانيين. كذلك شكك (غوس) في مدى التزام (الصينيـين الوطنيـين) في القيم الديمقـراطية واتهم (الكومنتانغ) بأنه أكثر حرصاً على البقاء في السلطة بعد الحرب من الاهتمام باقامة نظام ديمقراطي ، قائلاً انه يعتقد ان تيارات أشبه ما تكون بالفاشستية بدأت تظهر في نظام (كاي شك) على ان هناك من كان يـطعن بهذه الآراء في الاد[illegible]

فـ (هورنبيك) مستشار الخارجية الأمريكية للشؤون السياسية ، كان لا يزال ير[illegible] جماعة (كـاي شك) هم القـوة المسيطرة في الصـين وانهم يحظون بتـأييد الشعب الصيني. أما (باتريك هرلي) الذي أوفده الرئيس روزفلت شخصيـاً الى (الصين) .

للتحري عن حقيقة الوضع فقد اعترف بأنه لا ينبغي على الولايات المتحدة ان تتوقع الكثير من الصينيين في الميدان الحربي ، قائلا انه يعتقد ان (الصينيين الوطنيين) يعملون الآن على الاحتفاظ بما لديهم من قوة لمقاتلة الشيوعيين مستقبلاً ، أما من الناحية السياسية فهو - أي المبعوث - يعتقد ان (كاي شك) معاد للامبريالية ومناصر للديمقراطية.

لذلك كان أمام روزفلت تقارير متناقضة ، لكنه قَبِلَ أخيراً بالرأي القائل انه لا ينبغي على الولايات المتحدة ان تتوقع الكثير من الصينيين في المجهود الحربي للحلفاء.

أما بالنسبة لعملية الانزال المقترحة في بورما ، فقد أجمعت التقارير المرفوعة للرئيس الأمريكي على ان (كاي شك) يريد من ورائها انقاذ نظامه من الانهيار التام.

كما أسلفنا فان الرئيس الأمريكي ظل متشبثاً بموقفه المؤيد للصينيين الوطنيين ظناً منه ان التراجع عن هذا الموقف لم يعد ممكناً بعد كل الدعاية التي قامت بها الولايات المتحدة لاظهارهم بمظهر القوة بل ان عزمه قد تضاعف على ضرورة مساعدة الصين للوقوف على قدميها لكي تلعب الدور الذي كان يريده لها في المنظمة الدولية الجديدة المقترح اقامتها بعد الحرب.

ومهما كانت الاختلافات القائمة بين تشرشل وروزفلت حول وضع الصين ، إلا ان الرجلين لم تساورهما الشكوك حول أهمية حليفهم الآخر الاتحاد السوفييتي وستالين بالذات. فهذا الرجل ظل الشخصية القيادية في الاتحاد السوفييتي منذ رحيل (لينين) قبل عشرين سنة. وقد مارس خلال الثلاثينات سلطة مطلقة وقام بتصفية جميع خصومه. وكان من أبرز مساعديه مولوتوف و(فورشيلوف) وميكويان و(كاغنانوفيتش) ، ومشورة هؤلاء كانت ضرورية له في المسائل السياسية ، أما مدى النفوذ الذي كانوا يتمتعون به في اتخاذ القرارات المهمة فكان أمراً لا يمكن التكهن به. تولى ستالين جميع مقاليد السلطة تقريباً من عسكرية الى سياسية فهوزعيم الحزب وهو رئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة وكان حازماً في كل الأمور الى درجة لا تعرف الرحمة في بعض الأحيان وهذا ما ساعده على البقاء على قيد الحياة بوجه خصوم أقوياء وفي صراع مرير على السلطة.

كان ستالين شكوكاً في كل ما حوله. وقد وصفه ذات مرة أحد زعماء المقاومة اليوغسلاف (ميلوفان جيلاس) «بأنه لا يثق في شيء ما لم يكن ذلك الشيء في قبضة يده». لكن شكوكه في السياسات الغربية كما رأينا كان لها اسبابها في أحيان كثيرة. فالسياسات البريطانية والفرنسية قبل نشوب الحرب كانت تبدو ميالة نحو المانيا النازية وإيطاليا الفاشية في نفس الوقت الذي كانت فيه هذه السياسات معادية تماماً للاتحاد السوفييتي الى درجة انه حتى التحالف الذي ضم ستالين مع الغرب خلال الحرب لم يستطع أن يزيل تلك الشكوك. كان ستالين على وجه الخصوص يشك في ان تشرشل يريد أن يرى كلاً من المانيا وروسيا وقد انهكتهما الحرب لتحقيق مراميه الاستراتيجية. كذلك فان تشرشل من جانبه لم ينسَ التحالف الألماني الروسي غير الرسمي للسنوات ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ وكان ستالين مستعداً لرؤية فرنسا تهزم وبريطانيا تتعرض لخطر مميت دون ان يرفع اصبعاً. وكما يقول (جيلاس) فان ستالين كان يرى في تشرشل «برجوازياً خطيراً ولكنه بعيد النظر». وكان كل من تشرشل ووزير خارجيته ايدن، يتخذان مواقفهما من ستالين بمزيج من الأمل والخوف، فهما يحترمان قدراته ولكنهما يأخذان عليه قساوته. وهو رأي كان يشاطرهما فيه زعيما حزب العمال البريطاني (اتلي) و(بيفن). في بعض الأحيان كان تشرشل يعتقد انه قد حقق بعض التقدم في اقامة نوع من العلاقة الاعتيادية مع ستالين وفي أوقات أخرى كانت تغضبه خشونة ستالين وصرامته وطلباته التي يعجز عن تحقيقها الآخرون. وكذلك كان الحال مع ايدن.

في آذار من عام ١٩٤٣ نقل ايدن الى روزفلت رأيه في ستالين بقوله «لا اعتقد ان الرجل يسعى الى ان يجعل اوربا شيوعية بكاملها». وعندما كان ايدن يحضر مؤتمر موسكو بعث ببرقية الى تشرشل يقول فيها «إن الروس، هم الآن في مزاج يجعلهم يتحركون معنا باتجاه كل المسائل قيد البحث لو قبلنا بهم كشركاء متساوين». وستالين كما يرى ايدن «شرقي ومساوم صعب ولكنه أكثر منطقاً من مولوتوف».

الواقع ان أياً من الزعماء البريطانيين لم يكن ليريد التخلي عن الأمل في علاقة اعتيادية مع موسكو بعد الحرب. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا ينظرون الى الوضع الذي سيكون عليه الاتحاد السوفييتي في مرحلة ما بعد الحرب بشيء من الخوف والرهبة. والسياسة السوفييتية كانت بالنسبة اليهم مسألة يكتنفها الغموض، وربما

لأن ستالين نفسه يريد ذلك. لعل مشاعر ايدن الشخصية تجاه ستالين انعكست في جملة واحدة من برقية بعث بها أيام كان في مؤتمر موسكو الى رئيس وزرائه تشرشل «هذا الرجل من الصعب ان تعلم ما يدور في خلده». مهما يكن من أمر فقد تحملت روسيا العبء الأكبر من العمليات العسكرية ضد الألمان طيلة سنتين، وسوف تواصل كونها أحد الأعضاء المهمين جداً في التحالف الى ان تضع الحرب أوزارها، وعندما تنتهي الحرب ستكون قوة مسيطرة في أوربا ولذلك (من وجهة النظر الغربية) لابد من مواصلة الجهود للابقاء على العلاقة القائمة وتطويرها.

أما موقف ستالين من روزفلت قبل أن يلتقيا في مؤتمر طهران فيمكن النظر اليه من زاوية ان الزعيم السوفييتي كان يعد روزفلت (رجل دولة برجوازي وزعيم أغنى دولة رأسمالية في العالم، وبالتالي فانه من الصعب ان يضع المرء ثقته فيه. لكن هل كان هذا الموقف يقوم على سذاجة في الرأي؟ مهما يكن من أمر فان الصراعات المتوارثة ضمن النظام الرأسمالي جعلت من المحتم ان تكون هناك اختلافات في وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا وتضارب مصالحهما في العديد من مناطق العالم. وقد لاحظنا في مؤتمر موسكو، ان البلدين الرأسماليين الحليفين اختلفا على الكثير من الأمور بما فيها الاستراتيجية. وروسيا يمكن ان تكون المستفيد الوحيد من استغلال وتوسيع هذه الخلافات خاصة إذا ما وجدت ان روزفلت كان مضطراً الى التعاون معها. على ان هذا الأخير - أي الرئيس الأمريكي - كان الوحيد من الزعماء الثلاثة الذي توجه الى مؤتمر طهران بمشاعر لا تحدها حدود من الود والتفاؤل. لم يكن يعرف إلا القليل عن ستالين وعن روسيا وعن النظام السوفييتي، ولكنه كان واثقاً من قابليته في اقامة علاقة شخصية طيبة. كان حكمه الواثق الذي صرح به الى تشرشل من قبل «بانني اعتقد ان باستطاعتي التعامل مع ستالين أفضل من وزارة خارجيتك او وزارة خارجيتي»، وكان سيوضع على المحك عما قريب.

في رأي (افريل هاريمان) سفير الولايات المتحدة في موسكو فان ستالين لم يكن يريد شيئاً سوى الأمن وانه إذا ما تبنت الولايات المتحدة موقفاً متفهماً للمواقف السوفييتية فسنكون قد كسبنا ثقة الزعامة السوفييتية وعندئذ سيكون بوسعنا ان نحث الخطى على طريق الديمقراطية والسلام.

من أجل بلوغ هذا الهدف، لم تكن مطالب الاتحاد السوفييتي الاقليمية غير

منطقية بكاملها من وجهة النظر الأمريكية. فالروس لم يكونوا يتطلعون الى اكثر من استعادة حدود بلادهم لعام ١٩١٧. ولكي يدلل الاتحاد السوفييتي من ناحيته على حسن نواياه، فقد أعلن انه لا يرغب في فرض نظامه السياسي على دول أخرى. وقد اعطى دليلاً ملموساً على ذلك عندما حل المكتب الشيوعي الدولي المسمى بـ (الكومنتيرن) وهو المكتب الذي كانت موسكو تتصل من خلاله مع الأحزاب الشيوعية الأخرى. أما رفض الاتحاد السوفييتي إلزام نفسه بأية مباديء معينة نحو تسوية مشكلات أوربا الشرقية فلم يكن من وجهة نظر الأمريكيين موقفاً ينطوي على انهم يضمرون الشر في هذه المنطقة كما بدا الأمر بالنسبة لتشرشل. كما ان الموقف العام الذي وقفه الاتحاد السوفييتي في مؤتمر موسكو والذي استند على الود وحسن النوايا كان بالنسبة للأمريكيين عاملاً مشجعاً كبيراً آخر علاوة على موافقتهم المبدئية على الأفكار التي طرحها الغربيون بالنسبة لمعاملة إيطاليا والمانيا وفرنسا ثم الرغبة التي أبدوها في التعاون الاقتصادي مع الغرب مستقبلاً.

٢ - الوفود الحليفة الى مؤتمر القاهرة

اصطحب كل من الزعيمين الأمريكي والبريطاني معه الى مؤتمر القاهرة وفداً كبيراً. فقد تألف الوفد الأمريكي من خمسين عضواً أكثرهم من العسكريين. ولعل الأمريكيين استفادوا من تجربتهم في مؤتمر موسكو حيث سهل وفدهم الصغير نسبياً الفرصة أمام الانكليز ليكونوا أكثر تأثيراً وانتشاراً، ولذلك قرروا ان لا يقع مثل هذا ثانية. فلم يقتصر الوفد الأمريكي هذه المرة على رؤساء الأركان الثلاثة (رؤساء أركان القوات البرية والبحرية والجوية) والممثل الخاص للرئيس روزفلت في هيئة الأركان المشتركة الادميرال (ليهي) بل طُعم الوفد بعدد من الضباط من ذوي الرتب الكبيرة والصغيرة من وزارتي الحرب والبحرية. كما أُستدعي عدد من الضباط من الوحدات المقاتلة في الشرق الأقصى ليكونوا في القاهرة عند بدء أعمال المؤتمر ومن بينهم كل من الجنرال (ستلويل) والجنرال (شينول) والجنرال (ويد ماير) والجنرال (ميريل) معاون رئيس أركان القوات الأمريكية في قاطع عمليات الصين - بورما. كذلك كان من أعضاء الوفد الجنرال (سمرفيل) قائد (القوات قيد الخدمة الفعلية) في الجيش

الأمريكي والجنرال (دين) من البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو. أما الجنرال (دوايت آيزنهاور) القائد الأمريكي لقوات الحلفاء في غربي البحر المتوسط فلم يدعَ إلا في المراحل الأخيرة للمؤتمر. والغريب ان الرئيس روزفلت نفسه لم يصطحب سوى عدد قليل من مستشاريه السياسيين جرى اختيارهم بدقة من بين أقرب المقربين اليه ومن بين هؤلاء (هوبكنز) و(هاريمان).

وعلاوة على وزير الخارجية (هول) الذي التحق بالوفد مع فريقه من الوزارة بعد مغادرة الرئيس روزفلت، فقد استدعي كذلك سفراء الولايات المتحدة في تركيا (شتايندهارت) و(جون ونيانت) من بريطانيا وبالطبع (افريل هاريمان) من موسكو اضافة الى السفير الأمريكي في مصر (كيرك). والواقع ان مشورة هؤلاء الآنية وليست مشورة مسؤولي الخارجية الأمريكية هي التي يرغب روزفلت في ان تكون متوفرة لديه أثناء المؤتمر. كما ضم الوفد الأمريكي مستشارين آخرين (ليسوا من موظفي الخارجية الأمريكية) من بينهم (جون ماكلوي) مساعد وزير الحرب (و(لويس دوغلاس) من وزارة البحرية. وهذان الرجلان كانا أكثر صلة بالمجهود الحربي من صلتهما بالمسائل السياسية أو الدبلوماسية.

اثنان من الذين ذكروا اعلاه، وهما هاريمان ودين كانا ضمن الوفد الأمريكي في مؤتمر موسكو كما رأينا. على ان شخصية كبيرة لم تحضر مؤتمر موسكو الى جانب هول هو الجنرال جورج مارشال، ذلك العسكري الأمريكي اللامع الذي اختير رئيساً للأركان عام ١٩٣٩، أخذت مكانهاهذه المرة، في الوفد الأمريكي الى مؤتمر القاهرة. ولعل من المفيد القول هنا ان الرئيس روزفلت كان يعتمد على آراء الجنرال (مارشال) في كثير من قراراته العسكرية.

الواقع ان من بين الأسباب التي أخرت تعيين قائد أعلى لعملية العبور، وهو تأخير كثيراً ما اشتكى منه تشرشل هو ان الجنرال (مارشال) كان قد أُختير مبدئياً لأن يكون قائد العملية. لكن رؤساء الأركان االأمريكان خشية ان يفقدوا هذا الجنرال من موقعه الهام كرئيس للأركان وفي الهيئة العليا للتخطيط الاستراتيجي للقوات المسلحة الأمريكية لم يوافقوا على توليه قيادة عملية العبور. أما العضو العسكري الآخر في الوفد الأمريكي فكان الجنرال (ارنولد) رئيس هيئة أركان القوات الجوية للجيش الأمريكي، وهو رجل متمكن في مجال اختصاصه ومن السهل العمل معه،

لكن خارج هذا المجال فهو لا يعلم شيئاً. بالنسبة للادميرال (ليهي) ممثل الرئيس في هيئة الأركان المشتركة فقد عمل قبل ذلك وبكفاءة كرئيس أركان للعمليات البحرية لكنه لم يسهم مساهمة كبيرة في رسم الاستراتيجية الحليفة. ولعل موقعه الحالي كممثل لروزفلت في هيئة الأركان يرجع الى الصداقة الشخصية التي ربطت بينهما قبل الحرب. كما انه بوصفه سفيراً سابقاً للولايات المتحدة لدى حكومة (فيشي) في فرنسا بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٢ فقد كان الرئيس يستأنس برأيه في بعض المسائل السياسية، ولعل مشورته هذه هي التي ساهمت في موقف العداء الذي اتخذه روزفلت من الجنرال ديغول وحركة المقاومة الفرنسية. أما فيما يتعلق بالتشاور حول الاستراتيجية العليا للحلفاء والتنسيق فيما بينهم فكانت هذه مسؤولية الجنرال مارشال. من بين العسكريين الكبار الآخرين في الوفد الأمريكي أثنان من قادة الميدان في الشرق الأقصى هما الجنرال (ستلول) والجنرال (شينول)، الأول عسكري لامع ذو قدرات فائقة ومدرب سابق ولكنه لا يرضى بأحد ممن حوله ويعتقد انه أفضل من غيره وحتى من الجنرالات الانكليز الذين عملوا معه في نفس القواطع. وكثيراً ما اشتكى (كاي شك) والقادة العسكريون الصينيون من هذا الرجل وطالبوا الرئيس روزفلت مراراً باستبداله لأنه لا يجيد معاملة الآخرين. أما الجنرال (شينول) وهو قائد الوحدات الجوية الأمريكية في الشرق الأقصى، فالمزايا التي يفتقدها (ستلول) متوفرة فيه تماماً، فقد كانت علاقته قوية بمن حوله وبشكل خاص مع (كاي شك) وأركان نظامه وبالتالي فقد كان يستطيع الحصول على ما يفشل (ستلول) في الحصول عليه. كان همه الوحيد هو الحصول على مزيد من الطائرات واقامة المزيد من القواعد الجوية في الشرق الأقصى سعياً وراء تحقيق هدفه في دحر اليابانيين. بالنسبة لـ (هرلي) الذي عمل سفيراً متجولاً للرئيس روزفلت في الشرق الأوسط ومن ثم سفيراً لدى (الصين الوطنية)، فهو محام محافظ ورجل أعمال ووزيرٌ سابقٌ للحربية في زمن الرئيس الأسبق (هوفر). وكان كالعديد من معاوني روزفلت من أشد المنتقدين للأهداف الاستعمارية البريطانية. ورغم حرصه ودفاعه عن مصالح الولايات المتحدة إلا انه كان يأخذ على الانكليز أنانيتهم وتشبثهم بمصالحهم على حساب الآخرين. ولعل (هاري هوبكنز) هو أكثر الشخصيات المدنية نفوذاً بين أعضاء الوفد الأمريكي دونما منازع. فهذا الرجل الذي سبق وان عمل وزيراً

للتجارة ، كان من أقرب المقربين للرئيس روزفلت وموضع ثقته ومبعوثه الشخصي في كثير من المهمات التي تتطلب قدراً كبيراً من السرية. وغالباً ما كان روزفلت يستأنس بآرائه ويأتمنه في كثير من الأمور المتعلقة بسياسات عليا. ويقال ان آراءه كان يؤخذ بها في رسم القرارات المهمة وبالتالي فان نفوذه كان طاغياً. ومع ان الرجل كان معادياً للأهداف الاستعمارية البريطانية ، إلا ان هذا لم يؤثر على علاقاته مع الانكليز وكان صديقاً لتشرشل. وما يقال عن (هوبكنز) يمكن ان يقال عن (افريل هاريمان) وهو أيضاً أحد المستشارين المقربين للرئيس.

أما الوفد البريطاني فكان أكثر توازناً من الوفد الأمريكي ، فقد اصطحب تشرشل معه اضافة الى وزير الخارجية (ايدن) ، السكرتير الدائم لوزاة الخارجية سير (الكساندر كادوغان) ولفيفاً من كبار مسؤولي الوزارة. كما ضم الوفد (هارولد ماكميلان) الوزير الملحق بالقيادة العامة لقوات الحلفاء و(هجيسون) سفير بريطانيا في تركيا و(آر. جي. كيسي) الوزير المقيم في الشرق الأوسط وسفير بريطانيا في مصر. كذلك اصطحب تشرشل معه عضواً آخر في حكومته هو وزير النقل الحربي اللورد (فيذرز) لبحث مشاكل التموين والنقل البحري مع الأمريكيين.

أما الفريق العسكري البريطاني فقد ضم الجنرال (مونتابتن) قائد عمليات الشرق الأقصى والجنرال (كارتون دي بارت) الممثل الشخصي لتشرشل لدى (كاي شك). كان مونتابتن قد عُيِّنَ حديثاً في المنطقة في مهمة استهدفت بعث النشاط وتعزيز المعنويات وهي مهمة كانت تناسبه فالرجل يفيض حيوية وحماساً وطاقة وتمكّن من اقامة صلات قوية مع كبار القادة الأمريكيين بما فيهم الجنرال (مارشال). كذلك ضم الفريق العسكري الجنرال (متيلاند) والادميرال (جون كنغنهام) وقائد السلاح الجوي المارشال (دوغلاس) وقائد البحرية الادميرال (ويليس) وقائد العمليات الجوية للبحر المتوسط المارشال (تيدر).

بهذا الحشد من كبار العسكريين أصبح تشرشل في وضع ساعده على إعطاء صورة واضحة للمؤتمرين عن الموقف في مسارح عمليات البحر المتوسط وجنوب شرقي آسيا والصين.

كذلك ضم الوفد البريطاني الادميرال (اندرو كنغهام) الذي ضُم حديثاً الى هيئة الأركان العامة وكان قبلها ممثلاً لبريطانيا في هيئة الأركان المشتركة في واشنطن ،

ومارشال الجو سير (شارلز بورتال) وهو من الضباط ذوي الخبرة الواسعة ، وطول البال الذي جعل منه وسيطاً ممتازاً كلما نشأت خلافات بين رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان ، الى درجة ان الأمريكيين كانوا يعدونه زميلاً لهم. ولكن الشخصية الأهم بين العسكريين البريطانيين كافة كان الجنرال (الن بروك) رئيس هيئة الأركان الذي كان قد تقلّد هذا المنصب منذ سنتين ساهم خلالها في نقل قوات الحلفاء من حافة الهزيمة الى النقطة التي جعلت الانتصار على المانيا قاب قوسين او أدنى. والجنرال (بروك) شأنه شأن نظيره الأمريكي الجنرال (مارشال) كان يعد واحداً من ألمع العسكريين البريطانيين وقد مكنته قابلياته من كسب احترام جميع من عملوا معه بما فيهم (مونتغمري). لم يكن بروك ليخشى الوقوف بوجه تشرشل عندما يرى ان ذلك ضروري. ورغم ان (بروك) و(مارشال) كانا يختلفان حول الكثير من الأمور المتعلقة بالاستراتيجية عبر ثلاث سنوات ونصف من المشاركة في حرب عالمية إلا ان كلاً منهما احتفظ بتقديره واحترامه لكفاءات الآخر وقابلياته. أما العضو العسكري الآخر في الوفد والذي وقع على عاتقه عبء التوجيه الأعلى لسير الحرب فكان الفيلد مارشال سير (جون ديل) الذي خلف بروك كرئيس للأركان فيما بعد ، وكان وقتها ممثل الجيش البريطاني في هيئة الأركان المشتركة أي نائب (بروك) في واشنطن. على انه عندما كان رؤساء الأركان يلتقون فيما بينهم فان الحاجة بالطبع كانت تنتفي لوجود نوابهم ، مع هذا فان (ديل) اكتسب موقعاً خاصاً في واشنطن بفضل علاقته الوطيدة مع الجنرال (مارشال). وكان هذا الأخير يحترمه ويكن له التقدير. وهكذا فبعد ان حظي (ديل) بثقة رئيس الأركان البريطاني والأمريكي كحلقة الوصل بينهما فان حضوره هذا المؤتمر كان أمراً ضرورياً.

أما الوفد الصيني وهو وفد صغير الحجم فقد ضم (كاي شك) والسكرتير العام لمجلس الدفاع الوطني الصيني وعدداً من الجنرالات وممثلي مختلف صنوف القوات المسلحة. وإذا ما قارنا بين هذا الوفد ونظيريه الانكليزي والأمريكي لبدا لنا الأخير هزيلاً ، مع هذا فقد نظر اليه المؤتمرون نظرة ملؤها العطف. وبالنظر لأن الصينيين ليسوا أصحاب تجربة سابقة في مؤتمرات كهذه ، وكان وضعهم العسكري ميؤوساً منه اضافة الى عزلتهم عن بقية مسارح العمليات الحربية ، فلم يكن من المتوقع ان يعرضوا إلا الشيء القليل فيما يتعلق بالمناقشات حول المسائل الاستراتيجية.

على ان المدام (كاي شك) عقيلة الزعيم الصيني وعضو الوفد كانت شيئاً آخر. فهذه السيدة كونها تنتمي الى عائلة (سونغ) التي تهيمن على السياسات الصينية، كانت ذات شخصية طاغية. وغالباً ما كان المراقبون الغربيون يعتقدون انها المسيطرة على زوجها وان الأخير كان يضع كل ثقته فيها.

وباختصار فان الانكليز كانوا محقين الى حد ما في عدم اعتبار (الصين الوطنية) شريكاً كاملاً في التحالف، لو حكمنا على الأمور من الانطباع الذي خلقه الوفد الصيني في مؤتمر القاهرة.

٢ - جدول أعمال مؤتمر القاهرة

بقدر تعلق الأمر بالبريطانيين فان الغرض من مؤتمر القاهرة، كان عسكرياً بحتاً بالشكل الذي يتيح لتشرشل ورؤساء اركانه الفرصة لاقناع الأمريكيين بأن الموعد المتفق عليه لعملية عبور القنال لا يجب أن يكون عاملاً يتحكم ببقية العوامل الى درجة التقليل من أهمية العمليات العسكرية في منطقة البحر المتوسط. او بكلمة أدق يجب ان لا يسمح لعملية العبور بأن تفرض جدولاً زمنياً صارماً يقتضي أن تنقل بموجبه القوات ومعدات الانزال من منطقة عمليات البحر المتوسط الى بريطانيا لمجرد ان وقت عملية العبور قد حان. وكان تشرشل قد أشار من قبل الى ان هذه القوات والمعدات يمكن (إذا نقلت الى بريطانيا) ان تعد مسحوبة فعلياً من ميدان القتال ضد العدو لمدة ستة أشهر في الأقل (وهي المدة التي يرجح ان تظل فيها هذه القوات بعد نجاح العملية) وهذا ما قد يشكّل في رأيه هدراً للطاقات العسكرية وربما يهدد حملة الحلفاء في إيطاليا ويضيع الآمال المعقودة على استعادة روما والوصول الى خط (بيسا - ريميني). فضلاً عن انه سيفوت الفرصة امام الحلفاء لزج تركيا في الحرب، وفتح مضيق الدردنيل أمام أساطيل الحلفاء. وفي رأي تشرشل أيضاً ان الحلفاء أضاعوا فرصة ثمينة في استغلال ضعف الألمان عندما لم يساندوا الحملة البريطانية لاستعادة الجزر اليونانية التي احتلها الألمان.

وقد كرر رؤساء الأركان في المذكرة التي أعدوها الى مؤتمر القاهرة، نفس الآراء التي سبق وان ضمنها تشرشل في رسالتيه الموجهتين الى روزفلت في العشرين

والثالث والعشرين من تشرين الأول، حينما لاحظ ان الأوضاع العسكرية قد تغيرت بشكل كبير منذ لقائه مع الرئيس الأمريكي في (كويبك). فقد غزا الحلفاء إيطاليا وأفقدوها القدرة على مساندة الألمان. والروس أحرزوا تقدماً كاسحاً في الجبهات التي يقاتلون عليها، كما ان المساعي الهادفة الى حمل تركيا على دخول الحرب قد قطعت مرحلة متقدمة. وقد استندت مذكرة رؤساء الأركان الانكليز على نقطتين، الأولى انه من الضروري تشديد الضغط على الألمان خلال فصلي الشتاء والربيع القادمين، وما ان يحل موعد عملية العبور، يكون الألمان قد انهكوا الى أقصى درجة ممكنة. والثانية، هي ان البريطانيين لن يتخلوا بأية حال من الأحوال عن التزامهم بهذه العملية، وهم يتوقعون ان تتم في «الصيف القادم». ومع هذا فهم لا يعيرون أهمية كبرى الى «مسألة الموعد» (في لقاء كويبك كان قد تحدد اليوم الأول من أيار ١٩٤٤ موعداً لبدء عملية العبور).

لذلك أوصت المذكرة :

١ ـ اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لدعم حملة الحلفاء في إيطاليا حتى تتم استعادة روما والوصول الى خط (بيسا ـ ريميني).

٢ ـ مواصلة تقديم العون الى حركات المقاومة في يوغسلافيا واليونان والبانيا. وخلق المتاعب أمام الألمان في كل دول البلقان بما في ذلك اللجوء الى عمليات التخريب.

٣ ـ ان تستمر المحاولات مع تركيا لاقناعها بدخول الحرب ومن ثم فتح مضيق الدردنيل أمام سفن الحلفاء.

كما كررت المذكرة اقتراحاً بريطانياً سابقاً بتشكيل قيادة عسكرية موحدة في منطقة البحر المتوسط. وهو اقتراح كان رؤساء الأركان البريطانيون يريدون من خلاله قيام قيادة تغطي الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط بالارتباط مع القيادة العامة للقوات الحليفة في شمال أفريقيا وإيطاليا تحت إمرة الجنرال آيزنهاور. كما كان الهدف الثاني من الاقتراح، هو عدم تكرار أي شكل من عدم الاستجابة لنداءات النجدة من قائد قاطع الى قائد قاطع آخر، كما حدث عندما استعاد الألمان الجزر اليونانية من أيدي الحاميات البريطانية الصغيرة دون ان يهب أحد لنجدتها.

بهذه الطريقة من عرض الآراء كان تشرشل ومساعدوه يسعون الى تطمين الأمريكان بأن قلوبهم لا زالت مع عملية العبور وان مقترحاتهم لا ترمي الى احلال أولوية عمليات البحر المتوسط على الأولوية الاستراتيجية لعملية العبور. غير ان اشارة المذكرة البريطانية الى تركيا والدردنيل والمقاومة في البلقان والحملة في إيطاليا كانت كافية لأن تبقي الشكوك قائمة حول حقيقة نوايا البريطانيين. فلم يعد بوسع الأمريكان بعد الآن ان يروا مزيداً من التلكؤ في شن عملية العبور. وكلما استمرت المماطلة وتأخير الموعد المضروب كلما فقدت هذه العملية أهميتها، في الوقت الذي تكون فيه عمليات البحر المتوسط قد استنزفت الامكانات العسكرية المعدة هذا الغرض، وهذا ما كان يمثل قلقاً كبيراً للأمريكان خاصة وانهم قدموا بالفعل تنازلاً آخر بالنسبة للجدول الزمني للعملية بموافقتهم على تأجيل مغادرة (٦٨) قطعة انزال من البحر المتوسط الى بريطانيا لمدة ستة أسابيع وهم غير مستعدين لتأجيل آخر.

أما بالنسبة لاقتراح تشكيل قيادة موحدة في البحر المتوسط فلها «جانبها المشؤوم» أيضاً: فقيادة كهذه ستجعل من السهل على قائد عمليات البحر المتوسط أن ينقل ما شاء له من القوات بما فيها الأمريكية من مسرح العمليات الايطالي الى قواطع لا يمكن التكهن بها. وربما في البلقان أو في مناطق أخرى من شرق البحر المتوسط. كما ان اقتراح تشرشل بأن يتولى جنرال بريطاني أمر هذه القيادة مقابل الموافقة على تعيين ضابط أمريكي لقيادة عملية العبور، جاء هو الآخر ليزيد من صداع رأس الأمريكيين. من هذا يتضح ان المقترحات البريطانية بمجملها لم تطمئن أحداً. ولذلك أيضاً لم يكن الجنرال (بروك) مخطئاً عندما قال في مذكراته «شعرت في هذا الوقت بأننا مقبلون على مرحلة خطيرة قد تؤزم علاقتنا مع الأمريكيين».

لم يكن رؤساء الأركان الانكليز من جهة أخرى ينوون اثارة موضوع العمليات العسكرية في جنوب شرق آسيا رغم انهم يعلمون سلفاً ان الأمريكان كانوا سيثيرونها خاصةً وان الجنرالين (مونتباتن) و(ستلول) موجودان في القاهرة لتقديم تقارير عن خططهما. فبالنسبة للعمليات المقترحة في بورما فانه (من وجهة النظر البريطانية) لا ينبغي اتخاذ قرار نهائي بشأنها قبل الوصول الى اتفاقات بصدد الخطط العسكرية في مسرح العمليات الأوربي، وقبل توفر معلومات عن نوايا الروس. وهي معلومات كانوا يتوقعون الحصول عليها من ستالين شخصياً في طهران. وبعد الاجتماع مع

ستالين هناك في موسكو سيكون بوسعهم العودة الى القاهرة ثانية لوضع خططهم الأوربية في شكلها النهائي ومن ثم ينتقلون لبحث ما يمكن عمله في جنوب شرق آسيا.

لم يكن تشرشل على استعداد لأن يُستَدرج الى مناقشات سياسية مع (كاي شك) حول الممتلكات الاستعمارية البريطانية في تلك المنطقة وقد ظل ينظر بعين التشاؤم الى خطط الرئيس روزفلت لاضفاء طابع الدولة الكبرى على الصين. لكن إذا أراد الرئيس الأمريكي ان يناقش مسألة تسوية مستقبلية في الشرق الأقصى فلن يستطيع منعه وهنا سيترتب عليه اي (على تشرشل) ان يتماشى مع أية التزامات سياسة يكون روزفلت قد تعهد بها تجاه الصينيين، وذلك من أجل مصلحة التحالف الانكلو ـ أمريكي وشريطة أن لا يكون مثل هذا التماشي على حساب المصالح البريطانية. لكن هذا لم يكن بحد ذاته الهدف الذي من أجله جاء تشرشل الى القاهرة.

أما الطريقة التي سيعرض بها الأمريكيون مواقفهم على المؤتمر فكانت مختلفة تماماً كما سنرى. فعلى الجانب العسكري كان الأمريكان عازمين على حمل البريطانيين على الوفاء بتعهداتهم بالنسبة لعملية العبور من ناحيتي الأولوية الاستراتيجية والجدول الزمني. وكضمان لهذا فقد قبلوا باقتراح الانكليز بشأن ترتيبات اقامة قيادة موحدة تضمن استخدام القوات والامكانات العسكرية المتوفرة في مسرح العمليات الأوربي ينبغي ان يوجه نحو تحقيق عملية العبور وعدم اضاعة تلك الامكانات دونما ضرورة في منطقة البحر المتوسط. وفي التوصيات النهائية التي أعدها رؤساء الأركان الأمريكان وقدموها للرئيس روزفلت وكان على متن السفينة الحربية (آيوا) في طريقه الى القاهرة، أكدوا على ان عملية العبور وفق الموعد المحدد يجب ان تعطى لها الأولوية من حيث الامكانات العسكرية على عمليات البحر المتوسط، ملاحظين ان مسرح العمليات الأخير هذا يمكن ان يؤدي عمله على الوجه المطلوب بالامكانات المتوفرة له فعلاً بما في ذلك استمرار الضغط على الألمان في إيطاليا على ان يكون الهدف الرئيس لهذا الضغط هو المساعدة في تحقيق عملية العبور عن طريق انهاك الألمان بدلاً من الجري وراء هدف معيّن كاستعادة روما او الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني). وان يجري نقل قوات كبيرة نسبياً من إيطاليا وانزالها في جنوب فرنسا وأخيراً فانه يترتب

على الوفد الأمريكي ان يوضّح للبريطانيين بشكل قاطع ان الولايات المتحدة ليست مستعدة للتورط في أية حملة قد يفكرون بها في البلقان. وان عمليات البلقان ينبغي ان تقتصر على حرب العصابات التي تقوم بها حركات المقاومة وبعض عمليات القصف الجوي التي تدخل في اطار الاستراتيجية العامة للحلفاء.

ومع ان الجهود لحمل تركيا على دخول الحرب يمكن ان تستمر إلا ان على الأتراك ان لا يتوقعوا مقابل ذلك أية زيادة في المعونة العسكرية المقدمة اليهم (وبذلك يكون الأمريكان قد حكموا مسبقاً على هذه الجهود بالفشل). ولكي يضمن رؤساء الأركان الأمريكان هذا التسلسل في الأولويات اقترحوا ثانية تعيين قائدٍ أعلى (من، المفترض أن يكون الجنرال مارشال) ليتولى مسؤولية جميع العمليات العسكرية الانكلو - أمريكية ضد الألمان، أو بعبارة أدق عملية العبور وعمليات البحر المتوسط وان يتمتع هذا القائد بصلاحية الاشراف الميداني على هذه العمليات ويخصص ما يراه مناسباً لهذه العملية أو تلك وان يشمل اشرافه قادة القوات الحليفة ليس في شمال غرب أوربا والبحر المتوسط فحسب، بل حتى مقر قيادة القوات الجوية في بريطانيا المسؤولة عن أسراب من قاذفات القنابل الأمريكية تعمل في القواعد البريطانية.

صلاحيات كهذه في يد رجل مثل الجنرال مارشال ستجعل من هذا القائد ذي السمعة المرموقة قادراً على مقاومة تشرشل ورؤساء أركانه. ولكي يضمن الأمريكان قبول البريطانيين بهذه المقترحات، فقد أوصى رؤساء الأركان الأمريكيون بأن يوافق الرئيس روزفلت من ناحيته على المقترح البريطاني باقامة قيادة موحدة لعمليات البحر المتوسط.

لم تكن هناك امكانية على الاطلاق لأن يقبل تشرشل ورؤساء أركانه تلك المقترحات لأنها من وجهة نظرهم ستقضي على قدرة بريطانيا في التأثير على أعلى المستويات، في سير العمليات الحربية في أوربا. وكذلك فان رؤساء الأركان الأمريكان أنفسهم كانوا يتوقعون ان تقابل خططهم بمعارضة بريطانية قوية. ومن أجل مواجهة معارضة كهذه فقد ألمحوا الى انهم ربما يكونون مستعدين، كحل أخير، لقبول تعيين قائد بريطاني أعلى في أوربا بدلاً من الجنرال (مارشال) شريطة ان يكون هذا البديل هو الجنرال (ديل) وهو شخصية عسكرية تحظى بالثقة الكاملة من

لدن (مارشال) ، ثم ان خدمته الطويلة في هيئة الأركان المشتركة في واشنطن قد أهلته لاستيعاب المفاهيم الأمريكية للاستراتيجية الحليفة. كما انه بخلاف بقية الجنرالات الانكليز فان (ديل) يمكن أن يكون محل ثقة الأمريكان في الابقاء على أولوية عملية العبور. لكن روزفلت رغم تحبيذه لفكرة تعيين قائد أعلى في أوربا إلا انه كان يعتقد ان قبوله بها سيقابل بالاعتراض من قبل الرأي العام الأمريكي خاصة وان القوات الأمريكية العاملة في مسرح العمليات الأوربي كانت على وشك أن تتجاوز من حيث الحجم القوات البريطانية العاملة هناك. على أية حال فقد تم الاتفاق على تقديم الاقتراح رسمياً الى البريطانيين في مؤتمر القاهرة وإنه إذا أخفق هذا الاقتراح فانه لا بأس من قبول الخطة البريطانية لاقامة قيادة موحدة في البحر المتوسط.

أشار (مارشال) بوضوح الى ان الأمريكيين أوصوا في عدة مناسبات من قبل بتركيز السلطة في يد قائد أعلى لكل مسرح من مسارح العمليات وانه في حالة عدم الموافقة على خطتهم الأكثر شمولاً فسيكون من غير المنطقي القبول بتوصية كهذه على الأقل. ثم أضاف انه من الانصاف أن يشعر الانكليز بالمرارة لأن الجنرال (آيزنهاور) رفض ان يرسل قوات لنجدة الحاميات البريطانية في الجزر اليونانية حينما هاجمها الألمان ولو كان هناك قائد مستقل لمسرح عمليات البحر المتوسط لربما كان قد تصرف على نحو آخر. تابع الجنرال مارشال يقول «إن قادة القواطع محقون في عدم التفريط بالامكانات المتوفرة لدى كل منهم في القاطع الذي يعمل فيه».

أما بالنسبة لعمليات جنوب شرقي آسيا فقد اكتفى رؤساء الأركان الأمريكان بالتوصية بالقيام بعملية انزال برمائية محدودة لإستعادة جزر (آنداماان) الواقعة في مواجهة الساحل البورمي ، على ان يكون الهدف العاجل لهذه العملية هو طرد اليابانيين من العاصمة البورمية (رانغون). إلا ان رؤساء الأركان لم يأتوا في مذكرتهم حول جنوب شرق آسيا على ذكر حملة الانزال الواسعة المقترحة في أعالي بورما ، بهدف فتح طرق المواصلات البرية مع الصين ، وهي الخطة التي كانت قد بحثت تفصيلاً في مناقشاتهم السابقة مع نظرائهم البريطانيين. وربما كان ذلك يرجع الى ان الأمريكيين باتوا الآن أكثر اقتناعاً من قبل بعدم قدرة (الصينيين الوطنيين) على تقديم مساهمة كبرى في انتصار الحلفاء في الحرب وان كل الذي يستطيعون توفيره لا يتعدى تسع فرق مؤهلة للقتال ، وحتى هذه الفرق كان من المفروض أن يتم تسليحها من

قبل الأمريكيين أنفسهم. وان تدريب فرق أخرى وإعدادها للعمل الميداني على أيدي الأمريكيين قد يستغرق وقتاً طويلاً. لذلك فان ما يُحتاج اليه في ضوء هذه الأوضاع، هو إرسال ما يكفي من مؤن لقوات (كاي شك) بالشكل الذي يساعدها على المحافظة على خطوطها الدفاعية والاستمرار في وقف أي تقدم جديد لليابانيين في العمق الصيني. ومثل هذه الارساليات من المؤن يمكن أن تتم عن طريق طائرات النقل التابعة للسلاح الجوي الأمريكي دون المجازفة بمحاولة فتح طريق بري للامدادات عبر أعالي بورما. وإذا كان الأمر سيتم كذلك فهل ان حملة عسكرية برية في أواسط بورما وأعاليها سيكون لها ما يبررها ؟. المشكلة هنا هي ان (كاي شك) كان يصر على القيام بحملة عسكرية لتحرير بورما، يرافقها انزال برمائي على ساحل (البنغال)، وانه ما لم تتم عمليات كهذه فان معنويات قواته ستنهار تماماً. كان روزفلت نفسه يولي أهمية كبرى لوجهة النظر هذه كما ان الجنرال (مارشال) هو الآخر كان أكثر ميلاً من زملائه في الاعتقاد ان الوقت لا زال سانحاً أمام الصين لتلعب دوراً عسكرياً مفيداً في الحرب.

على أية حال فرؤساء الأركان الأمريكيون كانوا يفضلون في هذه المرحلة أن يُترك هذا الموضوع لمزيد من الدراسة في اللقاءات القادمة مع زملائهم البريطانيين والصينيين والوقوف أيضاً على آراء (مونتباتن) و(ستلول) بالنسبة للنتائج التي يتوقعونها لعمليات كهذه. ولهذا فان حجم الحملة ودور الصين فيها بقيتا دون بت. كذلك اقترح رؤساء الأركان الأمريكيون على روزفلت ان يغتنم فرصة أول لقاء يعقده (كاي شك) لكي يستوضح منه عن حقيقة الموقف الصيني وماهو رده على احتمال دخول روسيا الحرب. ضد اليابانيين، وما هي المساهمة التي يمكن ان تقدمها قواته في عمليات الحلفاء في الشرق الأقصى. كذلك اقترح رؤساء الأركان على الرئيس الأمريكي أن يكون مستعداً (إذا طلب الصينيون) لمناقشة المسائل المتعلقة بوضع القوات الأمريكية على مسرح عمليات الشرق الأقصى، وكذلك ما يرعب الصينيون باثارته فيما يتعلق بمرحلة ما بعد الحرب بما في ذلك المدى الذي يستطيعون المساهمة فيه في احتلال اليابان في الترتيبات الخاصة بالأمن في الشرق الأقصى ومن بينها التوقيع على معاهدة صداقة وتعاون صينية ـ أمريكية ومستقبل القواعد الجوية الأمريكية في المنطقة.

من ناحيته كان روزفلت قد أوضح بالفعل انه يفكر ملياً في الوصول الى تسوية مسألة الصين وللمشكلات التي قد تنشأ بين الصينيين والروس في مرحلة ما بعد الحرب وذلك في أعقاب ما صرح به الجنرال (مارشال) من ان الاتحاد السوفييتي سيسعى بدخوله الحرب ضد اليابان الى ضمان سبل الوصول الى المياه الدافئة في شمال الصين مروراً (بمنشوريا).

ولعل روزفلت ربط بين هذا التصريح وبين ما سبق للصينيين ان أعلنوه من العزم على استعادة (منشوريا) حال اخراج اليابانيين منها. وان يكون لهم القول الفصل بالنسبة للمناطق الواقعة في أعالي منغوليا والتي سلخها الروس من الصين عام ١٩٢٠.

أكدت المناقشات التي جرت بين الرئيس روزفلت ورؤساء اركانه على متن السفينة (آيوا) وهي تمخر بهم عباب البحر في الطريق الى القاهرة، ان الرئيس الأمريكي عاقد العزم على طرح هذه المواضيع للمناقشة مع كل من (كاي شك) في القاهرة وبعدها مع ستالين في طهران، خاصة وانه قد أخذ على محمل الجد تقارير جنرالاته عن الوضع المتدهور للقوات «الصينية الوطنية». كذلك اقترح رؤساء الأركان على روزفلت أن يركز في أجتماعه مع تشرشل على أوربا وخاصة على الترتيبات المتعلقة بالقيادة الموحدة وان يسعى جهد الامكان الى اقناع هذا الأخير بالمزايا التي ستترتب على الموافقة على المقترحات الأمريكية. وان يوضح للزعيم البريطاني عدم استعداد الولايات المتحدة للتورط في أية عمليات في البلقان. وكذلك مناقشة الترتيبات المتعلقة بـ «احتلال سريع» لألمانيا في حالة حدوث «انهيار الماني مفاجيء» وينطوي ذلك على تحديد المناطق التي ستحتلها كل من القوات الأمريكية والبريطانية والسوفييتية.

كان المخططون العسكريون الانكليز برئاسة الجنرال (مورغان) قد وضعوا في اجتماع عقدوه في لندن بالفعل خطة تقضي بأن تحتل القوات الأمريكية الأجزاء الجنوبية الغربية من المانيا بينما تحتل القوات البريطانية المناطق الواقعة الى الشمال الغربي.

بدا واضحاً من بحث هذه الخطة انها لم تعجب الرئيس روزفلت بل انه ذهب الى حد اعتبارها مؤامرة بريطانية لتوريط الأمريكان في مشكلات فرنسا ما بعد الحرب

آخذاً بنظر الاعتبار ان خطوط المواصلات الأمريكية في جنوبي المانيا لابد وان تمر عبر الأراضي الفرنسية. ووفقاً لما جاء في السجلات الأمريكية عن تلك الفترة فان الانكليز سيكونون آنذاك في موضع يتيح لهم الاشراف على كل خطوة يخطوها الأمريكان (على حد تعبير الرئيس روزفلت). وهذه الملاحظة بالذات تعد من أقسى الملاحظات التي يمكن لحليف أن يطلقها على حليفة.

كذلك اقترح رؤساء الأركان أن يضع الرئيس روزفلت على جدول اعمال لقائه مع تشرشل بعض المسائل التي سبق للاتحاد السوفييتي وان عرضها على الحلفاء الغربيين بما في ذلك اقتراحه بحمل تركيا والسويد على دخول الحرب مشيرين الى انه في حالة عدم اثارة هذا الموضوع من قبل روزفلت فان تشرشل لابد وان يثيره بنفسه، مع التأكيد في ذات الوقت لتركيا بشكل خاص بأن لا تتوقع أية مساعدة أمريكية مقابل ذلك. كان موقف رؤساء الأركان يستند في ذلك الى انه إذا نجح تشرشل في اقناع الأتراك بدخول الحرب والانخراط في حملة يقودها الانكليز فسيكون ذلك أمراً طيباً، أما إذا فشل وهذا ما كانوا يتوقعونه (سيما وان الأتراك كانوا قد رفضوا من قبل اقتراحات محدودة بالسماح باستعمال قواعدهم الجوية معتبرينها مقترحات محفوفة بالخطر، فعند ذلك سيكون تشرشل هو الذي يتحمل مسؤولية هذا الفشل وحده.
كذلك تناولت المحادثات بين روزفلت وجنرالاته على متن السفينة (آيوا) مسائل أخرى من بينها الوضع السياسي الايطالي والتوازن العددي للقوات البريطانية والأمريكية وعمل اللجنة الاستشارية الأوربية وتسليح القوات الفرنسية. وقد بدا واضحاً من خلال المناقشات ان الرئيس روزفلت عاقد العزم على تجنيب الولايات المتحدة أي تورط مباشر في المشكلات السياسية الأوربية بعد الحرب كلما وجد الى ذلك سبيلاً، موضحاً ان القوات الأمريكية ستُسحب من كل أوربا باستثناء المانيا المحتلة في أسرع وقت ممكن وانه حتى تلك القوات التي ستحتل أجزاء من المانيا سوف يتم سحبها في ظرف سنة أو سنتين على ان تتولى روسيا وبريطانيا مهمة التصدي العسكري لأية حالة عصيان مدني قد تنشأ نتيجة الاحتلال. اتضح كذلك ان شكوك الرئيس روزفلت في نوايا البريطانيين وحقيقة دوافعهم قد ازدادت الى درجة كان من الممكن لتشرشل أن يصاب بصدمة شديدة لو انه استمع الى ما دار من مناقشات على متن السفينة (آيوا). ولعل الملاحظات الشديدة التي أبداها روزفلت على مقترحات

المخططين العسكريين الانكليز بالنسبة لتوزيع مناطق الاحتلال في المانيا كانت أكبر دليل على مدى الشكوك التي أخذت تساوره في نوايا الانكليز ، هذا اضافة الى عدم ارتياحه لخطط بريطانيا الرامية الى اقامة قيادة عسكرية موحدة في البحر المتوسط. ومن الملاحظ هنا انه في الوقت الذي تعاظمت فيه شكوك روزفلت بنوايا تشرشل فانه لا الرئيس الأمريكي ولا أي من رؤساء أركانه قد شكك في دوافع الروس في أوربا الشرقية.

هذه مؤشرات لم تكن تبعث على التفاؤل في سجل العلاقة الانكلو - امريكية التي كان تشرشل يطمح في الابقاء عليها.

كذلك بدا واضحاً من المناقشات على متن السفينة (آيوا) ان روزفلت كان يزمع بحث كل المسائل العسكرية والسياسية المتعلقة بالصين والشرق الأقصى مع (كاي شك) بعد ان ناقش هذه المشكلات من قبل مع وزير خارجيته هول عند عودة الأخير من موسكو.

على أية حال فقد أصبح واضحاً من الطريقة التي تصرف بها روزفلت في مؤتمر القاهرة (وكما سنرى ذلك) انه كان عازماً على مواصلة السير في خطته للإرتقاء بالصين الى مصاف الدول الكبرى بعد الحرب وان بوسع الصينيين ان يعتمدوا على التأييد السياسي الأمريكي حتى ولو ان الولايات المتحدة لم تلبِ ما رغبوا به عسكرياً.

ومهما يكن من أمر فقد كان أمام روزفلت جدول أعمال حافل ينتظره في القاهرة ، كما أصبح واضحاً من القناعات التي تبلورت لديه (كما أسلفنا) انه ينبغي على تشرشل ووفده ان يتوقعا المزيد من الاحباط وخيبة الأمل.



الفصل السابع

مؤتمر القاهرة الأول :
مشكلات من دون حلول

١ - اجراءات تمهيدية

كان (كاي شك) أول الوافدين الى القاهرة ، وعندما وصل (تشرشل) ووفده على متن السفينة الحربية (رينون) صباح الحادي والعشرين من تشرين الثاني ، وجدوا الزعيم الصيني وعقيلته يقيمان في دار استراحة تقع على مسافة نصف ميل من الدار التي خصصت للزعيم البريطاني ومرافقيه. كان من المقرر أن يعقد المؤتمر في ضاحية (المنيا) السكنية الواقعة على بعد بضعة أميال الى الغرب من القاهرة. اما الاجتماعات العسكرية فقد خُصص أحد الفنادق في نفس المنطقة كمكان لها. ومن أجل راحة الرئيس روزفلت ، فقد تم الترتيب على أن تُعقد الاجتماعات الموسعة للزعماء الثلاثة في الدار التي خصصت لاقامته وهي منزل السفير الأمريكي كيرك. أُنزل رؤساء الأركان الأمريكان والانكليز في دارين منفصلين وكذلك كان الحال بالنسبة لأعضاء الوفود الأخرى. وأُتخذت ترتيبات أمن مشددة للغاية ، حيث أحاط الجنود المسلحون بمنطقة المؤتمر وأُقيمت مواقع المدافع المضادة للجو حولها وعُزلت المنطقة بكاملها عن بقية أنحاء القاهرة.

وغني عن القول ان تشرشل استغل فرصة سفرته البحرية على متن السفينة (رينون) للتباحث مع مرافقيه في الموضوعات المدرجة على جدول الأعمال. كذلك استغل ومرافقوه فرصة توقفهم في الجزائر ، للوقوف عن كثب على الموقف العسكري للقوات الفرنسية هناك. وبعد ان مكثوا يوماً واحداً في الجزائر غادروا بحراً الى مالطا ، حيث انضم اليهم الأعضاء الآخرون في هيئة الأركان وبروك وبورتان. ورغم ان تشرشل كان متوعك الصحة بسبب اصابته بالبرد والحمى ، إلا انه التقى مع رؤساء أركانه على ظهر السفينة في الثامن عشر من تشرين الثاني لاجراء مناقشة أخيرة قبل بدء مؤتمر القاهرة. والظاهر ان الاجتماع كُرّس للكيفية التي سيتم بها طرح الموضوعات التي تهم بريطانيا أمام المؤتمر. وأعرب خلاله كما يقول الجنرال (بروك) في مذكراته عن الأسف لأن الكثير من الفرص ضاعت على الحلفاء في إيطاليا والبلقان والجزر اليونانية ، مؤكداً على الحاجة الى إعادة الأمور الى وضعها الصحيح في تلك الجبهات ومجدداً الرغبة في حمل تركيا على دخول الحرب. وقد طمأن الجنرال البريطاني

(الكساندر) الذي حضر الاجتماع رؤساء الأركان الانكليز انه إذا وافق الأمريكيون على ترك معدات الانزال الخاصة بهم في البحر المتوسط حتى أواسط كانون الثاني القادم ، فسيكون بوسعه القيام بعملية انزال برمائية على الساحل الغربي لايطاليا. وهذا ما سيسهل عملية استعادة روما. وفي هذا السياق كما يروي (بروك) في مذكراته. فقد قال تشرشل لرؤساء أركانه «لقد حان الوقت لكي يدرك الأمريكيون ان مطالبتنا بتأخير عملية العبور ، لها ما يبررها». كان بروك يتفق مع وجهة نظر تشرشل ، الى درجة انه كان يفضل الاستقالة على ان تتم العملية وفقاً للموعد الذي أتفق عليه في كويبك. وذلك نابع من اعتقاده بأن نجاح العملية يقوم على المزيد من انهاك الألمان في جبهات أخرى، وبخاصة في جبهة البحر المتوسط خلال الستة أشهر المقبلة.

كذلك كان (بروك) يخشى من ان ينتقم تشرشل من عدم استجابة الأمريكيين لندائه بنجدة الحاميات البريطانية في الجزر اليونانية حين كانت هذه الجزر تتعرض لهجوم الألمان بالتلويح بعدم التعاون معهم في عملية العبور ، وهذا ما كان يعتقد انه سيؤدي الى ازدياد العناد الأمريكي. والواقع ان هذه المخاوف كان لها ما يبررها. فتشرشل كان بالفعل قد أغاض روزفلت والجنرال مارشال ووزير الحرب الأمريكي (ستمسون) بتكراره مراراً على مسامعهم ما يسميه بخذلان الأمريكيين له في قضية الجزر اليونانية وباستجابته السريعة للدعوات السوفييتية المطالبة بدخول تركيا الحرب. وقد زاد من النيران اشتعالاً استخدامه التقرير المتشائم الذي كان الجنرال (الكساندر) قد أعده عن الوضع في إيطاليا والذي اقترح على أساسه ابلاغ ستالين بتأجيل عملية العبور ، وهو بهذا العمل كما يرى (بروك) قد أضعف الى درجة قاتلة «موقفه الذي كان لا يزال قوياً حتى الآن» مع روزفلت ورؤساء الأركان الأمريكيين. انه لصحيح القول ان بروك نفسه لم يكن دائماً المدافع المثالي لعرض قضية كهذه على الأمريكيين ، ذلك ان بعض المؤرخين الأمريكيين يرون في انتقاداته للجنرال مارشال والجنرال آيزنهاور ما يمكن اعتباره «موقفاً معادياً لأمريكا». ان هذا الاتهام غير دقيق ، ذلك لأن الجنرال بروك كان من الصراحة في المسائل الاستراتيجية الى درجة انه انتقد جنرالات انكليز بارزين أيضاً من أمثال (مونتغمري) و(الكساندر). ولعل نفاذ صبر (بروك) يرجع أساساً الى احساسه بأن الهوة القائمة بين ما كان يريد ، وبين ما كان

الأمريكيون مستعدين للموافقة عليه ، واسعة للغاية ، وبما سمعه من الجنرال الأمريكي دل «من ان الأمريكيين قد عرضوا بالفعل بما فيه الكفاية من التنازلات أمام وجهات النظر البريطانية ، وهذا ما لم يكن واقعاً في رأيه .

خلال توقفه في مالطا وهو في طريقه الى مصر استدعى تشرشل الجنرال آيزنهاور من مقر قيادته في غرب البحر المتوسط (الجزائر) لينقل اليه رأيه بضرورة تشديد الضغط على الألمان في إيطاليا ، وتوسيع نطاق العمليات شرقاً باتجاه البلقان . ولكن نظراً لأن آيزنهاور كان أحد المخططين الأساسيين لعملية العبور فلم يعر أذناً صاغية لما قاله رئيس الوزراء البريطاني شأنه شأن الجنرالات الأمريكيين الآخرين .

استند موقف آيزنهاور كما أوضحه في مؤتمر القاهرة فيما بعد على ان عمليات البحر المتوسط ينبغي ان يحكم على أهميتها من زاوية مدى مساهمتها في عملية العبور وانه لا يجب تحويل أية إمكانات عسكرية أخرى الى مسرح عمليات البحر المتوسط إلا عندما تقتضي الضرورات القصوى وانه حتى بالنسبة الى مخطط التقدم باتجاه وادي (البو) من قبل القوات الحليفة فانه ينبغي الانتظار الى ان تحين الفرصة المواتية له . هذا الرد من أمريكي كان لا يزال حتى هذه اللحظة قائداً من كبار قُوّاد منطقة البحر المتوسط جاء مثبطاً لعزيمة تشرشل .

في هذه الأثناء كان روزفلت لا يزال في طريقه الى القاهرة . وقد توقفت به السفينة (آيوا) في ميناء وهران الجزائري في العشرين من تشرين الثاني أي قبل يومين من موعد بدء المؤتمر . كان بوسع روزفلت ان يصل الى القاهرة في الحادي والعشرين من الشهر ، لكنه فضّل ان يصل في نفس يوم الافتتاح ، ربما لأنه لا يريد عقد لقاء «لم يحن أوانه» مع تشرشل قبل بدء أعمال المؤتمر . كذلك فقد اغتنم الرئيس الأمريكي فرصة وجوده في وهران ليبحث التطورات مع قادته العسكريين في شمال أفريقيا وفي ذهنه تعيين الجنرال آيزنهاور لقيادة عملية العبور إذا أُرتؤي ان بقاء الجنرال (مارشال) في واشنطن كان أمراً ضرورياً .

التقى آيزنهاور وقد عاد لتوه من مالطا مع الرئيس روزفلت في وهران ثم استقل الطائرة معه الى قرطاجة الواقعة الى الشمال من تونس . وبعد ان استقر روزفلت في

منزل آيزنهاور قام بزيارة سرب الاستطلاع الجوي الأمريكي المرابط هناك والذي يعمل فيه نجله. وفي المساء التقى على حدة مع آيـزنهاور والجنرال (سبـاتز) قـائد القوات الجوية الأمريكية في شمال أفريقيا والجنرال (تيدار) قائد القـوات الجويـة البريطانية في ذلك القاطع. وفي اليوم التالي قام برفقة آيزنهاور بتفقد القطعات الحليفة المرابطة في تونس، ولم يغادر الى القـاهرة إلا في سـاعة متـأخرة من ليلة الحـادي والعشرين من تشرين الثاني، وكأنما وقّت موعد مغادرته لكي يصادف وصوله قبل ساعات فقط من افتتاح المؤتمر.

من خلال محادثاته مع روزفلت اتضح لآيزنهاور ان الرئيس لم يكن مستعداً لتعيين الجنرال (مارشال) قائداً لعمليـة العبور نـزولاً عند الحـاح رؤساء الأركـان الأمريكيين الذين كانوا يريدون ان يبقى في منصبه الرفيع في واشنطن وان تشرشل لم يكن يريد ان يتقلد مهمة قيادة عملية العبور لا الجنرال مارشال ولا هو شخصياً (أي آيزنهاور).

مهما يكن من أمر فان الأمريكيين وضعوا نصب أعينهم كهدف ثان من مؤتمر القاهرة، حمل الانكليز على القبول بفكرة قائد أعلى للعمليات الأوربية وهو هدف لا يقل من حيث الأهمية عن تنفيذ عملية العبور في موعدها المحدد، لكنهم فشلوا في مسعاهم هذا رغم نجاحهم في الابقاء على أولوية عملية العبور ولكن بعد تنازلات قدموها الى الانكليز. أما بالنسبة للشرق الأقصى ودور الصين في الحرب هناك فقد حقق الأمريكان نجاحاً جزئياً. فقد كان هدفهم في تلك المنطقة هو القيام بعمليات انزال برمائية في جزر المحيط الهندي واستخدام هذه الجزر للقيام بعمليات قصف جوي «مكوكية» للأراضي التي يحتلها اليابانيون، وزيادة المعونة العسكرية التي تنقل بطائرات النقل الى قوات (كاي شك). وكذلك القيام بحملة عسكرية لفتح طرق الامدادات عبر بورما. لكن هـذه الأخيرة اصـطدمت بمعارضـة تشرشـل وقائـد عمليـات جنوب شـرق آسيا (مـونتباتن) بـوصفها عمليـة غير سليمـة من وجهـة النظر الاستراتيجية.

ولابد من القول هنا ان رغبات الرئيس روزفلت هي التي رسمت في الواقع سير أعمال المؤتمر. فهو باصراره على حضور الصينيين للمؤتمر حتى قبل بدايته وبتأخير

وصوله متعمداً الى القاهرة ، فقد حقق اثنتين من هذه الرغبات ، الأولى عدم اضفاء «طابع الانكلو ـ أمريكي» على الاجتماع قبل مؤتمر طهران وتفادي لقاءات على حدة مع تشرشل كما كان يرغب هذا الأخير ، والثانية ان تسيطر مشكلات الشرق الأقصى على أعمال المؤتمر وبالتالي عدم اعطاء الانكليز الوقت الكافي لممارسة ضغوطهم من أجل المزيد من المماطلة في القيام بعملية العبور أو طرح ما يسعون الى تحقيقه في قاطع عمليات البحر المتوسط. وبالفعل فقد كان هناك تسع مواد على جدول الأعمال تتعلق بالشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا ، في حين ان المسائل الأخرى بما فيها عملية العبور والبحر المتوسط أُدرجت في أربع مواد فقط. كذلك كان روزفلت عازماً على كسب ثقة (كاي شك) بتأكيده ان هذا الأخير يجب ان لا يبارح القاهرة إلا وقد حصل على مساندة ملموسة سياسياً وعسكرياً. وفي النتيجة فان (كاي شك) لم يحصل على كل مطالبه العسكرية التي يمكن ان نقول ان بعضها لم يكن منطقياً إذا ما استثنينا الوعود بمزيد من المساعدات العسكرية ، وربما كان ذلك كافياً بالنسبة لروزفلت. أما من الناحية السياسية فقد اعطى روزفلت الى (كاي شك) بالفعل ضمانات باعادة الأراضي التي فقدها الصينيون ، وتعهده بالحصول على موافقة ستالين وتشرشل عليها بما لا يضمن فقط بقاء الصين في الحرب بل ويجعلها تستمر على خطها الموالي لأمريكا. ولذلك لم يكن مستغرباً ان روزفلت عد المؤتمر ناجحاً بالنسبة للولايات المتحدة ، وهذا هو ما سعى اليه.

أما بالنسبة للانكليز فان المؤتمر كان بمثابة «ساحة قتال» خسروا بالفعل جولته الأولى حتى قبل ان يبدأ عندما دعي الصينيون للاشتراك فيه ، ثم انه لم يساعدهم في الذهاب الى طهران باتفاق عريض مع الأمريكان على الاستراتيجيات في أوربا والشرق الأقصى. وكل الذي حققوه هو انهم حصلوا على موافقة الأمريكان على عرض قضيتهم أمام مؤتمر طهران. ان النجاحات التي حققها الانكليز في مؤتمر القاهرة يمكن ان توصف في الواقع بأنها نجاحات «من النوع السلبي». ذلك انهم تمكنوا من تأجيل اتخاذ قرار نهائي حول عملية العبور ، وأفلحوا في وضع المقترحات الأمريكية حول تعيين قائد أعلى للعمليات الأوربية على الرف ، وحالوا دون تمثيل الروس والصينيين بشكل دائم في اجتماعات رؤساء الأركان ، كل ذلك بانتظار

ما سيسفر عنه مؤتمر طهران. كذلك ترتب على الجنرال (بـروك) وزملائـه رؤساء الأركان الانكليز، أن يضيعوا كثيراً من الوقت في مناقشات حول المسائل المتعلقة بالصين. بينما كان تشرشل وقد اشتد بـه الاحباط ينـزوي بمفرده خـارج جلسات المؤتمر، وعلى بعد بضعة مئات من الأمتار منه يجلس الرئيس روزفلت منسجماً في لقاء ودي مع (كاي شك) وزوجته. انه باختصار مؤتمر لم يسعد الانكليز.

٢ - المؤتمر يوم بيوم

رغم ان مؤتمر القاهرة لم يستغرق سوى خمسة أيام بالقياس الى مؤتمر موسكو الذي استمر اثني عشـر يومـاً، إلا انه اتسم بقسط أكبـر من النشاط. فقـد عقد اجتمـاعـان ثـلاثيـان مـوسعـان، الأول حضـره رؤسـاء الأركـان والمستشـارون السياسيون، والثاني اقتصر على الزعماء الثلاثة ونفر قليل من معاونيهم. وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك ثلاثة اجتماعات عقدت على حدة لرؤساء الأركان دون حضور السياسيين، حضر جانب اثنين منهما ممثـل عسكري من الصـين. كذلـك جرت لقاءات منفصلة بين رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان طيلة الأيام الخمسة للمؤتمر جرت خلالها مناقشات لم تكتسب في معظمها الطابع الرسمي. وتنـاول روزفلت طعام العشاء والغداء سوية ثلاث مرات، كما أقام رؤساء الأركان الانكليز مأدبة عشاء لأقرانهم الأمريكان. وبالعكس. والتقى تشرشل على العشاء مرة واحدة مع الجنرال (مارشال). على ان الأمريكيين أولوا، اهتماماً شخصياً أكبر للصينيين من حلفائهم الانكليز. فقد عقد روزفلت عدة جولات من المحـادثات المنفصلة مـع (كاي شك) في عـدة مناسبـات خلال المؤتمـر. كذلـك التقى الجنرال (مـارشال) وهوبكنز مع (كاي شـك) مرة واحـدة. وعقد الجنـرالان (ارنولـد) و (سمرفيـل) اجتماعاً خاصاً مع ممثلي هيئة الأركان الصينية لبحث مسألة الامدادات العسكرية. كذلك فان الانكليز لم يهملوا الصينيين تماماً. فقد اجتمع تشرشـل على حـدة مع (كـاي شـك) في ثـلاث منـاسبـات بينـما التقى وزيـر خـارجيتـه (ايـدن) مـع (وانغ شونغ لوي) السكرتير العام لمجلس الدفاع الوطني الصيني. كما عقد العديد

من اللقاءات غير الرسمية. فقد استغل تشرشل وبروك فرصة الأربع والعشرين ساعة ما بين وصولهم الى القاهرة ووصول روزفلت في اليوم التالي للاجتماع مع قادتهم العسكريين في الشرق الأوسط مع (مونتباتن) وقد جرى في هذه الاجتماعات بحث المقترحات الأمريكية المدرجة على جدول الأعمال والبدائل التي قدمها الانكليز للبعض منها بما في ذلك المقترحات المتعلقة بقيادة العمليات في منطقة جنوب شرقي آسيا، والحدود المستقبلية لهذه القيادة وتطور عمليات القصف الجوي الاستراتيجي للأراضي التي يحتلها اليابانيون من قواعد في الهند والصين، والتقويم الأمريكي للوضع العسكري الحالي في المانيا واليابان، وكلاهما أصبحا في هذه المرحلة من الحرب في موقف «الدفاع الاستراتيجي» رغم قابلياتهما على القيام بهجمات محدودة. كان لدى رؤساء الأركان البريطانيين الكثير مما يجب عمله. وقد هيأ له وجودهم في القاهرة قبل ٢٤ ساعة من وصول الأمريكيين الفرصة لمزيد من المناقشات فيما بينهم.

أخيراً إلتأم شمل جميع المشاركين، وفي يوم الاثنين ٢٢ تشرين الثاني بدأ المؤتمر أعماله.

٢٢ تشرين الثاني : جدول أعمال المؤتمر، أولويات عمليات جنوب شرق آسيا، الجدول الزمني لعمليتي العبور وشرق البحر المتوسط، عملية جزر (الاندامان) المسماة بعملية (بوكانير) والحملة على بورما.

هبطت الطائرة المقلة للرئيس روزفلت في مطار غرب القاهرة في الساعة ٩ر٣٥ صباحاً بالتوقيت المحلي. وكان تشرشل في مقدمة مستقبليه، ثم رافقه الى مقر اقامته حيث سيمكث ومعه كل من (هوبكنز) والادميرال (ليهي) وهناك التقى مع كل من كيرك سفير الولايات المتحدة لدى مصر و(افريل هاريمان). وفي الحال بدأ رؤساء الأركان عملهم كلاً على حدة في فندق (ميناهاوس). فقد اجتمع الجنرالات الأمريكان برئاسة الادميرال (ليهي) في الساعة الحادية عشرة بينما كان الجنرالات

البريطانيون قد سبقوهم الى الاجتماع قبل ذلك بوقت قصير برئاسة الجنرال (بروك) .

عقدت اجتماعات القاهرة العسكرية في جو من الانضباط والنظام ووفقاً لجدول اعمال متفق عليه ، بشكل يعكس كونها اجتماعات لكبار العسكريين ، بخلاف المناقشات السياسية التي جرت على نحو طغى عليه الارتباك وبمنأى عن الرسميات. والسبب في ذلك هو الرئيس روزفلت نفسه. إذ انه على الرغم من ان الجنرالات الأمريكان كانوا قد أعدوا جدول أعمال مؤقت لمحادثات روزفلت ـ كاي شك ـ تشرشل ، إلا ان الرئيس الأمريكي لم يكن يريد ان يقيد نفسه بموضوعات محددة ، فهو يفضل السيطرة على المناقشة بدلاً من الالتزام بجدول أعمال معد سلفاً ، وهذا أمر يناسبه تماماً لأنه غالباً ما كان يستخدم اجتماعات كهذه لطرح ما يدور في ذهنه ثم يتلمس طريقه نحو القرار النهائي .

من المنطقي فان اول عمل شرع به الجنرالات هو محاولة كل جانب منهم التعرف على آخر الأفكار التي تدور في ذهن الجانب الآخر. وهكذا ففي حين كان الجنرال (ديل) يطلع رؤساء الأركان الانكليز على وجهات النظر الأمريكية (بوصفه ممثلاً لبريطانيا في هيئة الأركان المشتركة التي مقرها واشنطن) ، كان (جون وينانت) السفير الأمريكي لدى بريطانيا ، يوجز بدوره للجنرالات الأمريكان أهم القضايا التي تشغل بال الانكليز. وبالفعل فقد قام الرجلان بجهد دقيق ومخلص. وجاء في التقرير الذي قدمه (ديل) للجنرالات الانكليز عن آخر اجتماعاته مع الجنرالات الأمريكان ، ان هؤلاء تساورهم شكوك عميقة في النوايا البريطانية بالنسبة الى عملية العبور وذلك بسبب تصرفات تشرشل وبياناته. وانهم يعتقدون ان عمليات البحر المتوسط ، لا تزال هي الهدف الرئيس الذي يسعى اليه الانكليز بالرغم من الأولوية التي أعطاها لقاء (كويبك) لعملية العبور ، وانهم ـ أي الأمريكيين ـ رغم تشبثهم بهذه العملية ، ربما كانوا راغبين في اظهار بعض المرونة بالنسبة الى موعد الشروع بها ، كما انهم يولون اهتماماً لعمليات جنوب شرقي آسيا وهم تواقون لمناقشتها مع الآخرين. أما فيما يتعلق بعمليات شرق البحر المتوسط فالأمريكان يوافقون على «محاولة بريطانية بحتة» لاستعادة الجزر اليونانية في بحر إيجة من الألمان ، ولكنهم يخشون من ان القيام بعمليات أخرى في تلك المنطقة قد يؤدي الى امتصاص خطير

لقدرات عسكرية من المفترض استخدامها في العبور. وحسبما ذكر (ديل) فان الأمريكيين لا زالوا متمسكين بمشروعهم لتعيين قائد أعلى للعمليات الأوربية ، ولفكرة انشاء قيادة ستراتيجية للعمليات الجوية الحليفة ، وهم يخططون لعرض هذه الأفكار على المؤتمر.

جاء رد فعل الجنرال (بروك) على ما سمعه من (ديل) شديداً كما كان متوقعاً فقد قال «ان الأمريكان يسيئون فهم الموقف البريطاني ، فنحن عندما سعينا الى تشديد الضغط في جبهة البحر المتوسط ، إنما كنا نهدف الى اضعاف الألمان وبالتالي جعل عملية العبور ممكنة التحقيق. ثم قال انه إذا واصلت الجيوش السوفييتية ضغطها في الجبهة الشرقية فان التأثير المشترك لهذا الضغط وللعمليات العسكرية الأخرى التي تجري جنوباً (أي منطقة البحر المتوسط) سيرغم الألمان على سحب قواتهم من الجبهة الغربية ، وهذا ما سيجعل من الشروع بعملية العبور أسهل نسبياً. أما فيما يتعلق بجنوب شرق آسيا ، فقد قال انه لم يعد يرى انه من الضروري استشارة الأمريكان حول عمليات معينة يخطط لها الانكليز في ذلك القاطع طالما ان الأمريكان لم يستشيرونا في عمليات قاموا بها فعلاً في المحيط الهادي. لم يوافق (ديل) على هذا الرأي بقوله ان الأمريكيين سيكونون على الأرجح أكثر استعداداً للمساهمة بتوفير المعدات الحربية للعمليات التي سبق وان اتفقنا عليها.

ربما كان الجنرال (بروك) يرد بموقفه هذا على ما أسماه بعدم توفر الرغبة لدى قيادة الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي للمساهمة في توفير سفن الانزال اللازمة للهجوم الذي يخطط له الانكليز ضد سومطرة ، وهي العملية التي أُطلق عليها اسم (كلفرين) رغم ان لدى تلك القيادة احتياطياً كبيراً من السفن في تلك المنطقة.

على أية حال وافق الجنرالات الانكليز على النظر في المقترحات المتعلقة بجنوب شرق آسيا في اليوم التالي ، ثم انتقلوا لبحث مواد جدول الأعمال الذي أعده الأمريكان ، وهو جدول أعمال مفصّل يبدأ بالتأكيد على المفهوم الاستراتيجي الشامل للحلفاء ألا وهو هزيمة المانيا أولاً ، وعلى الأولوية القصوى لعملية العبور للوصول الى هذا الهدف ، وفي هذا الاطار يجري البحث في التقويم الأمريكي لوضع

المانيا العسكري في ضوء التقارير المرفوعة من قادة الميدان والخطط المتعلقة بالتعاون العسكري الانكلو ـ أمريكي ـ السوفييتي للمرحلة القادمة. ثم يُنتقل بعد ذلك الى موضوع الحرب ضد اليابان ويشمل ذلك «وضع العدو» العسكري والخطة الشاملة لدحر اليابانيين. ثم تقارير أخرى حول آخر التطورات العسكرية في الصين والمحيط الهادي بما في ذلك نقل قوات حليفة أخرى الى الشرق الأقصى لتعزيز القوات الموجودة هناك بعد اندحار المانيا. وبعد الانتهاء من دراسة هذه التقارير ينتقل الجميع الى بحث مدى مساهمة كل جانب في توفير القدرات العسكرية المطلوبة، ثم يعدون تقريراً عن نتائج دراساتهم الى كل من الرئيس روزفلت وتشرشل. وأخيراً يتم البحث فيما سيعرض على مؤتمر طهران القادم.

أصبح من الواضح ان جدول الأعمال الأمريكي وضع عمليات العبور والبحر المتوسط على رأس قائمة الموضوعات المطروحة للنقاش، تليها عمليات الشرق الأقصى وهذا ما معناه انهم أرادوا وضع زملائهم الانكليز وجهاً لوجه أمام التزامهم باتفاق (كويبك) حول عملية العبور. وبعد دراسة جدول الأعمال الأمريكي خلصت سكرتارية الوفد البريطاني بعد التشاور مع (بروك) الى انه أي جدول الأعمال كان طويلاً ومفصلاً دونما ضرورة، وسيؤدي الى مناقشة موضوعات متشابهة تحت أكثر من عنوان. ولهذا اقترح الجنرال (هوليس) المسؤول عن السكرتارية جدول أعمال مبسّط يؤكد فيه رؤساء الأركان من الجانبين على الاتفاقات الأساسية بشأن عملية العبور، وعمليات البحر المتوسط والحرب ضد اليابان وبعدها يستمعون الى تقارير القادة الميدانيين وهذا ما من شأنه أن يغطي جميع النقاط التي أُدرجت في جدول الأعمال الأمريكي بشكل أكثر تبسيطاً. كما اقترح (هوليس) في مذكرة ملحقة ان ينصرف رؤساء الأركان أولاً الى تسوية مسألة كثُر فيها الأخذ والرد ألا وهي الافتقار الى المرونة بالنسبة لموعد عملية العبور لأن هذه العملية في رأيه قد أصبحت تتحكم بمصير عمليات مخططة أساساً في البحر المتوسط والشرق الأقصى على السواء. واقترحت المذكرة بعد ذلك، الانتقال الى تسوية موضوع القيادة العسكرية الموحدة لمسرح العمليات الأوربي، وما إذا كان القيام بانزال بري في جنوب فرنسا أمراً ممكناً من الناحية العملية. وإذا كان كذلك فمتى سيتم الشروع به.

ثم يصار الى الانتقال الى موضوع جنوب شرق آسيا ، وفي هذا الصدد يعرض كل من (مونتباتن) و(ستلول) وهما القائدان الميدانيان الأمريكيان في المنطقة آراءهما ، ويجري الاستماع الى مقترحات الصينيين بشأن الموقف إن كان هناك مثل هذه المقترحات.

تحدث الجنرال بروك هذه المرة ، وهو يحاول ان يزيل المخاوف الأمريكية بالنسبة لمدى التزام بريطانيا بعملية العبور قائلاً ان كل ما هو مطلوب بالنسبة لهذه العملية قد تم الاتفاق عليه في كويبك ، لذلك لا داعي لاشباع الموضوع مزيداً من النقاش ، مشيراً بشكل ضمني الى ان رؤساء الأركان من الجانبين يجدون أنفسهم في موقف فرضه عليهم الرئيس روزفلت عن طريق الترتيبات التي أعدها هو بنفسه للمؤتمر. على هذا الأساس اقترح (بروك) انه بالنظر لأن (كاي شك) وكلاً من (مونتباتن) و(ستلول) لا يمكن ان يبقوا في القاهرة لفترة طويلة بعيداً عن مراكز مسؤولياتهم في الشرق الأقصى ، فانه ينبغي بحث عمليات الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا كمادة أولى حتى قبل العمليات الأوربية وعمليات البحر المتوسط.

بعد ذلك عرض رؤساء الأركان الانكليز المذكرة التي أعدوها مع تشرشل حول «النكسات» التي تعرض لها الحلفاء في البحر المتوسط خلال الأشهر القليلة الماضية. فالحملة على إيطاليا في حالة ركود والعاصمة روما لم تسقط في الخريف كما كان مخططاً لها والحلفاء لم يفوا بالتزاماتهم كاملة في تقديم السلاح والعون الى حركات المقاومة في يوغسلافيا والبانيا مما جعل هذه الحركات تفقد السيطرة على بعض موانيء البحر الادرياتيكي التي سبق وان سيطرت عليها ، في حين ان الألمان أخذوا يستعيدون مواقعهم في البلقان بوجه عام. وكانت أكبر تلك «النكسات» التي تحدثت عنها المذكرة هي اندحار الحاميات البريطانية في مجموعة الجزر اليونانية التي استرجعها الألمان مشيراً الى ما ستتركه هذه «النكسات» من آثار سلبية على مواقف دول كتركيا وبلغاريا ورومانيا. وقد عزا تشرشل أسباب تلك «النكسات» الى أمرين الأول ، صرامة الجدول الزمني لعملية العبور الذي اقتضى سحب الكثير من القوات والمعدات من البحر المتوسط في وقت كان فيه مسرح العمليات هذا بأشد الحاجة اليها ، وذلك قبل فترة طويلة من الموعد المضروب للعملية ، والثاني هو «الخط المصطنع» الذي يفصل غرب البحر المتوسط عن قيادة الشرق الأوسط وهو الخط

الذي قال انه وقف حائلاً دون إرسال تعزيزات الى شرق البحر المتوسط. لذلك اقترح تشرشل أن يتم وقف أي سحب آخر للقوات ومعدات الانـزال من البحر المتوسط في الوقت الحاضر ، وان يستأنف الحلفاء حملتهم لاستعادة روما وان تُضاعف الامدادات الى حركات المقاومـة في البلقان والاعـداد لحملة ضد الجـزر اليونـانية التي يحتلها الألمان تبدأ بهجوم عـلى أكبرهـا وهي جزيـرة (رودس) بحلول كانـون الثاني ١٩٤٤.

في ذات الوقت كان (وينانت) ينقل الى رؤساء الأركان الأمريكان صورة دقيقة عما يعتقد انه يدور في خلد رؤساء الأركان الانكليز ، من الرغبة في استغلال الموقف في إيطاليا قبل حلول موسم الشتاء ، الى السعي لمضاعفة المساعدات المقدمـة الى حركات المقاومة في البلقان، والى ضرورة الاستمرار في الضغط على تركيا لدخول الحرب ، موضحاً أن تقدم القوات الحليفة الى الشمـال من وادي (البو) لم يكن كافياً ، وان الهدف الرئيس للانكليز هو استعادة روما من الألمان. كما أكد لهم ان الالتزام البريطاني بعملية العبور لا يزال قائماً رغم شعورهم بأن موعد القيام بالعملية يجب ان يرتبط بـ «اللحظة المناسبة» أي بما يتناسب وانهيار معنويات الألمان وتقلص قـدراتهم العسكـريـة في الجبهـة الغـربيـة بـدلاً من التشبث بجـدول زمني محـدد سلفاً لتلك العملية.

وفي معرض رده على سؤال من الأدميرال (كنغ) عرج (وينانت) على ناحية تقلق الأمريكان بالنسبة الى مؤتمر طهران المقبل ، وهي انهم كانوا قد تلقوا منذ بعض الوقت تقارير من الجنرال (دين) رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو ومن سفيرهم هناك (افريل هاريمان) بان السوفييت يضغطون من أجل مواصلة الهجوم على الألمان في قواطع عمليات البحر المتـوسط. وهي ضغوط جعلت الأمـريكيين يتساءلون ما إذا كان الروس قد أصبحوا أقل اهتماماً من ذي قبل بعملية العبور ، إذ ربما أدت النجاحات التي حققها الروس في هجماتهم الصيفية والخريفية ضد الألمان والتي جاءت في أعقاب انتصارهم الكاسح في معركة (ستالينغراد) قد غيرت رأيهم بجدوى عملية عبور القنال الى درجة حملت ستالين على الاعتقاد بأن تشديد الضغط

على الألمان على الجبهة الشرقية وجبهة البحر المتوسط من شأنه ان يعجّل بـاسقاط النظام النازي دون الحاجة الى عملية كهذه.

في الجزائر كان (هاري هوبكنز) قد كشف لمعاوني الجنرال آيزنهاور خلال لقائه بهم عن مخاوفه بان استراتيجية عملية العبور برمتها ربما كانت عرضة لأن يعاد النظر فيها في مؤتمر القاهرة وان الروس ربما ساندوا الانكليز في مؤتمر طهران في خططهم للبحر المتوسط والبلقان بدلاً من عملية العبور.

وفي معرض رده على سؤال من الجنرال (ارنولد) حول ما إذا كان الانكليـز يرون ان في الامكان القيام بعمليات البلقان لن يتداخل مع الترتيبات الخاصة بعملية العبور ، قال (وينانت) ان عمليات البلقان كما سمعه من الانكليز لن تكلّف كثيراً ، وانها ستقتصر على غارات جوية ، وزيادة المعونة العسكرية لحركات المقاومة والقيام بعمليات تخريبية ضد قوات الاحتلال الألمانية.

إنه لأمر مشكوك فيه إن كان رؤساء الأركان الأمريكان قد اطمأنوا الى أجوبة (وينانت) بالنسبة لمدى الالتزام البريطاني لعملية العبور ، فقد كانت مخاوفهم عميقة الجذور. أما بالنسبة للالتزام السوفييتي بالعملية فقد كان لديهم ما يقلقهم أيضاً كما رأينا. وربما كانوا أكثر اهتماماً بما جاء في تقارير الجنرال (دين) و(افريل هاريمان) من آراء تشرشل ومعاونيه الانكليز. على أيـة حال تم الاتفـاق على ان يجتمـع رؤساء الأركان في جلسة موسعة في الساعة الثالثة من بعد الظهر لمزيد من المناقشات.

في صباح ذلك اليوم وبينما كان تشرشل يقوم بزيارة مجاملة الى (كاي شك) بعث روزفلت ببرقية الى ستالين يخطره فيها بأن الوفد الأمريكي سيصل الى طهران في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ويمكث ما بين يومين الى اربعة أيام. كذلك لاحظ روزفلت في برقيته ان السفـارة الأمريكيـة في طهران تقـع على مسـافة بعيـدة من السفارتين السوفييتية والبريطانية وانه تبعاً لذلك فهناك مخاطر تتعلق بالأمن في التنقل بين السفارات الثلاث. وبهذا فقد فتح الرئيس الأمريكي باب التنافس بين ستالين وتشرشل على استضافته في واحدة من السفارتين.

في البداية لم يكن روزفلت يريد ايذاء شعور أي منهما بالاقامة مع الآخر ، ولذلك ارتأي الاقامة في السفارة الأمريكية ولكن يبدو ان الأمور بـين الحلفاء قـد

وصلت الى مرحلة جعلته يقرر «ايذاء أحدهما».

مرت زيارة تشرشل لـ (كاي شك) بهدوء. وكان رد فعل تشرشل الأولي عن اللقاء انه وجد في الزعيم الصيني «رجلاً هادئاً متحفظاً وكفوءاً» وهي صفات لا يتفق عليها حتى أولئك الغربيون الذين هم على اتصال مستمر مع (كاي شك) رغم اتفاقهم معه في الرأي على ان المدام (كاي شك) إمرأة فاتنة. لكن هذا الانطباع الذي خرج به تشرشل لم يثنه عن تغيير رأيه في ان الأمريكان بالغوا كثيراً في تقدير إمكانات الصينيين في المساهمة بالحرب ضد اليابان.

بعد ظهر اليوم نفسه قام تشرشل بزيارة مجاملة أخرى الى روزفلت قبل لقاء مقرر بين هذا الأخير و(كاي شك). مما لا شك فيه ان «تشرشل» كان يريد «مناقشة جادة» مع «روزفلت» حول الموضوعات المطروحة على المؤتمر. ولكن لو حكمنا على الأمور من زاوية الاهتمام المفرط الذي أبداه الأخير، بالوفد الصيني بدلاً من الانكليز، لأمكننا القول انه لم يكن موفقاً في مسعاه هذا، لا في هذا اللقاء ولا في اللقاءات التي جرت بعده. ذلك ان روزفلت كان يجيد فن تحاشي بحث الموضوعات التي لا يريد بحثها مع الآخرين، لكنه كان من الجهة الأخرى دمثاً الى الدرجة التي جعلت تشرشل يبدو متفائلاً من نتائج المؤتمر.

بعد زيارة تشرشل له، عقد روزفلت اجتماعاً مطولاً مع (كاي شك) بحضور زوجة الأخير وكل من (مارشال) و(هوبكنز) وبينما راح الجميع يرتشفون الشاي، كان روزفلت قد دخل في مناقشة مع (كاي شك) حول احتياجات الصين العسكرية والسياسية، وهي احتياجات احتلت حيزاً كبيراً من وقته في القاهرة.

بعد الظهر وبينما كان الزعماء السياسيون يتبادلون زيارات المجاملة فيما بينهم، اجتمع رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان في فندق (ميناهاوس) في أول لقاء رسمي لهم وبناء على اقتراح الادميرال (ليهي) فقد تولى بروك رئاسة الجلسة، التي كرست لتنظيم جدول أعمال المؤتمر. وقد أُتفق خلالها على انه بالنظر لوجود (كاي شك) فان مسائل الشرق الأقصى ينبغي ان تُعطى الأولوية في البحث وهو ما امتنع الانكليز عن قبوله في الجلسة غير الرسمية التي عقدت في الصباح. أشار الجنرال (اسماي) تعقيباً على ذلك بان روزفلت وتشرشل قد وافقا بالفعل على عقد اجتماع موسع مع

(كاي شك) ورؤساء الأركان في اليوم التالي.

استغل الجنرال (مارشال) الموقف، ليطرح ورقة عمل كان (ستلول) قد وضعها حول دور الصين في الحرب مقترحاً أن يبحثها رؤساء الأركان في اجتماعهم المشترك الذي يعقد في وقت لاحق من اليوم نفسه، ونظراً للاجتماع الوشيك مع (كاي شك) والجنرالات الصينيين فانه لم يكن بوسع الانكليز إلا ان يوافقوا على الاقتراح. لذلك وجد الأمريكيون ـ وقد دخل السرور الى قلوبهم ـ ان الأمور كانت تسير وفق ما يريدون، وانه لا مانع لديهم من سحب جدول الأعمال المرهق لصالح المقترحات البريطانية المبسطة. ولهذا فان الاتفاق على الاستراتيجيات الأساسية كانت ستبحث أولاً، تعقبها عمليات جنوب شرق آسيا (وهو الموضوع الأهم بالنسبة للصينيين) ثم الانتقال الى المسرح الأوربي، على ان يستمع رؤساء الأركان فيما بعد الى عمليات الشرق الأقصى الأخرى وسير الحرب ضد اليابان بوجه عام، وأخيراً التقارير المقدمة من مختلف القادة الميدانيين. بعد مناقشة قصيرة للترتيبات المتعلقة بمؤتمر طهران، أثار الجنرال (مارشال) مسألة العلاقة المستقبلية السوفييتية ـ الصينية مع هيئة رؤساء الأركان المشتركة الانكلو ـ أمريكية في ضوء الانزعاج الذي أبداه الاتحاد السوفييتي من عدم حضوره الاجتماعات السابقة للهيئة والمؤشرات التي توفرت بأن الصينيين كان لديهم الشعور نفسه. وقد اقترح (مارشال) كعلاج لذلك، ان يصار الى ادخال نص على ترتيبات دائمة لحضور العسكريين السوفييت والصينيين للاجتماعات. وبالنظر لأن تشرشل ورؤساء أركانه قد وافقوا على دعوة الروس والصينيين الى القاهرة (بعد تمنع) فان الاقتراح حول ترتيب دائم على هدى هذه الخطوط، لم يلقَ إلا تأييداً بسيطاً من الانكليز. كان الجنرال (اسماي) بكل تأكيد يشك في ما إذا كان الروس يريدون أكثر من مجرد دعوتهم لحضور مؤتمرات عسكرية إنكلو ـ امريكية موسعة، لذلك قال ان العسكريين السوفييت لم يدركوا إلا أخيراً على ما يظهر ان هيئة الأركان المشتركة هي هيئة دائمة تجتمع بشكل منتظم في واشنطن، وان اجتماعاتها ليست هي ببساطة اجتماعات لرؤساء الأركان الانكليز والأمريكان. كذلك أبدى زملاء الجنرال (مارشال) شكوكهم حول جدوى توسيع هيئة قاعدة الأركان المشتركة. وقد ذهب الجنرال (كنغ) الى حد القول انه ليس من

الممكن حضور ممثلين سوفييت وصينيين لهذه الاجتماعات طالما ان البلدين ليسا في حالة حرب مع نفس العدو. على أية حال فقد اتفق على ان توجه الدعوة للروس والصينيين لحضور اجتماعات «منتقاة» للهيئة عندما تكون مصالحهم الخاصة قيد البحث وانه في مؤتمر طهران على الأقل فانه ينبغي دعوة الروس لحضور أي اجتماع تعقده الهيئة هناك.

تُرك الموضوع لمزيد من المناقشة فيما بعد ، وهنا طلب رئيس الجلسة الجنرال (بروك) عدم اضاعة الوقت والانتقال الى بحث المسائل الاستراتيجية وتلك التي لها أولويات المناقشة ونزولاً عند طلبه فقد تم ادراج أولويات (كويبك) ، «المانيا أولاً ومسألة عملية العبور ثانياً» تحت البند الأول للبحث. وكان هذا بحد ذاته انتصاراً لـ (بروك) بصفته رئيساً للجلسة.

لم يكتمل بعد عمل اليوم فبعد ان أقام روزفلت مأدبة عشاء لتشرشل و(مونتباتن) ، انضم اليهم رؤساء أركانهم في مناقشة غير رسمية. وكسائر اللقاءات التي أجراها روزفلت فقد تناول اللقاء الذي جرى بعد المأدبة العمليات المخطط القيام بها في جنوب شرقي آسيا بما في ذلك خطة (مونتباتن) للحملة على بورما. وفي هذا السياق شرح (مونتباتن) لمستمعيه أهداف هذه الحملة والامكانات المطلوب توفيرها لها ، وكذلك ما ينبغي اعداده من زوارق الانزال لعملية (كلفرين) أي عملية الهجوم على سومطرة وعملية (بوكانير) أي عملية احتلال مجموعة جزر (اندامان) مشيراً الى ان هاتين الأخيرتين ستتمان بمشاركة قوات بريطانية وأمريكية. أما الثالثة أي الحملة على بورما ، فسوف يسهم بها الصينيون الى جانب القوات الحليفة ، مشيراً الى ان الهدف الأول للعملية الأخيرة سيكون احتلال منطقة (متكينا) من أيدي اليابانيين في شمالي بورما ، تعقبها في مرحلة لاحقة مهاجمة مدينة (مندلاي) وصولاً الى العاصمة (رانغون) ، ثم تقوم فرقتان صينيتان دربتا حديثاً في الهند ، بالتقدم من الطرف الشمالي الأقصى تحت قيادة مباشرة من الجنرال (ستلول) متوغلة في أعالي بورما ، بينما تقوم قوة صينية أخرى دربها الأمريكيون بالتقدم من اقليم (يو ـ نان) الصيني المجاور لتنضم الى القوات التي يقودها (ستلول). وفي الوقت نفسه الذي تتقدم فيه هذه القوات ، سيدعم الانكليز الحملة بهجومين في وسط بورما وجنوبها.

اقترح (مونتباتن) لتسهيل هذه العمليات تحويل مسار طائرات النقل الأمريكية المكلفة بنقل الامدادات الى قوات (كاي شك) في مناطق العمليات مباشرة. ومع ان هذا الاقتراح لم يرق للصينيين كما ألمح (مونتباتن) إلا انهم سيوافقون عليه مكرهين إذا كانوا يسعون حقاً لأن يفتح الحلفاء لهم طريقاً برياً من بورما يخفف عنهم زخم اليابانيين.

في هذا اللقاء غير الرسمي اتفق على عقد اجتماع موسع يضم روزفلت وتشرشل وكاي شك ورؤساء الأركان في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي بدلاً من بعد الظهر. كما كان مقرراً ، يليه اجتماع منفصل لرؤساء الأركان الانكليز والأمريكان ، ثم اجتماع ثالث في المساء يحضره ممثلون عسكريون صينيون.

وهكذا فقد أصبح واضحاً ان مشاكل جنوب شرق آسيا والصين كانت ستحتل موقع الصدارة في مناقشات اليوم التالي وربما الذي يليه أيضاً ، وهذا ما دفع الجنرال بروك الى الاقتراح بأن تُدرج عملية العبور وعمليات البحر المتوسط ضمن موضوع منفصل بدلاً من ان تبحث في اطار مواضيع أخرى.

٢٣ تشرين الثاني : حملة بورما ، الهجوم على اندامان وسومطرة ، البحر المتوسط ، خطط روزفلت تجاه الصين ، القواعد الأمريكية في المحيط الهادي ، خشية الصينيين من النوايا السوفييتية ، كوريا والهند الصينية.

صباح هذا اليوم التقى رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان مبكراً. وكان الموضوع الأول للبحث ، المذكرة التي اعدها تشرشل على متن السفينة (رينون) والتي تضمنت اقتراحاً باقامة رأس جسر على الساحل اليوغسلافي المطل على البحر الادرياتيكي عند منطقة (دالماسيا). وهو اقتراح وجد الجنرال بروك انه ليس من الحكمة ان يطرح للنقاش كجزء من المذكرة بالنظر لما أبداه الأمريكان من تحفظ على حملة البلقان. وتدخل ديل في النقاش موضحاً ان المهم الآن هو الحصول على موافقة

الأمريكان على انشاء قيادة موحدة في البحر المتوسط على أساس ان اقامة رأس جسر كهذا سيكون من ضمن اختصاصات القائد الجديد لقيادة المتوسط والذي من المفترض أن يكون بريطانياً. في هذه الملاحظة الأخيرة يمكن للمرء ان يرى بوضوح تأكيداً للرأي الذي سبق لروزفلت ان أبداه في اجتماعه مع جنرالاته على متن السفينة (آيوا) من ان قيادة موحدة يقودها بريطاني في البحر المتوسط يمكن ان تدخل في عمليات عسكرية تصرف الأنظار عن العملية الرئيسة ، (عبور القنال) ، وهو ما لا توافق عليه الولايات المتحدة. ولذلك وُجد ان من المفضل حذف الاشارة الى اقتراح اقامة رأس جسر على الساحل اليوغسلافي من المذكرة ، وكذلك سحب الملاحظة التي أبداها الجنرال بروك في اليوم السابق من ان الألمان قد سحبوا قوات كبيرة من إيطاليا والبلقان باعتبار ان هذه الملاحظة مشكوك في صحتها ، وأخيراً تمت الموافقة على المذكرة بعد ادخال بعض التعديلات عليها.

انتقل الجميع بعد ذلك الى بحث عمليات جنوب شرق آسيا في ضوء مذكرة أعدتها هيئة الأركان الأمريكية المشتركة وفيها توصي بالقيام بعملية انزال برمائية في مجموعة جزر (الاندامان) التي أُطلق عليها عملية (بوكانير). وتصر المذكرة على ان يكون للهيئة حق ابداء الرأي في جميع العمليات المخطط القيام بها في جنوب شرق آسيا وهو ما اعترض عليه الجنرال بروك في اليوم السابق. تحدث الجنرال (ديل) مشيراً الى الفوائد العملية التي ستترتب على اشراك هيئة الأركان الأمريكية المشتركة في المصادقة على عمليات جنوب شرق آسيا. غير ان (مونتباتن) أوضح بجلاء معارضته لعملية جزر (الاندامان) قائلاً ان معدات الانزال التي تتطلبها هذه العملية ، سيكون من الأجدر استخدامها في البحر المتوسط وبالذات في عملية انزال على جزيرة (رودس) أكبر الجزر اليونانية التي يحتلها الألمان بدلاً من زجها في عملية «غير مجدية». وبشكل يعكس آراء رئيس وزرائه تشرشل ، قال (مونتباتن) ان فتح مضيق الدردنيل وبحر إيجة أمام نقل المؤن والتجهيزات الى روسيا سيمكّن الحلفاء من الاستغناء عن طرق الامدادات عبر إيران التي وصفها بأنها طويلة ووعرة وتكلّف غالياً. تدخل الادميرال (كننغهام) في المناقشة مقترحاً ان تستخدم السفن التجارية البريطانية والأمريكية المتواجدة في المحيط الهادي للعمليات المقترح القيام بها في

المحيط الهادي بما في ذلك عملية جزر (الاندامان) وذلك بهدف توفير السفن الحربية ومعدات الانزال الأخرى لعمليات المتوسط. على أية حال وافق رؤساء الأركان الانكليز على تأجيل بحث مذكرة زملائهم الأمريكان بما فيها عملية (الاندامان) الى ان يفرغ المخططون العسكريون من وضع تقريرهم.

بعد ان وضع رؤساء الأركان عملية (الاندامان) جانباً انتقلوا الى بحث مقترحات (مونتباتن) حول عملياته في بورما، والاقتراح الأمريكي حول استخدام القواعد الجوية الاستراتيجية في الهند والصين، والورقة التي تقدم بها (ستلول) حول دور الصين المستقبلي في الحرب.

كانت العمليات التي يخطط (مونتباتن) القيام بها في بورما عمليات محدودة لأنه كان يشاطر تشرشل الرأي ان حملة واسعة في بورما هي أسوأ طريقة لمهاجمة اليابانيين الذين يجيدون القتال في الأدغال. وقد اقتصرت خطة (مونتباتن) على العملية التي سبق وان اتفق بشأنها في (كويبك)، وتشتمل على أعالي بورما. وهي خطة تَحفَّظَ عليها الجنرال (بروك) خلال المناقشة بقوله «ان الزخم العسكري لهذه العملية قد يؤدي الى عمليات أخرى جنوباً». ولكن بروك إدراكاً منه بأن الانسحاب البريطاني من عملية كهذه لم يعد ممكناً في هذه المرحلة، اقترح ان يُزج بالقوات الصينية التي دربها الأمريكيون في هذه العملية، كأول اختبار عسكري لمدى كفاءة هذه القوات. وهكذا فقد اتفق الجانبان أخيراً على القيام بهذه العملية شريطة ان يقترن ذلك بالموافقة على اقتراح (مونتباتن) بتحويل مسار طائرات النقل الأمريكية التي كانت مكلفة في الأساس بنقل المؤن الى الصينيين لتقوم بنقل المؤن والقوات الى مسرح العملية مباشرة.

أما بالنسبة للعمليات البرمائية، فقد ذكَّر (بروك) زملاءه بأنهم سبق وان التزموا بالتوصية بتأجيل اتخاذ قرار بشأنها. وحول استخدام القواعد الجوية الاستراتيجية فقد أشار رؤساء الأركان الانكليز الى موافقة رئيس وزرائهم فعلاً على وضع القواعد الجوية البريطانية في الهند تحت تصرف عمليات المستقبل في جنوب شرق آسيا وان الأوامر قد صدرت ببناء أربع قواعد جديدة في منطقة (كلكتا). أما

فيما يتعلق باقتراحات (ستلول) بشأن عمليات أعالي بورما واستمرار البرنامج الأمريكي لتدريب القوات الصينية ، فقد تمت الموافقة عليها دونما تعليق. ولكن عندما طُرح موضوع العمليات العسكرية داخل الصين ، وهي عمليات أكثر طموحاً ، فقد اختلفت الآراء بشأنها وخاصة حول المقترحات التي تضمنتها ورقة (ستلول). ففي هذه الورقة أشار ستلول «الى انه سيكون بالامكان استخدام القوات الصينية التي انهت تدريبها على أيدي الأمريكيين في عمليات عسكرية ضد كانتون وهونغ كونغ لعامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ في اطار عمليات أوسع تشمل قصف المواقع اليابانية في الجزر الفلبينية وفي فرموزا.

كان في حكم المقرر ان تغادر القوات الصينية التي دُربت في الهند في طريق العودة الى الصين في القريب العاجل ، وهو ما جعل (ستلول) يحرص منذ الآن على قطع الطريق أمام محاولات الانكليز لاستخدام هذه القوات في عمليات تستهدف استعادة المستعمرات التي فقدتها بريطانيا في جنوب شرق آسيا ، وهذا ما رد عليه رؤساء الأركان الانكليز بالقول انهم لا يرون مبرراً بعد الآن لاستخدام قواعدهم الجوية في الهند لتنفيذ «أهداف طموحة» كالتي يسعى اليها (ستلول). ليس هذا فحسب بل ان الجنرال (ريدل) مسؤول الامدادات في القوات البريطانية الذي حضر اجتماعات القاهرة وصف العمليات الأمريكية المخطط لها بأنها «مستحيلة التحقيق من الناحية التعبوية».

وبوجه عام فقد أظهرت المناقشات انه في الوقت الذي كان فيه بوسع الولايات المتحدة وبريطانيا ان تتعاونا في تنسيق عملياتهما في «الحرب الأوربية» من أجل دحر المانيا ، نظراً لأنه ليست لدى أي منهما مطامع اقليمية أو اراضي احتلت ولابد من استعادتها ، فان الأمر اختلف كثيراً في ساحة «الحرب الآسيوية» حيث تضاربت مصالح بريطانيا الاستعمارية مع مصالح حليفتها وان كلاً منهما كانت تخوض الحرب بالطريقة التي تراها مناسبة لتحقيق هذه المصالح. وهكذا فان الوضع الانكلو-أمريكي في مسرح العمليات الآسيوي كان يشبه الوضع القائم بين الاتحاد السوفييتي وحلفائه الغربيين على المسرح الأوربي. وكما سنرى فان مناقشات أكثر مرارة ستدور بين الجانبين قبل الوصول الى تسوية نهائية وان الجدل القائم حول عمليات جنوب

شرق آسيا ودور الصين سيأخذ طابعاً أكثر حدة.

في لقاء منفصل مع رؤساء الأركان الأمريكان أعرب الجنرال (مارشال) عن اعتقاده بأن (كاي شك) هو الآن أكثر ميلاً من ذي قبل لزج القوة البشرية الصينية بشكل واسع في الحرب، مشيراً الى انه في حالة اندحار المانيا فان القوات الصينية التي دربها ويقودها الأمريكان يمكن ان تُستخدم على نطاق كبير في العمليات المخطط لها في جنوب شرق آسيا، وهنا تكمن بذور المناقشات الحادة التي جرت في المؤتمر في اليومين التاليين.

يرى بعض المؤرخين الأمريكان ان هذه الاختلافات هي اختلافات بريطانية ـ صينية، كان لابد للولايات المتحدة ان تقوم بدور «الموفق» لتسويتها، غير ان الدقة تفرض علينا ان نقول انها اختلافات بين بريطانيا من جهة وأمريكا والصين من الجهة الأخرى.

حان الآن وقت الاجتماع الموسع بين الزعماء الثلاثة وجنرالاتهم في مقر اقامة الرئيس روزفلت. كان الرئيس الأمريكي قد أمضى ساعات الصباح في الحديث مع (فيشنسكي) الذي توقف في القاهرة في طريقه لتولي مهام عمله كممثل للاتحاد السوفييتي في المجلس الاستشاري الايطالي. وقد اغتنم روزفلت فرصة وجوده للوقوف على وجهات النظر السوفييتية «غير المواتية» تجاه «حلفاء مشكوك في أمرهم» من أمثال (بادوغليو) في إيطاليا و(ميهابلوفيج) في يوغسلافيا وهي مواقف كان الروس قد نقلوها الى (هول) و (ايدن) أثناء وجودهما في موسكو. وبدوره فقد تحدث روزفلت عن مصاعب تعتري العلاقة مع (ديغول). عُقد الاجتماع الموسع وكان روزفلت رئيساً له، وبالنظر لأن البحث كان سيقتصر على جنوب شرق آسيا فقد طُلب الى (مونتباتن) ان يوضح للحاضرين خططه بما فيها تلك المتعلقة بعمليات بورما. أشار الجنرال الى ان المرحلة الأولى من العمليات البريطانية في وسط وجنوب الأراضي البورمية ستكون على نطاق ضيق وهو يعتقد ان العمليات البرية قد تتداخل الى حد ما في عملية نقل المؤن بالطائرات الى الصين. في هذه الأثناء تدخل تشرشل لابداء بعض الملاحظات على عمليات بورما التي لم يكن متحمساً لها مقترحاً ان تتم دراسة العمليات من قبل هيئة الأركان المشتركة قبل ان يصار الى اتخاذ قرار نهائي

بشأنها. ثم انتقل ليعطي صورة مشرقة عن الامكانات البحرية في المحيط الهندي قائلاً ان تشكيلاً ضخماً من السفن الحربية وحاملات الطائرات وسفن الاسناد التابعة للأسطول البريطاني ستوجد في المنطقة عام ١٩٤٤ ، وستعزز كذلك بمعدات انزال وقطع بحرية أخرى لتسهيل القيام بتلك العمليات دون أن يحدد موعداً للقيام بالعمليات أو أية عملية ستتم أولاً.

رغم ان تشرشل لو خير فيما يريد لفضَّل استخدام معدات الانزال كلها في البحر المتوسط أولاً ، إلا انه إذا كان لابد من استخدامها في مسرح عمليات جنوب شرق آسيا فهو والجنرال (بروك) يفضلان عملية الانزال البري على جزيرة (سومطرة) كثيراً على سواها بما في ذلك عملية (الاندامان) التي يرعاها الأمريكان. وإذا كان رؤساء الأركان الأمريكان غير مستعدين للتعاون في تنفيذ العملية الأولى ، كما كان محتملاً ، فهو غير مستعد من جانبه للتعاون في الثانية سواء بسواء.

جاءت استجابة (كاي شك) حذرة للغاية. فقد أكد بلهجة القائد الذي يعرف ان حربه محدودة ، ان بورما هي مفتاح الحملة في آسيا برمتها. ولكن حملة ناجحة في رأيه يجب ان تتم في نفس الوقت الذي تتم فيه عمليات انزال برمائية ، وذلك لقطع الطريق أمام تدفق التعزيزات العسكرية اليابانية من الجنوب عبر العاصمة البورمية (رانغون). في الحال أعرب تشرشل عن معارضته لهذا الرأي رافضاً اعطاء ضمان بتنسيق كهذا الذي عرضه (كاي شك). فالأسطول البريطاني لن يكون مستعداً قبل أواخر الربيع أو أوائل الصيف أي بعد فترة من المباشرة بعمليات بورما ، وستكون قطع الأسطول وقتها موجودة في كولومبو بجزيرة (سيلان) لقطع مضايق (ملقا). هنا كان تشرشل واضحاً في ان عينيه مسلطتان على سنغافورة وسومطرة بدلاً من بورما. ولما وجد روزفلت ان هناك مأزقاً استعصى على الحل في هذه الجلسة الموسعة ، فقد اقترح ان تتولى هيئة الأركان المشتركة بحث الموضوع مع الصينيين في جلسة ما بعد الظهر. وهكذا انتهت الجلسة الموسعة تاركة تشرشل في رأي (كاي شك) شخصاً لا يمكن الركون اليه أو التعامل معه.

وفي مذكراته عن تلك الفترة يصف رئيس الوزراء البريطاني الزعيم الصيني بأنه «ثعلب ماكر» متهماً إياه بأنه لم يكن لديه إلمام واسع بشؤون الحرب ، ومع هذا

فهو عازم على الوصول الى أفضل المساومات.

وسواء كان (كاي شك) ثعلباً ماكراً أم لا ، فلم ترق له لا خطط مونتباتن المحدودة ولا محاولات تقليص الرحلات الجوية لطائرات النقل الأمريكية التي تنقل المؤن الى الصين ولا موقف تشرشل غير المريح بالنسبة لعمليات الانزال البرمائية.

تناول تشرشل وروزفلت طعام الغداء مع هوبكنز وبعض معاونيهما في مقر اقامة الرئيس الأمريكي ، ولعله في هذه المناسبة بالذات اقترح روزفلت على الانكليز ان يقوموا بمبادرة «حسن نية» تجاه الصينيين فيعيدوا لهم (هونغ كونغ). والتي قد يؤجرها الصينيون لبريطانيا فيما بعد. ولو جاء هذا الاقتراح بعد مرور ثلاثين عاماً ، لما بدا مثيراً للغضب ، لكنه قوبل شأنه شأن كل المقترحات المتعلقة بمشاكل الاستعمار البريطاني ، برد فعل غاضب من تشرشل - على أية حال يبدو ان القضية سويت حينها بشيء من الود. ذلك ان الزعيمين الأمريكي والبريطاني ، قاما بعد مأدبة الغداء بنزهة بين اهرام الجيزة ، تاركين جنرالاتهم يتصارعون مع المشكلة الصينية. وكما كان متوقعاً فقد تحول الاجتماع الذي عُقد بعد الظهر الى مناقشات حامية وحتى «عاصفة».

بدأ الاجتماع في جو من الهدوء والود رغم حضور الجنرال (ستلول) ، الذي كانت خططه لعمليات واسعة النطاق في الصين موضع انتقاد الجنرال (بروك) الذي وصفها بأنها طموحة أكثر من حدود المعقول. وهنا تلقى (بروك) تأييداً لم يكن متوقعاً من الجنرال كنغ والادميرال (ليهي). فبعد ان ردد هذا الأخير رأي (بروك) في تلك الخطط قال انه يجب ان ينظر اليها في اطار الخطط الشاملة لدحر اليابان عندما تتبلور. أما فيما يتعلق بالجنرال (كنغ) فقد كان مشغولاً كما هو حاله دائماً بعملياته في المحيط الهادي ، كما كان مدركاً بأن المخططين الاستراتيجيين الأمريكان يميلون الآن الى الرأي القائل ان تقدماً في أواسط المحيط الهندي باتجاه البر الياباني يجب ان يكون الهدف الرئيس ، وبالتالي سيجعلون من أية عمليات أخرى في المنطقة ثانوية من حيث الأهمية.

كان الجنرال (مارشال) هو الوحيد من رؤساء الأركان الأمريكان يضع ثقة

حقيقية في مقترحات (ستلول) وهو ما قاده بالتالي الى عرضها والدفاع عنها أمام الجنرالات الانكليز مؤكداً على النقطة التي أثارها مع زملائه الأمريكيين صباح ذلك اليوم من أن (كاي شك) بدأ ولأول مرة يظهر دلائل عن رغبته بحشد قوات كبيرة مدربة تدريباً جيداً لزجها في الحرب ضد اليابان. لذلك ينبغي النظر الى مقترحات (ستلول) بالعطف والتأييد. مع ان الجنرال (ستلول) نفسه لم يكن متأكداً في الواقع من ان (كاي شك) كان مستعداً فعلاً ليلعب دوراً كاملاً حتى في الحملة على بورما، ولكنه مع ذلك لم يقل ما كان يدور في خلده. بل على العكس فقد قلل من أهمية اصرار الزعيم الصيني على العمليات البرمائية. كذلك ضم (مونتباتن) صوته الى جانب (ستلول) ولكن فيما يتعلق بحملة بورما فقط. وقال وهو قائد عمليات جنوب شرق آسيا و(ستلول) هنا هو أحد مرؤوسيه «انه مهما كان رد تشرشل، فانه أي (مونتباتن) قد أبلغ (كاي شك) بان العمليات البرمائية ستتم في الربيع وقد ترافقها عمليات على البر البورمي.

إن تواجد حشد بحري بريطاني في ميناء (كولومبو) لم يكن مثار اهتمام (كاي شك) طالما ان حشداً كهذا لم يكن الهدف منه الاسناد المباشر لحملة بورما. وما كان يريده الصينيون هو عرقلة الخطوط البحرية التي تربط اليابان مع رانغون وبانغوك.

جوبه (مونتباتن) و(مارشال) بمعارضة عدد من الجنرالات. فالانكليز كانوا يعارضون عملية جزر (الاندامان)، بينما كان موقف بعض الجنرالات الأمريكان فاتراً ازاء عمليات عسكرية واسعة ضد اليابانيين على البر الصيني. على انه تم الوصول في النهاية الى صيغة حل وسط اعطى لـ (بروك) معظم ما أراده. بينما اتفق على ان خطط (ستلول) «المفرطة في الطموح» لا زالت بحاجة الى مزيد من الدراسة من قبل المخططين العسكريين من الجانبين خاصة وانها تشتمل اضافة الى عمليات بورما على قصف جوي للأراضي اليابانية بطائرات تنطلق من الصين. أما بالنسبة لعملية جزر (الاندامان) المعروفة باسم (بوكانير) فقد تمت الموافقة على الاقتراح الأمريكي بأن يباشر بها في أسرع وقت ممكن، ولكن شريطة أن تتم في سياق «العمليات الأخرى». على انه لم يتم تحديد موعد للعملية.

عاد رؤساء الأركان بعد هذا بايجاز الى بحث المقترحات الأولية الأمريكية حول تمثيل الصينيين والروس في هيئة الأركان المشتركة. وهنا أقر رؤساء الأركان الأمريكيون ان الفكرة لم تناقش بما فيه الكفاية ولذلك لا بأس من اعطائها مزيداً من الدراسة قبل اتخاذ قرار بشأنها ، خاصة وان مؤتمر طهران على الأبواب. عقب ذلك دارت مناقشة عامة ولكن موجزة حول النقص المتوقع في الامدادات المرسلة الى الصين نتيجة لما تتطلبه الحملة على بورما. وهكذا وبعد ان فرغ رؤساء الأركان من بحث النواحي الرئيسة لعمليات جنوب شرق آسيا ، طُلبَ الى ممثلي الصين العسكريين الانضمام الى الاجتماع. وهنا حدث ما اعتبره الجنرال (بروك) «عرضاً مثيراً للسخرية» ، وما وصفه (ستلول) بأنه «تصرف مروع» ، فعندما طلب (بروك) من الصينيين ان يبدو ما لديهم من ملاحظات على عمليات بورما ، جاءه الجواب بأن رؤساء الأركان الصينيين لم يكن لديهم الوقت الكافي لدراسة الخطط المعدة ، وبالتالي فهم يرغبون فقط في «الاستماع الى مناقشاتكم» ، وبما ان رؤساء الأركان كانوا قد فرغوا من «مناقشاتهم» فقد جاء رد الصينيين محرجاً حقاً. تمكن (مونتباتن) و(ستلول) فيما بينهما من تدارك الموقف وتهيئة الأساس اللازم لاستمرار الجلسة ، فقد تساءل (مونتباتن) عن مدى استعداد القوات الصينية للمساهمة بدور مهم في حملة بورما ، ثم تدخل (ستلول) ليعطي انطباعاً متفائلاً عن وضع هذه القوات والمهام التي ستُكلف بها.

وأخيراً تدخل (بروك) وقد نفد صبره لينهي الجلسة بالطلب الى الجنرالات الصينيين دراسة الموضوع على نحو أوسع على ان يقدموا ملاحظاتهم في اجتماع الغد ، قائلاً بشيء من التذمر «انها لمضيعة للوقت ان نستمر على هذا المنوال».

الصينيون كما يعتقد الادميرال (ليهي) لم يكونوا في الواقع على عدم اطلاع واسع على الخطط ، بل ان سكوتهم ربما يرجع الى أوامر من رئيسهم (كاي شك) ، فالأخير قرر ان لا يلزم نفسه بحملة بورما إلا بعد ان يلتقي على حدة مع كل من روزفلت وتشرشل للوقوف على ما يمكن له ان يحصل منهما على امتيازات سياسية وعسكرية مقابل زج قواته في الحملة.

ورغم انزعاج (بروك) وتزايد قناعته بأن الشؤون الصينية باتت مهيمنة على اعمال المؤتمر كما كان يخشى في الأصل ، إلا انه لم يكن غير مرتاح تماماً من سير المناقشات بشكل عام. فهو قد أفلح في عرقلة اتخاذ قرار نهائي بصدد عملية جزر (الانداماان) ووَضَعَ العصي في عجلة ما عده خططاً لعمليات غير مجدية ولا ضرورية في الصين. بعد انتهاء الجلسة ، انصرف بروك وزملاؤه ليأخذوا قسطهم من الراحة مع الجنرالات الأمريكيين في مأدبة عشاء بعيداً عن «المواضيع الجادة». اما روزفلت وتشرشل فبعد ان نالا قسطهما من الراحة بعد الظهر ، فقد أمضيا أمسية ذلك اليوم في مناقشة جادة الأول مع كاي شك والثاني مع (مارشال) هذا الجنرال الذي يعده تشرشل خصمه اللدود فيما يتعلق بعملية العبور وعمليات البحر المتوسط . يقول (مارشال) في مذكراته ان (تشرشل) أبقاه حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو يحاول اقناعه بالمزايا التي ستترتب على تشديد الضغط على الألمان في البحر المتوسط خلال موسمي الشتاء والربيع. وقد تركزت محادثاتهما على عملية استعادة جزيرة (رودس) ، ومساعدة حركات المقاومة في البلقان وتهيئة معدات الانزال لعمليات الجزر اليونانية الأخرى التي يحتلها الألمان والعمليات المخطط لها في إيطاليا ومعارضة انكلترا لوضع القوات الجوية الاستراتيجية في إيطاليا تحت قيادة مركزية مقرها لندن بدلاً من بقائها تحت اشراف الجنرال (آيزنهاور). و(مارشال) شأنه شأن (آيزنهاور) يحترم تشرشل لكنه في هذه المرحلة بالذات قد وصل الى مرحلة من «الحصانة» أمام محاولات الأخير لاقناعه بما يريد. ولذلك لم يتأثر بما اثاره تشرشل خاصة بالنسبة للمسائل الاستراتيجية. ولكنه خرج من الاجتماع بالانطباع التالي «لابد من تقديم تنازل ما الى تشرشل للتخفيف من معارضته تحديد موعد ثابت لعملية العبور ، ومساندة بعض من خططه في البحر المتوسط ، لقاء استمرار تعاون الانكليز الكامل في مناطق أخرى وبخاصة جنوب شرق آسيا». في هذه الاثناء كان روزفلت مجتمعاً مع (كاي شك) بحضور المدام (كاي شك) وكل من (هوبكنز) وسكرتير مجلس الدفاع الصيني (وانغ شونغ لوي).

لم اعثر بين الوثائق الأمريكية على وثيقة عما دار خلال ذلك الاجتماع ، لكنه كان من الواضح ان مشاكل فترة ما بعد الحرب ، بدلاً من المشاكل العسكرية

القائمة ، كانت الموضوع الرئيس للمباحثات. ووفقاً لما جاء في الوثائق الصينية فان روزفلت قطع في هذا الاجتماع وعوداً كبيرة لـ (كاي شك) بالمساعدة ، سعياً منه وراء تعزيز موقعه في الصين ، وشحذ همم الصينيين لمواصلة القتال ضد اليابانيين وأخيراً لضمان صداقة الصين للولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب، فقد طمأن روزفلت (كاي شك) بأن الصين ستحتل موقعها بين الدول الأربع الكبرى في المنظمة الدولية الجديدة التي ستنشأ ، وان الأراضي التي فقدتها (منشوريا وفرموزا وجزر بيسكادورس) ستعاد اليها ، وان الولايات المتحدة والصين ستعملان سوية لضمان الأمن في المحيط الهادي في فترة ما بعد الحرب في اطار تحالف دفاعي متبادل يُمكِّن كلاً منهما من استخدام القواعد الجوية والبحرية للآخر عندما تستدعي الضرورة. كما ان المساعدات العسكرية الأمريكية للصين ستتواصل وستوضع مجموعة جزر (ريوكو) الواقعة الى الجنوب من البر الياباني تحت وصاية امريكية - صينية مشتركة ، كذلك اتفق الرجلان على ان توضع الجزر التي تمتلكها اليابان في المحيط الهادي تحت شكل من أشكال الاشراف والادارة من قبل الأمم المتحدة على ان تتولى الدولة ذات الامكانية العسكرية المناسبة استخدام القواعد الجوية في هذه الجزر (وهذه موافقة ضمنية على اعطاء الولايات المتحدة صلاحية استخدام هذه القواعد).

ومن المسائل التي بحثت أيضاً في الاجتماع تلك التي تثير الصعوبات بين الولايات المتحدة والصين من جهة وحليفيهما الآخرين بريطانيا والاتحاد السوفييتي من الجهة الثانية. فقد أوضح (كاي شك) لروزفلت ان الصين ستحتفظ بحقها في المطالبة بـ (هونغ كونغ) و (منغوليا الخارجية). وبالنسبة للأولى (أي هونغ كونغ) فيبدو ان (كاي شك) طلب من روزفلت أن يستخدم مساعيه الحميدة لدى تشرشل لتسويتها. أما فيما يتعلق بمنغوليا فقد اعتبر (كاي شك) أمرها رهناً بمفاوضات صينية سوفييتية. وهل هذه الاشارة كيفت من أجل عدم اعطاء انطباع بان «شيانغ» يمنح «روزفلت» تفويضاً مطلقاً بالتفاوض مع «ستالين» نيابة عنه ، ومن ثم ، فانه الى حد معين يوافق مقدماً على ذلك النوع من التنازلات على حساب الصين التي قدمها

«روزفلت» لستالين لاحقاً في مؤتمري طهران ويالطا.

هنا يبدو من المؤكد ان سياسياً متمرساً مثل روزفلت لابد وان يكون قد اعطى لمحدثه مؤشراً على ان المطالب السوفييتية في الصين سوف تطرح على بساط البحث في طهران في اطار مسعى الولايات المتحدة لدخول روسيا الحرب في الشرق الأقصى. كانت بعض الامتيازات التي ستقدم الى روسيا بما في ذلك استخدام الروس للموانىء الصينية قد ذُكرت في أثناء المناقشات التي دارت على ظهر السفينة (آيوا) وظلت عالقة بذهن روزفلت. ومن المؤكد ان الأخير بحث مع (كاي شك) احتمال «تدويل» ميناء (دايرن) الصيني حتى يكون بوسع الأسطول السوفييتي استخدامه كجزء من التنازلات التي ستقدم الى موسكو لقاء أراضٍ من منشوريا ومنغوليا تعاد للصين. كذلك تناول (روزفلت) و(كاي شك) بالبحث المشكلات الاقليمية الأخرى في المناطق المتاخمة للصين. كان الرئيس روزفلت قد أبلغ رؤساء أركانه على متن السفينة (آيوا) ان الزعيم الصيني يريد وضع كوريا تحت وصاية امريكية - سوفييتية - صينية مشتركة، ولكنه بات واضحاً الآن انه غيَّر رأيه وراح يدافع عن اعطاء كوريا الاستقلال في الحال، وهو ما وافق عليه الرئيس روزفلت. ومن المحتمل ان شيانغ اعتقد آنذاك ان من الأسلم عدم الاقرار للسوفييت بأن يحصلوا على موطىء قدم في كوريا. كذلك أُتفق على اعادة (سيام) الى وضعها كدولة مستقلة. أما بالنسبة الى الهند الصينية فقد اقترح روزفلت مدفوعاً بشكوكه ازاء الفرنسيين الى وضعها تحت شكل من أشكال الوصاية من قبل الأمم المتحدة وباشراف صيني - أمريكي كمقدمة لنيل شعوبها الاستقلال. وفي هذا الصدد أكد (كاي شك) ان بلاده ليست لديها الرغبة في ضم الهند الصينية الى أراضيها.

كذلك بحث الرجلان المستقبل الاقتصادي للصين، حيث تعهد روزفلت بدراسةٍ جدية لموضوع المساعدة الاقتصادية الأمريكية للصين بعد الحرب ملمحاً الى ان الصين ستتلقى كذلك تعويضات حرب من اليابان (بناء على رغبة كاي شك) على شكل بضائع ومواد أولية بدلاً من المال. غير ان (كاي شك) رفض من جانبه عرضاً من روزفلت باعطاء الصين دوراً في احتلال اليابان، على اعتبار ان ذلك سيشكل عبئاً لا عهد للصين بتحمله.

غير ان روزفلت رد على اقتراح (كاي شك) بأن تصبح الصين عضواً كاملاً في هيئة الأركان المشتركة أو في هيئة جديدة تضم رؤساء الأركان الصينيين والأمريكان فقط ، بقوله ان هذا الموضوع سيدرس من قبل هيئة الأركان نفسها. وبذلك فلم يلزم نفسه بموقف محدد تجاه هذا الاقتراح.

على أية حال ، فـ (كاي شك) لابد وان يكون قد شعر بالارتياح التام لما حققه من نتائج في لقائه مع روزفلت ، التي ضمنت بين ما ضمنته ، استعادة جميع الأراضي التي فقدها الصينيون باستثناء منغوليا والتبت وهونغ كونغ. وبالرغم من ان روزفلت لم يكن راغباً في السماح بأن تُستخدم الامكانات الأمريكية مستقبلاً بشكل يخدم المصالح البريطانية إلا انه من الجهة الأخرى كان مستعداً بل وحتى راغباً بأن تستخدم تلك الامكانات بما يحقق مطالب الصينيين. على ان النقطة الأكثر مدعاة للاهتمام هنا ، هي ما جاء في مذكرات (اليوت روزفلت) النجل الأكبر للرئيس الأمريكي ، حيث يقول ان والده اشتكى لدى (كاي شك) من ان قوات هذا الأخير لا تحارب اليابانيين كما ينبغي ، وان معظم هذه القوات قد سُخّرت لمراقبة نشاط الشيوعيين الصينيين بدلاً من ان تُستخدم في القتال ضد المحتلين اليابانيين إلا انه مهما كان الحال. فقد كان من الحيوي بمكان ابقاء الصين في الحرب. وما جاء في مذكرات (اليوت) يمكن الاعتماد عليه تماماً لأن تلك المذكرات بنيت أساساً على ما سمعه شخصياً من والده.

ووفقاً لما يرويه (اليوت) أيضاً فان الرئيس روزفلت قدم لـ (كاي شك) شرطاً عن معارضة الولايات المتحدة للأهداف الاستعمارية في منطقة جنوب شرق آسيا. مشيراً الى ان واشنطن ستمارس نفوذها لا على بريطانيا وحدها بل على فرنسا أيضاً بالنسبة الى مستعمراتها في الهند الصينية.

ومن المرجح ان (كاي شك) سعى خلال حديثه مع روزفلت الى الحصول على تأييد الولايات المتحدة بالوقوف ضد أية محاولة بريطانية مستقبلاً لاثارة ما تسميه بحقوقها الاقليمية في الصين أو لاستخدام القواعد البحرية الصينية. أما فيما يتعلق بمخاوف (كاي شك) من الاتحاد السوفييتي فكانت تنحصر في انبعاث المطالب الاقليمية السوفييتية القديمة في الأراضي الصينية ، وفي تأييد السوفييت للقوات التي

يقودها الشيوعيون الصينيون. وفي هذا الصدد فقد طمأن روزفلت محدثة بان مخاوفه لا تستند الى اساس ، فروسيا كانت قد انسحبت مؤخراً من اقليم (سنكيانغ) الصيني ، وان هناك من المؤشرات ما يؤكد ان الروس يعتبرون (كاي شك) أفضل شخص يمكن ان يخلق نظاماً مستقراً في الصين ، رغم انهم يرغبون مثلاً في رؤية الشيوعيين الصينيين وقد انضموا الى حكومة «وحدة وطنية» في الصين. لا توجد في الوثائق الصينية أية اشارة الى هذا كله ، ولا الى التعهد الذي حصل عليه روزفلت (كما يقول نجله اليوت في مذكراته) من (كاي شك) بأنه سيعمل في المستقبل القريب على اقامة حكومة ديمقراطية موحدة على هدى تلك المبادىء. ووفقاً لرواية (اليوت) فان هذا التفاهم بين والده و(كاي شك) استند على تأييد الولايات المتحدة للصين بوجه أية أطماع اقليمية سوفييتية خاصة في منشوريا. وهو موضوع قال روزفلت انه سيكون مدرجاً على جدول الأعمال في مؤتمر طهران. وعلى أية حال فقد كان من غير المرجح ان لدى (كاي شك) أية نية للوفاء بتعهداته.

في الوثائق الصينية عن تلك الفترة هناك اشارة الى «اختلافات طفيفة في وجهات النظر» بين الزعيمين ، دون تحديد الموضوعات التي أُختلف بشأنها ، لكن من الأرجح إن كانت هناك اختلافات بالفعل فان سببها هو افتقاد (كاي شك) الى الصراحة في حديثه مع روزفلت.

٢٤ تشرين الثاني: مشكلات معدات الانزال ، «قيود» عملية العبور ، روما ، رودس ، عملية جزر (الاندامان) ، تركيا وشرق البحر المتوسط ومطالب (كاي شك).

عندما دخل المؤتمر يومه الثالث ، كانت مخاوف (بروك) من ان الشؤون الصينية والحملة على بورما ستسيطر على المناقشات ، قد تأكدت أكثر من ذي قبل ، دون ان يكون بمقدور المجتمعين الانتقال الى المسائل الرئيسة الأخرى ، عملية العبور وعمليات البحر المتوسط.

وإذا كان لمبدأ «أوربا أولاً» معنىً ما ، فان أية قرارات يجب ان لا تُتخذ حول عمليات جنوب شرق آسيا الى أن يقرر المجتمعون ما ينبغي عمله بالنسبة لأوربا ، فما هو مخطط لمسرح العمليات في الشرق الأقصى يعتمد بكامله على الاستراتيجية التي سيتخذها الحلفاء ضد اليابان والتي ستتحدد في ضوئها الأهمية المعطاة لكل من قاطعي المحيط الهادي وكل من الصين وبورما وفي كلتا الحالتين فان المجتمعين كانوا حتى الآن يضعون العربة أمام الحصان.

أنحى (بروك) باللائمة على الأمريكيين لأنهم كما قال هم السبب لهذه الحالة. وكان الأولى به أن يلوم نفسه أيضاً ، لأنه سقط هو الآخر ضحية الترتيبات التي أعدها (روزفلت) سلفاً لسير أعمال المؤتمر. كذلك فقد أصبح واضحاً انه يترتب على رؤساء الأركان الانكليز ان يتصارعوا ليس مع القيود التي يفرضها عليهم الجدول الزمني لعملية العبور فحسب ، بل وتلك التي فرضها عليهم النقص في معدات الانزال في مختلف القواطع باستثناء مسرح عمليات المحيط الهادي.

في صباح ذلك اليوم وعلى مائدة الفطور ، أسرّ أحد المندوبين الكبار في المؤتمر وهو الجنرال (شينول) قائد القوات الجوية الأمريكية العاملة في الصين ، الى (افريل هاريمان) الجالس الى جواره ، بأنه يعتقد انه في حالة تغيير مسار طائرات الثقل التي تنقل المؤن والامدادات الى الصينيين لدعم عملية بورما ، فان الجيوش الصينية لن تقاتل ، وانه تبعاً لذلك فان المرحلة الأولى للحملة على بورما ستتحول الى كارثة. سواء كان (شينول) دقيقاً في اعتقاده أم لا ، فان المؤتمر قد وصل الى النقطة التي أصبح فيها الحلفاء ملزمين بشكل أو بآخر بالقيام بتلك الحملة التي تطورت فيما بعد لتصبح أوسع هجوم بري ضد اليابانيين في الحرب العالمية الثانية.

عاد (هاريمان) بعد ان استمع الى آراء الجنرال (شينول) حول توقعاته بالنسبة لعمليات جنوب شرق آسيا ، الى تركيز اهتمامه على المشكلات الأوربية ، وهو يدرك انه سيترتب على المؤتمرين العودة عما قريب الى معالجة عملية العبور والبحر المتوسط بما تنطوي عليه من جدل. كما ان رؤساء الأركان الأمريكيين كانوا متلهفين لسماع ما سيقوله (هاريمان) وهو سفيرهم لدى موسكو عن آخر المواقف السوفييتية تجاه تلك العمليات ، وبشكل خاص راحوا يتطلعون لمعرفة ما إذا كان الاتحاد السوفييتي

لا زال على تأييد لأولوية عملية العبور ، أم ان الروس (كما كانوا يخشون) قد غيروا رأيهم بها.

كان هاريمان مطمئِناً في حديثه ، فقد قال ان الحاح الاتحاد السوفييتي على حلفائه الغربيين بتشديد الضغط العسكري في البحر المتوسط ناجم عن سعيه الى تخفيف الضغط الألماني على جبهته. والروس كما أضاف لا زالوا يعلقون أهمية كبيرة على ان تتم عملية العبور في الربيع ، ولكنهم لا يفهمون السبب الذي يجعل حليفيهما الكبيرين الولايات المتحدة وبريطانيا مترددين في المضي قدماً بالحملة. أما الجنرال (دين) رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو فكان في حديثه ميالاً الى الاعتقاد بأن الروس هم الآن أقل اكتراثاً بعملية العبور عما كانوا عليه من قبل. وهنا أثار الجنرال (ارنولد) مخاوف الولايات المتحدة من عمليات عسكرية واسعة النطاق في البحر المتوسط متسائلاً «أليس ذلك هو ما يسعى اليه الروس بالضبط ؟» ردَّ (هاريمان) بحذر انه لا يستبعد امكانية قبول الاتحاد السوفييتي بعملية بديلة لعملية العبور شريطة ان تكون بنفس الحجم وبالتالي تكون فعالة في حمل الألمان على سحب قوات كبيرة من الجبهة الشرقية. وهكذا ظلَّ الجنرالات الأمريكان في شك من حقيقة الموقف الذي قد يتبناه الاتحاد السوفييتي.

اعتاد رؤساء الأركان الانكليز ان يجتمعوا صباح كل يوم على حدة وقبل بدء جلسة المؤتمر. وفي جلسة هذا الصباح عادت عملية العبور لتسيطر ثانيةً على المناقشة وبشكل خاص مشكلة معدات الانزال. وكان أمام الجنرالات الانكليز هذه المرة ورقة متفائلة من تشرشل يشير فيها الى ان «تأخيراً للعملية قد يساعد في الابقاء على معدات الانزال لفترة أطول في البحر المتوسط بما يمكن استخدامها بالتالي في العمليات البرمائية المقرر القيام بها في أوائل كانون الثاني للاستيلاء على روما وعملية الهجوم على جزيرة (رودس) في أواخر الشهر نفسه. وهذه العملية الأخيرة ستحتاج الى تعاون الأتراك ذلك انه من الضروري استخدام قواعدهم الجوية لتحقيق تفوق جوي للحلفاء. غير ان تشرشل لم يذكر ما إذا كانت عملية (رودس) ستتم على حساب عملية جزر (الاندمان) في المحيط الهادي والتي خُطط لها نهاية كانون الثاني أيضاً ، باستثناء ما قاله من ان هذه الأخيرة ليست بتلك الأهمية التي تنطوي عليها

عملية رودس. غير ان الادميرال (كنغهام) أعرب عن اعتقاده بأن عملية (رودس) لا يمكن ان تتم قبل حلول شهر شباط وهذا ما يعني تأجيلاً لعملية العبور ذاتها لمدة شهرين على الأقل ، إذا أُريد لمعدات الانزال المتوفرة ان تُستخدم الاستخدام الأمثل في الهجوم على (رودس).

على ان (كنغهام) كان أكثر تفاؤلاً من تشرشل بقوله ان عملية جزر (الاندامان) بدلاً من ان تكون ضحية لتأجيل طويلة الأجل يمكن ان تتم في شهر آذار أي بعد عملية (رودس) مباشرة. وحتى في حالة عدم تأجيل عملية العبور ، فان أمير البحر الادميرال (كنغهام) لا يزال يعتقد بامكان تنفيذ عمليتي روما ورودس بالامكانات المتاحة من معدات الانزال. وعلى أساس هذه النظرة المفرطة في التفاؤل ، وافق رؤساء الأركان الانكليز على اعطاء الأولوية الى روما بالنسبة الى عمليات البحر المتوسط تليها عملية جزيرة رودس وثالثاً عملية جزر (الاندامان) في المحيط الهادي.

عاد الجنرالات الانكليز بعد ذلك باختصار الى بحث اقتراح زملائهم الأمريكيين بمشاركة السوفييت والصينيين في اجتماعات هيئة رؤساء الأركان المشتركة. وخلصوا الى ان هذا الاقتراح غير عملي في ضوء الصعوبات التي سبق للجنرال (ديل) ان أوضحها ، ومن بينها انه سيترتب على الهيئة ان تعقد اجتماعات منفصلة تارة مع السوفييت وأخرى مع الصينيين ، هذا علاوة على الصعوبات الناجمة عن اللغة والترجمة من الروسية والصينية الى الانكليزية وبالعكس ، ثم كيف يمكن لهيئة تضم جنرالات من أربع دول ان تكون قادرة على اتخاذ قرارات واثنين من الممثلين فيها غير مخولين صلاحيات كاملة من حكومتيهما ويحتاجان الرجوع الى سلطاتهما في كل صغيرة وكبيرة. لذلك اقترح الجنرالات الانكليز وقد تعززت قناعتهم بتجربتهم مع الصينيين في اليوم السابق ، انه من الممكن دعوة الروس والصينيين الى اجتماعات مختارة للهيئة مستقبلاً. وأوصوا سكرتارية الوفد الانكليزي باعداد توصية بهذا الشأن لرفعها الى رؤساء الأركان الأمريكيين. بعد هذا انتقل الجنرالات الانكليز الى بحث الورقة الأمريكية حول وضع العدو في أوربا (وضع

القوات الألمانية وقدراتها العسكرية على مختلف الجبهات). وقد خلصت هذه الورقة (بعد دراسة مفصلة لوضع المانيا) الى القول ان الألمان هم الآن في وضع دفاعي رغم وجود بعض الامكانية لديهم لشن هجمات محدودة في مسارح عمليات معينة من بينها احتمال غزو السويد أو تركيا. في تعليقه على الورقة الأمريكية، قال الجنرال (بروك) ان مصادر الاستخبارات البريطانية توافق على هذا الرأي ولهذا لابـد من تشديـد الضغط على الألمان على جميع الجبهات.

انتقل رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان قبل الظهر الى مقر اقامة الرئيس روزفلت للاجتماع مع السياسيين. بدأ روزفلت الاجتماع بالاشارة الى ان القرارات النهائية التي سيتخذونها حول العمليات الأوربية ينبغي ان تعتمد على نتيجة اللقاء مع الروس في طهران وبخاصة الوقوف على رأي الاتحاد السوفييتي حول أهمية العبور. وبشكل يعكس مخاوف جنرالاته، قال روزفلت انه يبدو ان هناك شكاً الآن فيما إذا كان ستالين لا يزال يعتبر عملية العبور وما سيعقبها من غزو شمال غرب أوربا بنفس الدرجة من الأهمية التي كان يعلقها عليها من قبـل. او على الأقـل بنفس الحجم الواسع الذي اتفق على ان تتم العملية على أساسه. وبالتأكيد فقد كان قول الرئيس الأمريكي هذا انعكاساً للانطباعات التي نقلها اليه سفيـره في موسكـو (هاريمـان) ورئيس بعثته العسكرية (دين) من ان ستالين ينظر الى عملية العبور وعمليات البحر المتوسط بنفس الدرجة من الأهمية.

هنا وجد تشرشل الفرصة سانحة أمامه لعرض برنامجه الـطموح لعمليـات البحر المتوسط، ليؤكـد ان الاستعدادات والتحضيـرات لعملية العبـور قد ألقت بظلالها القاتمة على مسرح عمليات البحر المتوسط، ضارباً لذلك مثلاً الانتكاسات التي مُني بها الحلفاء في إيطاليا والبلقان واستعادة الألمان للجزر اليونانيـة مستغلين انسحاب قطعات ومعدات حليفة من هناك لتشديد ضغطهم. ثم أضاف ان تعثر عمليات البحر المتوسط يرجع الى عاملين: الأول تناقص الامكانات العسكريـة (اشارة الى القـوات والمعدات التي خُصصت لعمليـة العبـور وجـرى سحبهـا فعـلاً من البحـر المتوسط)، والثاني «الانقسام المصطنع» بين قيادتين اثنتين تديران مسرح عمليات واحد (اشارة الى اقتراحه بضرورة تشكيل قيادة موحدة). وهذا العامل الأخير كما قال

هو السبب في النكسة التي ألمت بنا في الجزر اليونانية والتي ذهب ضحيتها خمسة آلاف جندي بريطاني واحدى عشرة قطعة بحرية. بعد ذلك عاد تشرشل ليذكّر الأمريكان بأنه «لو كنا قد أفلحنا في حمل تركيا على دخول الحرب في وقت مبكر وفتح مضيق الدردنيل لما حدث ما حدث ولكانت الصورة قد تغيرت تماماً ، مضيفاً ان السيطرة على مجموعة الجزر هذه كان سيتيح للحلفاء طريق امداد رئيس الى شرق البحر المتوسط. ولذلك اقترح استئناف الجهود مع الحكومة التركية حال الانتهاء من مؤتمر طهران.

بعد ان أوضح الزعيم البريطاني بجلاء أولوياته بالنسبة الى مسرح العمليات في البحر المتوسط ، انتقل بايجاز الى جنوب شرق آسيا قائلاً انه يعتبر العمليات في هذه المنطقة أقل أهمية. ولو كانت الولايات المتحدة جادة في استخدام معدات الانزال البرمائي في مسرح العمليات هناك ، لكان عليها ان تكون مستعدة للمساهمة بشيء ما في الهجوم على سومطرة ومضيق (ملقا) وبلهجة حازمة قال تشرشل «كان من الممكن لبريطانيا أن تقوم بالعملية كلها (سومطرة وملقا) لو ان معدات الانزال المناسبة كانت متوفرة لها». بهذا القول كان تشرشل يحذر الأمريكان ضمناً بأنه غير مستعد لتقديم الدعم لهم في عملية جزر (الاندامان). وبعد ان ألقى تشرشل بـ «قنبلته» عاد ليطمئن الأمريكان بأنه لا يسعى الى هجوم كاسح في إيطاليا بما في ذلك استعادة روما والاستقرار في (بيسا) الى الغرب و(ريميني) الى الشرق. غير ان الزعيم البريطاني أفسد تأثير هذه الطمأنة بقوله «ومن تلك النقطتين فسيكون بوسع القوات الحليفة في ايطاليا ان تتحرك نحو اليسار (نحو جنوب فرنسا) او اليمين (نحو لوبليانا ـ في يوغسلافيا) باتجاه أوربا الوسطى. الفقرة الأخيرة بالذات هي التي أثارت مخاوف الأمريكان من ان تشرشل ربما كان يخطط لـ «حملة بلقانية». رغم هذا فقد واصل تشرشل حديثه «المطمئن» قائلاً «ان البريطانيين لا زالوا متحمسين لعملية العبور التي يعتبرونها ذات أولوية قصوى» ولكن يجب ان لا تكون الاستعدادات لها على حساب النشاط العسكري في البحر المتوسط. وهكذا كما قال لابد من توفير معدات الانزال اللازمة لعملية انزال برمائية هدفها استعادة روما وتتم في كانون الثاني ، ثم تعقبها في شهر شباط عملية استعادة الجزر اليونانية ، وعمليتين كهذه كما

أشار ، تتطلبان «تأجيلاً محدوداً لعملية العبور».

عمل تشرشل كل ما في وسعه ، لكن كما يبدو من رد فعل (هوبكنز) وغيره من أعضاء الوفد الأمريكي فان الاشارة الى رودس وتركيا «والاتجاه يميناً» من إيطاليا صوب البلقان كانت كلها كافية لتأكيد المخاوف الأمريكية من ان رئيس الوزراء البريطاني إنما يسعى للقيام بعمليات عسكرية جانبية على حساب العملية الرئيسة ، (العبور)وهكذا فإذا كان الجمال يسحر العيون فان اللباقة في الحديث تسحر الآذان ، لا بل ان الأخيرة هي أشد وقعاً في اقناع الآخرين. ربما كان حديث تشرشل بالنسبة الى رؤساء الأركان الانكليز «عملاً عظيماً» غير انه كان بالنسبة للجنرالات الأمريكان حديث «غير مقنع» رغم لباقته ذلك لأن هؤلاء كانوا قد قرروا فعلاً انهم غير مستعدين لمساندة «أية مغامرات عسكرية» في شرق البحر المتوسط والبلقان.

مع ذلك فان حديث تشرشل قد بعث الحرارة في جو الاجتماع ، حرارة وصلت الى الدرجة التي جعلت الجنرال (مارشال) يقف ليقول بحدة «إن جندياً أمريكياً واحداً لا يجب أن يلقى حتفه من أجل رودس». من الانصاف ان نقول ان رد (مارشال) هذا لم يكن في محله. ذلك لأن تشرشل كان قد أوضح بما فيه الكفاية ان عملية رودس ستكون عملية بريطانية بحتة ، ولكن الرد يمكن ان يكون مؤشراً الى المدى الذي وصلت اليه حدة المناقشة.

جاء الآن دور روزفلت ليحمل «عصاه الغليظة». فبعد ان سرد بلغة الأرقام الامكانات العسكرية الأمريكية والبريطانية سواء في داخل بريطانيا والولايات المتحدة أو فيما وراء البحار ، عاد ليُذكر تشرشل بأن الولايات المتحدة ستكون عما قريب أكبر ثقلاً في المسرح الدولي من بريطانيا ، وهي لذلك لابد وان تجلس في مقعد القيادة. وعندما انبرى تشرشل ليؤكد ان بريطانيا ستلعب دوراً كاملاً بتسخير كل امكاناتها البحرية والجوية لدحر اليابانيين ، رد روزفلت بقوله «في اعتقادي ان هزيمة المانيا قد تؤدي الى الاسراع بنهاية اليابانيين ، ملمحاً بذلك الى ان مساهمةً بريطانية كتلك التي عرضها تشرشل ، قد انتفت الحاجة اليها. وعند هذه النقطة وجد جميع الحاضرين أنفسهم منهكين من المناقشات ، وربما أدرك روزفلت ذلك حينما أعلن

انتهاء الاجتماع بالاتفاق بين الزعيمين على ان تكون العمليات الأوربيةموضع مزيد من الدراسة بين رؤساء الأركان بهدف الوصول الى اتفاق نهائي قبل الاجتماع مع ستالين في طهران.

في هذه المرحلة لم يعد من الصعب على المرء ان يستنتج ان تشرشل لم يعد ذلك الرجل الذي يستطيع ان يقنع الأمريكيين بسهولة بما يريده. كذلك فان الجنرال (بروك) نفسه رغم اعجابه ببلاغة تشرشل وقوة حجته، إلا انه أقر الآن بأن شغف رئيس الوزراء البريطاني بموضوع زج تركيا في الحرب والحملة ضد الجزر اليابانية هو الذي زاد من الشكوك الأمريكية بأنه كان يضع موضوع العمليات في البحر المتوسط وبحر إيجة في الأولوية بدلاً من عملية العبور. في غمرة هذا الأخذ والرد الأمريكي البريطاني حول هذه العملية وتلك، وَجَدَ (كاي شك) الفرصة سانحة أمامه لوضع شروط أقسى لمشاركته في الحملة على بورما. فقد التقى على مائدة الغداء مع الجنرال مارشال بحضور ستلول، طارحاً عليهم شروطه الجديدة، الثلاثة القاسية التي اطلق عليها الجنرال بروك في مذكراته اسم «المطالب المستحيلة» وهي كما يلي:

أولاً - أن تتم عمليات الانزال البرمائية على بورما في نفس الوقت الذي تبدأ فيه الحملة البرية.

ثانياً - أن تستمر الرحلات الجوية لطائرات النقل الأمريكية في نقل المؤن والامدادات الى الصينيين كما هي عليه.

ثالثاً - أن تتولى القوات البريطانية وتساعدها قوات هندية مهمة، المرحلة الأولى من الحملة البرية والتي تستهدف (مندلاي) بدلاً من مشاركة قوات صينية في هذه المرحلة (كما كان قد تعهد بذلك من قبل) على ان تقوم هذه الأخيرة فيما بعد بمهمة السيطرة على الطريق القديم الذي يربط بورما بالصين وتقفل نقاط الحدود.

وجد (مارشال) الذي كان قد تكلم بحدة مع تشرشل في ذلك اليوم، انه لابد من تتبع نفس الأسلوب من الحدة، والصراحة مع (كاي شك) فقد قال لمحدثه، ان

الخطة التي وضعها (ستلول) لمشاركة القوات الصينية في الحملة هي محدودة ولن تكلف كثيراً ، أما بالنسبة لعمليات الانزال البرمائية فقد اقترح على (كاي شك) ان يتحدث بشأنها مباشرة مع (مونتباتن) باعتباره قائد العمليات هناك. وربما كان (مارشال) قد شعر من خلال موقف كاي شك وشروطه ، بالاحراج خاصة وانه أي (مارشال) كان قد قدم بالفعل ضمانات الى رؤساء هيئة الأركان المشتركة باستعداد الصينيين للقتال ، وبدا يحس بالغضب تجاه عدم اكتراث (كاي شك) ومن قبله تشرشل بأرواح الجنود الأمريكيين وبالامكانات العسكرية الأمريكية. غير ان (كاي شك) لم يتزحزح عن موقفه. مما دفع بـ (ستلول) الى عرض شروط الزعيم الصيني الجديدة على هيئة الأركان المشتركة في الاجتماع الذي عقدته بعد الظهر.

وبينما كان الجنرالات مجتمعين لتدارس الموقف الصيني الجديد ، راح روزفلت يحاول الحصول على مزيد من المعلومات عن شؤون البلقان وأوضاع الشرق الأوسط من العديد من الشخصيات التي زارته في مقر اقامته ، ومن بين هؤلاء رئيس وزراء مصر ووزير خارجية تركيا وملك يوغسلافيا الذي يعيش في المنفى ورئيس وزرائه ، وقائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط ، والسفير البريطاني في مصر ، والسفيرين الأمريكي والبريطاني لدى تركيا . وقد تناولت المحادثات موضوعات مختلفة من بينها مسألة مشاركة تركيا في الحرب ، والصراعات داخل حركات المقاومة في كل من يوغسلافيا واليونان ، وامكانية القيام بعملية انزال على الساحل اليوغسلافي المطل على البحر الادرياتيكي. وقد حضر هذه اللقاءات نجل روزفلت (اليوت).

في هذا الوقت كان النقاش محتدماً في هيئة الأركان المشتركة حول الموقف الصيني الجديد حيث وقف الجنرال (بروك) وقد ضاق ذرعاً ليقول ان ما حدث اليوم جاء مصداقاً لمعارضته اشراك الصينيين والسوفييت في اجتماعات هيئة الأركان بشكل دائم». مع هذا فقد بدأ الاجتماع بجو ودي حيث اقترح (بروك) مشاركة الجنرالات الانكليز لزملائهم الأمريكيين في الاحتفال غداً بعيد «تقديم الشكر» (وهو من المناسبات التي يُحتفل بها في الولايات المتحدة في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني من كل عام. وعلى أية حال وافق رؤساء هيئة الأركان المشتركة على عدم

طرح موضوع مشاركة السوفييت في اجتماعات الهيئة على الروس أنفسهم ولكن إذا حدث وأن أثار هؤلاء الموضوع بأنفسهم في مؤتمر طهران فلا بأس من الاقتراح عليهم ان يرسلوا من يمثلهم الى اجتماعات مختارة للهيئة. بعد ذلك جرى بحث الاستعدادات لمؤتمر طهران حيث أُتفق على ان هذا المؤتمر سيكون ذا طابع سياسي بالدرجة الأولى. ومع ذلك فان على الهيئة ان تكون مستعدة لابداء رأيها في ما قد يتوصل اليه روزفلت وستالين وتشرشل من قرارات. وعلى هذا الأساس فليس من الضرورة ان يكون للهيئة جدول أعمال خاص بها لعرضه على المؤتمر رغم انه من المرجح ان يناقش رؤساء الحكومات موضوع تنسيق العمليات الهجومية السوفييتية مع عملية العبور، ومشاركة تركيا في الحرب، وموضوع التجهيزات المرسلة الى روسيا (على افتراض ان مضيق الدردنيل سيفتتح ليكون طريقاً للامدادات).

ثم دُعي قادة عمليات جنوب شرق آسيا (مونتباتن) و(ويدماير) و(ويلر) الى الاجتماع لبحث عمليات منطقتهم. وهنا عرض الجنرال (مارشال) ما سمعه من (كاي شك) واقترح على (مونتباتن) ان يقدم للزعيم الصيني عرضاً مفصلاً عن الحشد البحري البريطاني المقترح في المحيط الهندي قائلاً انه يعتقد ان (كاي شك) يحتاج الى مجرد «تطمينات»، وهو رأي لم يوافق عليه بروك. في معرض اشارته الى الزحف على (ماندلاي) أشار مونتباتن الى انه كان يخطط أصلاً للتقدم صوب ذلك الاتجاه في تشرين الأول وبعد انتهاء موسم الأمطار. وهنا تدخل بروك ليقول انه يعتقد ان حملةً في أعالي بورما قد تقود بالتالي الى حملة على بورما برمتها. وعاد مونتباتن ليسأل رؤساء الأركان عن الامكانات الأضافية التي يمكن لهم ان يوفروها اليه لمساعدته على تقديم ضمانات قوية الى (كاي شك) بأن الحملة ستتطور بعد موسم الأمطار بالشكل الذي أُتفق عليه أثناء المناقشات. ثم انتقل الجميع الى بحث مسألة توزيع مسؤولية المناطق ما بين قيادتي (كاي شك) وقيادة عمليات جنوب شرق آسيا التي يقودها (مونتباتن) خاصة بعد اعتراض (كاي شك) على ضم تايلاند ودول الهند الصينية الى منطقة قيادة (مونتباتن). واقترحوا ان تتم تسوية مشكلات توزيع تلك المناطق مستقبلاً وفقاً للمدى الذي تصل اليه مختلف القوات المحاربة في تقدمها كلٌّ في محوره. وكان مونتباتن على وشك الموافقة على هذا الاقتراح ولكنه اصطدم باقتراح

كاي شك بأن يصار الى تشكيل لجنة سياسية تتولى البت في هذه المسائل ، قائلاً وانه إذا اتخذ هذا الموضوع الطابع السياسي ، فأرى انه سيكون من اختصاص رؤساء الدول مباشرة.

بعد ان كرر مارشال ما سبق ان قاله من أن (كاي شك) بحاجة لمن يطمئنه بأن الجهد العسكري البريطاني في بورما سيكون جهداً حقيقياً وان الطوابير من الجنود الصينيين التي ستتقدم من إقليم (يونان) الصيني باتجاه بورما يجب ان لا تُترك دونما مساندة ، دُعي الجنرالات الصينيون للادلاء بما لديهم من ملاحظات حول خطط (مونتباتن). لكن هؤلاء زادوا من غضب (بروك) عندما أعادوا طرح نفس الشروط الثلاثة التي سبق لـ (كاي شك) ان وضعها ، مع اضافة أخرى وهي ان القوات الصينية التي ستتقدم من اقليم (يونان) لن تذهب الى ما هو أبعد من نقطة (لاشيو) الحدودية.

هذا الموقف لم يزعج (بروك) فحسب بل (مونتباتن) أيضاً ، الذي اعتبره مؤشراً على افتقار الجانب الصيني للرغبة في التعاون لتنفيذ خططه. فرد بقوله «أما بالنسبة لتوقيت عمليات الانزال البرمائية فالجواب عليها سيكون سابقاً لأوانه في هذه المرحلة ، وبالنسبة الى المطالبة باستمرار عمليات النقل الجوي للمؤن فعلى الصينيين ان يختاروا بين اعادة فتح الطريق البرية الى بورما ، وهو الهدف الذي سعوا اليه منذ زمن طويل وبين التضحية ببضعة آلاف طن من المؤن». وفيما يتعلق بعملية (ماندلاي) كمرحلة اولى للحملة فهذا «مستحيل من الناحية التعبوية».

لقي موقف (مونتباتن) هذا تأييد كل من الجنرال (بروك) والجنرال مارشال. فقد قال الأول انه لا يمكن للصينيين ان يحققوا الهدفين معاً ، أي فتح الطريق البرية واستمرار عملية النقل الجوي للمؤن اليهم بنفس مستوياتها. أما الجنرال مارشال فقد قال بلهجة أكثر اعتدالاً «ان التخفيض في حجم المؤن سيكون محدوداً وتتطلبه مقتضيات الحملة ولن يستمر سوى لفترة زمنية قصيرة». وعندما وقف الجنرال شانغ رئيس الوفد الصيني ليقول انه غير مخول لتقديم أية تنازلات بل يترتب عليه ان يتشاور مع رئيسه (كاي شك) وجد الجنرالات الانكليز والأمريكان ان الوقت قد حان لانهاء المناقشة.

وباقتراح من الجنرال مارشال خُولَّ مونتباتن ان يطلب اجتماعاً على حدة مع (كاي شك) ليبحث معه الأمر مباشرة فلربما نقل اليه ممثله (شانغ) صورة مغـايرة لما دار من نقاش. لكن مونتباتن وجد ان اجتماعاً كهذا لن يكون بأكثر من مضيعة للوقت ولذلك لم يطلب لقاءاً مع (كاي شك). في غمرة هذا الموقف وجد الجنرال (مارشال) ان الصينيين ربما كانوا يريدون امتحان قدرته على الصبر وبالتالي وجد انه من غير المناسب ان يدافع بعد عن تمثيلهم في هيئة الأركان المشتركة كما سبق ان فعل حتى الآن.

«ها قد مضى يومان على المؤتمر ونحن اليوم في اليوم الثالث دون الوصول الى قرار على المادة الأولى في جدول الأعمال أي الحملة على بورما» ، هذا ما كتبه الجنرال بروك في مذكراته تلك الليلة. غير ان روزفلت كان أكثر تفاؤلاً. فقد أبرق الى هول في نفس اليوم يقول «إن المؤتمر يسير على ما يرام» ، وانه يتوقع ان تنتهي المناقشات خلال يومين أو ثلاثة ، خاصة وانه تلقى من ستالين ما يفيد بأن هذا الأخير سيكـون في طهران في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من تشرين الثاني.

ونظراً لأن تشرشل كان يرغب في اجراء محادثات مع الأتراك وان الروس كما يُفترض سيثيرون موضوع تركيا في مؤتمر طهران ، فقد أبرق روزفلت الى سفيره في انقرا (شتاينهاردت) يقول «انه سيكون بوسعه خلال أيام ان يبلغه ما إذا كان الرئيس التركي (عصمت اينونو) سيُدعى للمجيء الى القاهرة أم لا. كذلك فقـد أوضح روزفلت لنجله (اليوت) انه يؤيد تماماً رؤساء أركانه في رفضهم تقديم أية مساعدات اضافية الى تركيا لمجرد ارضاء رغبات تشرشل. ولذلك بدا من غير الممكن ان أية محادثات أخرى مع (اينونو) ستكون لها أية نتائج مثمرة ربما لأن الأمريكيين لم يكونوا يريدون مثل هذه النتائج.

في المساء وبينما كان روزفلت يأخذ نصيبه من الراحة في مقر اقامتـه ، كان تشرشل مجتمعاً على مائدة العشاء مع (كاي شك). وكان الأخير يأمل في الحصول على ما يريده لو كان عنيداً بما فيه الكفاية. لهذا فلم يرفض اقتراح مونتباتن بتخفيض عدد الرحلات لطائرات النقل التي تنقل المؤن الى الصين فحسب بل طالب بزيادتها. وفي نفس الوقت أصر على ان تتم عمليات الانزال البرمائية في نفس الوقت الذي تبدأ

فيه العمليات البرية في بورما. قدم تشرشل للزعيم الصيني مزيداً من التفاصيل عن الحشد البحري للأسطول البريطاني في المحيط الهندي وراح يستخدم لباقته لاقناع الأخير بأن عملية الانزال البرمائية ليست جوهرية بالنسبة للحملة البرية. غير ان (كاي شك) كان كالصخرة الصماء ربما لأنه أحس ذلك اليوم بأن موقفه قد تعـزز بتطمينات تلقاها من روزفلت حول وضع الصين مستقبلاً كإحدى الدول «الأربع الكبرى» في مجلس الأمن للمنظمة الدولية الجديدة التي ستنبثق بعد الحـرب وانها ستُستشار في أية مفاوضات للصلح مع المانيا وان الأراضي التي فقدتها ستعاد اليها. هذه الضمانات التي تلقاها على شكل مذكرة رسمية جعلته قادراً على الحركـة الى المدى الذي كان يريده له الأمريكان.

٢٥ تشرين الثاني: الحاجة الى تأجيل عملية العبور، معارضة الولايات المتحدة لعمليات شرق البحر المتوسط، روزفلت يتـدخل في عمليـات جنوب شـرق آسيا، عمليـة (بـوكـانـير) «الانـزال عـلى جـزر الانـدمـان»، الشيوعيون الصينيون، منشوريا و (دايرن).

بدأ صباح هذا اليوم بـداية هـادئة لـروزفلت. فقد قـام السير (الكسـاندر كادغون) الذي وصل لتوه مع (ايدن) بزيارة مجاملة للرئيس الأمريكي الذي أحاله فيما بعد الى (هوبكنز) لمناقشة البيان الذي سيصدر في ختام أعمال المؤتمر بينما انصرف الرئيس الى عمله. في ذلك اليوم كان من المقرر ان يستأنف رؤساء الأركان بحث عملية العبور وعمليات البحر المتوسط، لكن روزفلت كان قد أوضح بجلاء لنجله (اليوت) في اليوم السابق ان البريطانيين يسعون الى وضع عملية العبور في «قالب جديد» وهو سيقاوم هذه المحاولة وسيؤيد أي موقف يتخذه رؤساء أركانه تجاهها.

ومن ناحيته فقد انزعج (كادغون) لأن (هوبكنز) كان قد قدم الى الصينيين بالفعل مسودة للبيان الختامي للمؤتمر قبل التشاور مع الانكليز. ولذلك وجد نفسه

مضطراً الى ان يمضي بضع ساعات بعد ظهر هذا اليوم في الاجتماع مع المندوب الصيني (وانغ) لارشاده على بعض التعديلات التي أُدخلت على المسودة. وفي صباح هذا اليوم أيضاً التقى رؤساء الأركان الأمريكان على حدة لفترة قصيرة حيث جرت مناقشة الحملة على بورما في ضوء المواقف الصينية الأخيرة. وقد أوضح الجنرال (مارشال) خلال المناقشة ، انه لن تجري اية زيادة في عدد الطائرات التي تنقل المؤن الى الصينيين ، وانه يعارض ارسال قوات برية أمريكية الى الصين أما رؤساء الأركان البريطانيون فقد انصرفوا في اجتماعهم المنفصل الذي عقد ذلك الصباح الى اقتفاء خطوات الملاحظات التي أبداها تشرشل في اجتماع الأمس لدى مناقشة المسائل العسكرية المطروحة للمناقشة أمامهم ، آخذين بنظر الاعتبار كذلك التغييرات التي طرأت على الموقف الحربي منذ لقاء (كويبك) الذي أُتفق خلاله على عملية العبور بين تشرشل وروزفلت وما قد يترتب على ضرورة مواصلة الضغط على الألمان في البحر المتوسط من «المرونة في توقيت العملية». واتفقوا على ان يكون هذا منطلقهم في اجتماع هيئة الأركان المشتركة. وبالنسبة لعمليات معينة فقد وافق الجنرالات الانكليز على مساندة تشرشل في مسعاه للقيام بهجوم جديد لاسترجاع الجزر اليونانية من الألمان بدءاً بهجوم على رودس مما قد يفسح لهم المجال بالتالي الى فتح مضيق الدردنيل واخراج بلغاريا من الحرب ، وفي هذا السياق اتفقوا على ضرورة المطالبة بابقاء عدد من معدات الانزال في منطقة البحر المتوسط لانجاز هذه العمليات حتى ولو ترتب على ذلك تأخير بسيط لعملية العبور. كما اتفقوا على مواصلة الضغط على الجنرالات الأمريكان من أجل اقامة قيادة موحدة في البحر المتوسط مما سيسهل الطريق أمام استراتيجيتهم في المنطقة ، خاصة وان تشرشل قد شدد على أهمية قيادة كهذه في اليوم السابق وتجاهل تماماً الفكرة الأمريكية لتعيين قائد أعلى لجميع العمليات الأوربية. كذلك اعتبروا ان دخول تركيا الحرب هي مسألة حيوية لتنفيذ خططهم ، ولذلك اقترحوا ان يحضر القادة العسكريون للشرق الأوسط الاجتماع الذي تعقده غداً هيئة الأركان المشتركة لعرض تقاريرهم وملاحظاتهم.

بعد ان أحيط الجنرالات البريطانيون علماً بأن التقرير الذي كُلف المخططون

العسكريون لهيئة الأركان المشتركة باعداده حول الخطة الشاملة لدحر اليابانيين ، لن يكون جاهزاً إلا بعد أسبوع على الأقل ، انتقلوا الى موضوع «بعيد» هو الادارة المدنية لأوربا بعد الحرب والشؤون المتعلقة باحتلال المانيا على ضوء تقرير أعدته لجنة انكلو ـ امريكية مشتركة مقرها في واشنطن . ولعل الدافع الذي حدا بالجنرالات الانكليز الى طرح هذا الموضوع هو ان اللجنة نظراً لوجودها في واشنطن ربما تكون قد وقعت تحت تأثير العسكريين الأمريكان ووزارة الحرب الأمريكية بالذات . ونظراً لأن اللجنة الاستشارية الأوربية قد اتخذت من لندن مقراً لها فان لجنة الشؤون المدنية ، كنتيجة منطقية ، ينبغي ان تُنقل هي الأخرى الى العاصمة البريطانية .

هذه الفكرة لم ترق للجنرالات الأمريكيين حينما أثيرت في الاجتماعات اللاحقة . فقد رد الجنرال (ديل) بقوله «المسألة ليست مسألة رغبتنا في الاحتفاظ بهذه اللجنة في واشنطن ، بل لأن نقل مقرها الى لندن ربما يفقد الرأي العام الأمريكي الاهتمام بالقضايا التي تبحثها رغم أهميتها القصوى» . على أية حال ارتأى الجنرالات الانكليز أخيراً ان يتولى تشرشل شخصياً التباحث مع الرئيس روزفلت بهذا الشأن (الذي حدث هو ان ايدن تولى هذه المهمة بدلاً من تشرشل) .

في الوقت الذي كان فيه الجنرالات الانكليز مجتمعين ، كان تشرشل ومونتباتن بحضور (ايدن) يقومون بمحاولة جديدة للتساوم مع (كاي شك) في مقر اقامة هذا الأخير . ويبدو انهم حققوا بعض التقدم في حمله على التراجع عن بعض مطالبه رغم ان بروك يقول في مذكراته «إن كاي شك عمل كل ما في وسعه للحصول على كل ما يطلب» .

عند الظهر تناول روزفلت طعام الغداء في مقر اقامته بحضور ماكلوي ممثل وزارة الحرب الأمريكية و(وينانت) سفيره في واشنطن واللورد (ليذرز) وزير النقل الحربي البريطاني وبحث معهم في المشكلات الناجمة عن نقل المؤن والامدادات الى مسارح العمليات ، رغم ان فكره كان مشغولاً بمؤتمر طهران ، خاصة بعد ان تلقى تأكيداً بأن ستالين سيكون في طهران مساء الثامن والعشرين من تشرين الثاني . لذلك فقد قرر هو السفر الى العاصمة الايرانية مباشرة من القاهرة يوم السبت السابع والعشرين من الشهر .

في هذا الوقت كان تشرشل يتناول هو الآخر طعام الغداء في مقر اقامته مع (ايدن) وقد سرَّه ان يرى هذا الأخير بعد فترة ، وهو الرجل الذي يستأنس بمشورته ولكنه أي تشرشل لم يكن مرتاحاً لتقدم المؤتمر ، خاصة وان الأساليب التي اتبعها روزفلت قد اضاعت الكثير من الوقت في مناقشة ما يعتبره الزعيم البريطاني «المواضيع الصينية التافهة».

أحس جنرالات بريطانيا بشيء من الارتياح في الاجتماع الذي عقدته هيئة الأركان المشتركة بعد الظهر ، فلم يكن رد فعل زملائهم الأمريكان ازاء المسلك البريطاني بالنسبة للجدول الزمني لعملية العبور شديداً كما كانوا يتوقعون. وكالعادة فقد ترتب على الجميع ان يبدأوا الاجتماع أولاً بمناقشة الشؤون الصينية حيث عرض مونتباتن على الحاضرين نتائج المساعي التي قام بها مع تشرشل لثني (كاي شك) عن مطالبه الثلاثة. ثم تحدث (ارنولد) عن قيادة السلاح الجوي الأمريكي قائلاً انه ليس بوسع قيادته توفير خمسمائة طائرة لعمليات حملة بورما كما سبق لـ (مونتباتن) ان اقترح. أما بالنسبة لحجم المؤن المرسلة الى الصينيين فقد قال انه لابد لـ (كاي شك) أن يوافق على تقليص حجم الارساليات الى الصين خلال الحملة. وهكذا لم يجد رؤساء الأركان صعوبة في الموافقة على ابلاغ (كاي شك) ان «اقتراحاته الطموحة» بالنسبة لحملة بورما ، لا يمكن الاستجابة اليها. ولذلك طُلب الى مونتباتن اعداد مذكرة لرؤساء الأركان وبالسرعة الممكنة على ضوء ذلك ، والسعي لاقناع (كاي شك) بالموافقة عليها. بعد ذلك أقر رؤساء الأركان النتائج التي تم الوصول اليها في اليوم السابق وأوصوا مخططي هيئة الأركان المشتركة بالاسراع باعداد «الخطة الشاملة لدحر اليابان» على ان تكون جاهزة في الأول من كانون الأول. ثم انتقل الجميع الى مناقشة عمليات العبور والبحر المتوسط. وكما رأينا فان الجنرالات البريطانيين كانوا قد وجدوا رد الفعل الأمريكي مشجعاً ولكن يبدو ان هذا الانطباع كان «زائفاً». فقد قال الادميرال (ليهي) في مذكراته ان المقترحات البريطانية حول عمليات شرق البحر المتوسط (التي عزاها الى رغبة البريطانيين في تشديد قبضتهم على الشرق الأوسط) «تبعث على القلق». ووفقاً لما جاء في هذه المذكرات فان رؤساء الأركان الأمريكان قاوموا أية عمليات من شأنها صرف الأنظار عن العملية الرئيسة

«العبور» . وهذا الرأي تؤكده ملاحظات روزفلت الى نجله (اليوت) حول عزمه على تأييد رؤساء أركانه في هذه النقطة بالذات . وعلى أية حال أنهى رؤساء الأركان المشتركة اجتماعهم في جو من الود . وبعد الظهر اصطحب (ستلول) الجنرال (مارشال) الى اجتماع مع روزفلت وذلك لمزيد من المناقشة حول المشكلة الصينية . أصبح واضحاً عند هذه المرحلة ان مواقف متضاربة أخذت تظهر من الجانب الصيني عاكسة كما يبدو «عجزاً حقيقياً عن اتخاذ القرار المناسب» من جانب (كاي شك) . لكن روزفلت كان يعتقد ان الزعيم الصيني سيوافق اخيراً على خطة ، هي «أقل طموحاً» بالنسبة للحملة على بورما . وهو اعتقاد لم يشاطره فيه (هوبكنز) . مهما كان يدور في خلد (كاي شك) فان روزفلت قرر على ما يظهر القيام بمبادرة شخصية لتسوية النزاع الانكلو - صيني حول عمليات جنوب شرق آسيا . وبعمله هذا فقد تجاهل كل النصائح التي سمعها من رؤساء اركانه كما تجاوز الموقف البريطاني المعارض لأي قرار سابق لأوانه بالنسبة لعملية جزر (الاندامان) وهو (موقف وصل الى حد المعارضة التامة لأي قرار يدعو الى القيام بتلك العملية) .

ويبدو ان روزفلت استنتج ان السبيل الوحيد ، لحمل (كاي شك) على المشاركة الفعالة في خطط (مونتباتن) هو ان يقدم له الضمان الذي كان يطلبه بأن تتم عمليات الانزال البرمائية في خليج البنغال في نفس الوقت الذي تبدأ فيه الحملة على بورما . وهذا ما فعله في اجتماع عقده في الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم مع (كاي شك) . ولم يكتف بذلك بل تعهد للزعيم الصيني بان تستمر الولايات المتحدة في برنامجها لتدريب وتسليح القوات الصينية حتى يتم اعداد تسعين فرقة عسكرية صينية مسحلة تماماً .

ليس بوسع المرء هنا ان يعرب عن الاعجاب بمقدرة روزفلت كمفاوض ، فالرئيس الأمريكي قد قطع الكثير من الوعود السياسية السخية للزعيم الصيني ، لم تفلح جميعها في احداث أي تغيير في مواقف الجانب الصيني من المسائل العسكرية ، بل على العكس فهي قد شجعت (كاي شك) على التمادي في مطالبه . على أية حال قدّم الرئيس روزفلت هذه المرة الى (كاي شك) ضمانات بتلبية مطالبه العسكرية

وهي ضمانات رفض مستشاروه العسكريون حتى الآن أن يقدموها. وهي ضمانات يعلم بها مسبقاً ان تشرشل سيقاومها بكل ضراوة. ولكن الرئيس الأمريكي مارس في الاجتماع نفسه الضغط على (كاي شك) لكي يجعل هذا الأخير من نظامه أكثر ديمقراطية وتمثيلاً للصينيين وبخاصة دعوته له بانهاء نزاعه مع الشيوعيين الصينيين وتشكيل حكومة ائتلافية. وكالعادة فان (كاي شك) أراد نظير هذا شيئاً بالمقابل. وهو ان على روزفلت ان يحصل له من ستالين على ضمان بان لا تتدخل روسيا في الشؤون الصينية وان يعلن الزعيم السوفييتي تأييده لسيادة الصين على منشوريا. كذلك فقد كان واضحاً ان (كاي شك) عبّر للرئيس الأمريكي عن شكوكه حول التنازلات التي يخطط الأخير لتقديمها الى الروس بالسماح لهم باستخدام الموانىء الواقعة شمالي الصين وخاصة ميناء (دايرن). كما اتفق الرجلان على مقاومة أي محاولة لاعادة الهند الصينية الى السيطرة الفرنسية، وانه ينبغي على روزفلت حمل الدول الاستعمارية في المنطقة وبشكل خاص بريطانيا على منح الاستقلال لمستعمراتها في أسرع ما يمكن. الغريب ان الضغط الذي كان روزفلت يمارسه على (كاي شك) لتقديم تنازلات الى الاتحاد السوفييتي اقترن في ذات الوقت بوعود للزعيم الصيني بتأييده ضد الدول الاستعمارية في المنطقة وبخاصة بريطانيا. ومهما كان تخطيط روزفلت لأوربا مستقبلاً، فقد أصبح واضحاً هنا انه يعد العدة لاقامة محور صيني - سوفييتي - امريكي في الشرق الأقصى تُستبعد منه بريطانيا.

رغم ان روزفلت كان يقوم بهذه التصرفات من وراء ظهر تشرشل إلا انه لم يجد ما يحول دون دعوة تشرشل وايدن الى مأدبة عشاء تقام مساء ذلك اليوم احتفالاً بعيد «تقديم الشكر» في جو من الدفء والمودة. خلال المأدبة عرض (ايدن) اهتمامه بموضوع الحكومة البولندية في المنفى مقترحاً ان يثير الرئيس روزفلت هذا الموضوع امام ستالين خلال مؤتمر طهران. غير ان الرئيس الأمريكي لم يكن يريد تسميم جو طهران بتأييده لقضية البولنديين.

على أية حال ساد المأدبة جو اجتماعي وانصرف روزفلت الى غرفة نومه بعد محادثة قصيرة مع (ستلول) وهو يشعر بأنه أنجز عملاً مهماً في ذلك اليوم. في نفس الوقت كان الجنرالات الأمريكان يستضيفون زملاءهم الانكليز في حفلة عشاء اخرى

وفي جو من الود أيضاً.

وباختصار كان هذا اليوم يوماً سيئاً للانكليز على الرغم من انهم ربما كانوا لم يدركوا نتائجه.

٢٦ تشرين الثاني: التزام رؤساء الأركان الأمريكان بعملية جزر (الاندامان)، الشكوك حول رغبات الاتحاد السوفييتي في المسائل الاستراتيجية، الحاجة الى تنسيق العمليات الهجومية السوفييتية مع عملية العبور، القيادة الأوربية، القيادة الموحدة في البحر المتوسط، عمليات القصف الجوي لـ (رودس) وإيطاليا، والقرار النهائي حول بورما.

بات واضحاً ان (كاي شك) لم يستسلم نهائياً في الليلة الفائتة رغم التطمينات التي حصل عليها من روزفلت، وفي صباح اليوم التالي التقى روزفلت ثانية بكل من (كاي شك) و(مونتباتن) بهدف الوصول الى اتفاق نهائي. كذلك وجد الرئيس الأمريكي ان الضرورة تقتضي ترتيب اجتماع بين (كاي شك) والجنرال (ارنولد) رئيس أركان السلاح الجوي الأمريكي حتى يكون بمقدور هذا الأخير ان يوضح استحالة توفير المزيد من الطائرات التي طالب بها الزعيم الصيني.

فيما بعد بدا كما لو ان (مونتباتن) قد فقد صبره مع كاي شك وهو ما أبلغه الى (ستلول) بقوله «لقد ضقت ذرعاً بهذا الرجل». بعد ذلك انضم (ستلول) نفسه الى (أرنولد)، في محاولة جديدة لحمل (كاي شك) على التخلي عن مطالبه. وفي هذه الأثناء وصلت أنباء التعهدات التي قطعها روزفلت لـ (كاي شك) الى أسماع رؤساء الأركان الأمريكان. ففي اجتماعهم الصباحي اوضح الجنرال (مارشال) انه سيترتب عليهم منذ الآن ان يكونوا أكثر حزماً واصراراً على عملية جزر (الاندمان) وإذا رفض

الانكليز تأييد هذه العملية فلابد ان يعلموا إذن ان الولايات المتحدة لن توفر لهم معدات الانزال اللازمة لمغامراتهم في شرق البحر المتوسط. بل على العكس سيعطون مساندتهم لعمليات الادميرال (كنغ) في المحيط الهادي. وكما اعترف مارشال في مذكراته فان هذا جاء متناقضاً مع ردود الفعل الأكثر اعتدالاً التي أظهرها الأمريكان في المراحل الأولى للمؤتمر تجاه التحفظات البريطانية بالنسبة لعملية جزر (الاندمان)، وكان هذا الموقف الجديد نتيجة مباشرة للتطمينات التي قدمها روزفلت الى (كاي شك) وهكذا فقد وجد رؤساء الأركان الأمريكان أيديهم مقيدة بفعل تصرفات رئيسهم.

أما رؤساء الأركان الانكليز الذين لم يكونوا بعد على اطلاع بهذا التطور فقد اجتمعوا هذا الصباح لمناقشة جدول الأعمال المطول. وبعد ان وضعوا جانباً بعض الموضوعات ذات الأهمية الثانوية انتقلوا الى بحث مذكرة جديدة اعدها رؤساء الأركان الأمريكان حول مؤتمر طهران. وقد عبّر الجنرالات الأمريكان في هذه المذكرة عن «أملهم الكاذب» في إمكان الوصول الى اتفاق حول الاستراتيجية الأوربية قبل مؤتمر طهران (الذي لم يبقَ على انعقاده سوى يومان).

كما عبّروا عن مخاوفهم من ان الروس قد ينضمون الى الانكليز في مؤتمر طهران في الدفاع عن عمليات البلقان والبحر المتوسط، آخذين بنظر الاعتبار ان الاثنين يؤيدان بشدة حمل تركيا على دخول الحرب. ولذلك اقترحوا أن تكون هناك سياسة مشتركة إنكلو ـ امريكية بالنسبة لمسرحي العمليات المذكورين، شريطة ان تستبعد سياسة كهذه القيام بعمليات عسكرية أخرى تصرف النظر عن العملية الرئيسة، العبور. كذلك اقترحوا انه ينبغي على رؤساء الأركان المشتركة افهام الروس بأن الحلفاء الغربيين يخوضون حرباً في المحيط الهادي علاوة على أوربا وانه لابد لهم من توفير الامكانات العسكرية لكلا المنطقتين ومن ثم الطلب الى الروس تنسيق عملياتهم الهجومية مع عملية العبور عندما يحين موعد الأخيرة.

لم يجد الجنرالات البريطانيون صعوبة في الموافقة على هذه المقترحات ولكن (بروك) لم يكن مرتاحاً لجدول الأعمال التفصيلي الذي اعده زملاءه لاجتماع محتمل لرؤساء الأركان المشتركة مع الروس في طهران. وقد تضمن جدول الأعمال هذا

تفاصيل مطولة عن مقترحات للتعاون ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سبق للأمريكان ان عرضوها في مؤتمر موسكو. وهي مقترحات اعتبرها (بروك) من اختصاص البعثات العسكرية لكل من البلدين لدى البلد الآخر بدلاً من موضوع للبحث من قبل رؤساء الأركان. لكنهم وافقوا على أية حال على ان يبحثوا مع الروس في مسائل عسكرية أخرى كقيام طائرات السلاح الجوي السوفييتي بطلعات قتالية، والتنسيق معهم في عملية العبور والحملة على إيطاليا ودخول الروس الحرب ضد اليابان (كان الهدف من إثارة هذا الموضوع بالذات هو ان الأمريكيين أرادوا الوقوف على مدى استعداد الاتحاد السوفييتي للسماح للولايات المتحدة باستخدام موانئه وقواعده الجوية في الحرب ضد اليابان).

بعد ذلك انتقل الجنرالات الانكليز الى مناقشة الاقتراح الأمريكي بتعيين قائد أعلى للعمليات الحربية ضد الألمان. وحول هذا الموضوع تحدث الجنرال (اسماي) معتبراً ان قيادة كهذه ستكون «حلقة» غير ضرورية في سلسلة الاتصالات ما بين القيادة القائمة فعلاً وهيئة الأركان المشتركة وقادة مسارح العمليات. ثم تساءل «إذا كانت القيادة الحالية لم تخفق في مهامها فأين هي الحاجة يا ترى لتعيين قائد أعلى ؟». وافق رؤساء الأركان الانكليز على طرح (اسماي) هذا ليكون بمثابة الرد الانكليزي على المقترح الأمريكي. (كذلك كان موقف (اسماي) هذا الأساس للمذكرة التي بعث بها تشرشل مباشرة الى ستالين حول الموضوع).

على ان الجنرالات الانكليز لاحظوا بشيء من الارتياح ان المذكرة الأمريكية قبلت بالمقترح البريطاني لانشاء قيادة موحدة في البحر المتوسط. غير ان هذا القبول ضعُف فيما بعد عندما عرض الأمريكيون اقتراحاً آخر يقضي بوضع جميع القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية سواء في الولايات المتحدة او إيطاليا تحت إمرة قائد واحد يكون مسؤولاً مباشرة أمام هيئة الأركان المشتركة التي مقرها واشنطن.

هذا الاقتراح الأخير جوبه بمعارضة بريطانية قوية، فقد قال الجنرال (بورتال) ان الاقتراح من شأنه ان يجعل القوات الجوية الاستراتيجية في إيطاليا بمعزل عن سيطرة قائد مسرح العمليات هناك وانه جزء من المسعى الأمريكي لابراز قوة الولايات المتحدة على حساب بريطانيا. ثم أضاف ان هذه الخطوة الأمريكية تهدف

أساساً الى ضمان توجيه كل الامكانات الجوية الاستراتيجية الأمريكية نحو عملية العبور على حساب احتياجات قائد مسرح عمليات البحر المتوسط. حظي هذا الموقف أيضاً بتأييد الجنرالات الانكليز الذين انتقلوا بعد ذلك الى المذكرة التي أعدها مونتباتن لارسالها الى (كاي شك) استجابة لتوجيهات هيئة الأركان المشتركة في اليوم السابق. وقد تضمنت المذكرة النقاط التي ينبغي على كاي شك ورؤساء الأركان المشتركة الموافقة عليها وهي كما يلي:

أولاً ـ عمليات الانزال البرمائي في خليج البنغال.
ثانياً ـ الحشد الموعود للقوة البحرية البريطانية في ميناء كولومبو.
ثالثاً ـ تولي قائد عمليات جنوب شرق آسيا (مونتباتن) مسؤولية عمليات النقل الجوي خلال الحملة على بورما حتى على حساب تقليص حجم الارساليات من المؤن الى الصينيين.
رابعاً ـ الترتيبات المتعلقة بالقيادة في المرحلة الأولى من الحملة (أي ان تقدم القوات الصينية باتجاه مناطق أعالي بورما يجب ان يتم تحت اشراف قائد العمليات البريطاني الجنرال (سليم) ومن ثم تنتقل في المرحلة التالية الى اشراف الجنرال ستلول).
خامساً ـ التعهد بأن تُستأنف العمليات في بورما في تشرين اول في نهاية موسم الأمطار.

كما اقترح الجنرالات البريطانيون ضرورة ابلاغ (كاي شك) بان تقليص حجم الارساليات من المؤن الى الصينيين سوف لن يزيد على الف طن في الشهر. على هذا الأساس صودق على المذكرة. ولكن الجنرالات البريطانيين لم يكونوا حتى هذه المرحلة على علم بالوعد الذي قطعه روزفلت لـ (كاي شك) بالنسبة لعمليات الانزال البرمائية.

أخيراً تناول الجنرالات موضوع عملية العبور والبحر المتوسط مع التأكيد على الدور الذي يمكن لتركيا ان تلعبه في هذه الأخيرة وذلك على ضوء مذكرة أعدتها

سكرتارية هيئة الأركان البريطانية. وتقترح المذكرة ان لا يكون دخول تركيا الحرب ضد المانيا دفعة واحدة بل تدريجياً، على ان تتم الخطوة الأولى بمساندة الأتراك لعملية الهجوم على مجموعة الجزر اليونانية التي يحتلها الألمان عن طريق تقديم تسهيلات في قواعدهم الجوية وموانئهم. ولكن إذا دق ناقوس الخطر وأعلنت المانيا الحرب على تركيا (وهذا أمر يكاد يكون مؤكداً) فعند ذلك يهب الحلفاء لتوفير الحماية الجوية للمدن التركية. وتقترح المذكرة كذلك ان لا يُدفع الأتراك الى مهاجمة بلغاريا، بل ان يساهموا في مهاجمة بعض الجزر اليونانية الصغيرة بينما يكون البريطانيون يقومون بحملتهم على الهدف الرئيس جزيرة (رودس). وافق الجنرالات على المذكرة بعد حذف أية اشارة الى أي احتلال ممكن لليونان، وهو أمر كان رؤساء الأركان الانكليز يدركون انه سيثير الشكوك لدى الأمريكيين من ان البريطانيين ربما كانوا عازمين على القيام بحملة عسكرية في البلقان.

والواقع ان جميع هذه الخطط لم تظهر الى حيز الوجود في نهاية المطاف ذلك لأن الأمريكان لم يؤيدوها أولاً ولأن الأتراك لم يكونوا راغبين في المجازفة بدون التزام كامل من الحلفاء في مسرح عمليات شرق البحر المتوسط، ثانياً.

عندما التقى الجنرالات البريطانيون مع زملائهم الأمريكان في جلسة ما بعد الظهر، وجدوا ان الثمن الأمريكي نظير أية مرونة في موعد عملية العبور، هو موافقة البريطانيين النهائية على عملية جزر (الاندمان) في موعد سيجعل من المستحيل على البريطانيين أن يستخدموا معدات الانزال البري ذاتها التي ستستخدم في هذه العملية، في عملياتهم المخطط لها في شرق البحر المتوسط. وكانت النتيجة أن تحولت الجلسة الى أكثر الجلسات حدة وتوتراً. جلسة لم يشهد مؤتمر القاهرة نظيراً لها.

بدأ الاجتماع في جو من الود بالموافقة على المذكرة التي أعدها مونتباتن الى (كاي شك) بعد ان أُجريت عليها بعض التعديلات خاصة ما يتعلق بالهجوم على (ماندلاي) في المرحلة الأولى من الحملة والتأكيد على ضرورة إستئناف العمليات العسكرية بعد انتهاء موسم الأمطار. بعدها انتقل رؤساء الأركان الى مسرح عمليات البحر المتوسط في ضوء الآراء التي سبق لتشرشل ان أعرب عنها وأيدها رؤساء أركانه

في مذكرة رسمية رُفعت الى الجلسة. ومن أجل مناقشة مستفيضة للموقف في هذا القاطع فقد أُستدعي لحضور الاجتماع قائد عمليات غرب البحر المتوسط الجنرال آيزنهاور والقادة العسكريون البريطانيون في الشرق الأوسط الجنرال (ولسن) قائد القوات البرية والجنرال (دوغلاس) قائد القوات الجوية والسير (كننغهام) قائد القوات البحرية.

تحدث الجنرال (آيزنهاور) بافاضة عن الوضع العسكري للقوات الحليفة في إيطاليا قائلاً هناك خياران إما «جهد عسكري واسع النطاق» من شأنه ان يدفع قواتنا الى نهر (البو) بحلول عام ١٩٤٤ ، او «جهد عسكري محدود» يقتصر على وصول القوات الى خط (بيسا - ريميني) وعندها تتوقف العمليات بانتظار أوامر جديدة. ثم أشار الى ان الخيار الأول أي «الجهد العسكري الواسع» يتطلب الابقاء على معدات الانزال البرمائي في البحر المتوسط الى أواسط شباط ١٩٤٤ على الأقل ، كما يتطلب عدم اجراء أي نقل للامكانات العسكرية الى مسرح عملية العبور. هكذا أصبح واضحاً ان ما قاله الجنرال آيزنهاور عن «الجهد العسكري المحدود» ينسجم تماماً مع القرار المتخذ في (كويبك) باعطاء الأولوية لعملية العبور وهو خيار كان الأمريكيون يتطلعون الى سماعه من آيزنهاور في حين لم يكن الانكليز يريدون ذلك. كذلك كان آيزنهاور واضحاً في قوله انه مهما كان الخيار الذي سيُتفق عليه ، فان عمليات شرق البحر المتوسط يجب ان تنتظر حتى بلوغ الحد الأدنى من الأهداف العسكرية للحلفاء في إيطاليا. بعدها تحدث القادة الانكليز (ولسن) و(دوغلاس) و(كننغهام) عارضين آراءً أكثر تفاؤلاً بالنسبة للعمليات المخطط لها في بحر إيجه وشرق البحر المتوسط. و قد أجمع هؤلاء على انه إذا حُملت تركيا على دخول الحرب وفتحت قواعدها الجوية أمام الحلفاء ، فان الهجوم على (رودس) والجزر اليونانية الأخرى يمكن ان يتم دونما حاجة الى مزيد من المساعدة من قيادة غرب البحر المتوسط (أي من الأمريكيين) باستثناء الموافقة على ابقاء معدات الانزال الحيوية لفترة محدودة ، مشيرين ضمناً الى ان القوات البريطانية والتركية يمكن ان تقوم بما تبقى من المهام.

بعد ذلك انتقل المجتمعون الى بحث المذكرة البريطانية وعندها بدأ النقاش

يأخذ طابعاً أكثر حدة. كان رؤساء الأركان الأمريكان مستعدون لاتخاذ «موقف توفيقي» بالنسبة الى تأجيل محدود لعملية العبور، إذا كان ذلك هو المطلوب. فقد أبلغ الادميرال (ليهي) الجلسة نيابة عن زملائه الأمريكيين بأنهم مستعدون للقبول بالمذكرة والتوصيات الواردة فيها لتكون على الأقل أساساً للمباحثات القادمة مع الروس.

اشتملت هذه التوصيات على ابقاء هجوم الحلفاء في إيطاليا الى حد بلوغ خط (بيسا ـ ريميني)، وزيادة المساعدات المقدمة الى حركات المقاومة في البلقان، ودعم عمليات شرق البحر المتوسط بالشكل الذي يؤدي الى فتح مضيق الدردنيل وإدخال تركيا في الحرب. ولعل مما دفع بالأمريكيين الى القبول بهذه التوصيات هي انها تضمنت توصية بالابقاء على الهجوم الى حد خط (بيسا ـ ريميني) وهذا ما ينسجم مع خيار «الجهد العسكري المحدود» في إيطاليا الذي طرحه الجنرال آيزنهاور كما انها ـ أي التوصيات ـ، لم تأتِ على ذكر أية «حملة في البلقان». بدأت المناقشة تتخذ طابع السخونة حينما بوشر بمناقشة الهجوم البريطاني المخطط على (رودس) وعملية جزر (الاندمان) التي يخطط لها الأمريكان والأولوية المعلقة على كل منهما. وقد بات واضحاً من سير النقاش ان كلاً من الجانبين كان مقتنعاً تماماً ان عملية الجانب الآخر غير ممكنة وانه لو خُير الجنرالات البريطانيون في الأمر لاختاروا (رودس) في الحال ولو خُير الأمريكان لقالوا (الاندمان) في الحال أيضاً.

في هذا السياق تحدث الجنرال مارشال، او بالأحرى نقل الى الحاضرين وجهة نظر روزفلت بقوله ان عملية (الاندمان) التي أُطلق عليها اسم (بوكانير) كما أسلفنا هي ضرورية لكسب مشاركة الصينيين الكاملة في الحملة على بورما، وهو ما اعتبره الجنرال (بروك) مبالغة. حتى لا تتطور الأمور الى نحو أسوأ أُرتؤي الانتقال الى الموافقة على مواد جدول الأعمال المقترح للاجتماع مع الروس في طهران، حيث أُدخلت بعض التعديلات التي اقترحها الجنرالات البريطانيون ثم صودق عليه متضمناً المواد التالية :

١ ـ تنسيق العمليات الهجومية السوفييتية مع العمليات الانكلو ـ أمريكية.

٢ ـ سير الحملة في إيطاليا.
٣ ـ دخول تركيا الحرب.
٤ ـ وضع الامدادات المُرسلة الى روسيا.
٥ ـ إمكانية قيام السلاح الجوي بطلعات قتالية على الأهداف الألمانية.
٦ ـ دخول روسيا الحرب ضد اليابان.

بعد ذلك رفع رؤساء الأركان جلستهم وكانت هي آخر جلسة لهم في مؤتمر القاهرة.

بينما كانت الجلسة منعقدة، كانت هناك لقاءات هامشية أخرى بين البريطانيين والأمريكان. فقد التقى (ايدن) مع السفير الأمريكي في لندن (جون وينانت) حيث جرى البحث في مسائل التخطيط لفترة ما بعد الحرب بما في ذلك سياسة الاحتلال والادارة المدنية في أوربا. وكان (ايدن) قد ضمن أثناء حضوره مؤتمر موسكو، موافقة الجانب الأمريكي على إحالة العديد من هذه المسائل الى اللجنة الاستشارية الأوربية المشكّلة حديثاً والتي مقرها في لندن. وقد أعقبت وزارة الخارجية البريطانية ذلك باقتراح يدعو الى نقل اللجنة المختلطة الانكلو ـ أمريكية للادارة المدنية من واشنطن الى لندن. لكن هذا الاقتراح لم يلقَ قبولاً من الأمريكيين، بل انه بدأ يتضح أيضاً ان (هول) ووزارتي الخارجية والحرب الأمريكيتين كانت لهم تحفظات حتى على الصلاحيات التي خُولت الى اللجنة الاستشارية التي مقرها لندن.

خلال الاجتماع أبلغ (وينانت) (ايدن) انه لا ينبغي وضع الكثير من المهام على عاتق اللجنة الاستشارية، شاكياً من ان الموقف البريطاني قد جعل اللجنة المختلطة في واشنطن غير قادرة على العمل. ثم أضاف ان الأمريكيين في هذه المرحلة من الحرب هم أكثر حساسية من ذي قبل تجاه كل قضية يمكن ان تُفسر على انها محاولة لنقل «مركز الثقل» من واشنطن. انزعج ايدن من هذه الملاحظة الأخيرة وراح يتساءل ما إذا كان الأمريكيون يريدون التملص من قرارات سبق ووافقوا عليها.

لكنه أُقر أخيراً بأن توصيات اللجنة الاستشارية الأوربية سوف تمر عبر هيئة الأركان المشتركة في واشنطن قبل تقديمها الى الحكومات المعنية ولهذا لا يرى بأساً من بقاء

اللجنة المختلطة للادارة المدنية في مقرها الحالي في واشنطن. كان هذا في الواقع دليلاً جديداً على عزم الولايات المتحدة ان تفرض سيطرتها في هذه المرحلة من الحرب.

في الثالثة من بعد الظهر كان (روزفلت) و(تشرشل) و(كاي شك) يعقدون آخر اجتماع لهم في القاهرة انضم اليهم فيه (ايدن) و(هاريمان) و(كادغون). وكان الهدف منه هو الاتفاق على الصيغة النهائية للبيان الختامي الذي سيصدر عن المؤتمر والـذي اقتـرح كـاي شـك ان يتضمن فقـرة عن التعهـد بـاعـادة الأراضي الصينية «المسلوبة».

في هذا الاجتماع تنازل (كاي شك) عن بعض مطالبه ووافق بعد ان تسلم مذكرة (مونتباتن) على التعاون في حملة بورما. ولكن هذه الموافقة ينبغي ان يُنظر اليها في ضوء الوعود التي قطعها له روزفلت بأن عملية انزال برمائية ستتم في خليج البنغال في نفس الوقت الذي يُباشر به بالحملة البورمية. (حتى هذه اللحظة لم يكن تشرشل قد أُحيط علماً بوعود روزفلت هذه). لكنه بعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ وبعد ان علم بها الرئيس الوزراء البريطاني أخيراً فقد بعث بمذكرة الى رؤساء أركانه يبلغهم فيها رفضه لتلك الضمانات جملة وتفصيلاً ، (رفضٌ جاء من رجل علمَ للتو بما كان يجر ي من وراء ظهره). على أية حـال لم يُثر تشـرشل في الاجتمـاع مع روزفلت وكاي شك أية معارضة للوعود الأمريكية باعادة الأراضي الصينية «المسلوبة». لكنه اشترط ان لا يتضمن البيان الختامي أية اشارة الى هونغ كونغ. مع ذلك فقد كانت بنود البيان موضع احتكاك انكلو ـ أمريكي.

كما أسلفنا فانه عندما وصل (ايدن) و(كادغون) الى القاهرة وجدا ان هوبكنز قد أعطى للصينيين بالفعل مسودة البيان الختامي حتى قبـل ان يعرضـه أولاً على الانكليز ، ثم اكتشف ان بعض التعديلات والاضافات قد أُدخلت عـلى المسودة مما دعاه الى أن يمضي معظم ساعات نهار السادس والعشرين من تشرين الثاني في جدال مع المندوب الصيني (وانغ) و(هاريمان) بشأنها.

إستندت المعارضة الانكليزية على: أولاً ، ان المسودة تضمنت بنداً حـول إعادة الأراضي الصينية التي يحتلها اليابانيون وبالذات منشـوريا وهي قضيـة كان (كادغون) يرى انها قد تُثير مشاكل مع الاتحاد السوفييتي ؛ وثانياً لأن المسودة أغفلت

أية إشارة الى إعادة المناطق التي كان الانكليز والهولنديون والفرنسيـون يسيطرون عليها قبل أن يحتلها اليابانيون.

والـواقع ان روزفلت شخصيـاً لم يكن يرغب بـاعطاء ضمـان باعادة هذه الأراضي الى مستعمـريها السـابقين وبخـاصة الفـرنسيين. وكـل الذي أفلح فيـه (كادغون) من مناقشاته هو انه أضاف بنداً على المسودة ينص على انـه سيتم طرد اليابان من جميع الأراضي التي تحتلها، وبنداً ثانياً ينص على انه ليس لدى الدول الموقعة الثلاث أية نية «بالتوسع الاقليمي» وانها لا تضمر أي كسب لنفسها يمكن ان تستخدمه مستقبلا في التعامل مع مطالبة الصينيين بهونغ كونغ والتبت.

الجدل الذي قام مع الانكليز حول هذه النقاط، هو الذي دفع بـ (هوبكنز) ان يجتمع مطولاً مساء ذلك اليوم مع (كاي شك) لبحث «المسائل المتنازع عليها» بين الانكليز والصينيين. وخلال اللقاء أكد (كاي شك) ان الصين لن تتخلى عن التبت وانه يرغب في جعل منغوليا منطقة «عازلة» بين الصين والاتحاد السوفييتي بدلاً من ان تقوم فيها إدارة موالية للروس، وانه لا يرغب في ان يطرح روزفلت أمام ستالين موضوع استخدام الروس للموانيء الشمالية من الصين أو تدويل ميناء (دايرن). (هذا لم يتحقق كما سنرى). بعد ان صـودق على مسـودة البيان الختـامي بصيغته النهائية، راح روزفلت يتناول طعام العشاء في مقر اقامته بحضور الادميرال ليهي وعدد من مستشاريه ثم آوى الى فراشه مبكراً خاصة وان رحلة طـويلة تنتظره في الطريق الى طهران.

وبينما كان روزفلت يغط في نومه، كان تشرشل ساهراً حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل مع (ايدن) و(كادغون) لمناقشة سير أعمال المؤتمر. وهذا ما جعله يشعر بتوعك في صحته في اليوم التالي.

السفر الى طهران

في السابع والعشرين من تشرين الثاني غادر الوفدان الأمريكي والبريطاني، القاهرة الى طهران، ولم يكن أي منهما يحتفظ بذكريات طيبة عن المؤتمر. فقد تميزت اجتماعات القاهرة بأنها أكثر الاجتماعات الانكلو- أمريكية «مدعاة لـلاختلاف»

خلال الحرب. فقد كان الانكليز حانقين لذلك الاهتمام الذي أولاه حلفاؤهم الأمريكان للصينيين ومشاكلهم ، وكذلك لوجهات النظر «المستبدة» التي أبداها الأمريكيون ازاء مختلف المسائل التي عُرضت للبحث ، مما سينعكس بدوره على العلاقات الودية بينهما.

وهكذا فان هذا المؤتمر الذي أراده تشرشل ان يساهم في تعزيز التحالف الانكلو - أمريكي ما بين مؤتمري موسكو وطهران ، جاء بنتائج مخيبة للآمال. كذلك فان «ايدن» اعتبر مؤتمر القاهرة واحداً من أصعب المؤتمرات التي حضرها. وهو شأنه شأن (كادغون) كان ممتعضاً بشكل خاص من سلوك الأمريكيين في عرض مسودة البيان الختامي على الصينيين حتى قبل ان يعرضوه على الانكليز وهو ما اعتبروه مؤشراً على ان هناك مشاقاً بدأت تلوح في الأفق على الأقل في جنوب شرق آسيا. بينما اعتبر تشرشل ان المؤتمر قد فشل في بلوغ سياسة ستراتيجية انكلو - أمريكية لعرضها على الروس في طهران. كما ان بروك كان يحس بالضيق لأن الكثير من وقت المؤتمر قد أضيع هدراً في مناقشة مشاكل الصين وجنوب شرق آسيا.

ولكنه شعر بالارتياح للفشل الذي مني به الاقتراح الأمريكي بتعيين قائد أعلى للعمليات الأوربية ، في حين اعتبر ان الأمريكيين كانوا أكثر مرونة بالنسبة لعملية العبور وعمليات البحر المتوسط مما كان يتوقع. ومع ذلك فان الكثير من الخطط البريطانية مازالت تعتمد على ما سيتم الوصول اليه في طهران وعلى الموقف السوفييتي بالذات ، ثم ان الفرص ما زالت متاحة أمام تعاون انكلو - أمريكي لفرض استراتيجية متفق عليها.

الأمريكيون كانوا من ناحيتهم اقل استياءً. لكن الشيء الذي أغضبهم هو محاولة الانكليز وضع اتفاق (كويبك) بأجمعه حول عملية العبور موضع تساؤل ، كذلك شغفهم الكبير بعمليات البحر المتوسط. ويعتقد الادميرال (ليهي) ان ما تم الوصول اليه في المجال العسكري كان طفيفاً للغاية. وهو رأي يشاطره فيه الجنرال (مارشال). فعملية جزر (الاند مان) ومعظم المسائل الخاصة بالحملة على بورما ، لا زالت معلقة ، علاوة على انه لم يتم الوصول الى ما ينبغي عمله بالنسبة للعملية الرئيسة (العبور). وكل هذه المسائل تنتظر ما سيتم التوصل اليه مع الروس والانكليز

في طهران. ولعل من المفارقة ان نذكر هنا القرار الوحيد الذي أُتفق عليه هو الهجوم على أعالي بورما ، وهو ما لم يكن الانكليز راغبين فيه بينما اعتبره الجنرال (مارشال) ورؤساء الأركان الانكليز ضرورياً من الناحية العسكرية.

ومهما كان الحال بالنسبة للقرارات العسكرية فان المناقشات السياسية في مؤتمر القاهرة ، كانت ذات مدلولات عميقة لما يمكن ان يحدث مستقبلاً.

لقد وُعدت الصين باستعادة أراضيها «السليبة» في الشمال حتى دون ان تتعهد بتشديد الضغط على اليابانيين. غير ان تنفيذ تلك الوعود اعتمد بشكل أساسي على مدى قبول الاتحاد السوفييتي بها. كذلك فقد كان لتعهد روزفلت بدعم وضع الصين كدولة كبرى في فترة ما بعد الحرب له مدلولاته المستقبلية هو الآخر. لـذلك فمن المستغرب ان نطالع في مذكرات (هوبكنز) مثلاً ان المؤتمر لم يكن له الأثر الكبير على مستقبل العلاقات في فترة ما بعد الحرب. لكن روزفلت كما يظهر لم يكن يشـاطر (هوبكنز) في هذا الرأي. فقد كان مرتاحاً تماماً (كما يقول وزير خارجيته هول) لتلك العلاقة الشخصية الوطيدة التي أقامها مع (كاي شك) وهي علاقة اعتبـر تحقيقها واحداً من الأهداف الرئيسة التي كان يتطلع الى بلوغها عبر مؤتمر القاهرة. يقول روزفلت في برقية بعث بها الى (هول) وبشيء من الحماس «لقد كنت مرتاحاً جداً من اللقاء مع كاي شك وأحسست بالود تجاهه».

أما بالنسبة لهذا الأخير ، فقد غـادر القاهـرة بآمـال عريضـة فمن الناحيـة السياسية حصل على ما يريده من وعود باعادة مـا فقدتـه بلاده من أرضٍ ، أمـا عسكرياً فهو يعتقد (كما يقول هاريمان) انه كانت هناك استجابة كبيرة لمطالبه. غير ان هذا الوهم الأخير لم يدم طويلاً.

الفصل الثامن

مؤتمر طهران:
ستالين يقرر ستراتيجية الحلفاء

١ - ستالين . . حكماً :

عندما غادر البريطانيون والأمريكيون القاهرة الى طهران في السابع والعشرين من تشرين الثاني كان كل منهما مدركاً ان الكثير من المسائل العسكرية بل وأهمها والتي بقيت معلقة سوف تحسم من قبل الروس. أما من الناحية السياسية فكان كل منهما يتطلع لمعرفة الكثير من حليفه السوفييتي ، رغم ان اهتمامات كل واحد منهما كانت مختلفة عن الأخرى. «فروزفلت» كان يرغب قبل كـل شيء في ان يتبلور التعهد السوفييتي بدخول الحرب ضد اليابان ويظهر الى حيز الوجود ، وكذلك الحصول على موافقة ستالين للخطوط العريضة لتسوية مشاكل الشرق الأقصى ، التي سبق وان عرضها على (كاي شك). لبلوغ هذا الهدف وضمان تعاون الاتحاد السـوفياتي في المنظمة الـدولية المـزمع انشـاؤها بعـد الحرب أحس روزفلت انـه لابد من بعض الاستجابة لرغبات الاتحاد السوفياتي في الشرق الأقصى ، ليس فيما يتعلق بمنغوليا وجزر (كوريل) فحسب ، بل بضمان طريق الوصول للروس الى المحيط الهادي عبر الموانيء الصينية ذات المياه الدافئة . كذلك ادرك روزفلت ان (كاي شك) لابد وان يكون مستعداً لتقديم بعض التنازلات الى روسيا من هذا القبيل نظير موافقة الزعيم السوفييتي على كل ما وعد به الصينيين.

كذلك ينبغي تقديم تنازلات اقليمية أخرى للروس فيما يتعلق بأوربا الشرقية بما في ذلك بولندا. في هذه الأثناء كان موضوع بولندا يشغل بال كل من تشرشل وايدن ولكن في اطارٍ أكثر مدعاة للقلق من ذلك الذي يشغل بال روزفلت.

كان الرجلان يشعران ان الحاجة لبلوغ تسوية ما لمشكلة الحدود البـولنديـة والعلاقة بين الاتحاد السوفياتي والحكومة البولندية في المنفى أصبحت أكثر الحاحاً ، خاصة وان الجيوش السوفييتية أخذت تتقدم نحو حدود بولندا لعام ١٩٣٩ . لكن الرجلين لم يدركا ماذا يدور بالضبط في ذهن الرئيس الأمريكي ـ أما هذا الأخير فكان يدرك انه لكي يبقى الأمل قائماً في امكانية استئناف العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والحكومة البولندية فلابد من تقديم تنازلات الى ستالين فيما يتعلق بمسائل الحدود.

من جانبه كان روزفلت مستعداً لمثل هذه التنازلات كذلك الحال بالنسبة لتشرشل للقبول بخط (كورزون) ، لكن المشكلة هي كيف يمكن اقناع الجالية البولندية القوية ذات المشاعر الوطنية الجياشة المقيمة في الولايات المتحدة باقتطاع أجزاء من الأراضي البولندية ؟ لهذا السبب وجد روزفلت وجوب معالجة هذه المسألة بكثير من العناية ما لم يكن مستعداً للتعهد علانية بهذه التنازلات فان الزعيم السوفييتي سيظل مصراً على موقفه تجاه الحكومة البولندية. أما بالنسبة لألمانيا ، فقد كانت الرغبة تحدو كلاً من روزفلت وتشرشل وستالين لأن يقف أحدهم على وجهات نظر الآخر بالنسبة لتسوية المشكلة مستقبلاً. كان تفكير روزفلت وستالين ازاء المشكلة الألمانية متماثلاً في واقع الحال ، فكلاهما يرى ان الألمان شعب خطير وانه لابد من تدمير المانيا مرة واحدة والى الأبد. أما تشرشل فكان هو الوحيد الذي يهمه الابقاء على نوع من توازن القوى في أوربا تكون المانيا طرفاً جوهرياً فيه.

كذلك كانت توجهات ستالين وروزفلت متماثلة ازاء المسائل العسكرية. فكلاهما يعتبر عملية العبور على انها ذات أهمية قصوى. كذلك كان الزعيم السوفييتي يسعى لحمل حليفيه الغربيين على مواصلة الضغط العسكري على المانيا ، لكنه لم يكن يرغب في ان تؤثر عمليات البحر المتوسط بشكل خطير على عملية العبور. أما بالنسبة لبولندا فكان يعلم ان الأوراق الرابحة ستصبح بين يديه عما قريب ، كذلك الحال بالنسبة لبقية دول أوربا الشرقية. كان ستالين مستعداً للاصغاء الى ما سيقوله الأمريكان والانكليز حول بولندا دون ان يرى سبباً يحمله على الأخذ بآرائهما. فلِمَ يعلقان كل تلك الأهمية على بولندا وهي مسألة حياة أو موت بالنسبة لروسيا ؟. أما بالنسبة لمسائل الشرق الأقصى. فللمارشال ستالين قائمة من الأهداف كتلك التي لروزفلت أهمها : ان يستعيد الروس نفوذهم في منشوريا وشمال الصين وهي أراضٍ خسرتها روسيا القيصرية لليابان في مطلع هذا القرن. لكن الشيوعيين الصينيين الذين لم يودهم ستالين وداً كبيراً. قد يقفون في طريقه ، أما (كاي شك) فعلى الرغم من كونه ضعيفاً إلا انه رجل يمكن التفاهم معه.

لعل الخطأ الذي وقع فيه روزفلت هو انه رأى في ستالين وطنياً روسياً أكثر من كونه زعيماً شيوعياً لكن الأخير جمع الصفتين معاً.

٢ - المؤتمر يوماً بعد آخر :

٢٧ - تشرين الثاني :

بعد قليل من وصول زعماء الدول الحليفة الى طهـران ، حدث الكثـير من الأخذ والرد حول المكان الذي سيقيم فيه روزفلت. كانت السفارتان السوفييتيـة والبريطانية تقعان الواحدة جوار الأخرى لا يفصلهما سوى شارع ضيق. أما البعثة الدبلوماسية الأمريكية فكانت تقع في مكان بعيد. ولكي يكون بوسع روزفلت ان يزور الزعيمين الآخرين ، او ان يزوره هذان الأخيران كان لابد من المرور في شوارع ضيقة مزدحمة بالناس في طهران بما ينطوي عليه ذلك من احتمال تعرضهما لمحاولة اغتيال. لذلك دعا كل من تشرشل وستالين الرئيس روزفلت الى الاقامة معه. لكن روزفلت كما رأينا لم يكن يريد ان يجرح شعور أي منهما باقامته عند الآخر. بعد ظهر هذا اليوم قام (دريفوس) وهـو وزير امـريكي بلا وزارة بـزيارة القـائم بالأعمـال السوفييتي (ماكسميوف) بعدها قام الأخير بزيارة روزفلت ليجدد له دونما شك الدعوة للاقامة مع ستالين. في هذا الأثناء وجد افريل هاريمان مساء اليـوم نفسه انـه من الضروري ان يقابل (مولوتوف) شخصياً لمزيد من التفاصيل. وقد نقل هاريمان الى وزير الخارجية السوفييتي اعتذار روزفلت ، موضحاً ان الانكليز قد يصابون بخيبة أمل إذا وافق على الاقامة مع ستالين في مقر اقامة هذا الأخير. بدا كما لو ان مولوتوف قد قبل بهذا الاعتذار ، وانتقل الى جناح ستالين في السفـارة السوفييتيـة لابلاغـه بالاعتذار ولينقل اليه الترتيبات التي اعدها هاريمان بالنيابة عن الرئيس الأمريكي بالنسبة لليوم الأول من المؤتمر. وتقضي هذه الترتيبات ان يجتمع الزعماء الثلاثة في مقر اقامة روزفلت (الذي كان آنذاك لا يزال في مبنى البعثة الدبلوماسية الأمريكية). على ان يزور ستالين روزفلت في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي ثم يعقد اجتماعاً بين روزفلت وتشرشل ورؤساء أركانهما في الساعة الرابعة ثم يلتقي الزعماء الثلاثة على مائدة العشاء في الساعة السابعة والنصف مساءً.

أبدى مولوتوف موافقته على هذه الترتيبات ثم استفسر من هاريمان ما إذا كان لدى الأخير جدول أعمال للمؤتمر وهذا سؤال لم يكن غير معقول ، فالواقع ان الأمريكيين هم الذين ألحوا على عقد هذا المؤتمر وبالتالي لابد ان يكون لديهم تصور عما يريدون أن يقولوه ويطرحوه للنقاش .

على أية حال أوضح هاريمان ان الرئيس روزفلت لم يكن يخطط لاجتماع رسمي له جدول أعمال معد وقرارات محددة ولكن مجرد اجتماع غير رسمي أولاً من شأنه ان يوفر للزعيمين فرصة التعرف على بعضهما واقامة علاقتهما على أساس شخصي ، ثم استطلاع كل منهما لما يدور في ذهن الآخر . قال هاريمان ان روزفلت يرغب أولاً في التشاور مع الزعيم السوفييتي في استراتيجية الحلفاء لدحر المانيا ومن ثم الانتقال الى الموضوعات السياسية كل حسب ما يرغب وبطريقة غير رسمية . لم يرق هذا الترتيب لـ (مولوتوف) كما يبدو رغم انه لم يظهر ما ينم عن ذلك . ولكنه لابد من ان يعرف ماذا سيقوله ستالين .

عندما انضم السفير البريطاني (كلارك كير) اليهما فيما بعد أثار (مولـوتوف) الموضوع ثانية ووجد ان الأخير أكثر انفتاحاً . فـ (كير) كدبلوماسي محترف اعتاد فقط على اجتماعات منظَّمة شأنه شأن وزير خارجيته ايدن . كذلك كان هذا رأي رؤساء الأركان ، ولابد من ان نذكر هنا ان الجنرالات الأمريكان كانوا قد اعدوا قائمة بالموضوعات التي إرتأوا ان يبحثها روزفلت مع ستالين بالاتفاق مع زملائهم الانكليز. وعد (كير) بأن يرى ما يمكنه عمله فعاد في الحال الى السفارة البريطانية لمناقشة الأمر مع (ايدن) و(كادغون) .

عندما زار (هاريمان) بنفسه مقر البعثة البريطانية بعد ان تناول طعام العشاء مع (روزفلت) وجد (ايدن) و(كلارك كير) «منهمكين في وضع جدول أعمال» . وقد أطلعه (ايدن) على قائمة بالموضوعات التي ينويان اثارتها ، بما في ذلك بعض المشكلات المتعلقة بعمل واختصاصات المجلس الاستشاري الايطالي ومن ضمنها مشكلة بولندا ، كان هاريمان قد حذّر روزفلت بالفعل بالحاح من (ايدن) و(هول) بأنه ما لم يُطرح موضوع بولندا على مؤتمر طهران ، فان الوضع البولندي «قد يفلت من الزمام» . لكن مسؤوليته الأولى (أي هاريمان) في التعامل مع الانكليز هي ان ينقل

اليهم ما يرغب به رئيسه. ولذلك راح يلقي محاضرة على محدثيه من الانكليز قائلاً «ان الرئيس روزفلت لم يقطع كل هذه المسافة الطويلة للوصول الى هنا لكي يخوض في هذا النوع من التفاصيل (إشارة الى المجلس الاستشاري الايطالي)، ولكن لكي يقيم علاقة شخصية مع ستالين ويبحث وإياه الخطوط العريضة لسياسات الحرب والسلام».

أحس (ايدن) و(كادغون) وهما الرجلان اللذان كانا يعتقدان انهما أكثر اطلاعاً على كيفية سير وعمل المؤتمرات الدولية، أحسا بشيء من الغيظ من هذه الملاحظة بالذات. وهكذا أصبحت المناقشة متسمة بنوع من الحدة. غير ان ايدن تراجع في النهاية بينما نهض هاريمان مستأذناً بالانصراف وهو يحس بالانهاك، وكانت الساعة قد شارفت على الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

أما السفير الأمريكي و(كلارك كير) فلم ينصرفا الى النوم ذلك انهما استدعيا فيما بعد لمقابلة (مولوتوف) رغم ان الصباح كان على وشك أن ينبلج. أبلغهما مولوتوف بوجود عملاء المان في طهران يخططون للقيام بتظاهرة معادية للحلفاء وربما لمحاولة اغتيال، لذلك طلب الى السفير الأمريكي ان ينقل الى الرئيس روزفلت رغبة الجانب السوفييتي في الانضمام اليهم في دار السفارة السوفييتية او ينتقل للاقامة في دار السفارة البريطانية إذا رغب.

نقل هاريمان، الفكرة في الحال الى رجال الأمن المرافقين للرئيس فوافقوا عليها. ثم أُبلغ روزفلت بالأمر فوافق هو الآخر. وهكذا، ما أن حل ظهر ذلك اليوم حتى كان روزفلت ومرافقوه قد انتقلوا الى الجناح المعد لهم في مبنى السفارة السوفييتية الواسعة.

كان (هاريمان) بصرف النظر عن النواحي الأمنية، يرى في وجود الزعماء الثلاثة في مكان واحد او أماكن متقاربة أمراً أكثر ملائمة لراحتهم فضلاً عن كونه عملياً. أما تشرشل فلم يغضبه انتقال روزفلت الى مبنى السفارة السوفييتية إدراكاً منه بأن المساحة الصغيرة للسفارة البريطانية غير مناسب لاستضافة الرئيس الأمريكي. وهكذا حُلَّ الموضوع بشكل ودي واجتمع روزفلت وتشرشل مع ستالين بعد ظهر ذلك اليوم تحت بصر رجال الشرطة السرية السوفييتية اليقظين.

كان من الواضح منذ البداية ان المؤتمر سيكون مثلما أراد له روزفلت أن يكون «غير رسمي وغير مفرط في الشكليات والمراسم» كما وصفه (كادغون) في مذكراته.

٢٨ تشرين الثاني: القرار العسكري الحاسم، مناقشة أولية لمشكلات فرنسا، بولندا والمانيا.

بخلاف ما توقعه البريطانيون والأمريكان فقد كان اليوم الأول للمؤتمر حاسماً بالنسبة للمسائل العسكرية. بدأ رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان عملهم لهذا اليوم بالاجتماع الصباحي المعتاد برئاسة الجنرال بروك الذي أدار الجلسة. وشأنه شأن تشرشل فان (بروك) الذي أمضى جانباً من الرحلة الى طهران وقد شغلته «صورة عمليات البحر المتوسط» أحس بأن عدم التوصل الى اتفاق انكلو ـ امريكي في مؤتمر القاهرة ستكون له آثار مدمرة على موقف الغرب في طهران. وكان يرى كما جاء في مذكراته ان الغربيين مقبلون نحو «مرحلة من الفوضى» خاصة بعد موقف الانكليز من عملية جزر (الاندمان). ولهذا طُلب الى الجنرال (اسماي) ان يستفسر من تشرشل ما إذا كان مستعداً في النهاية للموافقة على العملية في محادثة ثنائية شخصية بينه وبين الرئيس روزفلت.

على أية حال انتقل رؤساء الأركان الى مسألة دخول تركيا الحرب فوافقوا على رأي الجنرال بورتال بأن يُطلب الى الأتراك الاسراع في اتخاذ الاستعدادات والاجراءات التحوطية ضد غارات جوية المانية محتملة. كما أكد الجنرالات وجهة نظرهم السابقة بأن الاعلان الفعلي للحرب من جانب تركيا يجب أن يؤجل الى حين اكتمال استعدادات القوات الحليفة للمباشرة بعملية جزيرة (رودس) وانه لا ينبغي في هذه المرحلة ان تشترك القوات التركية في العملية. وطُلب الى الجنرال اسماي ان يضع مسودة مذكرة بهذه النقاط الى تشرشل. أما بالنسبة الى عملية العبور والبحر المتوسط فمع ان الأمريكيين وافقوا من حيث المبدأ على توحيد القيادة العسكرية في مسرح العمليات الأخير وقبلوا ببعض التأخير بالنسبة للعبور لكن المشكلة الأساسية

هي المدى الذي كان الانكليز قد خططوه لعملية رودس. وعندما قابل (بروك) و(اسماي) تشرشل عقب الاجتماع، كان الأخير في وضع صحي سيء. فقد كان يعاني من البرد والتهاب في الحنجرة. وكان بروك يسعى الى حمل رئيس الوزراء على القبول بحل وسط يربط عمليات رودس وإيطاليا وجزر (الاندمان) بجدول زمني واحد. لكن تشرشل ظل متمسكاً بموقفه المعارض لعملية جزر (الاندمان) مبرراً ذلك بعدم توفر الامكانات العسكرية وخاصة معدات الانزال للقيام بالعمليتين في آن واحد.

رغم ان (أفريل هاريمان) آوى الى فراشه متأخراً في الليلة السابقة إلا انه نهض مبكراً واجتمع مع هوبكنز والجنرال اسماي في مقر البعثة الأمريكية. ويبدو ان الرجلين استطاعا اقناعه بأن على روزفلت ان يتحرك، غير ان هذا الأخير، ومع ان تشرشل كان قد طلب موعداً لمقابلته، ظل مصمماً على ان يتم لقاؤه الأول مع ستالين بل ذهب به الأمر انه أبلغ ستالين بأنه فضل مقابلته أولاً على حليفه البريطاني!

ليس هذا وحسب فروزفلت كان هذه المرة مصمماً ان لا يستدرجه أحد ثانية الى مناقشة عمليات شرق البحر المتوسط مع تشرشل، وبالفعل فقد اعتذر بأدب عن مقابلة الأخير، دون أن يشعر هذه المرة بشيء من الاحراج.

ربما وجد تشرشل ان رد فعل قوي على روزفلت لن يجدي فتيلاً هذه المرة، فراح يتبع أسلوب «الممازحة» قائلاً انه سيحتفل بعيد ميلاده التاسع والستين في الثلاثين من تشرين الثاني وهذه فرصة لابد من اقتناصها لدعوة حليفيه الأمريكي والسوفييتي. لمأدبة عشاء يقيمها بالمناسبة.

قبل ان ينتقل روزفلت الى مقر اقامته الجديد اجتمع مع رؤساء الأركان الأمريكان في مقر البعثة الدبلوماسية الأمريكية بحضور (هوبكنز) ودار البحث حول نقطة واحدة او بالأحرى سؤال واحد هو ماذا سيكون موقفنا لو ان الروس طالبوا بالقيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق في البحر المتوسط في فترة الستة أشهر القادمة التي تسبق عملية العبور؟

جاء جواب رؤساء الأركان بسيطاً كبساطة السؤال، لا بد إذن من دعم خطط الجنرال آيزنهاور فيما يتعلق بالحملة العسكرية في إيطاليا. غير ان الادميرال ليهي كان

حدياً الى درجة انه طالب بأن يختار الانكليز بين أمرين لا ثالث لهما أما عملية العبور واما عمليات البحر المتوسط ! وتدخل الجنرال (مارشال) بما عُرف عنه من حصافة في الرأي ليقترح ان تمضي عملية الانزال البرمائي الهادف الى استعادة روما ، وهي العملية المسماة بـ (شنغل) وكذلك عملية (رودس) كما هو مخطط لهما مع تأجيل موعد عملية العبور مدة شهرين. غير ان هذا لم يكن جوهر المسألة ، فالخوف من اتساع نطاق عمليات البحر المتوسط الى الدرجة التي تجعل من عملية العبور ثانوية هو ما يهم قبل كل شيء. أثار روزفلت خلال الاجتماع مسألة دخول تركيا في الحرب وما سيترتب عليه ربما لاعتقاده بأن ستالين سيلح على هذه النقطة بالذات. كان الجنرال (مارشال) حازماً ازاء هذا الموضوع ، فقد قال «ربما يكون لدى الانكليز ما يكفي من القوات في الشرق الأوسط لاستخدامها في عملياتهم ، غير ان الأمريكيين لا يمكن ان يسحبوا أية قوات او امكانات عسكرية مخصصة أساساً لعمليات العبور والحملة الايطالية ، للمساهمة في العمليات التي سيقوم بها الانكليز. عاد روزفلت ليقول انه لا يعلم كيف سيكون بمقدور الانكليز الضغط على الأتراك لتغيير موقفهم الحذر والممانع. تدخل مارشال ليقول اما بالنسبة للرأي القائل ان استخدام مضيق الدردنيل كطريق للامدادات المرسلة الى الروس سيكون ذا فوائد جمة ، فان لديه من التقارير ما يؤكد ان ستة أشهر يجب ان تمضي على الأقل قبل أن يكون في الامكان التحول عن خط الامدادات الحالي الى روسيا عبر إيران.

انتقلت المناقشة لتشمل إيطاليا فلو نجحت فرضاً عمليات الانزال البرمائية وتمكن الجنرال آيزنهاور من استعادة روما والوصول بسرعة الى خط (بيسا ـ ريميني) فما هي يا ترى الخطوة التالية ؟ إذا تلقى آيزنهاور الأوامر بالتحول الى الموقف الدفاعي على الجبهة الايطالية فسيكون بالمستطاع استخدام بعض من قواته لهذا الغرض او ذاك. فإما ان تستخدم مثلاً في شن عملية انزال برمائية على جنوب فرنسا ، أو توجيه هذه القوات نحو الشرق لاسناد القوات السوفييتية المتقدمة نحو البلقان. يبدو ان الاختيار الأخير كان يعتمد تماماً على موقف السوفييت. عاد الجنرال مارشال ليقول ان «عمليات محدودة النطاق» على الساحل الادرياتيكي هي أأمن التزام يمكن القيام به في الحالة الثانية بدلاً من أية محاولة للتوغل بعيداً باتجاه الشمال صوب (لوبليانا)

(هذه المدينة هي الآن عاصمة جمهورية سلوفينيا اليوغسلافية). يبدو ان مارشال كان يخشى ان تؤدي «عمليات مغامرة» الى حملة كبيرة على حساب الهدف الرئيس (عملية العبور). ثم تابع يقول انه لدى الجنرال آيزنهاور خطط بديلة لتطور الحملة الايطالية باتجاه الشرق أو باتجاه الجنوب نحو فرنسا. وهكذا لم يترك رئيس الأركان الأمريكي أي شك في أذهان سامعيه عن أي احتمال كان يقصد بالذات.

المعروف عن روزفلت انه نادراً ما كان يتجاهل آراء الجنرال (مارشال)، وهكذا كان الحال في هذه المرة أيضاً إذ قال «ان عمليات الادرياتيكي هي في أسوأ الأحوال أفضل من مغامرات تشرشل في شرق البحر المتوسط. وإذا تكللت هذه الأخيرة بالنجاح فمن يضمن ان الانكليز لن يطالبوا بغزو اليونان أيضاً».

كانت مسألة توفير معدات الانزال البرمائية تشغل بال الجميع، عندما طُرحت عملية جزر (الاندامان) حيث تحدث الجنرال كنغ قائلاً «انه إذا أُريد تهيئة العدد اللازم من هذه القطع لعمليات شرق البحر المتوسط فينبغي الاستعانة بتلك المخصصة لعملية العبور وليس من القطع المعدة لعملية (الاندامان) أو من الحشد البحري في المحيط الهادي». ثم راح كنغ يدعم موقفه برأي سبق لرؤساء الأركان المشتركة ان تجاهلوه حول امكانية تبادل معدات الانزال بين مختلف مسارح العمليات، ذلك انه ليس عملياً الاتفاق سلفاً على تخصيص معدات انزال لعملية ما، لاستخدامها في عملية لاحقة بمجرد الانتهاء من الأولى لأن بعضاً من هذه القطع تكون إما قد غرقت أو أصيبت بأضرار.

تحدث روزفلت ليقول «سواء وافق تشرشل أم لم يوافق فقد أعطيت تعهداً للصينيين ومن غير المناسب ان اتراجع عنه». أما مارشال فقد أعاد الى ذاكرة المجتمعين بأن تشرشل سيقاوم عملية (الاندامان) بكل ما أوتي من قوة، ثم أضاف ان الانكليز يرون ان العملية غير سليمة عسكرياً وان دوافعها السياسية مشكوك فيها كذلك. (كان هذا إشارة الى ان الدافع الذي حدا بالأمريكيين الى القيام بها هو تنفيذ الوعود التي قطعوها للصينيين في مؤتمر القاهرة). تأييداً لوجهة نظر الرئيس روزفلت، تابع الجنرال (مارشال) كلامه قائلاً «مهما كانت آراء الانكليز فهذه

العملية ستكون ذات فوائد عسكرية للولايات المتحدة ، مشيراً الى ان رؤساء الأركان الأمريكان يعتبرون عملية (رودس) التي يسعى اليها تشرشل على انها هي الأخرى ذات دوافع سياسية (إشارة الى رغبة الانكليز في تعزيز نفوذهم في تلك المنطقة فيما بعد الحرب). وفي ختام الاجتماع عاد روزفلت ليطمئن جنرالاته بأنه سيتحاشى ان يُستدرج الى أية مناقشة مع تشرشل عن مميزات كل من عمليتي (الاندامان) او (رودس) ثم انتهى الى النقطة التي كانت تشغل بال مستمعيه وتنحصر في السؤال التالي ، ما هو الحد الذي سيذهب اليه ستالين في الضغط على الحلفاء لتخفيف الزخم الألماني على الجبهة الروسية من الآن وحتى بدء عملية العبور وفي أي مكان بالذات يريد من الحلفاء ان يعملوا ؟ هذا السؤال كما سنرى أجاب عليه الزعيم السوفييتي بشكل ادخل الارتياح الى نفوس الأمريكيين.

لم يكن الرئيس روزفلت حتى الآن قد اطلع جنرالاته على عزمه الاجتماع على حدة مع ستالين بعد ظهر اليوم ربما لأن موعد الاجتماع لم يكن قد تحدد بالضبط بانتظار انتهاء اجتماع الرئيس الأمريكي مع جنرالاته.

ما ان انتهى الاجتماع وانتقل روزفلت الى مقره الجديد حتى اجتمع على حدة ولأول مرة مع ستالين بحضور مترجمين اثنين فقط. ولعله لهذا السبب فان الوثائق الأمريكية حول مؤتمر طهران لم تضم إلا معلومات هامشية فقط عن الاجتماع (في حين ان الوثائق السوفييتية المنشورة عن المؤتمر لم تشر اليه على الاطلاق).

على أية حال يبدو ان المحادثة التي دارت بين الاثنين كانت من النوع «الغريب والمفكك» ولا يسع المرء إلا ان يتساءل ما هو الشيء الذي خرج به ستالين منها. فبعد ان تبادل الرجلان كلمات المجاملة المعتادة ، انصرفا الى بحث الموقف العسكري. حيث عرض ستالين على الرئيس روزفلت آخر الأنباء التي وصلت اليه عن سير القتال على الجبهة الروسية وهي أنباء لم تكن سارة كتلك أسفرت عنها معارك الصيف. فقد مُني الروس بنكسة نتيجة للهجمات الألمانية المضادة ، وخسروا بلدتين كما ان الألمان يحاولون احتلال (كييف) عاصمة اوكرانيا. وأوضح الزعيم السوفييتي لمحدثه ان هذا التطور قد جعل من الضروري اعادة تجميع وحشد القوات السوفييتية على تلك الجبهة بما يضمن القيام بعمليات هجومية جديدة في اللحظة المناسبة ، مشيراً الى ان

القوات السوفييتية ستجتاز عما قريب الحدود البولندية. لم يعلق روزفلت على ذلك بشيء باستثناء إشارة بسيطة الى ان الولايات المتحدة سترسل بعد الحرب الى روسيا عدداً من السفن التجارية الفائضة عن حاجتها. ثم انتقل الى عمليات جنوب شرق آسيا نزولاً على ما يبدو لمشورة رؤساء الأركان الأمريكان الذين كلفوا الرئيس بأن يعرض على الزعيم السوفييتي صورة كاملة لحجم العمليات التي يقوم بها الانكليز والأمريكان في الشرق الأقصى مع الاشارة الى انه في الوقت الذي يقاتل فيه الغربيون هناك، فان الروس لم يساهموا في المجهود الحربي هناك بعد، وذلك بهدف الوقوف على رأي ستالين ازاء حكومة (كاي شك) أولاً وإفساح الطريق أمام مناقشة العلاقات السوفييتية ـ الصينية والأهداف السوفييتية في الشرق الأقصى ثانياً، ولتذكير ستالين بالأهمية التي يعلقها الأمريكيون على مساهمة الاتحاد السوفياتي المستقبلية في المجهود الحربي للشرق الأقصى.

لا يمكن القول ان استجابة ستالين كانت مشجعة. ذلك انه كان كما يبدو مستهيناً بالمجهود العسكري الذي يقوم به الصينيون ومستصغراً لنظام (كاي شك). بعدها انتقل روزفلت الى موضوع آخر، كانت النوايا السوفييتية تجاهه غير واضحة بل تبعث على القلق، ذلك هو موضوع فرنسا في ضوء المشكلة التي قال اننا عانيناه سوية مع الجنرال ديغول حول لبنان. جاءت استجابة ستالين ازاء هذا الموضوع كما يتمناه روزفلت في عدم أهلية ديغول لتمثيل فرنسا. وهكذا اتفق الأثنان على ان فرنسا «الحقيقية» هي فرنسا (بيتان) التي تعاونت مع النازيين وينبغي ان تتحمل نصيبها من نتائج الحرب. مع ذلك فان نظرية تشرشل القائلة بأن فرنسا يمكن ان تصبح عما قريب دولة كبرى لم تكن موضع تنازع. غير ان روزفلت اتفق مع ستالين على ان الهند الصينية لا ينبغي ان تعاد الى السيطرة الفرنسية. ثم انتقل الجانبان الى بحث موضوع الاستعمار بوجه عام وهنا أكد ستالين عن الحاجة الى مكافحة اليابانيين بكل الوسائل العسكرية والسياسية.

كان اليابانيون قد اعطوا بعض المناطق التي استولوا عليها نوعاً من الحكم الذاتي او الادارة المحلية، فهل يُعقل بعد الآن ان يعيدهم الحلفاء الى الحكم

الاستعماري ثانية ؟ . هنا أعاد روزفلت الى ذاكرة ستالين ما سبق وان اقترحه وزير خارجيته (هول) في موسكو بتطبيق مبدأ الوصاية على تلك المناطق تمهيداً لحصولها على الاستقلال بأسرع ما يمكن ، على ان تتولى المنظمة الدولية التي ستنشأ بعد الحرب (الأمم المتحدة) تطبيق هذا المبدأ وضربَ مثلاً على ذلك الطريقة التي عالجت بها الولايات المتحدة موضوع الفلبين . ورغم ان روزفلت كان صريحاً في معارضته لعودة النفوذ الاستعماري الى المناطق التي سيُرغم اليابانيون على الرحيل عنها إلا انه لم يكن حازماً بالنسبة للمطالب السوفييتية في الشرق الأقصى ، ربما لأنه لم يكن مدركاً للنتائج الخطيرة التي سيتعرض لها ميزان القوى الدولي نتيجة للتغييرات المتوقعة في الخارطة الآسيوية .

على أية حال كان اللقاء الأول بين زعيمي أكبر دولتين في معسكر الحلفاء مسألة تبعث على الاستغراب بعض الشيء ، ربما لأن روزفلت كما روى نجله (اليوت) لم يكن يريد ان يعطيه طابع الجدية ، وكل الذي أراده من اللقاء ان يكون فرصة لكي يتعرف كل منهما على الآخر ليس إلا . كل الذين عرفوا ستالين وتعاملوا معه يقرون بأن الرجل كان ذا شخصية قوية جداً (ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لروزفلت) ولعله لهذا السبب يمكن للمرء ان يخرج بانطباع ان الزعيم السوفييتي بما يملكه من دهاء وقوة وفكر عسكري من أعلى طراز ، قد وجد في محدثه ما يثير الاستغراب حقاً ، ولعل روزفلت قد وجد في الزعيم السوفييتي رجلاً يملك الصفات التي ذكرناها . رغم ان روزفلت لم يصرح بشيء عن لقائه مع ستالين ، إلا ان مذكرات نجله (اليوت) ، تقول انه قد تأثر بشخصية محدثه حيث نسب اليه قوله «أعتقد ان عدم الثقة التي كانت قائمة بيننا في الماضي هي الآن في طريقها الى الزوال» .

والآن ماذا بشأن انطباعات ستالين الأولية عن روزفلت . نعود لنقول انه لا يوجد في الوثائق المحفوظة عن تلك الفترة ما يمكن ان نستند اليه لمعرفة تلك الانطباعات باستثناء ما جاء في مذكرات أحد زعماء المقاومة اليوغسلافية وهو (ميلوفان جيلاس) الذي يقول ان ستالين الذي كان يثق بروزفلت «أكثر بقليل» مما يثق بتشرشل قد تشجع كثيراً لما لمسه من وجود هوة كبيرة بين تفكير الرئيس الأمريكي والزعيم البريطاني . وانه إذا لم يكن روزفلت يلعب لعبة غاية في الدهاء في

حديثه عن فرنسا ، فهو إذن مستعد كما يبدو لأن يرى فرنسا ضعيفة على الدوام ، وان نفوذ بريطانيا كدولة عظمى قد تقلص الى أدنى حد ممكن على الأقل في آسيا.

أما الاهتمام الذي أبداه «بالعلاقة السوفييتية ـ الأمريكية الوطيدة» فلربما جعلت ستالين يعتقد ان الرئيس الأمريكي إنما كان يشير بشكل او بآخر الى مشاركة سوفييتية ـ امريكية في السيطرة على العالم فيما بعد الحرب. غير انه من الصعب الاعتقاد ان الزعيم السوفييتي كان يفكر في نوع من العلاقة الصميمية القائمة على التعاون بين أمريكا الرأسمالية وروسيا الشيوعية كتلك التي كان روزفلت يرغب بها.

استغرق اجتماع الرجلين ثلاثة ارباع الساعة ، بعدها وفي الساعة الرابعة عُقدت الجلسة الموسعة الأولى. وقد حضرها عن الجانب السوفييتي الى جانب ستالين كل من مولوتوف وفورشيلوف. اما عن الجانب البريطاني فقد حضرها الى جانب تشرشل كل من ايدن ورؤساء الأركان الانكليز. اما من الجانب الأمريكي فقد حضرها اضافة الى روزفلت كل من (هوبكنز) والادميرال (ليهي) والجنرال كنغ و(دين) رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو.

كان هذا الاجتماع حاسماً كما سنرى ، بقدر تعلق الأمر باستراتيجيات الحلفاء. كان ستالين وتشرشل قد وافقا ان يترأس روزفلت الجلسة ، وقد افتتح هذا الأخير المناقشة بكلمة أشار فيها الى حقيقة ان الأمريكان والبريطانيين يقاتلون على جبهتين تفصل ما بينهما مسافات شاسعة ، مشيراً الى حرب الاستنزاف البحرية التي يخوضانها ضد اليابان. ثم انتقل الى الصين فأكد بأن الحملة على بورما تهدف في المقام الأول الى ابقاء الصينيين في الحرب ، وان القوات التي ستشترك فيها تسعى الى اعادة فتح طرق الامدادات البرية الى الصين ، وان الحلفاء الغربيين يخططون لتشديد الغارات الجوية على المواقع اليابانية في مسرح العمليات هذا. ثم أضاف ولكن بحذر (نظراً لأن تشرشل كان يستمع اليه) ، ليقول «كما ان عمليات الانزال البرمائي في هذه المنطقة هي الآن قيد الدراسة».

بعد ذلك انتقل روزفلت الى مسرح العمليات الأوربي والموضوع الرئيس عملية العبور ، مشيراً الى الموعد المضروب لها وهو شهر أيار من عام ١٩٤٤ وأخيراً

معرباً عن رغبة الأمريكان والانكليز في تقديم كل المساعدة الممكنـة الى حلفائهم السوفييت عن طريق تشديد الضغط على الألمان في البحـر المتوسط وفي سـواه من مسـارح العمليات ، ولكن المشكلة تنحصـر في توفـير معدات الانـزال من سفن وغيرها ، ذلك ان معظم العمليات المخطط القيام بها في هذه القواطع تتطلب انزالاً برمائياً للقوات ، ولهذا السبب فان جهداً عسكرياً واسع النطاق في البحر المتوسط ربما يؤدي الى التخلي عن عملية عبور القنال. وهناك عمليات أخرى أصغر حجماً سينبغي تأجيلها مدة تتراوح بين الشهر والثلاثة أشهر.

الخيارات العسكرية المحتملة ، كما أشار الرئيس روزفلت تشتمل على تشديد الضغط على الألمان في إيطاليا واقامة رأس جسر على الساحل الادرياتيكي ليوغسلافيا ومهاجمة المواقع الألمانية في بحر إيجه ، وهي جميعاً نقاط كان الرئيس الأمريكي يريد الوقوف على وجهات نظر المارشال ستالين تجاهها. وأي منها بالذات يمكن ان يخدم الجهد العسكري السوفييتي.

اختتم روزفلت حديثه بالقول انه شخصياً يعتبر عملية العبور أكثر العمليات فعالية في مساعدة الاتحاد السوفييتي ولذلك فإذا كان لابد من تأخيرها فليكن التأخير لأقل فترة زمنية ممكنة. بهذه الملاحظة أحس رؤساء الأركان الأمريكان بأن الرئيس روزفلت لم يعبّر عن وجهات نظرهم كما ينبغي. كما ان تشرشل من جانبه استنتج من حديث حليفه الكبير ، انه كان يعتبر عمليات البحر المتوسط ثانـوية بـالقياس الى عملية العبور. ولكنه فضّل التريث في ابداء ملاحظاته الى ما بعد انتهاء المارشال ستالين من كلامه أمام الجلسة. (كانت هذه غلطة تكتيكية ارتكبها تشرشل.. لكنه مع هذا كان يأمل في ان يلقى التأييد من ستالين لموقفه).

بالامكان القول انه إذا كانت هذه الجلسة الموسعة هي الجلسة الحاسمة من مؤتمر طهران بالنسبة الى استراتيجية الحلفاء المستقبلية ، فان هذه اللحظة التي نحن فيها هي أكثر اللحظات حسماً في الجلسة. بشعور من القلق الممزوج بالأمل ، راح الأمريكان والبريطانيون يترقبون ما سيقوله المارشال ستـالين ، فـالرئيس روزفلت باشارته الواضحة الى تناقص الامكانات العسكرية الأمريكية نتيجة للحرب ضد اليابانيين ، كان قد فتح الباب أمام الزعيم السوفييتي ضمناً لكي يؤكد هذا الأخير او

يتراجع عن الوعد الذي سبق وان قطعه في موسكو بأن بلاده ستدخل الحرب أخيراً ضد اليابان. كما ان روزفلت بعرضه الخيار بين عملية العبور وعمليات البحر المتوسط قد دعا ستالين الى المساهمة في حسم الموضوع بشكل او بآخر.

بدأ المارشال ستالين حديثه بالاجابة عن السؤال الأول قائلاً انه طالما ظلت الحرب مع المانيا مستمرة، فلابد من ابقاء القوات السوفييتية في الجبهة الشرقية في وضع دفاعي لائق، ولو قررنا نقل هجومنا ضد اليابان فسيترتب علينا ان نزيد عدد هذه القوات الى ثلاثة أمثال ما هي عليه الآن. ولكن إذا هُزمت المانيا فسيكون بوسعنا تعزيز قواتنا في الشرق الأقصى. بعد ذلك عاد ستالين ليجدد الوعد بأن الاتحاد السوفييتي سيدخل الحرب ضد اليابان بعد ان تكون المانيا قد هُزمت (هذه الملاحظة الأخيرة، حذفت من السجلات السوفييتية عن تلك الفترة لأسباب ربما يدركها الذين حذفوها فقط).

بعد ان ادخل ستالين الارتياح الى صدور مستمعيه الأمريكان بهذا التطمين. راح يقدم لهم وصفاً عن العمليات الجارية على الجبهة الروسية، تماماً كما فعل في لقائه الثنائي مع روزفلت. ثم انتقل الى الموضوع الرئيس (البحر المتوسط وعملية العبور) ليسدد «رصاصة الرحمة» الى ما تبقى من آمال تشرشل قائلاً ان الروس لم ينكروا قط ما للحملة الايطالية من قيمة، لكن تلك القيمة تمثلت أساساً في فتح البحر المتوسط وتحرير كثير من سفن الحلفاء، ثم ان إيطاليا وبسبب وجود جبال الألب لا تصلح لأن تكون طريقاً برياً مناسباً نحو قلب المانيا، وكذلك الحال بالنسبة لدول البلقان، فهي بعيدة جداً عن المانيا. لكن فرنسا وهي أقرب المناطق الى قلب المانيا فيمكن ان تكون أفضل طريق للزحف نحو قلب المانيا، لذلك فان عملية عبور القنال هي أفضل الخيارات التي طُرحت، خاصة إذا ما تم اسنادها بانزال للقوات في جنوب فرنسا.

ما قاله ستالين هو بالضبط ما كان يريده الأمريكان ان يقوله، وربما أدرك تشرشل في هذه اللحظة بالذات انه يخوض معركة خاسرة يقف فيها كل شيء بوجهه. مع ذلك لم يرتدع ودخل المناقشة وهدفه الرئيس هو تحدي الفكرة التي روجَ

لها روزفلت طويلاً عما أسماه بالتضارب بين عملية العبور وعمليات البحر المتوسط ، وذلك عن طريق اثبات العكس. فقد قال ان الاثنتين تكمل إحداهما الأخرى ذلك انه إذا كان الهدف انهاك المانيا فان تشديد الضغط على الألمان في البحر المتوسط هو الذي سيضمن نجاح عملية العبور. ثم أضاف تشرشل «لقد اتفقنا تماماً على ان تتم عملية العبور في ربيع او أوائل صيف ١٩٤٤ وهذه مسألة لا تحتاج الى النقاش. وسوف يُزج بخمس وثلاثين فرقة عسكرية أمريكية وانكليزية في المرحلة الأولى من العملية ، ترتفع فيما بعد الى ما يتراوح بين خمسين وستين فرقة ، مؤكداً ان بريطانيا ستلعب دورها كاملاً في المرحلة الأولى رغم ان التعزيزات اللاحقة للعملية ستأتي من الولايات المتحدة ، وفي هذه المرحلة سيتم انزال قوات بحجم القوات الألمانية التي تستهدفها العملية ، وبعد ان تستقر القوات الحليفة في مواقعها الجديدة يجري تعزيزها بقوات اضافية تدريجياً. ثم تابع تشرشل حديثه بالقول «على افتراض ان عملية العبور ستتم في موعدها المبكر وهو الأول من ايار عام ١٩٤٤ فان هناك فترة ستة أشهر تفصل ما بين يومنا هذا وموعد العملية ، وهذه الفترة كافيه للقيام بعمليات البحر المتوسط باعتبارها حجر الزاوية لعملية العبور وليست «المسرح الرئيس للعمليات» ثم اضاف «وفي خلال هذه الفترة أي الستة أشهر القادمة ، لا يمكن لنا أن نجلس مكتوفي الأيدي بانتظار عملية العبور ، فأمامنا في إيطاليا هدف كبير هو استعادة روما التي آمل ان نتمكن من اقتحامها في القريب العاجل ثم الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني)».

ليس لدى البريطانيين كما قال تشرشل أي خطط معدة لغزو النمسا من إيطاليا ولم يقترحوا رسمياً ارسال قوات كبيرة الى البلقان رغم انهم تواقون الى شد أزر حركة المقاومة اليوغسلافية التي يقودها (تيتو). ولو تمكنت القوات الحليفة بعد الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) من اتخاذ مواقع دفاعية فيها فان جانباً من القوات المتواجدة في إيطاليا يمكن استخدامها في عمليات برمائية على الساحل الادرياتيكي كما سبق للرئيس روزفلت ان أشار.

ليس هذا حسب فان ميزات عسكرية كبيرة سيمكن الحصول عليها لو تمكنت

القوات البريطانية من اجتياح الالمان في مجموعة الجزر اليونانية ، أولها فتح بحر إيجه ومضيق الدردنيل أمام الأساطيل الحليفة ، وهذا سيسهل بالتالي استدراج تركيا الى دخول الحرب ضد المانيا. كما ان وقع عملية كهذه سيكون كبيراً على دول تسير في فلك المانيا كرومانيا وبلغاريا ، وسيكون لها مردوداً كبيراً في اسناد حركات التحرير في يوغسلافيا واليونان وقد يدفعهم ذلك الى القيام بعمليات كاسحة ضد الألمان في شبه جزيرة البلقان برمتها.

كل هذه الأهداف يمكن بلوغها ، كما قال تشرشل دون الاستعانة بالامكانات العسكرية المخصصة لعملية العبور باستثناء فرقتين او ثلاث فرق عسكرية بريطانية مع ما يكفيها من الغطاء الجوي ، وهذه الفرق متواجدة في مصر والشرق الأوسط ولا يمكن استدعاؤها للمشاركة في عملية العبور بسبب عدم توفر القطع البحرية. لماذا لا نستخدمها في عمليات المتوسط إذن ؟

وضع تشرشل هذا السؤال أمام ستالين وهو ينتظر ان يتلقى عليه جواباً مختلفاً تماماً عن ذلك الذي تلقاه روزفلت عندما طرح أسئلته على الزعيم السوفييتي. ثم تساءل رئيس الوزراء البريطاني «أليست هذه العمليات وما سيترتب عليها من فوائد كافية لاثارة اهتمام الاتحاد السوفييتي بالشكل الذي يجعله يحبذ تأخيراً لن يزيد على شهرين أو ثلاثة أشهر لعملية العبور ؟ ثم كيف يمكننا ان نحمل الأتراك على دخول الحرب ما لم نحقق الأهداف التي ذكرتها آنفاً ؟

تدخل روزفلت في النقاش بشكل أثار «الذعر» لدى الوفد الأمريكي نفسه بقوله «لقد فكّرنا بالقيام بعملية عسكرية على الساحل الادرياتيكي هدفها اقامة نقطة اتصال مع حركة الأنصار (البارتيزان) التي يقودها «تيتو» ، ومن ثم التوغل الى الشمال الشرقي صوب رومانيا للالتقاء مع الجيوش السوفييتية الزاحفة من ميناء (اوديسا). في هذه الأثناء كان هوبكنز يسلّم الى كنغ الجالس الى جواره خلسة ورقة كتب عليها «من هو يا ترى الذي يروج لفكرة الادرياتيكي التي أشار اليها الرئيس ؟». رد (كنغ) وقد تملكته الدهشة هو الآخر بورقة مررها الى هوبكنز «بقدر ما أعلم فالفكرة هي فكرة الرئيس نفسه».

أما تشرشل الذي شعر بالارتياح للطريقة التي عالج بها روزفلت عملية

العبور ، فقد اندهش من الملاحظة الأخيرة حول الادرياتيكي . ولعله بسببها أيضاً كتب تشرشل في مذكراته يقول «إن الرئيس روزفلت كان ينتقل دونما ضوابط بين هذا الموضوع وذاك أثناء المناقشة» .

التفت ستالين الى تشرشل مستفسراً عن تأثير العمليات العسكرية المختلفة التي استمع اليها على عملية العبور خاصة فيما يتعلق بالقوات المخصصة لكل منها . ثم تساءل هل سيكون لتطور تلك العمليات تأثير كبير على هذه الأخيرة . من ناحية حجم القوات التي ستزج فيها ؟ أجاب تشرشل بالنفي ، ثم قال لقد تم بالفعل سحب سبع فرق عسكرية من إيطاليا لعملية العبور . اما التعزيزات اللاحقة فستأتي من الولايات المتحدة . وبكل دهاء عاد المارشال ستالين ليسأل ما إذا كانت عمليات استعادة روما والانزال في جنوب فرنسا والادرياتيكي ، هي عمليات متفق عليها ومخطط لها . أجاب تشرشل «ليست هناك خطط معينة لعمليات جنوب فرنسا بالذات وكل ما في الأمر انه والرئيس روزفلت بحثا مختلف الاحتمالات والخيارات» .

وجواباً على سؤال آخر من الزعيم السوفييتي كرر تشرشل القول انه إذا أُدخلت تركيا الحرب فسيكون بوسع بريطانيا ان تسحب فرقتين أو ثلاثاً من قواتها العاملة في الشرق الأوسط لدعم عملية مهاجمة الألمان في مجموعة الجزر اليونانية .

حول هذه النقطة بالذات (أي مدى محدودية هذه العملية الأخيرة) كانت شكوك رؤساء الأركان الأمريكان تتركز وربما كانت لستالين هو الآخر شكوك ازاءها .

مهما كان الأمر فقد بدأ الزعيم السوفييتي «هجومه الحاسم» قائلاً «هذه استراتيجية غير حكيمة» عاكساً بذلك وجهة النظر الأمريكية المعارضة لبعثرة القوات الحليفة في عمليات هنا وهناك في مسرح البحر المتوسط . ثم أضاف ان عملية العبور هي أفضل سبيل لمهاجمة الألمان وان كل ما عداها يأتي في مرتبة ثانوية ثم انه سيكون من الأفضل استخدام الفائض من القوات المرابطة في إيطاليا في عملية انزال في جنوب فرنسا قبل الشروع بعملية العبور ذلك ان «استراتيجية سليمة» تقتضي مهاجمة العدو في نقاط ضعفه . أما بالنسبة لمحاولة استعادة روما من الألمان فهي أقل أهمية من سابقتها . وفيما يتعلق بتركيا فقد شكك ستالين بأنها ستدخل الحرب ضد المانيا رغم انه يتمنى ذلك .

هنا تدخل روزفلت في المناقشة قائلاً «لو كنت مكان الرئيس التركي «عصمت اينونو»لطلبت ثمناً باهضاً لدخولي الحرب». انضم تشرشل بعد ذلك ليقول انه لا يعارض في القيام بانزال في جنوب فرنسا بل يقبل ان تظل تركيا «على عنادها» بعدم دخول الحرب الأمر الذي سيحد من عمليات شرق البحر المتوسط ، لكن الرأي العام الانكليزي سيسأل عن السبب الذي سيحول بينا وبين استعادة روما بعد كل تلك الجهود العسكرية والقتال الذي خضناه في إيطاليا ؟ ومهما يكن من أمر فان الحلفاء بأمس الحاجة الى القواعد الجوية الواقعة الى الشمال من روما لاسناد غزوهم المحتمل لفرنسا كما انه شخصياً لا يحتمل ان تبقى كل تلك القوة البريطانية الهائلة في عموم منطقة البحر المتوسط «عاطلة عن العمل» خلال هذه الفترة الحرجة من الحرب :

من الواضح ان الزعيم البريطاني كان يوجه كلامه الى ستالين بالذات. غير ان روزفلت بعد ان أصغى بكل انتباه الى حديث تشرشل اقترح ان يلتقي رؤساء الأركان في اليوم التالي لوضع الخطوط اللازمة للانزال في جنوب فرنسا كخطوة تمهيدية لعملية العبور.

عاد تشرشل دون رغبة منه للاقرار بهزيمته مصراً على ان يكون موضوع تركيا من بين المسائل المطروحة على اجتماع رؤساء الأركان قائلاً إذا كان الأتراك لا يريدون دخول الحرب فليقولوا لنا على الأقل ما يمكن ان يساهموا به في مجهودنا الحربي.

أصبح واضحاً للمارشال ستالين ان الأتراك لا يريدون دخول الحرب لذلك عاد ليقول هذه مسألة أرى ان يتولاها البريطانيون والأمريكان، فهذه مسؤوليتهم ثم وافق ستالين «ولكن بتمنع» على ان يجتمع رؤساء الأركان غداً مشيراً انه وللأسف لم يحضر معه من العسكريين السوفييت ما يمكنه من حضور الاجتماع ، ومع هذا فان (فورشيلوف) سيحضر وسيفعل كل ما في وسعه». وهكذا أُتفق على ان يُعقد الاجتماع في الساعة العاشرة والنصف من صباح الغد يحضره عن الولايات المتحدة كل من الجنرال مارشال والادميرال «ليهي» وعن بريطانيا كل من بروك وبورتال وعن روسيا فورشيلوف، على ان تُعقد الجلسة التالية الموسعة للمؤتمر في الساعة الرابعة عصراً.

بهذا انتهت الجلسة الأولى للزعماء الثلاثة بشكل يبدو انه كان في صالح الأمريكان من الناحية الستراتيجية وأصبح تشرشل واحداً ضد اثنين ، لكن الآخرين

فوق كل هذا أصبحا أقوى منه. وبالطبع كان الأمريكيون مسرورين لذلك الحماس الذي أظهره ستالين ليس لعملية العبور فحسب بل للانزال على الجنوب الفرنسي. ومن خلال هذه الجلسة تكونت لديهم فكرة عن قابليات ستالين الاستراتيجية، كذلك كان الحال بالنسبة لبروك، لكن لأسباب مختلفة، أولها انه لم يكن متحمساً لعمليات شرق البحر المتوسط او اقناع تركيا بدخول الحرب كما كان رئيس وزرائه تشرشل، لكن الشيء الذي أقلقه هو الايحاءات التي صدرت من تشرشل بوجوب التضحية بعملية استعادة روما. وكذلك بفكرة القيام بانزال «سابق لأوانه» في جنوب فرنسا. فقد كان يعتقد ان اعطاء الألمان فرصة للقضاء على قوة «غير مؤهلة» تنزل في الجنوب الفرنسي قبل انزالات عملية العبور نفسها هو عبارة عن «عمل عسكري أحمق» وانه لابد وان يعرف ستالين ذلك فالأخير كما يرى بروك مهتماً بأن يتم تحويل وجهة بعض القوات الألمانية دون ان يكترث بالنتائج.

من المؤكد ان وجهة النظر السوفييتية التي عرضها ستالين في مؤتمر طهران كانت مختلفة عما كانت عليه قبل بضعة أشهر. فخلال مؤتمر موسكو كان مولوتوف والعسكريون السوفييت يلحون على (هاريمان) سفير امريكا في موضوع تركيا، وكذلك على الحاجة الى استمرار العمليات في البحر المتوسط. اما الآن فقد انصرف كل اهتمام الروس نحو عملية العبور وعملية العبور وحدها. وهذا ما حمل بروك على الاعتقاد بأن وضع القوات السوفييتية قد تحسن على جبهتهم الى الدرجة التي يستطيعون فيها الانتظار فترة ستة أشهر من الآن وحتى المباشرة بتلك «العملية القاضية». وفي الوقت نفسه فهم غير مستعدين بعد الآن لأن يسمحوا لأحد بوضع العراقيل في طريق بلوغ أهدافهم السياسية في أوربا الشرقية وربمااعتبروا عمليات بحر إيجه او البلقان إحدى هذه العراقيل.

كان هذا تشخيصاً سلبياً للموقف. ولكن مهما كان السبب فقد ساد الوفد البريطاني جو من الكآبة. وقد أحس بروك بأن مناقشات ذلك اليوم قد سارت من سيء الى أسوأ وجعلت الأمور مضطربة أكثر من أي وقت مضى. أما تشرشل فقد اعتبر (وفقاً لمذكرات طبيبه الخاص) ان كل الذي حصل جاء نتيجة لموقف روزفلت ومستشاريه العسكريين.

بهذا المزاج العكر التقى تشرشل ووزير خارجيته على مائدة العشاء في تلك الليلة الى جانب ستالين ومولوتوف وروزفلت وهاريمان. كان الرئيس الأمـريكي يشعر بتوعك في صحته ربما من سير المناقشة المتعبة في جلسة اليوم ولذلك اعتذر من الحاضرين وآوى الى فراشه مبكراً. لكنه قبل ان يغادر جرت مناقشة عامة بين الزعماء الثلاثة حول أوضاع فرنسا والمانيا وبولندا. وفيها ركّز ستالين وروزفلت غضبهما أيضاً على فرنسا، واتفقا على ان هذه الأخيـرة لا تستحق الاحتفاظ بـامبراطـوريتها في المستعمرات. أما تشرشل فقد اكتفى بملاحظة واحدة قال فيها انه يرى ان من الحكمة وضع «الأمور المهمة» تحت اشراف المنظمة الدولية الجديدة (الأمم المتحدة). وقد استغل المارشال ستالين المناقشة ليؤكد على ضرورة انزال اقسى العقوبات على المانيا بما في ذلك تجزئة الأراضي الألمانية ونزع سلاح الدولة الألمانية والحيلولة في المستقبل دون انبعاث النزعة العسكرية الألمانية. وقد تولى روزفلت الرد على موضوع تقسيم المانيا مقترحاً ان يُصار الى اقامة «منطقة عازلة مدولة» في شمال المانيا تشرف على قناة «كيل» وتؤمن الممرات المائية الى بحر البلطيق.

أما ستالين فقد اقترح «دفع» الحدود الألمانية البولندية نحو الغرب تجاه نهر الأودر مما يعني اقتطاع جزء كبير من المانيا ما قبل الحرب، عند ذلك غادر روزفلت المكان غير ان تشرشل رغم انه كان يشعر بأنه ليس على ما يرام لم يكن يريد ان يفوّت عليه اول فرصة حقيقية للتحدث الى ستالين، خاصة وانه كان يرغب في مزيد من النقاش حول بولندا بشكل خاص وكذلك المانيا. وعندها عاد ستالين ليشدد على ضرورة معاقبة المانيا قائلاً «إذا لم نعاقبهم بقسوة فقد ينهضون ثانية» فهو لم يكن من مؤيدي القول «بأنه إذا سقط المرء فينبغي على الآخرين أن يتركوه» بل انه كان يريد ان يقول انه عندما تسقط المانيا أرضاً فلابد من ركلها والاستمرار في الركل وإلا فانها قد تقوم ثانية على قدميها. وهنا اقترح تشرشل ان يتم التمييز بين النظام النازي وبين الشعب الألماني غير ان ستالين أصر على موقفه أكثر قائلاً «الألمان كلهم خطرون، لأنهم يفعلون ما يؤمرون به». ثم عاد تشرشل الى الموضوع المتعلق بتقسيم المـانيا ليعرض من جديد فكرته القائمة على تشكيل اتحاد للدول المطلة على الدانوب، فهو كان يشعر دوماً ان (بروسيا) التي وصفها بقلبِ العسكرية الألمانية، يجب ان تُسلخ

عن بقية أجزاء المانيا وتَعامل بكل القسوة. مقترحاً ان يُصار الى اقامة اتحاد بين جنوب المانيا وكل من النمسا والمجر. رغم ان ستالين لم يلزم نفسه بهذه الفكرة إلا انه لم يرفضها أيضاً (وهذا ما سنتناوله فيما بعد).

بعد ذلك أثار تشرشل موضوع بولندا الشائك بادئاً بمسألة الحدود حيث تتفق وجهات النظر الأمريكية والبريطانية الى حد ما وانهما مستعدان للاقرار بأنه ينبغي ان تُمد الحدود السوفييتية حتى خط (كورزون) مع تعويض بولندا بأراضٍ أخرى من جهة الغرب وإذا كان بوسع الحلفاء الغربيين ان يقوموا ببادرة طيبة للروس في مسألة الحدود فلربما سيساعد ذلك في طرح موضوع العلاقة المتوترة ما بينهم وبين الحكومة البولندية في المنفى أو على الأقل معرفة ما يريده المارشال ستالين على وجه التحديد.

كانت استجابة ستالين باردة في البداية، ولكن لما أصبح واضحاً ان تشرشل وايدن يريدان بحث مسألة الحدود في هذه المرحلة بالذات وليس موضوع العلاقة مع حكومة المنفى، فقد انقشع ذلك الجو البارد الذي لفَّ الموضوع وعندها أكد تشرشل ان كل ما تريده بريطانيا هو ضمان المحافظة على بولندا كدولة مستقلة. وهنا وافق ستالين بحذر على ضرورة احترام ثقافة بولندا ولغة شعبها ولكنه تفادى الاشارة الى مسألة استقلال بولندا. وعلى أية حال فقد اتفق الرجلان دونما صعوبة على «دفع» بولندا غرباً على الخارطة (على حساب المانيا) لكي تُعوَّض عما ستفقده لروسيا من جهة الشرق. تشجع ايدن بهذا الحديث وأحسَّ كما لو ان الجانبين قد وصلا الى «مفتاح الحل» للمشكلة البولندية غير ان المسألة هنا هي كيف الوصول الى اقناع روزفلت بأن يُلزِمْ نفسه علانية بالنسبة لموضوع الحدود خاصة وان هوبكنز كان قد حذّره بأن مسألة بولندا ستكون بمثابة «ديناميت سياسي» في انتخابات الرئاسة الأمريكية المقرر اجراؤها في العام القادم.

كما ان ايدن قد أبلغ الرئيس الأمريكي من جهة ثانية انه لم يكن بوسع الحلفاء الغربيين الوصول الى تسوية للقضية البولندية مع ستالين على الفور فسيكون من الصعب الوصول الى حلٍّ مرضٍ لاحقاً عندما تكون القوات السوفييتية قد احتلت بولندا.

٢٩ تشرين الثاني: الموافقة على القرار العسكري، المنظمة الدولية، موضوعا الصين والمانيا.

أدرك تشرشل وبرك ان اليوم الأول من المناقشات في مؤتمر طهران قد حَسمَ الموضوع العسكري الشائك. كما ان تشرشل بعد ان رأى ستراتيجيته لشرق البحر المتوسط تتراجع نحو الوراء، أيقن أخيراً انه لا يمكنه بعد الآن الاعتماد على تأييد روزفلت، وانه بالتالي لم تعد لديه القدرة للتأثير في الاستراتيجية الانكلو ـ أمريكية. أما بالنسبة لبروك الذي كان أقل حماساً لستراتيجية البحر المتوسط فلم يكن ما حدث مأساوياً بالدرجة التي كان يراها تشرشل. فإستمرار الحملة الايطالية، وهي الموضوع الأكثر أهمية بالنسبة إليه لم يتأثر بشكل كبير، كما انه لم يجرِ بعد الاتفاق على أية خطة لانزال سابق لأوانه في جنوب فرنسا وهو ما كان يعتبره نذيراً بالكارثة.

بهذا المزاج توجه بروك الى اجتماع الممثلين العسكريين للدول الثلاث الذي عُقد في الساعة العاشرة والنصف من صباح التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣. وكما كان متوقعاً فقد أمضى معظم وقت الاجتماع في نقاش مع (فورشيلوف) كان الأخير واسع الاطلاع بالأمور كما اتضح، لذلك فقد أعاد نفس ما كرره المارشال ستالين على مسامع تشرشل في اليوم السابق مؤكداً على ضرورة ان تتم عملية العبور في الموعد المتفق عليه، وإذا كان لابد من تأخيرها فليكن هذا التأخير بسيطاً قدر المستطاع، وان يتم اسناد هذه العملية بانزال للقوات في جنوب فرنسا.

وقد رد (فورشيلوف) بشدة على بروك عندما حذّر هذا الأخير بأن عملية العبور والانزال يمكن ان تفشلا بسهولة أذا لم تكن الظروف مواتية لهما. ثم أعاد بروك بدوره الرأي البريطاني القائل انه من الحيوي بمكان إشغال أكبر عدد ممكن من الفرق العسكرية الألمانية بعمليات في مسارح أخرى قبل الشروع بعملية العبور التي لن تتم قبل الأول من ايار ١٩٤٤ على أقل تقدير. وهذا الهدف كما قال يمكن بلوغه عن طريق القيام بعمليات في مسرح البحر المتوسط مشيراً الى ان الألمان لديهم حوالي عشرين فرقة في أيطاليا وعشرين أخرى في البلقان علاوة على وحدات بلغارية مساندة

لهم. وانه ينبغي عدم اعطاء الفرصة للألمان لنقل أي من هذه القوات الى فرنسا. ثم انتقل (بروك) ليذّكر المجتمعين بالاحتمالات التي سبق وان ذكرها تشرشل وهي، استعادة روما، وزيادة المساعدات الى حركة المقاومة اليوغسلافية وعملية الهجوم ضد الجزر اليونانية في بحر إيجه، مركّزاً بشكل خاص على المزايا التي ستترتب على نجاح العملية الأخيرة.

ثم قال، إننا سوف لن نكون بحاجة الى استقدام قوات غير تلك الموجودة في مسرح عمليات البحر المتوسط لو تعاونت تركيا معنا وفتحت طريقاً أقصر للامدادات الى روسيا وسمحت باستخدام قواعدها الجوية من قبل الطائرات الحليفة. لكن عمليات كهذه كما أوضح بروك، تنطوي على انزال برمائي للقوات، وهذا ما يجعل من الضروري الابقاء على معدات الانـزال من سفن وغيرها في مسرح البحر المتوسط مع ما ينطوي عليه ذلك من بعض التأخير في عملية العبور.

وفقاً لما جاء في الوثائق البريطانية فقد تساءل فورشيلوف ما إذا كانت الحجج التي ساقها بروك تنطبق على إيطاليا كما تنطبق على سواها من قواطع البحر المتوسط، فأجاب بروك انها تنطبق على الاثنتين معاً ثم عاد ليذكّر (فورشيلوف) بالامتيازات التي ستترتب على استخدام القواعد الجوية الواقعة الى الشمال من روما في القيام بعمليات قصف جوي على جنوب المانيا، في حالة استعادة روما من الألمان. بعد ذلك انتقل بروك الى الانزال المقتَرح في جنوب فرنسا وهي عملية أُطلق عليها فيما بعد عملية (انغل) فقال انه في ضوء المعطيات الاستراتيجية القائمة فسوف لن يكون بوسعنا ان نزج في هذه العملية إلا بقوة صغيرة نسبياً تتراوح ما بين ست الى ثمانِ فرق من القوات المرابطة في إيطاليا، وقوة بهذا الحجم الصغير تنزل في جنوب فرنسا قبل أسابيع من الشروع بعملية العبور سوف تُهزم بالتأكيد. أما لو تمت عملية الانزال في الوقت نفسه الذي تبدأ فيه عملية العبور فستكون فرص نجاحها كبيرة. معززاً كلامه بالقول ان أحداً لا يمكن أن يقارن بين عمليتين بريتين هجوميتين تتمان في قاطع واحد كإيطاليا مع عمليتين تفصل بينهما مسافات بعيدة وتتطلبان انزال برمائي للقوات كعملية العبور والانزال المُقترح في جنوب فرنسا. تابع رئيس هيئة أركان القوات البريطانية حديثه بالقول ان عملية كبيرة وحاسمة كعملية العبور لابد ان يسبقها

حشد عسكري يصل الى حوالي خمس وثلاثين فرقة لدعم مرحلتها الأولى حتى لا يكون بوسع العدو بعد تدفق التعزيزات في المرحلة اللاحقة ان يجلب من التعزيزات ما يمكنه مواجهتها.

تحدث بعد ذلك الجنرال (مارشال) عارضاً وجهة النظر الأمريكية ومشاطراً مخاوف (بروك) من المخاطر التي قد تترتب على إنزال سابق لأوانه في جنوب فرنسا قائلاً ان العدو سيعمد قبل كل شيء وبمجرد نزول أول مجموعة من القوات الى تعطيل الموانيء المجاورة عن العمل وبذلك تكون القوات التي أُنزلت فوق شاطيء مفتوح يسهل معه تدميرها. أما بالنسبة لعملية عبور القنال فقد كرر (مارشال) الأهمية الاستراتيجية التي تعلقها الولايات المتحدة عليها وتعتبرها من أكثر العمليات حيوية بالنسبة للحلفاء.

لم يتبقَ الآن إلا مشكلة ما أذا كان من المناسب الشروع بعمليات البحر المتوسط خلال الفترة (الستة أشهر) التي تسبق موعد عملية العبور. والعامل المهم في هذه العمليات لا يكمن في القوات المدربة التي لدى الحلفاء الكثير منها بل في توفير سفن الهجوم والقطع البحرية المساندة وأخيراً الغطاء الجوي. على ان السفن المخصصة لانزال القوات هي الأهم من هذه الثلاثة جميعاً في تقرير مصير استراتيجية البحر المتوسط.

الأمريكيون كما أشار مارشال لديهم معدات إنزال كثيرة في مسرح عمليات المحيط الهادي لكن هذه يجري استخدامها الآن في أربع عمليات تجري الآن في ذلك القاطع وهناك أربع عمليات أخرى ستليها. ثم خَلُصَ (مارشال) الى القول ان المسألة الآن هي أين ومتى سيجري استخدام العدد المحدود من معدات الانزال في البحر المتوسط ؟ وهذا بدوره يعتمد على ما إذا كان أي تأخير في عملية العبور سيكون مقبولاً أم لا.

بعد هذا الطرح الذي قدمه الجنرال مارشال ، كان على (فورشيلوف) ان يرد على التساؤلات التي أثارها. وقد وجد هذا الأخير انْ الفرصة باتت مواتية له بعد ما لمسه من تناقض في المواقف الأمريكية والبريطانية ، لأن يدق اسفيناً بين الحليفين

الغربيين الولايات المتحدة وبريطانيا ولكي يغيض (بروك) الذي يعتبر انه لا يقل اثارة للقلق والمشاكل عن تشرشل نفسه.

تحدث فورشيلوف فقال انه بات واضحاً لديّ ان الولايات المتحدة تعتبر عملية العبور العملية ذات الأهمية القصوى، ولكن هل يفكر الجنرال (بروك) بنفس الطريقة أم انه يعتقد ان عمليات المتوسط يجب ان تحتل هذه الأولوية بدلاً منها؟ ومهما كان الحال فهل تقتضي الضرورة ان تُستخدم نفس المعدات الانزال في كلا العمليتين. فلقد قيل لنا في مؤتمر موسكو ان بناء سفن الانزال يجري على قدم وساق وقد أُعطيت له الأولوية فماذا حدث؟. حول هذا السؤال الأخير كان الجنرال مارشال قد أعد الجواب بالفعل وهو ان الادميرال كنغ قائد عمليات المحيط الهادي قد استحوذ على نصيب الأسد من المعدات التي أُنتجت بالفعل لحاجة مسرح عملياته اليها.

أما السؤال الرئيس فقد كان موجهاً الى بروك وقد أجاب عليه بالقول «نعم انني أعتقد ان عملية العبور ليست مهمة فحسب بل جوهرية شريطة ان تُوفرَ لها الظروف المناسبة وإحدى هذه الشروط هو ابقاء أقصى عدد ممكن من الفرق الألمانية قيد الخدمة في مسرح البحر المتوسط وهذا ما لم يكن بالمقدور بلوغه لو تمت العملية في موعدها المحدد سابقاً، الأول من ايار لأن ذلك سيكون معناه سحب معدات الانزال من مسرح البحر المتوسط في الحال مما سيترتب عليه بالتالي استحالة ابقاء الضغط على الألمان على أشده عن طريق عمليات انزال برمائية، وباختصار فان عمليات البحر المتوسط هي في واقع الحال عمليات «مساعدة» للعبور وضرورية أيضاً. ثم عاد فورشيلوف ليشرح وجهة نظر الاتحاد السوفييتي وهو شرح لم يختلف قيد شعرة عن ذلك الذي قدمه المارشال ستالين في اليوم السابق

لم يحاول المارشال فورشيلوف ان يجيب على حجج بروك بل تجاهلها قائلاً ان ما يهمني هنا هو عملية العبور، ولذلك فانني اعتبر أية عملية أخرى في أي قاطع آخر بمثابة تدخل في العملية الرئيسة (أي تأخير موعدها). كان المقصود من هذا الكلام واضحاً وهو ان الروس لا يريدون أية عملية برمائية في إيطاليا او شرق البحر المتوسط وما على الحلفاء الغربيين إلا أن يعززوا خنادقهم الدفاعية على الأرض في إيطاليا وان

يشرعوا إذا كان ذلك ممكناً الآن في انزال قواتهم في جنوب فرنسا.

رغم ان المارشال (فورشيلوف) أضاف الى ما سبق ان قاله، بأن الاتحاد السوفييتي لن يصر على الانزال في جنوب فرنسا مع تحبيذه إياه، إلا انه أصبح واضحاً ان الشيء المهم بالنسبة للروس الآن هو أن تتم عملية العبور في موعدها المحدد ودونما تأخير. وكان في موقفه هذا يبدو واثقاً من ان الحلفاء الغربيين سيتمكنون من تجاوز الصعوبات الفنية لكل من العمليتين إذا كانت النية صادقة حقاً في القيام بها (مما لا شك فيه ان هذه الملاحظة الأخيرة كانت موجهة الى بروك). تابع فورشيلوف حديثه بالقول «ان الجيش الأحمر (الجيش السوفييتي) قد واجه مشكلات مماثلة في عبور انهار أكبر وأطول وذات مواقع دفاعية حصينة للأعداء. ولعل الجنرال مارشال وجد في هذه الملاحظة التي أراد بها المارشال السوفييتي تبسيط الأمور بالنسبة لعملية عبور القنال، ملاحظة يصعب هضمها. فهناك فرق شاسع بين الفشل في عبور نهر وفشل عملية برمائية كما قال، فالفشل في الأولى هو بمستوى الانتكاسة اما الفشل في الثانية فهو الكارثة بعينها.

كما أوضحنا فان اجتماع الممثلين العسكريين لم يضف شيئاً جديداً فقد كانت المناقشات هي عبارة عن ترديد نفس الآراء التي طُرحت في اجتماع الأقطاب الثلاثة باستثناء انه جاء ليؤكد انه سيكون من الصعب جداً لهيئة الأركان الانكلو ـ امريكية المشتركة ان تعمل وتخرج بتوصيات متفق عليها إذا ما أُضيف إليها ممثلون لا يتقنون سوى ترديد مواقف زعمائهم. لذلك لم تكن هناك اتفاقات ولا توصيات كما انه لم يُتفق على استمرار المناقشات إلا في نهاية الجلسة.

مهما يكن من أمر فالمارشال فورشيلوف حاول الوصول الى قرار (في ظروف كهذه ليس قراراً جماعياً بل قائماً على الأغلبية)، فعندما ألمح بروك الى ان لديه الكثير مما يريد قوله، وافق الممثل السوفييتي على عقد اجتماع آخر صباح اليوم التالي.

ليس القول صحيحاً بجزم ان الاجتماع لم يكن مفيداً، ذلك لأنه أثبت صواب رأي (بروك) القائل انه إذا سمح الأمريكيون لروسيا ان تقرر استراتيجيتهم فسيكون من الضروري عليهم تقديم تنازلات لوجهة النظر السوفييتية في حين انه لن

يكون بمقدور الغربيين في الوقت نفسه التأثير مباشرة في الاستراتيجية السوفييتية في أوربا. فهل بوسع الغربيين مثلاً أن يطلبوا من موسكو أن يقوم الجيش الأحمر بهجوم يتزامن موعده مع عملية العبور ؟

ليس الذنب هنا هو ذنب تشرشل. فالانكليز والأمريكان هم الذين اختاروا السؤال الذي عرضوه عليه ، وها هو قد أعطاهم الجواب الذي يناسبه ، فماذا كانت النتيجة ؟ كانت عبارة عن وضع عمليات شرق البحر المتوسط على الرف ثم البحث عن الامكانات العملية للقيام بانزال جنوب فرنسا بدلاً عنها. لكن الأمر المهم في هذه الأخيرة هو التريث وعدم الشروع بها بشكل سابق لأوانه أي (بالنسبة لبروك طبعاً) ليس قبل عملية العبور بأي حال من الأحوال.

الواقع ان الجنرال مارشال أبدى في هذا الاجتماع بعض التعاطف مع وجهة النظر البريطانية فيما يتعلق بامكان استخدام معدات الانزال في عملية مهاجمة روما قبل ان تقتضي الحاجة نقلها الى جنوب فرنسا.

بعد الغداء مباشرة اجتمع الجنرالات البريطانيون لبحث هذه المسألة خاصة وان الجنرال مارشال كان قد زودهم بمذكرة أولية عن احتياجات عملية الانزال في جنوب فرنسا. وهكذا دارت المناقشة فيما بينهم حول هذه النقطة ، غير ان المجتمعين أعربوا عن القلق حول ما إذا كان بالامكان توفير غطاء جوي مناسب لعملية روما فأقرب قاعدة عسكرية يسيطر عليها الحلفاء تقع في كورسيكا على بعد ١٩٠ ميلاً من روما. أما الاحتمالات الأخرى كقاعدة (سردينيا) فهي أبعد مسافة من الأولى. تدخل الجنرال بورتال فاقترح استخدام حاملات للطائرات تسحب من الحشد البحري البريطاني في المحيط الهندي. غير ان الجنرال (كننغهام) انضم الى المناقشة ليقول ان سحب تلك الحاملات من هناك الى البحر المتوسط سيقضي على الفرص المتاحة أمام عمليات الانزال البرمائية التي خطط لها الانكليز منذ زمن في مسرح العمليات ذاك. أما فيما يتعلق بالقوات البرية ، فالمشكلة هي ان مذكرة الجنرال مارشال تضمنت الاشارة الى ان معظم القوات الأمريكية المرابطة في إيطاليا ستنقل لدعم عملية الانزال في جنوب فرنسا تاركة ما اعتبره الجنرالات الانكليز «قوة غير كافية لا تستطيع الاحتفاظ بخطوطها الدفاعية في إيطاليا».

الواقع ان الأمريكان فوجئوا تماماً بالحماس الذي أبداه الروس ازاء عملية جنوب فرنسا ولما كانوا لم يحضروا معهم الى طهران نسخة. من آخر خطة أعدها الجنرال آيزنهاور في السابع والعشرين من تشرين أول الماضي ، فقد باشروا على الفور بإعداد الخطوط العريضة لخطة بديلة. وهكذا انهمك المخططون العسكريون الأمريكيون بعد ظهر ذلك اليوم بوضع الخطة الجديدة. وما ان حلَّ صباح اليوم التالي حتى كانوا قد فرغوا من وضع خطة «أكثر واقعية» للانزال في جنوب فرنسا. وقبلها كان الجنرالات الأمريكيون قد اجتمعوا مع الرئيس روزفلت وبحثوا معه في تفاصيل العملية كما قدموا له مذكرة ليناقشها مع ستالين فيما بعد حول الاجراءات التي ستتخذ انتظاراً لدخول روسيا الحرب ضد اليابان.

كان روزفلت حتى هذه اللحظة قد رفض مقابلة تشرشل على حدة ، لكنه مع ذلك اجتمع على حدة في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين من بعد ظهر هذا اليوم مع ستالين ثانية ليؤكد له على الأهمية التي يعلقها لدخول الاتحاد السوفييتي الحرب في الشرق الأقصى وليقدم له مذكرة تضمنت طلباً بالسماح للولايات المتحدة باستخدام القواعد الجوية السوفييتية ومنحها تسهيلات في الموانيء السوفييتية في حالة كهذه. كذلك أثار موضوع قيام قاذفات القنابل الأمريكية «بطلعات قصف مكوكية» لألمانيا بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي (هذا الاقتراح كان قد عرضه (دين) رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في مؤتمر موسكو ولكنه لم يحرز أي تقدم في حمل الروس على الموافقة عليه).

بعد ان قال المارشال ستالين انه سيولي هذه المسائل اهتمامه الشخصي. أثار روزفلت ما لديه من آراء بصدد المنظمة الدولية الجديدة التي نص عليها اعلان الدول الأربع الصادر عن مؤتمر موسكو. وقد أفاض الرئيس الأمريكي في الحديث عن تصوره للمنظمة المقترحة وبأنها ستكون عبارة عن هيئة استشارية كبرى تُمَثل فيها جميع الدول كبيرها وصغيرها. والى جانبها «لجنة تنفيذية» أصغر ، تتكون من عشرة اعضاء يمثلون الدول الأربع الكبرى ودولتين اوربيتين ودولة واحدة من كل من أمريكا الجنوبية والشرق الأدنى والشرق الأقصى ومجموعة دول الكومنويلث.

واصل روزفلت الحديث عن تصوراته للمنظمة الدولية الجديدة قائلاً انه

يقترح ان يكون من ضمن اختصاصاتها اتخاذ القرارات في المسائل غير العسكرية ، كالزراعة والغذاء والصحة وغيرها من مجالات التعاون الدولي. وعندما سأله ستالين ما إذا كانت قرارات هذه المنظمة الدولية ملزمة للدول الأعضاء ، تهرَّب روزفلت عن الاجابة. ولكنه أشار الى ان الدول الأربع الكبرى ستتمتع بحق النقض (الفيتو) وسيمكنها استخدامه متى ما رغبت في ذلك. وأخيراً فان المنظمة ستشتمل على مجلس للأمن تمثل فيه الدول الأربع وتنحصر اختصاصاته في معالجة المخاطر التي تهدد سلام العالم.

رغم ان ستالين لم يبدِ اعتراضاً على ذلك ، إلا ان المشكلة فيما يتعلق بمجلس كهذا هي وجود الصين كعضو فيه فالزعيم السوفييتي وكذلك دول أوربية أخرى لم تكن ترى أو هي لا تريد ان ترى بروز الصين كدولة كبرى تحتل مكانها بين الدول الكبرى الأخرى سواء حكمها الشيوعيون أو غيرهم.

يقول (اليوت) نجل الرئيس روزفلت في مذكراته ان والده أوضح في هذا السياق الخطوات التي ينوي اتخاذها في فترة ما بعد الحرب للارتقاء بالصين الى الوضع الذي يليق بها كدولة كبرى بما في ذلك اقناع الدول الأوربية التي تحتل أراضي كانت تابعة للصين بالتخلي عن تلك الأراضي ومن بينها مستعمرة هونغ كونغ البريطانية. كذلك أشار روزفلت الى قلق الصينيين من النوايا السوفييتية في منشوريا وهو ما رد عليه المارشال ستالين قائلاً «ان احترام سيادة الدول الأخرى يشكّل أحد الأركان الرئيسية للسياسة السوفييتية». كذلك عرض روزفلت على ستالين ، التعهد الذي حصل عليه من (كاي شك) بادخال الشيوعيين في حكومة ائتلافية صينية ، وباجراء انتخابات نزيهة في الصين في أسرع وقت ممكن بعد انتهاء الحرب. غير ان المارشال ستالين لم يتراجع عن موقفه وأضاف الى ذلك قوله انه لا ينبغي السماح للصين في التدخل في الشؤون الأوربية. ثم تساءل «أليس من الأفضل ان يكون هناك مجلسان في المنظمة الجديدة: الأول حول أوربا يضم كلاً من بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة ودولة أوربية أخرى والآخر يضم الصين ودولاً أخرى وتكون اختصاصاته مقتصرة على الشرق الأقصى ؟ رد روزفلت (بشيء من المزاح) ، ولكن تشرشل

ربما يريد ثلاثة مجالس الأول لأوربا والثاني للشرق الأقصى والثالث لنصف العالم الغربي ، لكنه أضاف يقول «ليكن واضحاً ان الكونغرس الأمريكي سوف لا يوافق على عضوية الولايات المتحدة في مجلس أوربي صرف يلزم القوات الأمريكية بالتدخل لحسم نزاعات فيما بين الدول الأوربية» . ثم تابع يقول «ان الولايات المتحدة لم تكن لتتورط في الحرب التي تخوضها الآن ضد اليابانيين في الشرق الأقصى ، لو ان اليابان لم ترغمها على ذلك عندما هاجمت ميناء (بيرل هاربور) الأمريكي . وعندما تدخل ستالين مستفسراً عما إذا كانت الولايات المتحدة ستلتزم بقرار من مجلس «الدول الأربع» يلزمها بابقاء قوات في أوربا ، أجاب روزفلت بقوله «سيكون التزامنا بقوات بحرية وجوية ، أما القوات البرية فهي من نصيب بريطانيا والاتحاد السوفييتي . لابد وان هذا التلميح من جانب الرئيس روزفلت بان الولايات المتحدة تأمل في سحب قواتها البرية من أوربا بمجرد انتهاء الحرب ، وهو أول تلميح من نوعه يصدر من الرئيس الأمريكي بهذا الوضوح ، لابد وان يكون قد قوبل بالترحاب من جانب الروس . فهو يعني ان الأمريكان قد أعطوا الضوء الأخضر لروسيا لبسط سيطرتها على أوربا .

تابع الرئيس روزفلت حديثه بالقول ان الولايات المتحدة تعتقد ان العقوبات الاقتصادية ستكون كافية ضد الدول الصغيرة التي تهدد الأمن والاستقرار الدوليين في فترة ما بعد الحرب ، اما «التهديدات ذات الطابع الخطير» فينبغي ان تُعالج باللجوء الى القوة المسلحة . وهذا ما معناه ان المنظمة الدولية الجديدة لن تكون قادرة على ارغام الدول الأربع الكبرى على تنفيذ ما تتخذه من قرارات في مسائل حاسمة .

يقول (اليوت) في مذكراته ان روزفلت وستالين بحثا موضوع تمتع الدول الكبرى بحق النقض (الفيتو) واتفقا على ما ينطوي عليه من ضرورة طالما ان المجلس لا يمكن ان يمارس مهامه بكفاءة ما لم تكن مواقف الدول الأربع منسجمة كلها تجاه أي من القضايا المعروضة أمامه .

خلال هذا الاجتماع اعطى المارشال ستالين كما يبدو تأكيداً لروزفلت بأن خط السكة الحديد الذي يمر عبر منشوريا سيبقى من الممتلكات الصينية ، وعرض عليه المطالب السوفييتية في جزر (ساخالين) و(كوريل) . (لكن موضوع هذه الجزر الأخيرة

طُرح بشكل أكثر تفصيلاً خلال مأدبة العشاء التي أقيمت مساء ذلك اليوم وناقش خلالها الأقطاب الثلاثة إمكانية اعطاء الاتحاد السوفييتي طريقاً للوصول الى موانيء المياه الدافئة في شمال (الصين). في ختام المناقشة أثار المارشال ستالين موضوعاً كان لا يزال يحتل الجانب الأكبر من تفكيره ألا وهو ضرورة ايقاع أقسى العقوبات على المانيا ، قائلاً انه ما لم تتخذ اجراءات صارمة ضدها فقد تعود خلال الخمس عشرة او العشرين سنة القادمة لتصبح قوة تهدد السلام مره أخرى ، ثم أشار الى ان العقوبات التي تضمنتها الورقة الأمريكية المقدمة الى مؤتمر موسكو لا بأس بها وإن لم تكن كافية (راجع الفصل الرابع). بعد ذلك عرض ستالين ما دار بينه وبين تشرشل من مناقشة حول هذا الموضوع في الليلة السابقة ، مضيفاً هذه المرة اقتراحاً جديداً يقضي بتولي الحلفاء الاشراف على القواعد الجوية والبحرية الألمانية لبعض الوقت في فترة ما بعد الحرب. أما بالنسبة لليابان فقد اقترح ان يتم انتزاع الجزر القريبة منها بالكامل. بالطبع رحب الرئيس روزفلت من كل قلبه بهذا الرأي الذي ينسجم تماماً مع ما كان يطمح اليه. ثم انتقلت المناقشة الى الصين مرة ثانية حيث عاد المارشال ستالين الى الاعراب عن شكوكه ازاء الصينيين. رد روزفلت بقوله انه ينظر الى المستقبل ، فالصين بلد يزيد عدد سكانه على اربعمائة مليون نسمة ، وهم قوة بشرية هائلة لا يمكن الاستهانة بها ، وسيكون من الأفضل لو كسبناهم الى جانب النظام الدولي الجديد بدلاً من أن نستعديهم عليه.

يبدو ان المناقشة انتهت عند هذا الحد. ثم انتقل الزعيمان الى غرفة مجاورة حيث قام تشرشل في مراسيم اخاذة بتقديم «سيف ستالينغراد» الذي صنع خصيصاً الى ستالين ثم بعد ان التقطت الصور التذكارية ، اجتمع الزعماء الثلاثة في الساعة الرابعة مع رؤساء الأركان الأمريكان والانكليز بحضور كل من ايدن ومولوتوف وهوبكنز والجنرالان سومرفيل ودين والمارشال فورشيلوف لتبدأ جلسة العمل الموسعة الثانية.

كان شأن هذه الجلسة شأن جلسة رؤساء الأركان ، حيث أعاد المارشال ستالين تأكيد الموقف السوفييتي الداعي الى الشروع بعملية العبور في موعدها المقرر

الأول من ايار والقيام بانزال في جنوب فرنسا على حساب بقية العمليات وراح يستعجل الأمريكان والانكليز في اتخاذ القرار النهائي. وبالمقابل فقد أشار تشرشل الى انه إذا تم اتخاذ قرار كهذا فسيكون معناه اننا سنبقى مكتوفي الأيدي في مسرح عمليات البحر المتوسط طيلة الأشهر الأربعة القادمة او بكلمة أخرى سوف لن نفعل شيئاً من شأنه إضعاف الألمان طيلة هذه الفترة.

هل كان هذا ما يريده روزفلت وستالين بالفعل ؟ أليس بالامكان تأخير عملية العبور لشهر أو نحوه حتى يكون بالمستطاع القيام ببعض العمليات المخطط لها في مسرح البحر المتوسط ؟. قال روزفلت الذي كان يسعى للوصول الى حل وسط رغم ميله الى وجهة النظر السوفييتية ، ان المسألة هي مسألة التوقيت وليس مسألة العملية نفسها ، وسوف يكون بالامكان الشروع بها في او حول الموعد المتفق عليه شريطة التخلي عن واحدة من العمليات الثلاث الأخرى ، استعادة روما ، مهاجمة (رودس) او عملية جنوب فرنسا. لم يترك الرئيس الأمريكي شكاً لدى أحد بقوله هذا انه كان يقصد بالذات التضحية بعملية (رودس). على أية حال وقبل ان تصل المناقشة الى هذه النقطة ، أثار المارشال ستالين نقطة جديدة. وبعمله هذا فقد أوضح بجلاء انه غير مقتنع بعد بالتأكيد الذي سمعه من روزفلت بان الانكليز والأمريكان سيشرعان بعملية العبور في عام ١٩٤٤. ذلك ان الزعيم السوفييتي طرح السؤال التالي «مَنْ سيكون قائد العملية ؟ وعندما رد عليه روزفلت بالقول ان قرار تعيين قائد الحملة لم يُبت فيه بعد ، عاد ستالين ليقول بحدة «في حالة كهذه لا يمكنني توقع شيء من العملية. ثم أضاف انه لن يكون مقتنعاً بأن الانكليز والأمريكان جادون في العملية إلا بعد ان يعينوا من سيقودها ، وخير البر عاجله.

كانت نقطة جديرة بالطرح ، ولابد ان روزفلت نفسه قدَّر هذه النقطة ولكنه شعر انه لا يستطيع الخوض في المسائل المتعلقة بالاشخاص المرشحين للقيادة طالما كان الجنرال مارشال جالساً في الاجتماع. مع هذا فقد أشار الى ان التخطيط للعملية يجري على قدمٍ وساق ومنذ عدة أشهر تحت إشراف الجنرال الانكليزي مورغان). تَدَخَلَ تشرشل ليقول انه وروزفلت كانا قد اتفقا بالفعل على ان يكون قائد العملية ، أمريكياً في نهاية المطاف. وتقديراً منه لمشاعر روزفلت تجاه الجنرال مارشال فقد اقترح

تشرشل ان يناقش الزعماء الثلاثة المسألة وحدهم بدلاً من اجتماع موسع. لم يكن ستالين بالرجل الذي يمكن مراوغته في نقطة كهذه، فلم تكن المعلومات التي ذكرها روزفلت من ان جنرالاً بريطانياً يشرف بالفعل على التخطيط للعملية مطمئنة له ولذلك فقد أثار نقطة حيوية أخرى فقال المسألة ليست مسألة التخطيط للعملية ولكن تنفيذها. فالقائد الذي سيعين، وربما سيجد من الأفضل تغيير الخطة الموضوعة وهذا ما سيؤدي الى تأخير آخر. ثم أضاف ان كل ما يطلبه الاتحاد السوفييتي هو ان يعرف اسم القائد الذي سيقود العملية وهو لا يسعى الى ممارسة التأثير في هذا الاختيار. وعندما طمأنه تشرشل بأن التعيين سيتم في ظرف أسبوعين، وجد الزعيم السوفييتي ان ذلك كافياً في هذه المرحلة. لكن سير المناقشة بوجه عام أظهر كم كان الروس يشكّون في ان عملية العبور ستتم أخيراً، وليس في هذا الشك ما يبعث على الدهشة في واقع الحال.

على ان تشرشل عمد الى إذكاء هذه الشكوك بعودته الى أسلوب «اللباقة» في طرح وجهة النظر البريطانية وبخاصة قوله «انه لن يوافق مطلقاً على ان يبقى هذا الحشد الكبير من القوات الحليفة المتواجدة في مسرح البحر المتوسط عاطلاً عن العمل خلال الستة أشهر التي تسبق العبور، لكنه سيتخلى عن معارضته إذا ما تأجلت عملية العبور لمدة ستة أسابيع مثلاً (فهذه الفترة من التأخير في رأيه سوف تجعل بالامكان الاحتفاظ بعدد من سفن الانزال كافية لنقل فرقتين من الجنود) وهذه كما اعتقد ستمكنه من دعم القوات المعدة سلفاً لعمليتي الاستيلاء على روما ومهاجمة (رودس). وعاد تشرشل ليؤكد على النقطة التي طرحها بروك في اجتماع رؤساء الأركان قائلاً، ان حجم القوة التي سيكون في الامكان سحبها من إيطاليا لاسناد عملية الانزال في جنوب فرنسا يجب ان يُدرس بعناية. ذلك ان قوة صغيرة الحجم نسبياً يمكن ان تباد بسهولة من قبل الألمان. كذلك فان على الزعماء الثلاثة ان يوافقوا على تقديم المزيد من العون الى حركة المقاومة اليوغسلافية التي نجحت في الابقاء على حوالي ثلاثين فرقة عسكرية المانية في البلقان مشلولة عن الحركة. ولكنه كرر القول انه ليس لدى الانكليز أية نية لارسال قوة كبيرة الى البلقان. أما بالنسبة لتركيا فالحكومة البريطانية مستعدة لممارسة أشد الضغوط عليها لدخول الحرب، وهي أي

بريطانيا تأمل في ان تحذو الولايات المتحدة حذوها.

كان تشرشل يأمل انه إذا هاجمت بلغاريا الأراضي التركية فان الاتحاد السوفييتي سيعلن الحرب على البلغار. وانه ما لم تتحمل تركيا نصيبها من التضحيات فانه لا يمكنها أن تتطلع نحو الحلفاء لمساعدتها في الدفاع عن حقوقها في البسفور والدردنيل. ثم عاد ليقول ان الهدف من عمليات البحر المتوسط برمتها هو التخفيف من الضغط الألماني على الجبهة الروسية في المقام الأول والمساعدة ثانياً في تمهيد الطريق أمام عملية العبور.

في هذه المرحلة كان صبر المارشال ستالين قد أخذ ينفد كما يبدو. إذ ان المناقشات راحت تدور في حلقة مفرغة. وهكذا تدخل ليقول ان الاتحاد السوفييتي سيعلن الحرب على بلغاريا إذا هاجمت هذه الأخيرة تركيا. ونحن متفقون جميعاً من جهة ثانية على تقديم العون لليوغسلاف في مقاومتهم للألمان، ولكن هذه المسائل هي مسائل طفيفة إذا ما قيست بعملية العبور. ولكي نبلغ ما نسعى اليه من أهداف فلابدمن الشروع بعملية العبوربأسرع ما يمكن وان نضمن نجاحها بالشروع بعملية انزال في جنوب فرنسا قبل العبور أو في الوقت نفسه. وإذا كان لابد ان يجتمع الممثلون العسكريون للدول الثلاث مرة ثانية، فينبغي على حد ما قاله ستالين أن يكون همهم الوحيد تعيين قائداً للعبور والاتفاق على موعد معين للشروع بالعملية. وجد روزفلت عند هذه النقطة، الوقت مناسباً لطرح حل وسط فقال انه إذا تم التخلي عن واحدة من عمليات الانزال الثلاث (رودس، استعادة روما، او عملية الانزال في جنوب فرنسا) فانه سيكون بامكان المضي قدماً في عملية العبور لكي تتم في الوقت المضروب لها. أما إذا كانت العمليات الثلاث ستتم جميعاً فهذا يعني كما سمعنا من رئيس الوزراء تشرشل ان عملية العبور ستتأخر لمدة ستة أسابيع. ثم أوضح الرئيس الأمريكي بكل جلاء أياً من العمليات ـ كما يعتقد هو ـ يجب صرف النظر عنها، فقال ان المشكلة في عملية مهاجمة جزيرة (رودس) هي انها، في حالة دخول تركيا الحرب قد تتطور على نحو أوسع (إشارة الى إمكان انتقالها الى البلقان) وهذا ما سيؤدي الى تأخير عملية العبور لفترة طويلة.

يبدوا ان روزفلت شأنه شأن رؤساء الأركان الأمريكان قد أقنع نفسه بأن تشرشل عازم على «غزو البلقان» بهذا الشكل أو ذاك ليس لأنه يفضل ستراتيجية كهذه ، بل لأنه يريد في نهاية المطاف أن يقف بوجه الروس في وسط أوربا. أما ستالين فهو كما كان يعتقد روزفلت يدرك تماماً المضامين السياسية لاستراتيجيات متضاربة. وعلى أي حال فالرئيس الأمريكي كان عازماً على تبني ستراتيجية هدفها الأساس هو إيصال الحرب الى نهايتها بأسرع ما يمكن. وها هو قد اقتنع تماماً الآن بأن عملية العبور ، مصحوبة بانزال في جنوب فرنسا هي الاستراتيجية المثلى التي يمكن ان تجعله يبلغ هذا الهدف.

ووفقاً لما ورد في مذكرات (اليوت) نجل الرئيس روزفلت ، فان الرئيس الأمريكي كان يعتقد ان اهتمام تشرشل يكاد ان ينصب على مستقبل أوربا بعد الحرب وكان يخشى من ان تصبح روسيا من القوة بدرجة لا يستطيع الغرب معها ان يفعل شيئاً في مناطق تهمه كثيراً خاصة وان الولايات المتحدة غير مستعدة للمجازفة بحياة أبنائها من الجنود في عمليات هدفها الأساس المحافظة على المصالح البريطانية المهددة في القارة الأوربية.

أسرعَ ستالين الى تأييد اقتراح روزفلت الأخير فيما يتعلق بعملية العبور بقوله «ان الشروع بالعملية ينبغي ان لا يتأخر الى ما بعد العشرين من ايار ١٩٤٤. أما تشرشل فقد ردَّ بحدة انه لا يستطيع بقدر تعلق الأمر ببريطانيا ان يعطي مثل هذه التعهد. ثم وهذه المرة بـ «لهجة توفيقية» قال «قبل كل شيء ليس هناك اختلاف أساسي فيما بيننا ، فنحن جميعاً نريد ان تتم العملية بأسرع ما يمكن ، ولكنه سيكون من الخطأ الفادح أن نجعل القوات المرابطة في إيطاليا مشلولة عن العمل مدة تقرب من الستة أشهر ونضحي بإمكانات عسكرية كبيرة يزخر بها مسرح عمليات البحر المتوسط لمجرد أن نباشر بالعبور في الأول من ايار بدلاً من أوائل حزيران ، وعاد ليذكّر ستالين بالشروط والمتطلبات التي قيلت في مؤتمر موسكو لضمان نجاح هذه العملية ومن بينها ضمان عدم وجود فرق المانية كثيرة في فرنسا عند الشروع بالعملية وكذلك التأكد من انه لن يكون بوسع الألمان إرسال تعزيزات كبيرة من مسارح العمليات الأخرى الى مسرح عملية العبور. لذلك فمن الضروري ارغام الألمان على

الابقاء على أكبر عدد من فرقهم العسكرية قدر المستطاع في الجبهات الأخرى. بعد هذا انتقل تشرشل الى النقطة التي أثارها روزفلت وهي ان عملية مهاجمة رودس والجزر اليونانية الأخرى في بحر إيجه قد تتطور الى عملية كبيرة فأكد ثانية ان هذه العملية لن تحتاج سوى الى قوات صغيرة نسبياً من تلك الموجودة في المنطقة ولذلك فالحاجة ستكون محدودة أيضاً على عدد صغير من سفن الانزال وهذه ستبقى أولاً وأخيراً في البحر المتوسطحتى أيارالقادم مهما كانت الأحوال.

هنا بدأ ستالين يبدي نفاد صبره علانية فقد شعر ان ما قيل كان كافياً. والرئيس روزفلت كان قد طلب ان يجتمع اليه لثلاثة أو أربعة أيام وهو ـ أي الزعيم ـ السوفييتي لا يستطيع بالطبع ان يمكث في طهران الى ما بعد الثاني من كانون اول. ثم انه لا يفضل ترك مسائل مهمة الى لجان فرعية سياسية وعسكرية. فرؤساء الدول الثلاث موجودون هنا ولابد من أن يتخذوا بأنفسهم القرارات النهائية، خاصة ما يتعلق بموعد عملية العبور وتعيين قائد للعملية وتحديد وقت للانزال على جنوب فرنسا كعملية مساندة. كان يريد أن يتم العبور بأسرع وقت مستطاع، ومهما كان الموعد الذي سيُتفق عليه فيجب أن يكون على علم به إذا أُريد للجيش الأحمر أن يقوم بعملية هجومية تتصادف وموعد المباشرة بالعبور. وهذه نقطة منطقية.

بعد هذا قام روزفلت بتلاوة توجيهات لرؤساء الأركان كان يأمل عن طريقها إرضاء كل من ستالين وتشرشل على السواء. وتدعو هذه التوجيهات الى اعتبار عملية العبور «العملية المهيمنة» وانه لا ينبغي لأية عملية أخرى في البحر المتوسط وسواه ان تسهم في تأخيرها لفترة طويلة.

أما تشرشل الذي كان يرى انه ليست هناك حاجة للاسراع باتخاذ قرار بصدد العبور، فقد اقترح ان يجتمع الممثلون العسكريون مرة أخرى لمزيد من الدراسة، ولاجتماع آخر بين ايدن ومولوتوف وممثل من الولايات المتحدة لدراسة النواحي السياسية المتعلقة بها.

عند هذا الحد لم يكن بوسع المارشال ستالين ان يقاوم أكثر، فالتفت الى تشرشل بحدة فاقت تلك التي استخدمها المارشال (فورشيلوف) حينما ردَّ على الجنرال

بروك قائلاً «هل يؤمن الانكليز بالعبور ، أم انهم يقولون ذلك لمجرد تهدئة خواطر الروس ؟» ردَّ تشرشل بنفس الأسلوب الذي ردَّ به بروك على فورشيلوف «نعم إذا توفرت الظروف المناسبة».

بات واضحاً لدى روزفلت ان التوتر قد بلغ أشده ، فتدخل لتهدئة الموقف قائلاً «انه قد أعد مأدبة عشاء فاخرة تنتظرهم ولابد أن يكونوا قد جاعوا الآن جميعاً».

اقترح تشرشل ان يجتمع رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان وحدهم غداً لتنسيق وجهات نظرهم لكي يقدموا للروس على الأقل برنامجاً متفقاً عليه. وقد ردَّ ستالين (كما جاء في الوثائق الروسية) بقوله «ان هذا بالتأكيد سيساهم في الاسراع في أعمالنا». ثم أضاف أيضاً انه بالامكان أن يجتمع وزيرا الخارجية السوفييتي والبريطاني وممثل عن الرئيس روزفلت إذا رأى الغربيون ان ذلك أمراً ضرورياً.

أخيراً بدا انه تم الاتفاق على ان يجتمع الجنرالات الانكليز والأمريكان في الصباح ، وان يتناول الأقطاب الثلاثة الغداء في الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر بينما يتناول وزراء الخارجية طعام الغداء على حدة ، ثم تُعقد جلسة موسعة أخرى في الساعة الرابعة بعد الظهر. همس الرئيس روزفلت بعد الجلسة في أذن نجله اليوت قائلاً «إن ونستن تشرشل يعرف الآن حق المعرفة انه قد هُزم».

لكن سواء كان تشرشل قد هُزمَ أم لا ، فالرجل لا زال يتمتع بمعنويات عالية كما اتضح ذلك في وقت متأخر من ذلك المساء عندما اجتمع الزعماء الثلاثة على مأدبة العشاء التي أقامها ستالين تكريماً لهم في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين وحضرها مولوتوف وايدن وهوبكنز وهاريمان وكذلك (اليوت) نجل الرئيس روزفلت الذي تسبب حضوره في مأزق كما سنرى.

المدونات المختلفة للمشاركين يجب قبولها بحذر بسبب ما زخرت به المأدبة - وهو أمر اعتيادي في الولائم الروسية - من النبيذ والفودكا ، ومع ذلك فان الروايات كلها تجمع على ان ستالين عبّر عن استيائه من معارضة تشرشل لخططه «بوخزه دون رحمة» كما عبّر «هاريمان» عن الموقف ، فقد كرر ستالين بشكل ضمني مراراً بأن تشرشل كان يحابي الألمان سراً ولذلك فهو يريد الوصول معهم الى «سلام هاديء» قائلاً «نحن الروس لسنا بعميان» مشيراً الى ان الدافع الحقيقي لتشرشل هو حرصه

على الابقاء على المانيا «حصناً منيعاً بوجه روسيا». ثم عاد ليشدد على ضرورة اتخاذ كل الاجراءات الصارمة ضد الألمان وإلا فانهم سينهضون ثانية في ظرف سنوات قليلة ، ومن بين هذه الاجراءات تصفية هيئة الأركان الألمانية برمتها موضحاً ان ذلك يتطلب اعدام (٥٠) ألف وربما (١٠٠) ألف ضابط الماني.

هنا حدث الانفجار على مأدبة العشاء ، ربما كما كان يتوقع ستالين ، خاصة بعد ان بلغ التأزم أشده. فقد ردَّ تشرشل بحدة انه لن يوافق شخصياً على إعدامات جماعية أو أية «أعمال بربرية أخرى». بل ينبغي أن يقتصر العقاب على مجرمي الحرب الذين تتم ادانتهم بعد محاكمة عادلة. تدخل روزفلت لتهدئة الموقف بـ «نكتة سخيفة» حينما قال انه بدلاً من اعدام ٥٠ الف ضابط فهو يعتقد ان اعدام ٤٩ الف فقط سيفي بالغرض. ويبدو ان المسكين اليوت روزفلت قد استدرجه ستالين للنقاش ، وهذه الاشارة الى ضابط صغير ربما كان من رأي تشرشل ألا يكون هنا مطلقاً ، ضاعفت من غضبه ، وطبقاً لقوله فانه ترك مكان الاحتفال الى غرفة مجاورة حيث تبعه ستالين ومولوتوف وأقنعاه بالعودة.

عندما أُستونف الحديث وانتقل الى مسألة احتفاظ «الدول الكبرى الثلاث» بمواقع وقواعد وأراضٍ في هذا الجزء أو ذاك من العالم ، قال تشرشل وقد خفت حدة غضبه «انه ليس لدى بريطانيا على الاطلاق رغبة في مزيد من الأراضي ، ولكنها في ذات الوقت غير مستعدة للتخلي عما هو تحت سيطرتها. مشيراً بشكل خاص الى هونغ كونغ وسنغافورة ، قائلاً انه إذا أراد شعب أي من الشعوب الواقعة تحت السيطرة البريطانية نوعاً من الحكومة المحلية فان هذا ينبغي ان يتم وفقاً للمبادىء التي نؤمن بصحتها وليس على أساس برنامج عمل يُفرض على بريطانيا فرضاً.

بدأ كلام ستالين يتخذ الآن موقفاً «توفيقياً» فقد راح يكيل المديح للانكليز لأنهم كما قال أبلوا بلاءً حسناً في الحرب وانهم يستحقون ان يكافأوا على ما قدموه ، وانه لهذا السبب فهو يعتقد شخصياً ان على الانكليز ان يوسعوا مساحة الرقعة التي يحتلونها حول جبل طارق على حساب اسبانيا ، مشيراً الى ان الجنرال فرانكو قد ناصب الروس العداء ولذلك فهم سيعملون على إزاحته والاتيان بحكومات «أكثر

ملائمة» في كل من اسبانيا والبرتغال.

إدراكاً من تشرشل بأنه سيكون من الصعب مقاومة مطالب ستالين الاقليمية، خاصة وان الانكليز أنفسهم طامعون في أراضي الغير، فقد تساءل تشرشل عما إذا كان الاتحاد السوفييتي يعتزم المطالبة بمزيد من الأراضي. غير ان ستالين لم يُستدرج الى المناقشة باستثناء القول «ان الوقت سيحين... وعندها ستعرفون ما هي مطالبنا»، عاكساً، بما لا يقبل الشك، الانطباع بأن كل يوم يمر من العمليات على الجبهة الشرقية، كان يعزز الموقف «التساومي» للاتحاد السوفييتي.

بعد مأدبة العشاء قام هوبكنز وبتوجيه من روزفلت كما يبدو بزيارة تشرشل لينصحه على الأكثر بأن «يستسلم بشرف» بالنسبة للمسائل العسكرية، مذكّراً إياه بقوة المشاعر الأمريكية المؤيدة لعملية العبور، وحقيقة ان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد ألقيا بثقلهما وراءها.

في هذه المرحلة يبدو ان تشرشل ورئيس أركانه بروك وصلا الى قناعة تامة بأن بريطانيا عاجزة ان تفرض مشيئتها على حليفيها الأكثر قوة وجبروتاً. وهكذا كان هذا اليوم يوماً سيئاً آخر للانكليز ولتشرشل بوجه خاص، غير ان الأمر الذي بدا غريباً لبروك هو كيف يُتهم الانكليز بوضع ستراتيجية تخدم أغراضهم السياسية بينما ان روزفلت نفسه كان البادىء في محاولة فرض عملية عسكرية عليهم كعملية جزر (الاندامان) ليست ذات قيمة عسكرية، لمجرد إرضاء (كاي شك)، وها هو الآن يرى عملية أخرى مشكوك في نتائجها لإنزال قوات في جنوب فرنسا لمجرد ان يكسب ود ستالين. مع هذا فقد وجد بروك انه لابد للانكليز من ان يأخذوا العملية الأخرى بجدية إذا كانوا يريدون انقاذ الحملة على إيطاليا بكاملها، ونظير ذلك فعلى الأمريكيين ان يقبلوا بتأجيل محدود لعملية العبور حتى يكون بوسعهم الوصول الى ما يريدون الوصول اليه.

ستالين من ناحيته، لابد وان يكون قد شَعَر بأنه غاية في الارتياح الآن، فتشرشل لم يعد بوسعه ان يقف بوجهه أو بوجه روزفلت الى ما لا نهاية، خاصة بعد ان أوضح الأمريكيون انهم سيذهبون الى أبعد مدى في تلبية المطالب العسكرية السوفييتية وبعد ان فترَ حماسهم تماماً لأية مغامرة عسكرية من

شأنها ان تضع قوات انكلو ـ امريكية كبيرة بـوجه زحف الجيش الأحمـر من جهة الشرق. وفوق هذا وذاك فإذا كان روزفلت يقصد ما يقول (إشارة الى عزمه سحب القوات الأمريكية من أوربا بعد الحرب مباشرة) فلن تقتصر الأمور على انه لن يكون هناك تواجد عسكري انكلو ـ امريكي في أوربا الشرقية بل انه لن يكون هناك وجود عسكري امريكي في أوربا كلها في فترة وجيزة.

أما بالنسبة لمعاملة المانيا «بشكل لائق» بعد الحرب فقد وجد تشرشل انه نظراً لأن روزفلت لم يتجاوب معه في المسائل الأخرى فلن يتجاوب أيضاً معه في هـذه القضية وبالتالي فان مقاومته للعقوبات الصارمة التي يخطط لها ستالين ضد الألمان قد تنهار هي الأخرى كما انهارت في مناسبات سابقة خاصة وان روزفلت على سبيل المثال لم يعد يريد حتى ان يتدخل الى جانب حليفه البريطاني عندما كان هذا الأخير يتلقى تعنيف ستالين الشديد في أمسية ذلك اليوم.

لـذلك وجـد تشرشـل ان من المناسب التخـلي عن محاولـة التدخـل للرأفة بالألمان، فربما كان ستالين قد بدأ ينظر الى الموقف الآخذ بالنشوء الآن من الزاوية التي تجعله يشعر ان الاتحاد السوفييتي بات في موقف قوي الى درجة لم يعد فيها لزاماً عليه أن يقدم أية تنازلات لوجهة النظر الغربية حول أي موضوع يمسه مباشرة.

٣٠ تشـرين الثاني: التصـديق عـلى القـرار العسكـري، تـركيـا والدردنيل، والمياه الدافئة.

كما جرت العادة بالنسبة للأيام السابقة من مؤتمر طهران فقد استقبل الجنرال (بروك) هذا اليوم وقد فتر حماسه. وكما جاء في مذكراته فقد توقع يوماً سيئاً آخر من المناقشات المطولة والمنهكة خاصة وانه يترتب قبل كل شيء ان يجتمع الجنـرالات الانكليز على حدة للموافقة على التكتيكات التي ستتبع في مناقشاتهم اللاحقة مـع زملائهم الأمريكان ومن ثم محاولة اقناع هؤلاء بالقبول «بالصيغ الوسط» التي انتهوا اليها وفي كلا الاجتماعين كان بروك يدرك ان العبء الأكبر سيقع على عاتقه هو.

على أية حال فان مسار المناقشات بات واضحاً تماماً الآن ، فالأمور قد تطورت الى الدرجة التي بات معها هو وتشرشل ان يحاولا انقاذ ما يمكن انقاذه فقط ، فمقابل موافقة نهائية من الانكليز على موعد محدد لعملية العبور يكون مقبولاً للأمريكان والروس ، لابد لرؤساء الأركان الأمريكيين بدورهم أن يكونوا راغبين في الموافقة على استمرار الضغط العسكري ضد الألمان في إيطاليا بشكل يكفي لتوفير أدنى ما يمكن من الظروف المناسبة لعبور ناجح للقنال الانكليزي ، وهذا يعني موافقة الجنرالات الأمريكان على ابقاء سفن الانزال في البحر المتوسط لفترة تكفي لشن هجوم برمائي هدفه دعم عملية الاستيلاء على روما والوصول بالقوات الحليفة الى خط (بيسا - ريميني). وعلى ضوء ما يمكن تحقيقه في هذهِ العملية ، سيتحدد الموعد النهائي للعبور. وبرأي «بروك» ان سفن الانزال المخصصة للعبور لا يمكن في حالة كهذه ان تصبح جاهزة للانتقال الى مسرح العمليات في القنال الانكليزي قبل شهر حزيران على أقل تقدير. هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان رؤساء الأركان الأمريكان والمارشال ستالين لم يوافقوا أيضاً من ناحيتهم على موعد يتجاوز حزيران بشكل من الأشكال ، خاصة وان الروس كانوا قد لّمحوا بالفعل ان هجومهم الصيفي في الجبهة الشرقية لم يُباشَرْ به قبل حزيران. وهكذا فان كل الدلائل باتت تشير الى حزيران كموعد ملائم للعبور.

وعلى أساس هذا الافتراض سوف يتم التحكم في مواقيت العمليات الأخرى ، فموعد الانزال في الجنوب الفرنسي سيكون مثلاً مرهوناً بـ «متى يكون بالمستطاع سحب قوات كافية من إيطاليا لدعم الانزال بعد ان تكون هذه القوات قد أنهت مهمتها الرئيسة بنجاح.» (أي استعادة روما والوصول الى خط (بيسا - ريميني) ذلك على ما إذا سيكون بالامكان توفير معدات انزال كافية بعد سد ما تحتاجه جهة عملية العبور من معدات. شعر (بروك) ان الحاجة الى توفير سفن الانزال لعملية العبور ربما تُقنع الأمريكان أخيراً بسحب جزء من معداتهم من مسرح عمليات جنوب شرق آسيا وهذا ما سيؤدي الى التخلي عن عملية جزر (الاندامان) او على الأقل تأجيلها.

غير ان ستالين وفّرَ للانكليز هذه المرة حجة جديدة يستطيعون استخدامها في هذا الموضوع الشائك ، فإذا أصبحت مشاركة الروس في الحرب ضد اليابان أكيدة تماماً ، فان الحاجة الى شن عمليات باهظة التكاليف في خليج البنغال ستتضاءل كثيراً . او كما قال ستالين «إذا كانت البلقان بعيدةً جداً عن قلب المانيا ، فالمحيط الهندي بعيد هو الآخر عن قلب اليابان بهذا القدر او ذاك» .

أما بالنسبة لعملية مهاجمة الجزر التي يحتلها الألمان في بحر إيجه ، فمدى نجاحها يعتمد على دخول تركيا الحرب ، خاصة وان (بروك) نفسه لم يكن مقتنعاً بأن عمليات عسكرية واسعة النطاق في هذه المنطقة يمكن التوفيق بين متطلباتها ومتطلبات الحملة العسكرية في إيطاليا . وهكذا فمن المحتمل انه شعر الآن انه لن يكون من السهل جر الأتراك الى القيام بعمل ما . هذه هي الحالة ، فلماذا إذن نضيع المزيد من الوقت والجهد في المناقشة مع الأمريكان حولها ؟ .

بدأ اجتماع رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح هذا اليوم في مقر البعثة الدبلوماسية البريطانية ولم تعد هناك صعوبة أمامهم في الوصول الى اتفاق في ضوء الموقف الذي كشفت عنه المناقشات التي تمت في الاجتماعات الموسعة للأقطاب الثلاثة ومحادثات رؤساء الأركان . أشار الجنرال (بروك) في بداية الاجتماع الى ان الخطة الأصلية التي وضعها الجنرال «آيزنهاور» للإنزال في جنوب فرنسا كانت مشفوعة بتوصية تدعو الى تشديد الضغط على القوات الألمانية في إيطاليا ، على اعتبار انه سيكون عاملاً مهماً في إنجاح العبور بدلاً من تشتيت الجهد في عملية عسكرية في جنوب فرنسا .

إذا كان هذا صحيحاً فانه سيؤدي الى التقليل من أهمية هذه العملية الأخيرة ، لكن رؤساء الأركان الانكليز وافقوا مع ذلك على انه طالما كان «ستالين» قد ألحَّ على عملية الانزال وأيده رؤساء الأركان الأمريكان فلابد من تسوية الأمر عن طريق حل وسط يتماشى على الأقل مع تحديد موعد وجدول زمني لهذه العملية . وانه ينبغي على الأمريكان مقابل الموافقة البريطانية على الانزال في جنوب فرنسا ان يقبلوا بتقدم القوات المرابطة في إيطاليا باتجاه خط (بيسا ـ ريميني) بما سيترتب على هذا القبول من الابقاء على سفن الانزال «الثمينة» في البحر المتوسط على الأقل حتى أواسط كانون

الثاني ١٩٤٤ ، مع اعطاء وقت اضافي لتصليحها وإعدادها للخدمة الفعلية قبل إرسالها الى بريطانيا لتشارك في تنفيذ عملية العبور ، وهذا سيعني من وجهة نظر (بروك) ان العملية الأخيرة لن تتم قبل الأول من حزيران بأي حال.

كانت هذه هي بعض الملاحظات المهمة التي أراد الجنرالات الانكليز تقديمها عن طريق هيئة الأركان المشتركة الى كل من (تشرشل) و(روزفلت) و(ستالين). أما الملاحظات الأخرى فقد اشتملت على برنامج لزيادة العون المقدم الى حركة المقاومة اليوغسلافية ، وبرنامج كهذا لن يثير الجدل لأن الزعماء الثلاثة كانوا قد عبّروا عن تأييدهم لسياسة كهذه بشكل او بآخر. أما فيما يتعلق بالموضوع الأخير المثير للجدل وهو عملية الهجوم على (رودس) والجزر اليونانية الأخرى في بحر إيجه ، فقد إرتأى الجنرالات الانكليز ببساطة ان يؤجلوا اتخاذ قرار بشأنه بانتظار ما ستسفر عنه الجولة الجديدة من المحادثات مع الحكومة التركية التي يتوقف نجاح هذه العملية على مدى تعاونها. كذلك اتفق الانكليز على الاستفسار من زملائهم الأمريكان ، عما إذا كان التزام (ستالين) النهائي بدخول الحرب ضد اليابان في الشرق الأقصى ، قد غيّر من رأيهم في مدى ضرورة عملية جزر (الاندامان) ، وإذا كان الأمر كذلك (أي انهم صرفوا النظر عن تلك العملية) فلا بأس إذن من نَقْل معدات الانزال المعدة لها في الأساس الى منطقة البحر المتوسط او الى مسرح عملية العبور وحسب ما تقتضيه الحاجة.

لم يعد من الصعب الوصول الى اتفاق مع الجنرالات الأمريكان على هذه الأسس ، خاصة وانه ظهر من خلال سير المناقشات التي جرت حتى الآن ان هناك ميلاً لدى الأمريكيين للموافقة على «تأجيل محدود» لعملية العبور اما اصرارهم على الشروع بها في الأول من ايار فكان يرجع الى خشيتهم من ان أي ضعف في هذه النقطة بالذات قد يفتح ثغرة في استراتيجيةٍ متفق عليها بالفعل وبذلك يكون الطريق ممهداً أمام (تشرشل) لقيادة العربة وتوجيه خيولها في آنٍ واحد في الطريق الذي يريده ، اما العربة المقصودة فهي عملية (رودس) وهي عملية يرى الجنرال (مارشال) انها ستتطلب أولاً الابقاء على الكثير من معدات الانزال لفترة طويلة في

شرق البحر المتوسط مما قد يؤدي الى تأخير غير مقبول لعملية العبور وثانياً لأنها قد تفتح المجال أمام الدخول في التزامات أخرى. أما تأخير محدود لعملية العبور هدفه تسهيل عمليات الحلفاء في إيطاليا والانزال في جنوب فرنسا مما قد يساعد العملية الرئيسة، فهو بحد ذاته لم يكن تأخيراً غير مقبول. والجنرال (مارشال) كونه عسكرياً لامعاً صاحب خبرة طويلة يدرك تماماً ان «الدقة المطلقة» في تثبيت الجداول الزمنية للعمليات الحربية هي مستحيلة من وجهة النظر العسكرية. وما ينطبق على (مارشال) ينطبق أيضاً على (ستالين) وفي عمليات كبرى كعملية العبور فان الظروف الجوية والليالي المقمرة وغيرها من عوامل الطبيعة قد تؤدي الى تأخيرات تصل الى عدة أيام في بعض الأحيان قبل أو بعد الموعد المضروب لها.

أما بالنسبة لعملية الانزال في جنوب فرنسا فالجنرال مارشال كان قد استنتج بالفعل انها لا يمكن ان تتم قبل ثلاثة أسابيع على الأقل للعبور، وعلى هذا الأساس فان المقترحات البريطانية قد هيأت إمكانية الوصول الى حل وسط على كل العمليات الأخرى باستثناء (رودس) وعملية جزر (الاندامان)، حيث يدرك رؤساء الأركان الأمريكان ان الرئيس «روزفلت» وحده هو الذي يستطيع تقديم أي تنازل بالنسبة لهذه الأخيرة، ذلك لأنه هو الذي تعهد لـ (كاي شك) بالقيام بها.

وهذا ما حدث تماماً عندما اجتمع رؤساء الأركان الأمريكان والانكليز في الساعة التاسعة والنصف في مقر البعثة البريطانية بعد قدر كبير من المناقشة بالطبع، عرض خلالها كل من الجانبين العمليات التي يفضلها دون المساس بالهدف الرئيس، بدأ الجنرال «بروك» المناقشة بالاشارة الى الخطوط العامة للحل الوسط الممكن الوصول اليه وهي:

١ - قبول الانكليز بعملية الانزال في جنوب فرنسا.
٢ - قبول الولايات المتحدة باستمرار هجوم الحلفاء في إيطاليا الى الحد الذي تصل فيه القوات الى خط (بيسا - ريميني).
٣ - بعض التأخير في عملية العبور.

ثم قال ان ما هو مطلوب منا الآن هو الوصول الى أساس متفق عليه لتقديم مثل هذا الحل الى الروس في الجلسة الموسعة التي ستعقد بعد الظهر. ثم عاد ليوضح ما هو الأساس الذي يقصده مشدداً على ان عملية الاستيلاء على روما والوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) سوف يتطلب القيام بعمليات انزال برمائية ، ولهذا فان الابقاء على معدات الانزال في البحر المتوسط لهذا الغرض يعني من وجهة النظر البريطانية انه سوف لا يمكن الشروع بعملية العبور قبل شهر حزيران. وأخيراً أضاف الجنرال (بروك) انه طالما ان الجانبين لم يتفقا على عمليات بحر إيجه فان قراراً حول هذا الموضوع ينبغي ان يترك الى ما بعد الجولة القادمة من المحادثات مع الجانب التركي حول دخول تركيا الحرب.

تولى الجنرال (كنغ) هذه المرة الاجابة على ما طرحه الجنرالات الانكليز بدلاً من الجنرال مارشال بلهجة غلب عليها الطابع التوفيقي فقال ان رؤساء الأركان الأمريكان موافقون تماماً على ان العمليات التي تحدث الجنرال (بروك) عنها بالنسبة للجبهة الايطالية يجب ان تتم وفقاً لما هو مقرر لها لكنهم لا يعتقدون ان الابقاء على سفن الانزال التي تحتاجها في البحر المتوسط لغاية الخامس عشر من كانون الثاني يمكن ان يترتب عليه أي تأخير لعملية العبور. وهذا هو المصدر الوحيد لقلقهم.

غير ان الملاحظة الوحيدة التي شذت عن هذا الأسلوب التوفيقي في حديث الجنرال «كنغ» كانت اشارته الى ان عمليات بحر إيجه قد تؤدي الى تأخير لا مبرر له لعملية العبور. هنا وَجَدَ (بروك) نفسه مضطراً للتدخل ثانية في المناقشة مكرراً ما سبق وان قاله في الاجتماع المشترك السابق للجنرالات الانكليز والأمريكان من ان تصليح معدات الانزال من سفن وغيرها بعد عملية استعادة روما وتأهيلها للخدمة الفعلية ثانية وارسالها الى مسرح عملية العبور بعد ذلك ، سوف يعني على الأرجح ان الموعد المضروب لهذه الأخيرة وهو الأول من ايار لابد من تأجيله بعض الوقت.

هنا تدخل الجنرال (مارشال) ليؤيد وجهة نظر (كنغ) قائلاً ان المخططين العسكريين الأمريكان لا يعتقدون ان العمليات على الجبهة الايطالية او الانزال في جنوب فرنسا يمكن ان تؤثر على موعد الشروع بالعبور وهم يرون انه حتى لو أُبقيت معدات الانزال من سفن وغيرها في البحر المتوسط حتى أوائل شهر آذار ١٩٤٤ فمن

الممكن ، بعد ذلك ارسالها الى مسرح عملية العبور في الوقت المحدد ، وما سيتبقى منها في مسرح عمليات البحر المتوسط سيكون كافياً لنقل ما يقرب من ٢٧ ألف جندي للمرحلة الأولى من الانزال في جنوب فرنسا .

تحدث بعد ذلك الادميرال (كننغهام) فألقى ظلالاً من الشك على ما قاله الجنرال (مارشال) حيث أشار وهو بصفته قائد القوات البحرية البريطانية وصاحب تجربة أكثر من أي من الحاضرين في عمليات البحر المتوسط ، الى انه يعتقد ان بالامكان الابقاء على سفن الانزال في مسرح العمليات هذا حتى الخامس عشر من شباط كأقصى موعد دون أن يؤثر ابقاؤها حتى هذا التاريخ على موعد الشروع بعملية العبور. كان هذا في الواقع تنازلاً بسيطاً لوجهة النظر الأمريكية ذلك ان الادميرال كان أكثر مرونة من الجنرال «بروك» حيال هذه المسألة .

عاد الجنرال (كنغ) ليستغل النقطة التي أثارها (كننغهام) قائلاً «لكي نكون على الجانب الأسلم فلننقل إذن ليس بعد الأول من شباط» ولم يدرِ انه بهذه الملاحظة فقد جاء قوله متناقضاً مع ما ذهب اليه الجنرال (مارشال) والمخططون العسكريون الأمريكان .

أظهرت المناقشات في هذه المرحلة ان الجنرالات الانكليز والأمريكان وصلوا الى نقطة لم يعد فيها واضحاً مَنْ هو الذي يحاجج مَنْ ! ، وحول أي موضوع يحاجج فيه !.. ويبدو ان (مارشال) فطن الى ذلك فأعاد الحاضرين الى الحجة التي سبق للأمريكان ان طرحوها وهي ان عملية استعادة روما والانزال في جنوب فرنسا يجب ان يتما في موعد منسجم مع موعد عملية العبور في الأول من شهر ايار ١٩٤٤ . وإذا كان لابد من ادخال عملية (رودس) في هذا البرنامج باستخدام نفس سفن الانزال ، فهذا سوف يعني بالتأكيد ان الانزال في جنوب فرنسا سيتأخر الى ما بعد فترة طويلة من أي موعد قد يتفق عليه لعملية العبور او بعبارة أخرى فان الانزال سوف لن يتم في آنٍ واحد مع هذه العملية الأخيرة او في حدود موعدها. والأسوأ من هذا فان برنامج عمليات «رودس وروما» والجنوب الفرنسي قد يتطلب الابقاء على سفن انزال الدبابات الثقيلة التي تحتاجها عملية العبور ، في مسرح عمليات البحر المتوسط ، فترة أطول من المسموح به وهذا ما سيترتب عليه تأخير العبور دونما مبرر .

استغل (بروك) الفرصة ليثير النقطة التي شعر هو و«تشرشل» انها حيوية للغاية ، فطالما ان المشكلة تنحصر في توفير معدات الانزال فلماذا لا يعاد تخصيص الـ ٣٣ سفينة انزال المعدة بالأساس لعملية جزر (الاندامان) للاستعانة بها في دعم عملية العبور او عمليات البحر المتوسط .

على أية حال فقد رفض الجنرال مارشال ان يُستدرج الى هذه النقطة خاصة وانه قد أوضح في مؤتمر القاهرة بجلاء ان الرئيس «روزفلت» وحده هو المخول بتقديم أي تنازل بالنسبة لعملية (الاندامان) .

ثم استمرت المناقشة حول نفس هذه النقاط ولكن الجانبين أخذا فيما بعد وبشكل تدريجي يقدمان التنازلات الى بعضهما البعض . فقد أوضح الجنرال (مارشال) انه شخصياً لا يحبذ وجهة نظر ستالين بأن يتم الشروع بالانزال في جنوب فرنسا قبل عملية العبور ، بل يسعى لأن تتمَ العمليتان في آنٍ واحد او على الأقل بفارق زمني قصير جداً . بعد ذلك راح (مارشال) يطمئن الانكليز بقوله «ليس هناك قصد لتجريد إيطاليا من القوات الحليفة تماماً ، إذ لابد من الابقاء على ما يكفي من القوات هناك لضمان خط دفاعي بوجه الألمان بعد الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) .

اعترف (ارنولد) من ناحيته للجنرال «بورتال» بأن غطاءاً جوياً مناسباً لعملية جنوب فرنسا هو العنصر الأكثر إثارة للقلق وانه لابد من اعطائه ما يستحق من اهتمام . وهكذا فقد وصل المجتمعون الى النقطة التي جعلت من وجهة نظر الجنرال (بروك) الأساسية مقبولة ، وهي ان عملية الانزال في جنوب فرنسا يجب ان تعتمد على المدى الذي تُلبىٰ فيه احتياجات كل من عمليات إيطاليا وعملية العبور وبالتالي فان موعدها ينبغي ان يُحدد على أساس الامكانات العسكرية الحقيقية وليس على ما يرغب به الروس .

مع هذا فلم يكن الجنرال(كنغ) او الادميرال (ليهي) مستعدين للاعتراف بأن هذا البرنامج سيؤدي بالضرورة الى تأخير عملية العبور حتى ولو اُستبعِدَتْ عملية (رودس) ولكن الجنرال (مارشال) من ناحيته كان يسعى لايجاد حلٍ وسط .

أخيراً نقل الجنرال (بروك) المجتمعين الى حيث يجب اتخاذ القرار قائلاً «ان

علينا الآن ان نقرر ما سنقوله للروس بصدد الموعد النهائي لعملية العبور» . ورغم انه كان يرى ان الأول من ايار موعدٌ غير مناسب لأنه لن يتيح وقتاً كافياً لاتمام عملية روما والانزال في جنوب فرنسا ، وهما عمليتان تم التوصل الى اتفاق عام من حيث المبدأ بشأنهما ، إلا انه كان يعتبر تأجيل العبور شهراً واحداً حتى الأول من حزيران ، غير كاف هو الآخر لانتاج ما يكفي من معدات انزال للعملية الرئيسة ، اما إذا صرف الأمريكيون النظر عن عملية جزر (الاندامان) فهذا ما سيوفر لهم الجهد والوقت في آن واحد إذ سيترتب عليه نقل سفن الانزال لهذه العملية الى مسرح البحر المتوسط او مسرح العبور حسب ما تقتضيه الحاجة.

وقد حظي موقف الجنرال «بروك» هذا بتأييد كل من الجنرال (بورتال) والادميرال (كننغهام) اللذين اعتبرا ان معدات الانزال المخصصة لجزر (الاندامان) من شأنها ان تسد النقص في هذه المعدات لعملية العبور وللانزال في جنوب فرنسا على السواء ولكن كيف الوصول الى اقناع الجنرالات الأمريكان بالتخلي عن عملية (الاندامان) ؟ تدخل الجنرال «بروك» ثانية ليقول ان الأول من ايار قد أُتفق بشأنه في «كويبك» كحل وسط في حين ان ما كان الأمريكان يطالبون به في الأساس هو ان يُباشر بالعملية في الأول من نيسان وفي حين كان ما يطالب به الانكليز هو ان تتم العملية في الأول من حزيران ولذلك فان هذا الموعد أي الأول من ايار لم يكن قائماً على أية اعتبارات ستراتيجية. غير ان «بروك» تجاهل في كلامه هذا او لم يدرك الاعتبارات الاستراتيجية التي دفعت ستالين الى المطالبة بأن تتم عملية العبور في الأول من حزيران ، وهي ان الهجوم السوفييتي الصيفي ضد الألمان على الجبهة الشرقية كان مخططاً له ان يبدأ في هذا الوقت ، وهو بالتالي يريد ان يتصادف مع الشروع بعملية العبور حتى يكون الألمان قد أُرغموا على سحب الكثير من فرقهم العسكرية لدعم قواتهم في شمال وغرب فرنسا التي تستهدفها العملية الأخيرة.

بعد هذه المداولات التي استغرقت ما يقرب من ثلاث ساعات وافق رؤساء الأركان على التوصيات التالية :

١ - انه ينبغي مواصلة زخم هجوم قوات الحلفاء في إيطاليا حتى الوصول الى

خط (بيسا ـ ريميني) مع الاحتفاظ بـ ٦٨ من سفن نقل الدبابات حتى اواسط كانون الثاني لاستخدامها في عملية استعادة روما.

٢ ـ ان تتخذ عملية الانزال في جنوب فرنسا حجم الهجوم الكبير بقدر ما تسمح به سفن الانزال المتوفرة ورغم انه لم يُحدد موعد دقيق للشروع بهذه العملية) إلا ان الجميع إرتأوا ان تتم في نفس الوقت الذي يُشرع به بعملية العبور.

٣ ـ أن يباشر بعملية العبور في الأول من حزيران ١٩٤٤، وعلى الرئيس (روزفلت) و(تشرشل) ان يبلغا «المارشال» ستالين بما تم الاتفاق عليه.

أخيراً فقد اعترف رؤساء الأركان الانكليز والأمريكان بعجزهم عن الوصول الى اتفاق بصدد عملية (رودس) وقرروا تأجيل اتخاذ قرار بشأنها بانتظار المزيد من التوجيهات من روزفلت وتشرشل، وكان على هذين الأخيرين ان ينقلا الى جنرالاتهما كل على حدة ما إذا كانا يوافقان على هذه التوصيات أم لا قبل ان تبدأ الجلسة الموسعة التالية للمؤتمر بعد ظهر اليوم.

وهكذا انتهت مناقشة طويلة حول مزايا الاستراتيجيات العسكرية لكل من الجانبين، والتي شغلت الانكليز والأمريكان مدة تقرب من السنتين، طغت خلالها المفاهيم العسكرية البريطانية وأدت الى حملة الحلفاء على شمال أفريقيا والانزال في جزيرة صقلية وأخيراً الحملة على إيطاليا، اما الآن فقد جاء دور الاستراتيجية التي كانت الولايات المتحدة تفضلها على الدوام، لتطغى على المفاهيم الانكليزية، وبتأييد من الاتحاد السوفييتي أيضاً، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من التحالف الغربي، للولايات المتحدة فيه القول الفصل في المسائل العسكرية. مع ان الوثائق الانكليزية عن تلك الفترة تتضارب مع مثيلاتها الأمريكية، إلا ان الحقيقة تبقى قائمة وهي ان الانكليز قد استسلموا أخيراً للأمريكان ولكنهم مع ذلك خرجوا ببعض المكاسب من بين «فكي الهزيمة» أهمها التزام امريكي باستمرار الحملة في إيطاليا بما في ذلك استعادة روما والوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) وكذلك تفادي القيام بانزال سابق لأوانه في

جنوب فرنسا. ورغم ان الجنرال (بروك) لم يكن متحمساً لاستراتيجية شرق البحر المتوسط (عملية رودس) التي كانت الضحية الكبرى لما انتهت اليه المناقشات ، إلا ان تشرشل الذي يؤمن إيماناً عميقاً بالمزايا التي كانت ستترتب على هذه الاستراتيجية ، أدرك أخيراً انه هُزم شر هزيمة لعل أقسى ما سيترتب عليها من نتائج سياسية ، هو ان أوربا الشرقية ستُترك لتصبح منطقة نفوذ عسكرية للاتحاد السوفييتي وحده. لكن تشرشل مع هذا راح يمني النفس بان استمرار الحملة العسكرية في إيطاليا سيحقق من التقدم ما يجعل قوات الحلفاء تندفع شرقاً نحو (لوبليانا) في يوغسلافيا وبالتالي تشكّل موطأ قدم للقوة العسكرية الغربية في أوربا الوسطى وفي اليونان ، ومع ذلك فقد بات يشعر الآن انه سيخوض معركة خاسرة إذا حاول انقاذ أي شيء في اوربا الشرقية.

بعد انتهاء الاجتماع ، توجه رؤساء الأركان مباشرة الى مقر اقامتي روزفلت وتشرشل ليرفعوا تقاريرهم. وقد أجرى روزفلت تعديلاً رمزياً استهدف تهدئة ستالين ، ذلك هو ان الالتزام بالشروع بعملية العبور يجب ان يتم «خلال شهر ايار» وليس في الأول من حزيران. وليس في هذا التغيير مايضير، لأن العملية إذا تمت في الحادي والثلاثين من ايار فسيقال انها تمت فعلاً في ايار أي بفارق ٢٤ ساعة عن الأول من حزيران. لكن هذا الفرق الضئيل في كلا التعبيرين وخاصة عبارة «خلال شهر ايار» هي عبارة مضللة. ومن الأفضل التحدث بصراحة خاصة مع حليف شكوك كالاتحاد السوفييتي. وسواء أكان روزفلت هو الذي اقترح هذا التعديل أم لا فانه أحس دون شك بأن ستالين سيرتاح اليه.

على انه تجدر الاشارة هنا ، انه عندما شُرع بعملية العبور أخيراً في السادس من حزيران (بدلاً من الأول من حزيران كما اتفق عليه رؤساء الأركان) فان الهجوم الصيفي للقوات السوفييتية ضد الألمان في الجبهة الشرقية لم يُباشر به إلا في الثالث والعشرين من حزيران ، ولابد من ان نذكر هنا ان ستالين كان قد تعهد بأن يبدأ هجوم قواته في الوقت نفسه الذي يُباشر به لعملية العبور.

إن هذا التضارب الطفيف بين التعهد والتنفيذ لا يمكن ان ينظر اليه بالضروره على انه مؤشر على سوء النوايا لدى الاتحاد السوفييتي ، بل ربما كمجرد تعليق على

الصعوبة التي ينطوي عليها التنفيذ الدقيق لالتزامات كبيرة من هذا النوع.

بعد ان أفلح روزفلت أخيراً في بلوغ كل القرارات العسكرية التي كان يسعى اليها، سلط انتباهه على المسائل السياسية، فبعد قليل من مغادرة رؤساء الأركان الأمريكان لمقر اقامته استقبل الرئيس الأمريكي شاه إيران محمد رضا بهلوي. وكالعادة ليس هناك في المراجع الأمريكية اية تفاصيل رسمية عما تناوله الاجتماع ولكن (اليوت) نجل الرئيس روزفلت يقول ان المحادثة تناولت بشكل خاص مشكلات إيران الاقتصادية و«قبضة بريطانيا الاقتصادية على آبار النفط الايرانية وغيرها من مصادر الثروة المعدنية». ومما لا شك فيه ان روزفلت الذي كان ينظر بعين الشك الى السياسات الاستعمارية لبريطانيا في هذه المنطقة من العالم، كان يؤيد أية محاولة لتقويض تلك السياسات، غير انه يبدو ان الاهتمام الرئيس الذي نقله الشاه خلال الاجتماع انحصر في رغبة الايرانيين في رحيل القوات السوفييتية والبريطانية عن أراضيهم في أسرع وقت ممكن وكذلك في الحصول على مساعدات اقتصادية أمريكية للاعمار في فترة ما بعد الحرب.

وبالتأكيد فان النتيجة التي أسفر عنها الاجتماع أوضحت هذه النقطة بكل جلاء، رغم ان (اليوت) لم يشر في مذكراته الى ما قاله وزير الخارجية الأمريكي (كوردل هول) من ان أحد أوجه الدبلوماسية الأمريكية كان يقوم على تأييد جهود الشركات الأمريكية للحصول على امتيازات للتنقيب عن النفط في إيران وهي سياسة كانت تهدف الى المشاركة مناصفة في استغلال موارد النفط الايرانية وليس كما وصفها روزفلت «بالسياسة غير الأنانية» للولايات المتحدة. وعلى أية حال فان البيان الثلاثي الذي صدر عن المؤتمر وبتوجيه من روزفلت اقتصر على الاشارة الى التعهد بتقديم المساعدة الاقتصادية لايران والعمل على صيانة «استقلال إيران ووحدتها الاقليمية» وكان هذا مؤشراً على الناحيتين الرئيسيتين من الاهتمامات التي تشغل بال الايرانيين. وليس ثمة شك بأن الشاه وحكومته كانا يشعران بالقلق حيال المخططات الروسية والانكليزية على حد سواء، مستندين الى تجارب الماضي كدليل على صواب موقفهم.

في الوقت الذي كان فيه روزفلت يسلك هذا الطريق المتعرج بين مسائل الشرق الأدنى ، كان تشرشل يتلقى تقرير رؤساء أركانه ومن ثم انتقل الى تصحيح ما اعتبره «سوء الفهم» الذي نجم عن أول لقاء منفصل له مع ستالين ، ففي هذه المرحلة من المؤتمر كان الزعيم البريطاني بالطبع قلق للغاية من الطريقة التي تم فيها عزل الانكليز «على هذا النحو الرائع» بينما كان روزفلت وستالين يتمتعان سوية بملاقاة أحدهما الآخر وتجاذب أطراف الحديث معه. كذلك أحس تشرشل بأن الأمريكان تعمدوا إظهار الانكليز بـ «ذلك الرجل الغريب الأطوار» الذي يشكّل العقبة الرئيسة بوجه رغبات الاتحاد السوفييتي ، كما ان روزفلت علاوة على ذلك أساء عرض الموقف البريطاني للروس خاصة في جلسة العمل الموسعة الأولى ، ولعل ما عزز اعتقاده ، هو ذلك الموقف العدائي الذي وقفه ستالين منه في تلك الأمسية. لذلك إرتأى ان يجتمع مع ستالين على حدة لمزيد من التبادل في الآراء.

كان اهتمام تشرشل ينصب في وضع «الجدول الاستراتيجي» في منظور أكثر وضوحاً. فقد قال لستالين عندما التقى به وحدهما ان الانطباع الذي أُعطي خلال المناقشات استند على أساس ان المسألة تنحصر ببساطة بين عملية العبور وعمليات البحر المتوسط ولكن الأمور وببساطة أيضاً ليست كذلك. فهناك عوامل أخرى في المعادلة ، أهمها توفير سفن الانزال ، وما سببته التزامات عمليات المحيطين الهادي والهندي من نقص في هذه المعدات على حساب مسرح العمليات الأوربي. فإذا كان الأمريكيون مستعدين لالغاء او تأجيل عملية جزر (الاندامان) فهذا من شأنه ان يطلق ما يكفي من سفن الانزال لسد النقص في عمليات البحر المتوسط وسيمهد السبيل أمام الشروع بعملية العبور في موعدها المقرر.

وبعد ان أشار تشرشل الى ان الادميرال (ليهي) قائد البحرية الأمريكي هو الذي يلتزم موقفاً صلباً بالنسبة لعمليات المحيط الهادي ، قال مطمئناً المارشال ستالين انه ليس هناك أي «فتور» لدى الانكليز بالنسبة لعملية العبور وهم يريدون الشروع بها في وقت قريب من الموعد المحدد ، لكنهم في الوقت نفسه يريدون الابقاء على زخم الحملة العسكرية للحلفاء في البحر المتوسط وتصعيدها الى درجة تضمن نجاح عملية العبور عندما يُباشر بهذه الأخيرة. وعلاوة على هذا فانه يستحيل عليه

ـ أي على تشرشل ـ أن يبقي قوات بـريطانيـة كبيرة عـاطله عن العمل في البحـر المتوسط ، مشيراً الى ان عدد القوات البريطانية في مسرح العمليات هذا هو ضعف عدد القوات الأمريكية ، كما ان الرأي العام البريطاني سوف يرفض أية محاولة لوقف هذه القوات عن المضي قدماً في عمليات عسكرية في هذه المـرحلة الحاسمـة من الحرب .

وهكذا ينبغي على الجيوش الحليفة المرابطة في إيـطاليا ان تـواصل الضغط دونما هوادة على الألمان حتى الوصول الى خط (بيسا ـ ريميني) على ان يتم قبل الشروع بالعبور. بعد ذلك أكد تشرشل للزعيم السوفييتي بأنه شخصياً لا يعارض ما اقترحه من البدء بانزال القوات في جنوب فرنسا في وقت واحد مع عملية العبور او في موعد ملائم آخر. ثم انتقل تشرشل الى عدم تعيين قائد لعملية العبور حتى الآن فاتهم الأمريكان بانهم هم الذين عرقلوا الاتفاق على قائد للعملية مشيراً الى ان الانكليز كانوا قد اقترحوا تعيين جنرال امريكي منذ شهر آب الماضي ، وهكذا فالمسؤولية تقع بالتالي على عاتق روزفلت في عدم تعيين رجل للمهمة .

أضاف تشرشل يقول «ربما وجد الرئيس روزفلت ان من الصعب عليه تعيين قائد للعملية «لأسباب داخلية» امريكية يدركها هو أكثر من غيره مشيراً الى انه طلب اليه مراراً وتكراراً ان يتخذ قراراً بهذا الشأن «وها انني قد اقترحت عليه قبل يوم واحد أن نقرر تعيين هذا القائد قبل ان نغادر طهران» .

ربما يشك المرء في ان كلام تشرشل هـذا كـان له أي وقع كبير على ستالين ، لكن هذا الأخير كان على قناعة بأن الانكليز هم المسؤولون بالدرجة الأسـاس في التلكؤ بالاستجابة للرغبات السوفييتية كما أوضح ذلك في الجلسة التي عُقـدت في مساء ذلك اليوم .

على أي حال رد ستالين على تشرشل في لقائهما هذا مؤكداً على الأهمية الكبرى التي يعلقها الاتحاد السـوفييتي على عمليـة العبور ليس من النـاحية الاستـراتيجية فحسب بل من زاوية الحاجة الى مزيد من دعم المعنويات للقوات السوفييتية بعد سنتين من القتال المنهك ثم قال إذا لم يُشرع بعملية العبور في شهر ايار فسيكون من

الصعب عليه ، بعد سلسلة من خيبات الأمل ، ان يقنع جنده وشعبه بأنها ستتم على الاطلاق في عام ١٩٤٤ وسوف يكون لذلك تأثير مثبط للعزائم .

ولأول مرة ، في هذا المؤتمر هدد المارشال ستالين بأنه ما لم يتلقَ الاتحاد السوفييتي مساعدة أكبر وبصورة مباشرة من الغرب ، فقد يجد نفسه مضطراً للنظر في توقيع صلح منفرد مع المانيا . (كان هذا في الواقع محاولة ابتزاز ، ولكنه ابتزاز مشروع مهما كانت الظروف) .

ردَّ تشرشل بقوله «عملية العبور ستتم بالطبع ، شريطة ان لا يكون الألمان في وضع يمكنهم من إرسال التعزيزات الى مناطق شمال غرب فرنسا التي تستهدفها هذه العملية خلال فترة حشد القوات للهجوم وهذا ما تستطيع عمليات البحر المتوسط ان توفره ، فنحن لا نستطيع المجازفة بأقل احتمال لفشل العبور» .

عاد ستالين ليقول «حتى لو فشلت ، فالمحاولة ستكون بالنسبة للجيش السوفييتي مؤشراً على جدية الحلفاء الغربيين في رغبتهم لمساعدة روسيا وهذا وحده سيكون ذا وقع طيب قائلاً ان التحضيرات جارية لأن يُباشر بالهجوم السوفييتي الصيفي على الجبهة الشرقية في ايار او حزيران لكي يتصادف مع العبور ولذلك فنحن بحاجة الى موعد محدد لهذه الأخيرة فمتى سيتم الشروع بها ؟

أجاب تشرشل بقوله «ان الموعد قد تم الاتفاق عليه بشكل نهائي من قبل رؤساء الأركان الأمريكان والانكليز في اجتماعهم صباح اليوم وان روزفلت ربما كان سيزف البشرى الى ستالين في مأدبة الغداء» ، ومع هذا فانه ـ أي تشرشل ـ يستطيع منذ الآن ان يُطمئن الزعيم السوفييتي بأن الموعد سيكون مرضيا من وجهة النظر السوفييتية .

بهذه الخاتمة راح الزعيمان يعدان نفسيهما لمأدبة الغداء مع روزفلت . وهكذا نقل هذا الأخير في الحال توصيات رؤساء الأركان وتوصياته هو وكذلك موافقة تشرشل ، الى المارشال ستالين الذي أسعدته كثيراً هذه النتيجة التي تم الوصول اليها أخيراً .

ثم وقف روزفلت ليعد بأنه سيسمي قائداً للعملية في ظرف ثلاثة أو اربعة أيام وان قادة آخرين لعمليات البحر المتوسط وعملية الانزال في جنوب فرنسا سيتم

تسميتهم كذلك خلال هذه الفترة.

انتقل الحديث بعد ذلك الى مسرح عمليات الشرق الأقصى والمطالب الاقليمية السوفييتية المحتملة في المنطقة. وهنا تختلف المراجع البريطانية والأمريكية حول مَنْ هو الذي أثار هذا الموضوع، ومع هذا فان الزعيمين الأمريكي والبريطاني وخاصة روزفلت كان يسعى في الواقع الى مطالبة المارشال ستالين بالموافقة على معاملة الصين معاملة كريمة كما اتفقا في البلاغ الصادر عن مؤتمر القاهرة. ولكنهما أبلغا ستالين في ذات الوقت انهما يجدان من واجبهما أن ينظرا بعين العطف الى المطالب السوفييتية المشروعة.

وقد وضع تشرشل الأمور في قالب عملي بقوله «من المهم إذا كانت الدول الثلاث ستصبح مسؤولة عن حفظ السلام في فترة ما بعد الحرب ان يخرجوا راضين جميعاً من دونما أية مظالم».

ردَّ ستالين بحذر «انه يوافق على ما جاء بشكل عام في بيان القاهرة بما في ذلك التعهد باعادة منشوريا الى الصين وضمان استقلال كوريا، ولكن بالنظر لأن الاتحاد السوفييتي لا زال محايداً بالنسبة الى الصراع في منطقة المحيط الهادي فلا يستطيع إلزام نفسه بتعهدات علنية. ثم أضاف اما إذا أراد الصينيون أن يُعاملوا معاملة كريمة، فيجب عليهم ان يقاتلوا اليابانيين بهمة أكثر.

أما بالنسبة للمطالب السوفييتية في المنطقة فلربما كان ستالين يريد ان يرى دخول بلاده الحرب في الشرق الأقصى وتقدم القوات السوفييتية في تلك المنطقة أولاً، ومن ثم يكون في موقف أقوى آنذاك لعرض مطالبه. فالزعيم السوفييتي سبق له وان أوضح في عدة مناسبات خلال المؤتمر ان المطالب الاقليمية ترتبط مباشرة بمدى ما بذلته كل من الدول الحليفة في القتال والجهد الحربي. مع هذا فقد قال هذه المرة ان لروسيا ميناءً واحداً دافئاً في الشرق الأقصى هو ميناء (فلاديفوستك) ومع ذلك فهذا الميناء متجمد معظم فصول السنة اضافة الى انه محاصر من جهتيه بمضائق يحتلها اليابانيون. (في مرحلة من مراحل المؤتمر كما لاحظنا كان ستالين قد أشار الى مطالبة روسيا بجزر ساخالين وكوريل الجنوبية على هذا الأساس). تحدث روزفلت فأشار الى انه سبق وان تحدث مع الجنرال (شيانغ كاي شك) في مؤتمر القاهرة حول إمكانية

تدويل ميناء (دايرن) الصيني وجعله ميناء حراً. بدهاء ، أشار ستالين الى احتمال ان يعترض الصينيون على اجراء كهذا ولابد من القول هنا ان روزفلت لم يجد لدى (كاي شك) أي حماس تجاه خطوة كهذه ومع ذلك فقد رد الرئيس الأمريكي بقوله «في الامكان اقناع الصينيين ، مفترضاً انه إذا لم يكن الصينيون يرغبون في تدويل الميناء فسيترتب عليهم ابقاؤه مغلقاً.

من الجدير بالملاحظة هنا ذلك التناقض بين موقف روزفلت تجاه المطالب البريطانية في شنغهاي وتجاه المطالب السوفييتية في الوصول الى المياه الدافئة في الصين. ففي حين عارض المطالب البريطانية إلا انه اعتبر المطالب السوفييتية مشروعة. على أي حال فقد أشار ستالين الى ان الفكرة ـ أي فكرة تدويل (دايرن) ـ ستكون مقبولة من قبل الاتحاد السوفييتي.

كذلك أُثير في المناقشة موضوع ضمان طريق وصول للاتحاد السوفييتي الى بحر البلطيق والبحر المتوسط. وبالنسبة للأول فقد عرض روزفلت فكرته بوضع قناة (كييل) تحت اشراف دولي ، وهي فكرة قال ستالين انها ممتازة. ثم انتقل البحث الى مسألة (الدردنيل) هذا المضيق الذي يقع ضمن السيادة التركية ولكنه يشرف تماماً على طريق وصول الاتحاد السوفييتي الى البحر المتوسط. ونظراً لأن روسيا ترى في النظام الذي يتحكم بهذا المضيق بموجب معاهدة (مونترو) «تقييدياً» على نحو كبير ، فقد طالبت بإعادة النظر فيه. ردَّ تشرشل بحذر قائلاً «ان طرح هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات الذي يسعى فيه الحلفاء الى اقناع تركيا بدخول الحرب غير مناسب ، رغم ان الانكليز يرحبون من جانبهم بمجيء السفن السوفييتية الى أي مكان». وجواباً على هذا التعليق «المسِّكن» تساءل ستالين ما إذا كان لدى الانكليز الآن أفكار أفضل لعرضها. ووفقاً للمراجع البريطانية فقد أشار روزفلت وأيدَّه تشرشل بأنه يجب ان يكون مضيق الدردنيل مفتوحاً للملاحة العالمية (ولكنه سواء بقصد او بدون قصد لم يقل ما إذا كان ذلك يشمل السفن الحربية أم لا).

بهذا وصلت المناقشات الى نهايتها ، واتفق الزعماء الثلاثة على عقد جلسة موسعة أخرى يحضرها رؤساء الأركان في الرابعة والنصف من بعد الظهر وذلك

لوضع اللمسات الأخيرة على ما تم الاتفاق عليه في المجال العسكري. وكذلك على الاجتماع في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالي بحضور وزراء خارجيتهم لبحث المسائل السياسية الأخرى. (كانت بولندا وفنلندا والسويد من بين المسائل التي اقترح تشرشل وروزفلت بحثها في اجتماع الغد).

بينما كان الأقطاب الثلاثة «مشتبكين» في مناقشاتهم هذا اليوم كان وزيرا الخارجية البريطاني ايدن والسوفييتي مولوتوف و(هوبكنز) من الجانب الأمريكي مجتمعين على حدة في مقر البعثة البريطانية لبدء المناقشة السياسية، حيث باشروا بموضوع تركيا وما سيترتب من نتائج سياسية على دخولها الحرب ضد المانيا. وكذلك حرب المقاومة في يوغسلافيا (وهذان موضوعان لم يكن مولوتوف يرغب في تسليط المزيد من الاهتمام عليهما). ثم انتقل المجتمعون الى موضوع مختلف تماماً ذلك هو «نقاط القوة» او القواعد التي ستشرف عليها الدول الكبرى الثلاث بعد الحرب. وفي هذا الصدد ذُكِرت (بنزرت) وهي قادة عسكرية فرنسية في تونس وداكار عاصمة السنغال وكذلك نقاط أخرى في الشرق الأقصى. وبالنسبة لـ (بنزرت) ودارکار (وكلاهما خاضعتان للسيطرة الفرنسية). فقد ربط مولوتوف بينها وبين دعوة الاتحاد السوفييتي الى معاقبة فرنسا لتواطؤها مع النازيين وهذا ما عارضه ايدن قائلاً انه في حالة كهذه فنحن سنعامل الشعب الفرنسي كله كـ «متواطئين». ثم عبّر عن اعتقاده بأن تُعامل فرنسا كدولة صديقة حررها الحلفاء وليس كعدو سابق مشيراً الى ان فرنسا كانت ومنذ زمن بعيد حليفة لبريطانيا.

تحدث (هوبكنز) بعد ذلك مشيراً الى مسألة القواعد في الشرق الأقصى. وقال ان الولايات المتحدة تتوقع ان تكون لها مثل هذه القواعد في كل من الفلبين وفرموزا، حتى بعد ان تستقل الأولى وتُعاد الثانية الى الصين. في هذا الصدد ألمح ايدن الى انه ليس لدى بريطانيا نية في اضافة مزيد من الأراضي الى ما تسيطر عليه بالفعل ولكنها مستعدة للمساهمة في نوع من الاشراف الدولي على النقاط الاستراتيجية في أراضي الأعداء السابقين. تَدخَلَ هوبكنز ليقول ان الصعوبة ستكون أشد بالنسبة الى الاحتفاظ بقواعد في «الدول الصديقة». وهنا واستجابة لدفاع (ايدنِ) الحازم عن فرنسا أقرَ مولوتوف بأن نوعاً من المشاركة الفرنسية الطوعية

ربما كان أمراً لا بأس به .

اختتم (هوبكنز) هذا الفصل من المناقشة بالتأكيد على ان الولايات المتحدة تريد ان تتم مثل هذه الترتيبات تحت اشراف دولي . بعد ذلك انتقل ايدن بالمناقشة الى موضوع حمل تركيا على دخول الحرب (وهي بالنسبة اليه الهدف الرئيس من الاجتماع) . فقال انه إذا ظلت تركيا تمتنع عن اتخاذ خطوة كهذه فيجب ان يكون واضحاً لها انها يجب **ان لا** تتوقع أي اعتبار من الدول المنتصرة بعد الحرب . إذا رفض الرئيس التركي (اينونو) المجيء الى القاهرة لبحث الموضوع مع الحلفاء فيجب إرسال مبعوث الى أنقرة لهذا الغرض . كان ايدن يدرك ان الروس وصلوا الى مرحلة باتوا مقتنعين معها انه لا يمكن اغراء تركيا بدخول الحرب ، ولكن لِمَ لا نحاول ؟ .

اعترف مولوتوف بأن آراء الاتحاد السوفييتي حيال هذه القضية قد تغيرت بعض الشيء منذ انعقاد مؤتمر موسكو ، والسبب يرجع الى ان الجولة الأولى من المحادثات مع الزعماء الأتراك كانت مخيبة للآمال .

هنا استفسر (هوبكنز) وقد وضع اصبعه على النقطة التي تهم الأمريكان أكثر من غيرها قائلاً «هل يعني هذا الكلام ان الاتحاد السوفييتي لم يعد يكترث لأية محاولة تستهدف اقناع الأتراك بدخول الحرب ؟ او انه أقل تفاؤلاً من قبل فحسب ؟ فالأمريكان كانوا قد افترضوا على أساس الحماس الذي أبداه الروس في مؤتمر موسكو تجاه هذا الموضوع انهم كانوا يسعون الى تحقيق ذلك . تَدَخَلَ (ايدن) ليقول انه عندما كان يتحادث مع الأتراك كان يعتقد انه إنما يفعل ذلك بالنيابة عن الحلفاء كلهم . وافق مولوتوف انه بموجب البروتوكول الذي وقعوه في موسكو فان ايدن كان له الحق بالتصرف على هذا النحو ، ورداً على أسئلة هوبكنز قال ان الاتحاد السوفييتي سبق وان أبدى استعداده باعلان الحرب على بلغاريا إذا كان ذلك ضرورياً لمساعدة الأتراك ، مما يدلل على مدى الجدية التي ينظر بها الروس الى موضوع تركيا . ولكن يجب على الأتراك ان لا يتركونا ننتظر الى ما لا نهاية . كذلك أبدى مولوتوف اهتماماً ملحوظاً بدعوة تشرشل وايدن الى اتخاذ موقف صلب ضد تركيا لكنه تساءل ما هي العقوبات التي تقترحونها ؟ هل يعني ذلك ان على تركيا ان تتخلى عن حقوقها

في البسفور ؟ إذا كان الأمر كذلك فنحن موافقون على بدء المفاوضات لاعادة النظر في معاهدة (مونترو).

رغم ان (ايدن) كان يعلم بمدى الجدية التي تعامل بها تشرشل مع هذا الموضوع بالذات ، إلا انه لم يجد ما يرد به سوى القول «انه لا يعلم ، ومع هذا فانه يفترض ان تشرشل كان يقصد ببساطة ان على الأتراك ان لا يعتمدوا بعد الآن على تأييد بريطانيا بالنسبة الى هذه المسألة».

على أي حال وافق مولوتوف على ان يبذل روزفلت وتشرشل ما في وسعهما للضغط على الرئيس التركي عصمت اينونو عندما يلتقيان به في القاهرة قائلاً انه سيعرف من المارشال ستالين ما إذا كان في نيته إرسال مَنْ يمثل الاتحاد السوفييتي في المحادثات.

تَدَخَلَ هوبكنز في النقاش ليميط اللثام عن مدى الفتور الذي بدأ يعتمل لدى الأمريكيين تجاه عمليات بحر إيجه بقوله ان الولايات المتحدة قلقة مما قد يترتب على عملية مهاجمة الجزر اليونانية من «التزامات عسكرية واسعة» قد تعيق الشروع بعملية العبور في وقتها ، مشيراً الى ان الأتراك قد يطالبون بأن تقوم القوات الحليفة بعمليات تطهير واسعة في المنطقة (وهو ما كان يريده تشرشل). ثم تساءل ما إذا كان لدى هذا الأخير تقديرات دقيقة لحجم القوة التي ستُكلف بالقيام بعمليات بحر إيجه. ثم اقترح ان يدرس الأمريكان والانكليز هذه الناحية بعناية قبل اللقاء القادم مع الأتراك. وبتطمين واضح لـ (مولوتوف) حول الأولويات الأمريكية ، قال هوبكنز انه مفعم بالأمل بأن مطالب المارشال ستالين (العبور في ايار ، وتعيين فوري لقائد العملية ، وعملية الانزال في جنوب فرنسا) ، سيُرد عليها بشكل مرض ، أخيراً. عَقَبَ مولوتوف على هذه الملاحظة بقوله انه إذا وافق الزعماء الثلاثة على مقترحات رؤساء الأركان ، فانه واثق بأن كل شيء سيسير على ما يرام وان موضوع تركيا هو الآخر سيأخذ طريقه بين تسلسل الأولويات.

وفي الواقع فان هوبكنز بملاحظاته تلك كان قد أوضح بجلاء ان الأمريكيين لن يسمحوا لخطط تشرشل في شرق البحر المتوسط ان تعيق العملية الرئيسة.

بعد مناقشة موجزة للمساعدات التي سَتُقدَمْ الى حركة المقاومة اليوغسلافية واقامة قاعدة لتموينهم يكون مقرها مصر ، اغتنم ايدن الفرصة لطرح موضوع بولندا بادئاً بما كان يعتقد انه الجزء الأسهل من المشكلة قائلاً انه إذا أردنا ان نجعل البولنديين يوافقون على تعديل الحدود على النحو الذي ناقشه تشرشل وستالين ، فمن حقهم (أي البولنديين) ان تعطى لهم الفرصة لدراسة تلك التعديلات بإمعان ، مشيراً الى ان الأمريكان ربما كانوا يشعرون في هذه المرحلة بأنه ليس لديهم إلتزام محدد تجاه هذه القضية .

لم يكن جواب هوبكنز مشجعاً لايدن ، فقد قال انه ليس مخولاً لبحث موضوع بولنده وان بإمكان الرئيس روزفلت ان يتولى الموضوع إن هو أراد ذلك . عاد (ايدن) ليؤكد ان جُل اهتمامه ينصب على الحيلولة دون أن تصبح هذه القضية مصدر احتكاك بين الحلفاء الثلاثة .

عندما وجد ايدن انه ليس لديه ما يضيفه ، اقترح ان يلتقي الثلاثة مرة أخرى على مائدة الغداء في اليوم التالي وهنا أشار مولوتوف الى ان دوره قد حان لاستضافتهم .

في الساعة الرابعة من بعد الظهر عقد المؤتمر جلسته الموسعة للمرة الأخيرة بحضور الأقطاب الثلاثة ورؤساء الأركان ووزيرا الخارجية البريطاني والسوفييتي وهوبكنز وهاريمان ودين وفورشيلوف . لم يستغرق الاجتماع سوى نصف ساعة وقد بدأه روزفلت بالقول انه ورئيس وزراء بريطانيا ليشعران بالسعادة لأن رؤساء الأركان قد توصلوا الى اتفاق يرضي المارشال ستالين .

وفي خطبة أشبه ما تكون بالوداعية ، شدد تشرشل على الحاجة الى استمرار التعاون بين الدول الحليفة الثلاث ، ثم راح يحاول استغلال «آخر فرصة» سانحة أمامه للتأكيد على أهمية الحملة العسكرية في إيطاليا والاندفاع شرقاً باتجاه يوغسلافيا وكذلك للمزايا التي ستترتب على عملية الجزر اليونانية .

بعد ذلك تحدث ستالين فقال انه يدرك تماماً ما لعملية العبور من أهمية ، وكونها مهمة من أكثر المهام خطورة خاصة خلال فترة الحشد العسكري ، ثم جدد

تعهده بالعمل على منع الألمان من نقل تعزيزات عسكرية من الجبهة الشرقية الى شمال غربي فرنسا وذلك عن طريق قيام القوات السوفييتية بهجوم واسع بحلول شهر أيار. بعدها تحدث روزفلت فأكد ما سبق وان قطعه من وعد للمارشال ستالين بأنه سيعين قائداً لعملية العبور في ظرف ثلاثة أو اربعة أيام وحالما يلتقي مع جنرالاته ومستشاريه العسكريين. ثم أشار الى ان هؤلاء ينبغي عليهم ان يعودوا الى القاهرة في الحال لوضع الخطط التفصيلية التي يتطلبها تنفيذ القرارات التي اتخذوها في طهران. وقد وافقه في ذلك كل من تشرشل وستالين معتبرين انه ليس ثمة حاجة لبقاء الجنرالات فترة أطول في طهران خاصة وانهم قد انتهوا من المناقشات العسكرية، مشيراً الى ان بوسع الزعماء الثلاثة ان يكرسوا اليومين القادمين للمناقشات السياسية ومعرباً عن الأمل في الوصول الى اتفاقيات حول المسائل السياسية المطروحة أمامهم بعد ان وصلوا الى نهاية ناجحة في مناقشتهم للمسائل العسكرية.

أبدى كل من روزفلت والمارشال ستالين رغبته في البقاء في طهران لمدة يومين آخرين إذا كان ذلك ضرورياً. ثم اقترح روزفلت ان على رؤساء الأركان أن يضعوا قبل مغادرتهم طهران مسودة بيان عن المؤتمر ليصادق عليه الأقطاب الثلاثة. وفي الختام اقترح تشرشل على زميليه القيام بأعمال من شأنها تضليل العدو والتمويه عليه بالنسبة الى موعد الشروع بعملية العبور عن طريق المخادعة وهو ما علّق عليه ستالين بقوله ان الاتحاد السوفييتي سبق وان لجأ الى مثل هذه الأساليب للتستر على مكان ومواعيد عملياته الهجومية وهو يرى ان القيام بأعمال من هذا النوع بالنسبة لعملية العبور، أمر تمليه الضرورة. وهكذا انتهى الاجتماع بالاتفاق على ان يلتقي الزعماء الثلاثة مع وزراء خارجيتهم في اليوم التالي.

في مساء هذا اليوم احتشد جمع كبير من المدعوين في مبنى البعثة البريطانية لحضور مأدبة العشاء التي أُقيمت احتفالاً بعيد ميلاد تشرشل التاسع والستين. ولما كانت هذه المأدبة قد أُعدت لتكون مناسبة للاحتفال وليس للمناقشة فقد دعي الجميع الى حضورها بما في ذلك حاشيتي روزفلت وتشرشل ومن بينهم نجل الرئيس الأمريكي وزوج ابنته ونجل هوبكنز وابن تشرشل وابنته وجميع المساعدين والسكرتيرين. كانت مناسبة احتفالية لطيفة تبودلت خلالها بوجه عام، باستثناء

لحظة توتر واحدة. فبعد ان اقترح روزفلت على الحاضرين ان يشربوا نخب الجنرال بروك ، قال ستالين انه يشعر بالأسف لأن هذا الأخير كان معادياً للاتحاد السوفييتي ويشك في نواياه ، أما الآن وقد عرف الروس عن كثب فانه أي ستالين يأمل في ان الجنرال بروك سيغير آراءَه فيهم. غير ان هوبكنز لم يعبأ بهذا القول باديء الأمر. وراح محاولاً إزالة ما قد يسببه من توتر بأن رفع الكأس في صحة تشرشل قائلاً ان لدى رئيس الوزراء البريطاني ميزة لا يملكها الأمريكيون «وهي انه نظراً لأن الدستور الانكليزي ، دستور غير مدون فان كل القرارات التي تتخذ في بريطانيا يمكن ان تكون بوحي من ارداة تشرشل». غير ان بروك كعسكري بارز ، هو آخر رجل في هذا العالم يواجه الهجوم وهو منبطح أرضاً ، لذلك فقد وجد من المناسب الآن ان يرد على ستالين ، وهكذا وقف ليقول «لقد دُهشت من وصف ستالين لي بانني معادٍ للاتحاد السوفييتي. ثم قال في اشارة الى الخطط التي نوقشت هذا اليوم لتضليل العدو عن طريق المخادعة بقوله ان «الأصدقاء والأعداء على حد سواء يمكن أن يضللوا بالمظاهر». وربما كان الجنرال بروك يشير بذلك الى ان الشكوك كانت قد ساورته ازاء تصرفات الاتحاد السوفييتي في المراحل المبكرة للحرب وان ستالين ربما أساء بدوره تقدير رغبته التي استهدفت أساساً تعزيز التعاون مع الروس.

حسبما جاء في مذكرات تشرشل فان ستالين ، أُعجب بكلام بروك ، وتصافح الرجلان بعد انتهاء مأدبة العشاء بكل ود ، بينما اعرب روزفلت عن الأمل بأن المشكلات السياسية المختلفة للدول الحليفة الثلاث ستتلاقى أخيراً على شكل «قوس قزح يكون رمزاً للأمل».

الأول من كانون الأول : تركيا ، فنلندا ، بولندا ، المانيا.

بعد ان فرغوا من تسوية المسائل العسكرية ، غادر رؤساء الأركان الى القاهرة لوضع القرارات التي انتهوا اليها موضع التنفيذ ، أما السياسيون فقد بقوا في طهران إذ ان لديهم عملاً لم ينجز بعد.

كان ستالين قد وافق على المكوث مدة يومين آخرين لمزيد من المناقشات السياسية ، غير ان روزفلت اضطر الى المكوث ثلاثة أيام بسبب سوء الأحوال الجوية . وهكذا فقد كانت هناك فرصة مواتية لمناقشات سياسية وعسكرية أيضاً . وهذا ما ناسب روزفلت أكثر مما ناسب تشرشل ووزير خارجيته (ايدن) خاصة وانه كان قد ضمن موافقة ستالين على مقترحاته بصدد المنظمة الدولية الجديدة المزمع انشاؤها في فترة ما بعد الحرب ويريد مناقشة الموضوع بشيء من التفصيل مع ستالين بما في ذلك مجلس للدول الأربع الكبرى مهمته المحافظة على السلام . كان ستالين من ناحيته قد وافق على الخطوط العريضة للتسوية في الشرق الأقصى التي توصل اليها روزفلت وكاي شك في مؤتمر القاهرة ، وعرض على الرئيس الأمريكي فكرة عن الأهداف السوفييتية في تلك المنطقة ، وهي أهداف وَجَدَ روزفلت انها معتدلة . على ان الرئيس الأمريكي لم يكن يرغب في الدخول في مناقشات طويلة حول بولندا وأوربا الشرقية ، بل انه حاول تفادي مناقشات كهذه او أية التزامات محرجة بصدد هذه المسائل . وهكذا بقي عليه ان يصل قدر الامكان الى مباديء متفق عليها مع ستالين حول كيفية معاملة المانيا وضمان نوع من الرأفة بفنلندا وهي البلد الوحيد في أوربا الشرقية الذي أولاه روزفلت اهتماماً ملحوظاً . ثم كان هناك أيضاً ما ينبغي معرفته عما إذا كان موقف الاتحاد السوفييتي من موضوع مشاركة تركيا في الحرب قد بدأ يعتريه الفتور ، كذلك الفتور الذي بدأ الأمريكان يحسون به . اضافة الى هذا فقد وَجَدَ روزفلت انه من المناسب ان يحيط تشرشل علماً بأنه لن يكون في مقدور الولايات المتحدة أن تضمن توفير سفن الانزال اللازمة لعملية مهاجمة الجزر اليونانية وبالتالي فان على هذا الأخير ان لا يلزم نفسه بشيء من هذا في المحادثات القادمة مع الرئيس التركي (اينونو) .

أقام روزفلت (وكل هذه المشكلات تشغل باله) مأدبة غداء ظهر هذا اليوم حضرها كل من ستالين وتشرشل بحضور كل من هوبكنز وهاريمان وايدن ومولوتوف وكلارك كير . وكان الهدف الرئيس من هذا اللقاء هو الاستماع الى ما سيقوله وزراء الخارجية عن نتائج مناقشاتهم لليوم السابق وكذلك لبحث «الاغراءات» التي ستعرض على تركيا خلال الجولة القادمة من المباحثات مع (اينونو) ، خاصة بعد ان

اتفق الأقطاب الثلاثة في محادثة جرت قبل المأدبة على إرسال برقيات الى سفرائهم في أنقرة يوجهون فيها الدعوة الى الرئيس التركي للمجيء الى القاهرة ومقابلة تشرشل وروزفلت.

اتضح من خلال المناقشة التي اعقبت ذلك ان الأمريكان لم يعودوا يتوقعون من الأتراك أن يلزموا أنفسهم بأي قرار بشأن دخول الحرب ما لم يتلقوا تأكيدات قاطعة بأنه سيتم ازاحة الألمان تماماً من جزر بحر إيجه ، كما انهم أي الأمريكان لم يعد لديهم أية نية في التعهد بتوفير سفن الانزال لهذه العملية بالحجم الذي يعتقدون انه سيكون ضرورياً لنجاحها خاصة بعد ان بات واضحاً ان تشرشل نفسه كان على وشك ان يتخلى عن محاولاته للقيام بها في نهاية الأمر.

بالنسبة للجولة القادمة من المحادثات مع الأتراك قال هوبكنز انه يرى من المناسب ان نقرر منذ الآن وقبل الاجتماع مع الرئيس اينونو أي قدر من المساعدة العسكرية سيمكن للحلفاء تقديمها الى الأتراك. وهنا تدخل روزفلت فأعرب عن اعتقاده بأن (اينونو) سيطلب بالطبع ما يعرف ان بوسعه الحصول عليه. عاد تشرشل ليقول انه سبق وان وَعَدَ الأتراك بتوفير غطاء جوي مناسب ضد الغارات الجوية المحتملة من جانب الألمان ، على شكل ثلاث سرايا مقاومة طائرات وسرب من عشرين طائرة مقاتلة بعض منها ترابط في مصر بالفعل ، مشيراً الى ان الانكليز لم يعدوا الأتراك بأية قوات برية ذلك ان الأتراك يمتلكون جيشاً جراراً خاصاً بهم. عقب المارشال ستالين بقوله ان مساهمة تركيا في المجهود الحربي للحلفاء سيضمن وضع قواعدها الجوية تحت تصرفهم حتى ولو لم تستخدم هذه القواعد في عمليات بحر إيجه ، وعند ذاك سيكون بالامكان استخدامها في طلعات جوية ضد أهداف في رومانيا. ثم عاد ليؤكد انه لا ينبغي اثقال كاهل الولايات المتحدة بطلبات أخرى من المعدات العسكرية ، باستثناء سفن الانزال ، رغم انه سيكون أمراً مفيداً لو كان بوسع الأمريكان ان يتخلوا عن بضع قاذفات قنابل لاستخدامها في تركيا ، مشيراً الى ان الحاجة الى سفن الانزال ستكون ماسة في آذار من عام ١٩٤٤ ، هذا إذا مضينا قدماً في عملية جزيرة رودس التي يمكن «حشرها» بين الهجوم على روما في كانون الثاني وبين عملية العبور في ايار من العام نفسه.

هنا تَدَخَلَ روزفلت ليعرب عن معارضته مجدداً لعملية رودس قائلاً ان الخسائر في سفن الانزال والأفراد في هذه العملية ربما تكون فادحة ، ونحن بحاجة الى توفير كل ما نستطيع من هذه المعدات لعملية العبور. ثم قال انه يرتأي ان تُدرس هذه المسألة بعناية من قبل رؤساء الأركان قبل ان نعطي أية تعهدات للأتراك. قال تشرشل بعد ان لاحظ ان الرئيس روزفلت يهول من الأمور ، «حتى الآن على الأقل لم نعطِ نحن الانكليز أي وعد للأتراك بتزويدهم بما هو ليس ملكنا». أما بالنسبة للجولة القادمة من المحادثات مع الأتراك فقد شكك تشرشل في إمكانية قبول (اينونو) للدعوة والمجيء الى القاهرة ، وهو ما أيده المارشال ستالين بقوله ربما وَجَدَ (اينونو) من المناسب له ان يصاب بـ «مرض دبلوماسي» يمنعه من الحضور الى القاهرة. عاد تشرشل ليقول إذا صحت التوقعات ولم يحضر اينونو فسأذهب شخصياً الى تركيا لمقابلته ولأحذره بأن على تركيا ان لا تتوقع شيئاً من الحلفاء إن هي لم تتعاون معهم.

هنا عاد (هوبكنز) بما عُرف عنه من ولاء مطلق لرئيسه روزفلت ومن نظرة ثاقبة الى الأمور ليقول «صحيح ان الانكليز قد أبدوا استعداداً لتقديم تعهدات الى الأتراك ، بينما لم يفعل الأمريكيون شيئاً من هذا. ولكن أين هي الحكمة في قطع الوعود ، قبل أن يدرس رؤساء هيئة الأركان المشتركة الموقف بعناية ويقرروا ماذا سيعرضونه على تركيا ؟. رد تشرشل بقوله «دعنا إذن عند وعدنا للأتراك بتوفير الغطاء الجوي لهم مصحوباً بضغط دبلوماسي عليهم حتى يكون بوسعنا على الأقل اقناعهم بأن نستخدم قواعدهم الجوية».

تدخل المارشال ستالين مستفسراً عن معنى ملاحظات هوبكنز بقوله «هل يعني ذلك انه لا ينبغي توجيه الدعوة الى اينونو للمجيء الى القاهرة أخيراً ؟ ثم هل هناك من ضرورة لأن تعود هيئة الأركان المشتركة الى الدخول في مناقشات مطولة ؟». بهذا التساؤل أراد ستالين ان يقول ان الهدف من وجود الجنرالات الانكليز والأمريكان في القاهرة هو لتنفيذ أوامر رؤسائهم حسب وليس لكي يقترحوا على هؤلاء الرؤساء ما ينبغي عمله.

بعد ذلك عاد تشرشل الى نغمته القديمة مكرراً اقتراحه بسحب عدد من سفن الانزال من المحيط الهندي او الهادي لدعم عمليات شرق البحر المتوسط والحملة الايطالية. وهو ما رد عليه روزفلت بحدة قائلاً «إن نقل سفن الانزال من مسرح عمليات لآخر هو خارج حدود الموضوع الذي نحن بصدده، مشيراً الى ان هذه القطع ترابط هناك لاستخدامها في عمليات مخطط لها منذ زمن.

عاد (هوبكنز) ليوضح الموقف الأمريكي بجلاء أكبر للمارشال ستالين بقوله «إن مسألة معدات الانزال مسألة فنية لا يستطيع أن يحلها إلا رؤساء الأركان فهم الذين بوسعهم فقط ان يقرروا العدد الذي يُحتاج اليه في هذا القاطع او ذاك وما إذا كان بالامكان توفيرها لقاطع على حساب قاطع آخر.»

تدخل تشرشل في المناقشة من زاوية أخرى بقوله «ان الحديث مع الأتراك سيكون مضيعة للوقت، فهم لن يدخلوا الحرب إلا إذا ضمنا لهم اننا سنقوم بعمليات واسعة ضد الجزر التي يحتلها الألمان في بحر إيجه، ثم حتى على افتراض اننا فشلنا في حملهم على إعلان الحرب على دول المحور، فلا زال في إمكاننا اقناعهم بالسماح لنا باستخدام قواعدهم الجوية وهي ضرورية لتمكين الحلفاء من بلوغ التفوق الجوي». ثم أضاف ربما سيكون بامكاننا عن طريق استخدام قواتنا الجوية والبحرية ان نحاصر تلك الجزر وطرد الألمان منها، دون الحاجة الى هجوم مباشر.

وافق ستالين على هذا الرأي، غير ان روزفلت قال انه لا يعارض ان يستخدم الانكليز قواتهم الجوية والبحرية الخاصة بهم للوصول الى هذا الهدف شريطة أن لا يتكرر الحديث ثانية حول توفير سفن الانزال لهذه العمليات. ومع هذا فان الرئيس الأمريكي كما كان واضحاً لم يكن يتوقع ان يوافق الأتراك.

تَدَخَلَ ايدن فشاطر الرئيس روزفلت شكوكه مشيراً الى ان الأتراك سبق وان أبلغوه خلال محادثاته معهم انهم لو وافقوا على منح الحلفاء تسهيلات جوية في أراضيهم فسوف يعتبر الألمان ذلك استفزازاً لهم ويهاجمون تركيا. ثم قال ان الأتراك يفضلون كما يبدو الأنتظار حتى يكونوا على استعداد للقيام بمبادرة كهذه بدلاً من ان يُستدرجوا الى الحرب في وقت لم يختاروه هم بأنفسهم.

بشيء من نفاد الصبر، قال تشرشل «المشكلة هي انه إذا طلبتَ من الأتراك

ان يمشوا معك بعض المشوار ، لقالوا لك انهم يخشون ان يهاجمهم الألمان ، وإذا قلت لهم طيب . . إذن . . لنمش «المشوار كله . . ردوا بقولهم لسنا مستعدين بعد» . لذلك فالوقت قد حان لكي نلجأ الى اللهجة الشديدة وحتى التهديد إذا اقتضى الأمر بدلاً من ان نستمر في «استصراخ ضمائرهم» بأن يدخلوا الحرب .

تَدَخَلَ ايدن ثانية ليقول «لعل من المناسب أن يكون لدينا تصور عما يريده الأتراك بالضبط . . . فهل يريدون مثلاً مقابل إعلانهم الحرب على المانيا ، ان يتعهد الاتحاد السوفييتي بدرء الخطر الذي قد يأتيهم من جانب جارتهم بلغاريا او انهم يريدون أقل من ذلك ؟ .

ردَّ تشرشل وعيناه على روزفلت قائلاً انه سيكتفي لو ان الأتراك وافقوا على منح تسهيلات جوية للحلفاء في أراضيهم . وهو بهذه الملاحظة بات كمن فقد الأمل في عملية رودس ، بسبب الموقف الأمريكي .

تَدَخَلَ مولوتوف ليطرح نفس السؤال الذي سبق وان طرحه على ايدن في اليوم السابق قائلاً «لقد تحدث المستر تشرشل عن تهديدات فيما يتعلق بحقوق تركيا في المضائق (مضيق الدردنيل) فهل يسمح بأن يكون أكثر دقة فيما ذهب اليه ؟ هنا شعر تشرشل انه لابد وان يلتزم جانب الحذر . فرد عليه بقوله «انه يعتقد ان النظام الذي يتحكم بالمضيق ربما كان في حاجة الى اعادة نظر» . ثم أضاف انه بالنسبة لمسألة كهذه فانه سيتشاور مع حكومته بالطبع ، وهذه ملاحظة رسمت ابتسامة خبيثة على وجه (هوبكنز) ، وجعلت (مولوتوف) وهو الدبلوماسي المتمرس يقف عند هذا الحد . على اية حال واصل تشرشل حديثه فقال انه والرئيس روزفلت سيطرحان هذه المسائل على الأتراك «بروح من الود ، ولكن إذا لم تبدُ من هؤلاء اشارة الى التعاون مع الحلفاء ، فلا يجب ان يتوقعوا منا أي تأييد في المستقبل» .

حتى هذه المرحلة كان الروس راضين عن سير المناقشة ثم عاد المارشال ستالين فأشار الى انه سيترك مسألة التفاوض مع الأتراك الى تشرشل وروزفلت ، ولكن إذا اقتضى الأمر فسوف يوفد (فيشنسكي) والسفير السوفييتي في انقرة لتمثيل الاتحاد السوفييتي في محادثات القاهرة . هنا شعر روزفلت بأنه وستالين أعطيا من الوقت

ما يكفي لسماع «دلال» تشرشل ، لذلك تَدَخَلَ في المناقشة ليسأل المارشال ستالين ما إذا كان مستعداً لبحث موضوع فنلندا وهو ما أجاب عليه الأخير بالموافقة. ثم عاد الرئيس الأمريكي ليسأل ما إذا كان بوسع الولايات المتحدة ان تفعل شيئاً لاخراج الفنلنديين من الحرب قائلاً هل بامكاننا تشجيع هؤلاء بإرسال وفد للمصالحة اليهم ؟ أجاب ستالين على ذلك بقوله ان المداولات الأولية التي أجراها مع الفنلنديين عن طريق السويد قد أظهرت انهم ليسوا في «مزاج» يسمح لهم بالدخول في مفاوضات سلام جدية. وأضاف انه لا زالت هناك عناصر متنفذة في فنلندا تأمل في ان يخرج الألمان منتصرين من الحرب ، وهذه العناصر غير مستعدة لفصم العلاقة الفنلندية مع المانيا. وهو (أي ستالين) من جانبه قد حاول طمأنة الفنلنديين بأن الاتحاد السوفييتي لا يرغب في ضم بلادهم ، وعلى أية حال فان ارسال وفد للصلح في هذه المرحلة لن يكون مجدياً.

هنا حاول تشرشل ان يستقصي امكانية الوصول الى أساس لتسوية سلمية مع فنلندا بقوله ان من حق روسيا بطبيعة الحال ان تضمن «مقتربات آمنة» نحو لينينغراد وموطيء قدم على البلطيق(في اشارة واضحة الى موافقته على سلخ بعض الأراضي والموانيء الفنلندية والحاقها بروسيا). ثم راح يقول انه قد سعد كثيراً لما سمعه من ان روسيا لا تفكر بضم فنلندا وهو يأمل أيضاً في ان لا يطالب الروس بتعويضات حرب كبيرة من بلد فقير كفنلندا.

لم يوافق ستالين على هذا الرأي ، ولكنه وبأسلوب من الاعتدال قال ان بلاده لا تريد «تحويلات نقدية كبيرة» من فنلندا ولكن لابد من تلقين الفنلنديين الدرس الذي يستحقون ويدفعون بعض التعويضات نظير الأضرار التي سببوها للاتحاد السوفييتي ، مشيراً الى ان بوسعهم مثلاً ان يمدوا الاتحاد السوفييتي بالأخشاب والورق لمدة خمس الى ثمان سنوات. تَدَخَلَ تشرشل ليعيد الى ذاكرة ستالين الشعار الذي رفعه البلاشفة ابان الحرب العالمية الأولى «لا للضم ولا للتعويضات» قال ستالين ان موقفه تجاه هذه المسائل قد بات الآن «أقل بلشفة» بل هو أكثر ما يكون قرباً الى موقف «المحافظين». ثم أضاف ان المعلومات المتوفرة لديه تشير الى ان الفنلنديين قاموا في الأونة الأخيرة بارسال تعزيزات من قواتهم الى الحدود مع الاتحاد السوفييتي وهذا

ما يتناقض مع حديثهم عن الرغبة في السلام .

تَدَخَلَ مولوتوف ليذكّر الجالسين بأن الفنلنديين سبق وان قصفـوا لينينغراد بالمدفعية والطائرات بالتواطؤ مع الألمان ملمحاً الى انه ليس من السهل على الروس ان يغفروا لهم افعالهم هذه .

هنا حاول روزفلت الدخول في التفاصيل قائلاً ان الفنلنديين على ما يعتقد ربما كانوا راغبين بالتنازل عن حوض (كارليان) ولكنهم يأملون في الاحتفاظ بمرفأي (فيبورغ) و(هانغو) وانه بالامكان جعل هذين المرفأين منزوعي السلاح حتى لا يمكن استخدامها مستقبلاً ضد الاتحاد السوفييتي. تَدَخَلَ تشرشل ليقول انه من نـاحيته يتعاطف مع وجهة النظر السوفييتية ، فالروس قد عانوا الأمرين على أيدي الفنلنديين وتبعاً لذلك فلهم الحق في ان يحددوا شروط الصلح ، وعندما تكون هذه الشروط واضحة أمامه ، فسيقرر بعدها ما إذا كان سيطلب الرأفة بهم أم لا . ثم تابع يقول «على ان الأساسين التوأمـين لأي اتفاق صلح همـا ضمان أمن الاتحـاد السوفييتي واستقلال فنلندا» .

يبدو ان المارشال ستالين وجد ان الوقت قد حان ليكون حدياً بالنسبة لهـذه المسألة فقال ان الأساس الذي تستند عليه أية معاهدة صلح هو العودة الى حدود ١٩٤٠ ، أي ما معناه ضم كل من (فيبورغ) و(هانغو) وحوض (كارليان) الى الاتحاد السوفييتي. لكنه قال انه سيقبل بمنطقة (بيتسامو) التي من شأنها ان تجعل للاتحـاد السوفييتي حدوداً مشتركة مع النروج بدلاً من (هانغو). وانه سيحترم استقلال فنلندة ولكن على هذه الأخيرة ان تدفع ما يترتب عليها من تعويضات. ثم أعرب المارشال ستالين عن أسفه لأن روزفلت لم يكن قادراً على اقناع الفنلنديين بأن هذا هو ما يجب عليهم قبوله .

حسبما جاء في الوثائق البريطانية فان روزفلت وافق على مقترح ستالين بأن يضم (بيتسامو) بدلاً من (هانغو) واصفاً إياه بأنه مقترح معقول. وأضاف أنه سيبلغ الفنلنديين بارسال بعثة للسلام الى موسكو دون ان تكون هناك أية شروط مسبقة حول ما هم مستعدون او غير مستعدين للاقرار به .

عَقَبَ ستالين على ذلك بقوله انه يعتقد ان من الخطأ ان لا تكون هناك شروط

مسبقة ، فلو فشلت مهمة البعثة في موسكو فسوف يجد الألمان في ذلك مادة للدعاية . ولكن على اية حال فليأتوا ونحن مستعدون للتفاوض مع أي كان منهم سواء أكان موالياً للألمان أم لا . تَدَخَلَ تشرشل ليثير النقطة التي سبق لـ (ايدن) ان طرحها في مؤتمر موسكو قائلاً لو عاملت روسيا الفنلنديين بروح من الاعتدال والمنطق فسيكون ذلك بمثابة طمأنة للسويديين ربما يشجعهم على دخول الحرب ضد الألمان. لم يبدِ ستالين انزعاجاً من ذلك كما انزعج مولوتوف في حينه ولكنه أشار الى ان لإعتدال الاتحاد السوفييتي حدوداً لا يمكن تجاوزها. ثم قال انه علاوة على التنازلات الاقليمية التي ذكرها فينبغي على الفنلنديين أن يدفعوا تعويضات تصل الى خمسين بالمائة من قيمة الأضرار التي تسببوا في وقوعها ليس على شكل مدفوعات نقدية بل على شكل سلع وخدمات ، كذلك يترتب عليهم ان يقطعوا علاقتهم مع المانيا ويطردوا الجنود الألمان من أراضيهم ويسرحوا قواتهم المسلحة. عاد تشرشل ليلقي ظلالاً من الشك حول الحكمة من ابتزاز بلد فقير وصغير كفنلندا قائلاً ان المانيا كبلد كبير وغني ، هي قضية مختلفة تماماً. أجاب المارشال ستالين بحدة وفي الحال انه سيشرف بنفسه على استحصال التعويضات من فنلندا ، وإذا لم يكن بامكانها ان تدفع فان الاتحاد السوفييتي سيحتل قسماً من أراضيها حتى يكون بمقدورها ان تفي ما بذمتها من تعويضات. وعلى هذا النحو انتهت المناقشة.

وفقاً لما جاء في الوثائق البريطانية ، فانه قبل ان يغادر المدعوون مأدبة الغداء ، أثار مولوتوف موضوع تعويض الاتحاد السوفييتي بعدد من القطع البحرية الايطالية. وكان ذلك أمراً طبيعياً طالما انهم كانوا قد انتهوا للتو من بحث موضوع التعويضات المترتبة على فنلندا. غير ان الوثائق الأمريكية والروسية تقول ان هذا الموضوع الأخير لم يُطرح للنقاش إلا بعد ان أُستؤنفت المحادثات ظهر ذلك اليوم.

على أية حال وبصرف النظر عما إذا كانت هذه المسألة قد بحثت في المأدبة أم في الجلسة اللاحقة فان المناقشة كانت قصيرة وقد ردَّ روزفلت على مولوتوف بقوله ان الحلفاء الغربيين راغبون في تسليم بعض السفن الايطالية ليستخدمها السوفييت كجزء من المجهود الحربي المشترك.

لكنه إرتأى ان مسألة امتلاك الروس لهذه القطع بشكل دائم ينبغي ان تؤجل الى ما بعد انتهاء الحرب. ردَّ مولوتوف قائلاً «هذا مقبول طالما انه سيمكننا من استخدامها» ثم اقترح ارسال هذه السفن الى الموانيء الواقعة شمال الاتحاد السوفييتي ، ما لم تدخل تركيا الحرب وعند ذلك يمكن ارسالها عن طريق مضيق الدردنيل.

تَدَخَلَ تشرشل ليقول «هذا طلب متواضع من الاتحاد السوفييتي إذا ما قيس بالتضحيات التي قدمها في الحرب» ولكنه طلب مهلة أمدها شهر أو شهران لاتخاذ الترتيبات لارسال هذه السفن بشكل يضمن تحاشي تمرد بحارتها احتجاجاً. وهكذا فقد فرغ الجميع من مناقشة هذا الموضوع بشكل ودي وبالتالي تمت تسوية قضية ظلت معلقة منذ مؤتمر موسكو. أما المسائل المعلقة الأخرى فكانت بحاجة الى قسط كبير من المناقشة والاهتمام وبالتالي لم يكن بالامكان تسويتها في طهران.

بعد انفضاض المدعوين ، التقى روزفلت على حدة مع المارشال ستالين ووزير خارجيته مولوتوف بحضور هاريمان ومترجمين اثنين. ولما كان الرئيس الأمريكي يدرك ان تشرشل سيطرح موضوع بولندا على الجلسة القادمة فقد أراد ان يوضح للزعيم السوفييتي موقفه من هذا الموضوع مقدماً. وهكذا بدأ بابلاغ ستالين انه إذا استمرت الحرب حتى خريف عام ١٩٤٤ فانه سيجد من واجبه ان يخوض انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة لفترة رئاسة ثانية رغم انه لا يريد ذلك مشيراً الى ان هناك ما يتراوح بين ستة الى سبعة ملايين ناخب أمريكي ينحدرون منْ أصل بولندي ولذلك فهو بحاجة الى أصواتهم. وهو يريد ان يقول للمارشال ستالين في خلوتهما هذه انه يقبل بفكرة «تحريك» الحدود البولندية السوفييتية نحو الغرب وكذلك تحريك الحدود البولندية الألمانية نحو الغرب باتجاه نهر (الأُودر) ، ولكن للسبب الذي ذكره قبل قليل فانه لا يستطيع ان «يشارك في اتخاذ أي قرار» حول هذا الموضوع او الدخول علانية في أي ترتيب بشأنه الى ما بعد انتخابات الرئاسة.

رغم ان الأمور التبست على المارشال ستالين بعض الشيء ، إلا انه أوحى لمحدثه بأنه يفهمه تماماً. وبقدر تعلق الأمر به فانه لا يريد ان يفعل روزفلت شيئاً على الاطلاق بالنسبة لبولندا للسنة القادمة أو لما بعدها.

لم يرتح الأمريكيون الآخرون الذين كـانوا يحضـرون المحادثـة لملاحـظات الرئيس روزفلت وخاصة هاريمان الذي أحس ازاءها بقلق عميق ، ذلك انه بمجرد احتلال الجيوش السوفييتية لبولندا فان الوقت سيكون قد فات تماماً للوصول الى تسوية متفاوض عليها ، فروسيا ستفرض ما تريده دون أي اعتبار لرغبات أي من الولايات المتحدة او بريطانيا.

يقول المترجم الأمـريكي (بوهلن) في مـذكراتـه انه أصيب بخيبـة أمل من ملاحظات روزفلت ، وانه يعتقد ان تشرشل وايدن كانا يشعران بخيبة أقوى لو علما بتلك الملاحظات التي يقول (ايدن) عنها في مذكراته «لم نعلم بها إلا بعد مضي فترة طويلة». ويضيف (بوهلن) ان ستالين لابد وان يكون قد أحس أخيراً بالارتياح لأن الأمريكان سوف لا يمارسون أي ضغط عليه بالنسبة لموضوع بولندا ، كما ان الرئيس روزفلت عالج هذا الموضوع على انه «قضية تافهة» يمكن تأجيل بحثها مدة سنة او يزيد. أضف الى ذلك ان الرئيس الأمريكي لم يتطر ق حتى الى مسألة العلاقة مع حكومة بولندا في المنفى.

انتقل روزفلت بالمناقشة الى نقطة شائكة تتعلق بالمطالب السوفييتية في بعض مناطق بحر البلطيق (لاتفيا واستونيا) ولعله من سوء الحظ فان عدداً لا يستهان به من الناخبين الأمريكان ينحدرون من أصل بلطيقي ، وهذا ما جعل من الصعب على الرئيس الأمريكي ان يجاهر علانية باستعداده للقبول بهذه المطالب ، لذلك اكتفى بالاعراب لستالين عن الأمل بأن يبادر الاتحاد السوفييتي الى القيام بخطوة في صالح تطبيق مبدأ تقرير المصير لسكان هذه المناطق وليكن ذلك على شكل استفتاء تحت إشراف دولي ، وهو ـ أي روزفلت ـ مطمئن بأن هؤلاء سيصوتون لصالح الانضمام الى الاتحاد السوفييتي.

ردَّ ستالين ، وكان هو الآخر مطمئناً من ان نتيجة تصويت كهذا سيكون في صالح بلاده إذا تم في ظل ظروف مناسبة ، بقوله «ان الفرصة ستتاح أمام سكان هذه المناطق للتصويت بموجب الدستـور السوفييتي ، امـا مسألـة إجراء استفتـاء تحت إشراف دولي فهذا محض هـراء». وهكذا وجـد روزفلت ان من الأنسب له تـرك الموضوع عند هذا الحد. ثم أشار الى انه لم يتبقَ سوى موضوعين اثنين هما بولندا

والمانيا سيُفرغ من مناقشتهما عندما يستأنف الزعماء محادثاتهم بعد الظهر وبالشكل الذي يمكنه هو وتشرشل من مغادرة طهران في اليوم التالي خاصة وان الأحوال الجوية مناسبة للطيران.

بعد ذلك انتقل روزفلت وبشكل مقتضب الى المنظمة الدولية الجديدة المقترحة والتي سبق له وان بحثها مع ستالين بالفعل ولم يكن يريد اثارتها بحضور تشرشل. ولعل بوسع المرء أن يستنتج ان السبب في ذلك هو ان تشرشل وستالين، بخلاف معظم المواضيع التي نوقشت خلال المؤتمر، لهما مواقف متشابهة ازاء هذا الموضوع فكلاهما يحبذ فكرة إنشاء مجالس اقليمية منفصلة للمنظمة الجديدة بدلاً من مجلس واحد (مجلس الأمن) كما يريد روزفلت.

ويبدو ان ستالين أدرك ما يدور في خلد روزفلت فالتفت اليه ليقول «لقد توصلت الى استنتاج بأنك مصيب فيما ذهبت اليه فيجب ان يكون هناك مجلس واحد». شعر روزفلت بالارتياح لموقف الزعيم السوفييتي رغم انه لم يكن متأكداً كم كان هذا الأخير حازماً في هذا الموقف. على أية حال فقد أُرتؤي اجراء المزيد من الدراسة حول تركيب المنظمة الدولية الجديدة وأجهزتها كما أُتفق عليه في مؤتمر موسكو. وهكذا انتهت المناقشة بين الرجلين.

بعدها توجه الأثنان الى قاعة المؤتمر لملاقاة شرشل ولاستئناف مباحثاتهم، حيث طُرحت المسألة البولندية أخيراً. وكان روزفلت اول المتحدثين معرباً عن الأمل بإمكان استئناف العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والحكومة البولندية في المنفى، باعتباره خطوة على طريق تسوية هذه المسألة.

كان هذا بحد ذاته خطأً تكتيكياً ارتكبه روزفلت، فلو انه أراد الوصول الى شيء من هذا، لكان بوسعه ان يصل اليه في خلوته مع ستالين. وهكذا كان هذا الخطأ في صالح تشرشل.

الظاهر ان ستالين انزعج لأن موضوع بولندا طُرح عليه دون سابق انذار، لذلك ردَّ بشدة بادئاً باتهام الحكومة البولندية في المنفى بالتواطؤ مع الألمان والتحريض على قتل الأنصار اليساريين في بولندا. ثم قال مخاطباً روزفلت انه لا الأمريكان

ولا الانكليز لديهم أدنى فكرة عن حقيقة ما يجري في بولندا. تدخل ايدن معتبراً اتهام ستالين للبولنديين بالتواطؤ مع الألمان بانه اتهام جارح رغم انه لمس من حدة ستالين ان هذا الأخير كان متأكداً منه. ثم انضم تشرشل الى المناقشة ليزيد النار اشتعالاً قائلاً انه يفهم ان روسيا ولأسباب تاريخية لها وجهة نظر مختلفة تماماً عن وجهة نظر حلفائها الغربيين ولكنه يأمل ان يذكّر ستالين بأن دخول بريطانيا الحرب جاء نتيجة لضمانات محددة كانت قد قطعتها لبولندا. ولهذا فان بريطانيا لديها التزامات بهذا الخصوص. وسعياً وراء تحويل المناقشة الى قنوات أكثر سلامة ، أثار تشرشل موضوع الحدود ثانية قائلاً اننا جميعاً نريد تحقيق الأمن للاتحاد السوفييتي ، والمارشال ستالين نفسه طرح موضوع تحريك حدود بولندا الغربية باتجاه (الأودر) تعويضاً له على تحريك الحدود السوفييتية غرباً باتجاه خط (كورزون). ومن هذه الملاحظة بدا لستالين ان الحلفاء الغربيين والانكليز على وجه الخصوص سيطرحون تسوية مشكلة الحدود على حكومة بولندا في المنفى في حالة واحدة فقط هي ان يستأنف الاتحاد السوفييتي علاقاته مع تلك الحكومة.

لم يكن المارشال ستالين قد خرج بمثل هذا الاستنتاج عندما بُحث الموضوع من قبل ، ولكن يبدو واضحاً الآن انه بات يرى انه إذا كانت الحكومة البولندية مستعدة للتجاوب في موضوع الحدود ، فربما ينظر في استئناف العلاقات معها ولكن هل يغير الفهد طباعه ؟ وهل ان حكومةً معادية للسوفييت يمكن أن تصبح في ليلة وضحاها مواليه لهم ؟ ثم هل ان حكومة المنفى تمثل الشعب البولندي خير تمثيل ؟

مهما كانت الأجوبة على هذه التساؤلات فانه إذا كانت هذه الحكومة مستعدة كي تدلل على حسن نواياها كأن تتعاون بمجموعها مع الأنصار البولنديين الموالين للسوفييت بدلاً من مهاجمتهم ، فربما يعيد النظر في موقفه. وهكذا أعاد المارشال ستالين الى أذهان مستمعيه ان بولندا أكثر حيوية للاتحاد السوفييتي من ناحية تأثيرها على أمنه ، منها الى بريطانيا ، مهما كانت الوعود التي قطعتها هذه الأخيرة لها.

ردَّ تشرشل بقوله «اننا نسعى الى الوصول الى حل لمشكلة الحدود يكون مقبولاً لروسيا فإذا وافقتم فانني مستعد لأنقل ذلك الى الحكومة البولندية في المنفى الموجودة في لندن وأقول لهم ان هذا أفضل ما يمكن لهم ان يتوقعوه». أما إذا رفضوه ، فان

بريطانيا ستواصل تأييدها لمثل هذا الحل على طاولة مفاوضات السلام. ثم لجأ تشرشل الى «صيغة مضللة» هذه المرة بقوله ان بريطانيا ترغب في ان ترى بولندا قوية، ومستقلة، وصديقة لروسيا.

ردَّ ستالين «هذا أمر مرغوب فيه دون شك ولكن يجب ان يكون واضحاً للبولنديين ان عليهم ان يقبلوا بحدود عام ١٩٣٩ (تلك الحدود التي فرضتها روسيا بعد اندحار بولندا). وهذا ما معناه ان منطقة (اوكرانيا) برمتها وروسيا البيضاء ينبغي ان تعود للاتحاد السوفييتي وهذا أمر عادل ومنصف.

تَدَخَلَ (ايدن) ليقول ان المارشال ستالين ربما كان يقصد ما يسمى بـ «خط مولوتوف - ريبنتروب» (الذي اتفق عليه وزير خارجية الاتحاد السوفييتي مولوتوف ووزير خارجية المانيا النازية ريبنتروب عام ١٩٣٩)، فسارع مولوتوف للرد بقوله «ان حدود ١٩٣٩، تنسجم في الواقع مع خط كورزون». وهنا بدا كما لو ان ستالين قد نفد صبره فقال مخاطباً (ايدن) «سمه كما تشاء.. فنحن نعتبر هذا أمراً عادلاً».

عاد (ايدن) فأشار الى ان خط كورزون هو في الواقع أكثر قبولاً للبولنديين رغم وجود بعض الاختلافات. بعدها أُستعين بالخرائط لتحديد الموقع الدقيق لخط (كورزون) ويبدو ان ستالين أقر بأن خط (كورزون) في نقطة او نقطتين يتجه قليلاً نحو الشرق من خط التقسيم لعام ١٩٣٩ قائلاً انه لا يريد ان يقتطع أية أراض يسكنها بولنديون.

على أية حال فان مدينة (لوو) رغم ان غالبية سكانها هم من البولنديين إلا انها محاطة بأراض يقطنها الأوكرانيون ولهذا فيجب ان تظل جزءاً من روسيا.

حسبما جاء في الوثائق الأمريكية فان روزفلت تَدَخَلَ في هذه المرحلة من المناقشة متسائلاً ما إذا كانت الأراضي الواقعة بين الحدود القائمة لبولندا و(الأودر) هي من ضمن الأراضي التي سيُطلب الى البولنديين التخلي عنها ؟

ردَّ ستالين وكأن الأمر ليس مهماً بقوله انه لا يعرف وانه لم يتم بعد قياس مساحة تلك الأراضي. ثم تَدَخَلَ تشرشل ليجيب على تساؤل روزفلت بقوله «نظراً لأن الأراضي قيد البحث هي أراضي زراعية وصناعية فهي أثمن بكثير من منطقة (بيربت) التي تسودها المستنقعات والواقعة الى الشرق. والظاهر ان تشرشل شعر ان

بامكانه ا ن يقول للبولنديين الآن «هذه صفقة طيبة لابد وان تقبلوا بها». أخيراً اقترح روزفلت «ان تنقلاً بين السكان ربما كان أمراً ضرورياً على ان يتم على أساس طوعي» وهذا ما وافق عليه المارشال ستالين.

كان بود تشرشل ان تستمر المناقشة حول بولندا حتى يكون بامكانه «ربط جميع النهايات السائبة» ولكن روزفلت شعر بأنهم أمضوا ما فيه الكفاية من الوقت في بحث هذا الموضوع الحساس الذي أدى الى نوع من الاحتكاك ، وهكذا اقترح ان تنتقل المناقشة الآن الى موضوع أهم هو المانيا ، قائلاً إذا قررنا تقسيم المانيا فهناك طرق عدة لبلوغ ذلك.

حول هذه النقطة هناك اختلافات واضحة في الوثائق المتعلقة بالمؤتمر. فالمراجع البريطانية والأمريكية مثلاً تتفق على ان ستالين كان يحبذ التقسيم (وهذا ما لم تشر اليه الوثائق السوفييتية). وتنسب تلك المراجع الى الزعيم السوفييتي قوله أيضاً انه من المؤكد ان رئيس الوزراء البريطاني سوف يعارض فكرة التقسيم لأنه سبق وان دافع عن بقاء المانيا موحدة (وربما قوية أيضاً). ردَّ تشرشل بقوله انه ليس ضد التقسيم تماماً. فهو مهتم بشكل خاص في سلخ بروسيا عن بقية الجسم الألماني على اعتبار ان هذه المنطقة هي منشأ الروح العسكرية الألمانية وهي بالتالي «أصل الشرور كلها». ثم طرح روزفلت خطة اعدها مستشاروه السياسيون تتضمن تقسيم المانيا الى خمسة أجزاء كما يلي:

١ - بروسيا.
٢ - هانوفر وشمال غرب المانيا باستثناء منطقة الروهر الصناعية.
٣ - ساكسونيا ولايبزغ.
٤ - هيسه - دار مستادت ، وهيسه - كاسل وراينلاند.
٥ - بافاريا وبادن وفورتمبرغ.

وعلاوة على ذلك فستكون هناك منطقتان تخضعان للاشراف الدولي لمصلحة أوربا بأجمعها وهما:

١ ـ منطقة الروهر الصناعية.

٢ ـ قناة كيل.

كان واضحاً ان تشرشل فوجيء بالطبيعة الشاملة للخطة التي عرضها روزفلت والتي وصفها بأنها جديدة تماماً بالنسبة اليه ، فأية خطة كما يعتقد يجب ان تكون لها عناصر بناءة وأخرى مدمرة، لذلك قال ان بروسيا ينبغي ان تُدمر لكن علينا ان نوفر بعض الأمل لسكان بقية المناطق الألمانية ومعظم أناسها مسالمون. وهو يريد ان يعرض عليهم «الخيار البنّاء» في الانضواء ضمن «اتحاد لدول الدانوب». ويبدو انه كان ثمة ضعف واضح في حجة تشرشل ، وهو ما استغله ستالين بقوله «مهما كانت الحالة التي يقصدها تشرشل ، فالنازيون كانوا يتمتعون بالتأييد سواء في جنوب المانيا او غيرها».

من الملاحظ ان ستالين لم يعترض سابقاً عندما طرح تشرشل موضوع «اتحاد الدول المطلة على الدانوب» ، غير ان معارضته هذه المرة كانت واضحة تماماً. ومع هذافقد أشار الى بعض المناطق المعقولة فإذا كانت المانيا ستُقسم أخيراً ، فان خطة روزفلت هي أفضل ما يمكن ان يتم التقسيم على أساسه ، اما زج اعداد كبيرة من الألمان في اتحاد كالذي اقترحه تشرشل فسيتيح للألمان الفرصة لكي يبعثوا الروح في المانيا جديدة وقوية ، والروس كما قال المارشال ستالين لم يجدوا فرقاً بين جندي نازي الماني من أصل جنوبي او أصل شمالي فكلهم سواء ، جميعهم حاربوا بضراوة ورغبة باستثناء النمساويين ، وعلى أية حال فان «اتحاداً لدول الدانوب» يضم أجناساً مختلفة كالمجريين سيكون اتحاداً مصطنعاً. وهو يرى ان دولاً مثل النمسا والمجر يجب ان تكون دولاً مستقلة.

مع ذلك وافق المارشال ستالين على الرأي القائل ان العنصر البروسي هو أكثر العناصر عسكرية وهو أخطرها جميعاً ولهذا فقد نادى بتصفية جميع العسكريين البروسيين من ضباط وغيرهم. كرر تشرشل القول انه ليس ضد التقسيم ولكنه يعتقد ان تقسيم المانيا الى أجزاء صغيرة سوف يعني ان تلك الأجزاء ستنجذب مستقبلاً بعضها الى

بعض ، وبدلاً من هذا فَلِمَ لانعطي الألمان شيئاً أفضل يتعلقون به . . . شيئاً يمكن ان يدوم لفترات طويلة . ففي مذكراته أشار تشرشل الى ان قصده من هذا الاقتراح كان الدعوة الى اعادة تأسيس الامبراطورية النمساوية ـ المجرية ، التي «لو لم تكن قد وجدت أساساً لأستوجب اختراعها» .

على أية حال ردَّ ستالين بقوله «الألمان سيسعون الى توحيد أنفسهم من جديد مهما كانت الصيغ التي نقترحها» . وهنا كشف تشرشل عما يدور في ذهنه ألا وهو خلق «اوربا وسطى مستقرة ، وقوية سياسياً واقتصادياً . . وحتى عسكرياً» . على هذه الملاحظة وضع ستالين السؤال التالي «هل تريد أوربا مؤلفة من دول صغيرة يمكن ان تتفكك بالكامل ؟ ثم عاد مستدركاً ما أقصده يتعلق بألمانيا فقط ، فدول أخرى مثل فرنسا وإيطاليا ، وبولندا يمكن فرضاً ان تكون قوية في المستقبل» . (الوثائق السوفييتية حذفت أية اشارة الى هذه الملاحظة ربما لأنها حسب رأي الذين حذفوها لا تتماشى مع النوايا السوفييتية تجاه هذه الدول الثلاث الأخيرة . تَدَخَلَ روزفلت في المناقشة ليقول «ان تقسيم المانيا الى أجزاء صغيرة يجعلها اقل خطراً» ولكن تشرشل مع تأييده لفكرة التقسيم كان يرى ان يتم على أساس «أجزاء كبيرة» مع هذا فقد أضاف ان مناقشاتهم هذه هي مجرد مناقشات أولية وهو ما وافق عليه ستالين .

الآن وقد وصلت المناقشة حول المانيا الى طريق مسدود انتقل تشرشل الى الموضوع التالي الذي يشغل ذهنه ، (بولندا) . فراح يسأل ستالين ما إذا كان يوافق على ان تقع حدود بولندا الجديدة ما بين خط الكورزون والأودر ، وهي صيغة تُضم بموجبها بروسيا الشرقية ومقاطعة (اوبلن) الألمانية الى الأراضي البولندية . ويبدو ان روزفلت شَعَرَ بالضيق لأن تشرشل أثار موضوعاً كان هو قد حاول تفاديه بأمان ، فقد كان يريد ان تتواصل المناقشة حول موضوع المانيا . مع هذا فقد قال «انها لفكرة جيدة ان تُدعى اللجنة الاستشارية الأوربية أو اية هيئة يتم تشكيلها ، لبحث مسألة معاملة المانيا مستقبلاً» . أيد ستالين الفكرة كما ان تشرشل لم يعارضها . وهكذا وحسبما جاء في الوثائق الأمريكية فقد أُتفق على ان تتولى اللجنة الاستشارية الأوربية هذه المهمة (رغم انها لم تتولاها في نهاية الأمر على الاطلاق) .

بالنسبة للسؤال المتعلق ببروسيا الشرقية فقد أجاب ستالين على نحو أعلن فيه بوضوح ولأول مرة مطلباً سوفييتياً في الأراضي الألمانية قائلاً ان روسيا ترغب في ذلك الجزء من المانيا الذي يقع فيه ميناء (كونيفسبرك) ثم استعان بالخارطة مؤشراً على خط حدودي يمر بمحاذاة نهر (نيمن) ، فهذا الميناء (وإسمه اليوم كالينينغراد) سيوفر لروسيا ميناءً دافئاً آخر على بحر البلطيق. وأضاف انه لو تم الاقرار بذلك فانه سيوافق على الصيغة التي عرضها تشرشل. وكما تقول المراجع الأمريكية فان تشرشل نقل هذه الفكرة الى الحكومة البولندية في المنفى الموجودة في لندن.

عند هذه النقطة انتهت المناقشة ورفع الأقطاب الثلاثة جلستهم استعداداً لمأدبة العشاء الوداعية ، والواقع ان الجزء الأخير من المناقشة كان مثيراً غير انه لم يتقرر فيه شيء بالنسبة للأفكار التي طُرحت. فبالنسبة الى موضوع المانيا فان تشرشل نجح في الحيلولة دون ان تصبح خطة التقسيم الشاملة التي عرضها روزفلت أساساً للمناقشات القادمة حول مستقبل المانيا. أما بالنسبة لبولندا فان ستالين قد قبل «باعتزاز» التسوية الحدودية التي كان هو شخصياً يتطلع اليها ، ومع هذا فقد تحاشى أي تعهد باستئناف العلاقات مع الحكومة البولندية في المنفى. لذلك يمكن القول ان كلاً من الرجلين حقق «نصراً سلبياً». أما روزفلت فقد برهن ثانية على عدم استعداده لممارسة الضغط على ستالين فيما يتعلق بالمسألة البولندية. ولعل ايدن وحده هو الذي يستحق اللوم لأنه ألحَ كثيراً في الدفاع عن قضية الحكومة البولندية.

ولكن نظراً للموقف الصلب الذي وقفه ستالين ازاء موضوع بولندا ، وعدم تأييد روزفلت لموقف بريطانيا فان أفضل شيء يمكن لتشرشل ووزير خارجيته ان يعملاه هو ان يكتفيا بنقل ما سمعاه من ستالين الى البولنديين المنفيين. وإذا وافق هؤلاء ، فسيكون بالامكان اقناع ستالين بالتخفيف من موقفه ازاءهم ربما في مرحلة لاحقة يستطيع فيها روزفلت ان يكون أكثر تأييداً.

غير ان الرجلين (تشرشل وايدن) لم يكونا متفاءلين خاصة وهما على معرفة بمدى تعنت البولنديين بمواقفهم ، فايدن كان يرى ان المقترحات المتعلقة بالحدود ستُقابل بالرفض ، وهو كان يأمل في بعض التنازلات من قبل الاتحاد السوفييتي

خاصة فيما يتعلق بمدينة (لوو) مصحوبة ببعض التقدم بالنسبة الى موضوع استئناف العلاقات مع حكومة بولندا. وكما يقول ايدن في مذكراته «لقد بدأتُ أخشى كثيراً على البولنديين».

بعد انفضاض اللقاء الثلاثي في الساعة السابعة والدقيقة الأربعين ، أسرع (كادغون) الى جناح روزفلت للمساعدة في إعداد مسودة البيان الختامي الذي سوف يصدر عن المؤتمر. وكان قد أعَّدَ بالفعل مسودة بهذا الشأن ولكنه وجد ان الأمريكان قد أعدوا مسودتهم الخاصة بهم وهي مسودة وصفها بأنها «أفضل. . . فهي مكتوبة على النمط الذي يكتب به الصحفيون».

وكانت صيغة البيان الختامي التي أعدها روزفلت بالتعاون مع هوبكنز عمومية بمجملها وغامضة في تعابيرها وليس لها أهمية تاريخية باستثناء ما كشفت عنه من «تفاؤل أمريكي كبير». وقد تمت الموافقة عليها من جانب الزعماء الثلاثة في مأدبة العشاء التي أُقيمت مساء ذلك اليوم الى جانب «الاعلان الخاص بإيران». وقد خلت المأدبة من أية مناقشة ، وكانت مجرد مناسبة لأن يودع الزعماء بعضهم بعضاً. وعند الساعة العاشرة والنصف ليلاً تصافح الجميع وانصرف كل منهم الى جناحه. وفي صباح اليوم التالي أقلعت طائرة المارشال ستالين الى موسكو بينما توجه روزفلت وتشرشل الى القاهرة. وهكذا أُختتم مؤتمر طهران.

الفصل التاسع

العودة الى القاهرة

١ - الخاتمة في القاهرة

ليست هناك حاجة لوصف الجزء الثاني من مؤتمر القاهرة بشكل مفصل. ذلك لأن خمسة أيام من المناقشات لم تسفر إلا عن ثلاثة «قرارات سلبية» في المسائل العسكرية وقرار سياسي / عسكري عديم القيمة. اما القرارات السلبية فقد تمثلت في الاتفاق على عدم الشروع بأي من عمليتي جزر الاندمان وجزر بحر إيجه في المستقبل القريب، وكذلك على عدم تعيين الجنرال (مارشال) لقيادة عملية العبور. أما القرار السياسي / العسكري العديم القيمة فيتعلق بدخول تركيا الحرب، على الأقل في زمن يكون مناسباً للتأثير على سير العمليات العسكرية في أوربا.

والعمل الايجابي الوحيد الذي تمخض عنه الجزء الثاني من مؤتمر القاهرة هو التأكيد على الأولوية المطلقة لعملية العبور وعملية الانزال في جنوب فرنسا، ولكن على حساب تأجيل وربما التخلي عن كل من عملية جزر الاندمان وبحر إيجه. ونوجز هنا باختصار القرارات الخمسة التي تمخض عنها المؤتمر:

١ - ان لا يتجاوز أي تأخير لعملية العبور عن شهر واحد من الموعد المقرر وهو الأول من أيار ١٩٤٤.

٢ - إعطاء الأفضلية للانزال في جنوب فرنسا على ما سواها من عمليات البحر المتوسط باعتبارها من أكثر العمليات «مساعدة» لعملية العبور.

٣ - أن تتم عملية الانزال في جنوب فرنسا في وقت واحد او في وقت قريب من الشروع بالعبور، وبعد الأول من حزيران إن أمكن مباشرة.

٤ - يكون الشروع بالانزال في جنوب فرنسا مرهوناً باحتلال الحلفاء لروما والتقدم باتجاه خط (بيسا - ريميني).

٥ - مع انه لا يزال أمراً مرغوباً فيه ان يدخل الأتراك الحرب فانه ليس بوسع الحلفاء ان يعدوا بالقيام بعمليات واسعة النطاق في بحر إيجه في المستقبل القريب.

إدراكاً منهم بأن عملية عبور ناجحة للقنال وإنزال ناجح في جنوب فرنسا يتطلب عدداً كبيراً من سفن الانزال باعتبار ان كلتا العمليتين تنطويان على عمليات انزال برمائية في مرحلتها الأولى ، ونظراً لأن الحشد العسكري لكل من العمليتين هو أخطر مراحل الاثنتين فقد أوصى رؤساء الأركان الانكليز بما يلي :

١ - يتم الشروع بالهجوم الأولي لعملية الانزال بقوة لا تقل عن فرقتين :
٢ - بهدف توفير سفن الانزال اللازمة للعبور فان عملية جزر الاندامان ينبغي إما ان تؤجل او تلغى حتى يكون في الامكان سحب السفن المخصصة لها الى مسرح العملية الأولى .

بقيت مسألة عملية جزيرة رودس ، فرؤساء الأركان الانكليز توصلوا الآن الى الاقتناع بأنه ليس من المحتمل ان تدخل تركيا الحرب طالما ان الأمريكيين وقفوا حجر عثرة أمام «الاغراء الوحيد» الذي كان بوسعه ان يحملهم على الأتيان بخطوة كهذه ألا وهو الشروع بمهاجمة الجزر اليونانية في بحر إيجه . ولعل من سخريات القدر ان مواقف الجنرالات الانكليز والأمريكان وصلت الى حد من التناقض حول المسائل الاستراتيجية الى الدرجة التي جعلت المارشال ستالين يلعب دور الحَكَم فيها . . فهاهو ستالين كما رأينا يقف في مؤتمر طهران مدافعاً عن عملية عبور مبكرة يرافقها في آن واحد إنزال للحلفاء في جنوب فرنسا . وربما وَجَدَ الأمريكيون انهم بوضعهم العصي في طريق عمليات بحر إيجه قد دفعوا بالانكليز ان يردوا بوضع العصي في طريق عملية جزر (الاندامان) . أضف الى ذلك ان تعهد الاتحاد السوفييتي بدخول الحرب ضد اليابان قد وفر للانكليز موقفاً أقوى في معارضة عملية (الاندامان) مفترضين ان خطوة سوفييتية كهذه ستجعل من المنطقي لإستراتيجية دحر اليابانيين ان تقوم على أساس شن هجمات حليفة مشتركة في منطقة المحيط الهادي يساهم فيها الاتحاد السوفييتي على قدم المساواة مع حليفيه الآخرين . ثم ان هذا الأخير بدخوله الحرب فسيوفر للحلفاء قواعد أكثر قرباً الى اليابان من تلك التي يمكن للصينيين ان يوفروها ، وبالتالي فان الصين نفسها ستصبح أقل أهمية للمجهود الحربي للحلفاء

ويجعل من بقائها في الحرب أمراً ثانوياً.

سخرية القدر الثانية التي أفرزها مؤتمر طهران ، كما جاء في كتابات المؤرخين الانكليز ، هي ان الأمر وصل بالجنرالات الأمريكان الى حد مقارنة أهمية الاندامان بأهمية عملية العبور نفسها ، بينما كانوا قبل المؤتمر ينظرون اليها دون اكتراث. أما المفارقة الثالثة والأخيرة فهي ان الجنرالات الانكليز والأمريكان بعد تلك الساعات الطويلة التي أمضوها في الجزء الأول من مؤتمر القاهرة وهم يحاولون ادخال العمليتين في برنامج زمني واحد تخلوا تقريباً عن العمليتين معاً في مؤتمر طهران بعد ان اصطدم كل منهما بمعارضة قوية من الجانب الآخر.

على انه وبقدر تعلق الأمر بالجنرال مارشال على الأقل فان الحجج البريطانية لم تقع على آذان صماء تماماً ، فهو يرى ان الانزال في جنوب فرنسا سيكون دونما شك بمثابة عملية اسناد فعالة لنجاح عملية عبور القنال والاستيلاء على المناطق الشمالية الغربية من فرنسا. وهي العملية التي يعتبرها من أهم عمليات مسارح القتال في أوربا على الاطلاق. ومن المنطقي تبعاً لذلك ان إنزالاً كاسحاً معززاً بقوات كافية في الجنوب الفرنسي من شأنه ان يضمن النجاح للعملية الرئيسة. أما بالنسبة الى مسرح عمليات جنوب شرقي آسيا ، فالجنرال مارشال كان على ثقة بأن حملة بورما هي المهمة وليست عملية جزر (الاندامان). وان الجنرالات الأمريكان بالتزامهم بهذه الأخيرة إنما يرجع في الأساس الى توجيهات روزفلت الذي بنى موقفه على أساس الافتراض بأنه إذا لم يشرع الأمريكيون بعملية (الاندامان) فان (شيانغ كاي شك) لن يصدر الأوامر الى قواته بالزحف وبالتالي فان حملة بورما ستنهار بكاملها ، والأسوأ من هذا كله ان الصين ربما تنسحب من الحرب. وإذا أمكن اقناع روزفلت بأن هذه الافتراضات لا أساس لها من الصحة فربما يجعله ذلك يتخلى عن عملية (الاندامان).

لم يكن أي من روزفلت وتشرشل ميالاً الى التخلي عن عملياته المفضلة بسهولة في المرحلة الأولى من مؤتمر القاهرة الثاني. ولكن في الاجتماع الأول مع رؤساء الأركان الأمريكان صباح الثالث من كانون الأول ، وجد الجنرالات

الانكليز ان زملاءهم الأمريكان كانوا على إستعداد للقبول بنظرية ان عملية الانزال في جنوب فرنسا يجب ان تعزز بما قوامه فرقتان هجوميتـان على الأقـل ، وان على المخططين العسكريين ان يتولوا مهمة حل مشكلة توفير سفن الانزال لها من أية عملية أخرى باستثناء عملية العبور.

مع ان هذه كانت خطوة في الطريق نحو التخلي عن عملية (الاندامان) ، إلا ان كنغ وليهي استبعدا ان تستدعي الضرورة سحب سفن الانزال المخصصة لهذه الأخيرة لدعم عملية الانزال في الجنوب الفرنسي . مع ذلك فقد تم أخيراً إحراز تقدم عندما وافق الجنرالات الأمريكان على دراسة خطة شاملة جديـدة لدحـر اليابـان أُدرجت ضمن جدول أعمال المؤتمر ، الذي وافق عليه الجانبان.

وقد تضمنت هذه الخطة فقرة تقول «إن الجهد الحربي الرئيسي ضد اليابانيين ينبغي ان يتم في المحيط الهادي ، وان تُعطى العمليات الأخرى في قواطع جنوب شرق آسيا أهمية ثانـوية. كـذلك تضمنت الخـطة توصيـات تتعلق بتنسيق الجهد العسكري في حالة دخول روسيا الحرب ضد اليابان من بينها استخـدام القواعـد السوفييتية في الشمال. هذه الفقرة عززت حجـج الجنرالات الانكليـز المعارضـة لعمليات عسكرية واسعة النطاق في هذا القاطع او ذاك من جنـوب شرق آسيـا. كذلك تضمن جدول الأعمال الذي أُتفق عليه ، الاشارة الى إمكانية دخول تركيا الحرب ضد المانيا وهو ما أنعش آمال الانكليز بأن عملية (رودس) لم تمت بعد تماماً.

كانت الأحداث تتحرك باتجاه قرار نهائي ، ولكن لا يزال هناك شوط كبير لا بد من قطعه قبل الوصول الى اتفاق كما سنرى.

تناول روزفلت وتشرشل طعام العشاء سوية مساء ذلك اليوم وأمضيا بعض الوقت في مناقشة المزايا المترتبة على عمليات كل منهما. لكن روزفلت كان حتى هذا الوقت على موقفه قائلاً انه أعطى وعداً لـ (كاي شك) بالقيام بعملية الاندامان.

أما تشرشل فرغم علمه ان فرص القيام بعملية مهاجمة الجزر اليونانية في بحر إيجه قد أصبحت بعيدة المنال فان تفاؤله المفرط لم يجعله يتخلى عنها نهائياً بعد ، خاصة وان الالتزام بعملية الانزال في الجنوب الفرنسي من شأنه ان يؤمن تواجد عدد كبير من سفن الانزال في البحر المتوسط ، ولكن طالما بقيت عملية (الاندامان) قائمة فان

عملية بحر إيجه ستكون مستبعدة إذ انه لا يمكن اطلاقاً توفير ما يكفي من معدات الانزال لكل من (الانداماان) والانزال في الجنوب الفرنسي وبحر إيجه.

مرَ يوم كامل من المناقشات وفي اليوم التالي ، الرابع من كانون الأول واصل تشرشل وجنرالاته حملتهم على عملية (الانداماان) في الاجتماع الموسع مع روزفلت ورؤساء أركانه وفي اجتماع هيئة الأركان المشتركة الذي تلاه. واستعان الانكليز بحجج جديدة ، فقد قال (كننغهام) انه ليس من الممكن بسهولة توفير سفن الانزال وسفن الاسناد لعملية (الانداماان) في آذار عام ١٩٤٤ ولعملية انزال في جنوب فرنسا تتم في حزيران من نفس العام. بينما قال (بورتال) ان احتلال جزر الانداماان نفسه لا يشكّل مساهمة كبيرة في الحرب ضد اليابان ذلك لأن القواعد الجوية القائمة على هذه الجزر صغيرة ، ثم انه وبسبب صغر حجم الجزر نفسها فانه حتى لو اقيمت قواعد جوية جديدة عليها فستكون صغيرة أيضاً.

عندما عرضت الخطة الشاملة لدحر اليابان لأول مرة على اجتماع هيئة الأركان المشتركة تحدث الجنرال بروك محاججاً بان الالتزام الكبير الذي سيترتب على عملية الانداماان وحملة بورما لا ينسجم والهدف الرئيس للخطة وهو ان «يُلقى بالجهد الحربي الرئيس في المحيط الهادي». ثم تَدَخَلَ (مونتباتن) ليزيد في النار اشتعالاً (خاصة بقدر تعلق الأمر بتشرشل) باقتراحه ان تتألف قوة الهجوم على جزر الانداماان من ٣٧ ألف رجل ضد الحامية اليابانية المتواجدة عليها والتي لا يزيد عددها على عشرة آلاف ، وهو اقتراح جَفِلَ له حتى الجنرالات الأمريكان. مع هذا فا ن الرئيس روزفلت لم يكن راغباً في الاقرار بالهزيمة ولكن موقفه بدأ يعتريه الضعف.

وعند انتهاء الجلسة أوجز روزفلت نتيجتها بقوله «لقد اتفق الجميع على اعطاء الأولوية القصوى للعبور وللانزال في جنوب فرنسا ، أي ما معناه ان المعدات المخصصة للعمليات الأخرى يمكن ان تستخدم للعمليتين الأوليتين إذا ما وجد ان ذلك أمراً ضرورياً ثم أضاف ان على مونتباتن باعتباره قائد عمليات جنوب شرق آسيا ان يستفيد مما لديه من إمكانات عسكرية متاحة وان لا يطلب المزيد.

على أية حال ، لم يذهب رؤساء هيئة الأركان المشتركة في ذلك اليوم الى أبعد من الاتفاق على تبادل الآراء حول الموضوع ، ذلك ان قراراً نهائياً بالنسبة لعملتي

رودس والاندامان هو من اختصاص السياسيين لأن كلاً من العمليتين تعتمد على عوامل سياسية. هنا يبرز سؤالان الأول هل ان روزفلت على استعداد للمجازفة باهانة (كاي شك) بما قد يترتب على ذلك من انهيار حملة بورما بكاملها؟ وهل ان الممثلين العسكريين الأتراك الذين وصلوا الى القاهرة ذلك اليوم سيلزمون أنفسهم بعملية (رودس) وبالتالي الابقاء على آمال تشرشل منتعشة بإمكان الشروع بها ؟

في اليوم التالي من المناقشة أي في الخامس من كانون الأول ، حُسم موضوع واحد ، ولكن هذا الحسم أدى بالتالي الى اتخاذ قرار نهائي بصدد الموضوع الثاني. فبعد ان اجتمع الجنرالات الانكليز والأمريكان على حدة التقى الجميع في جلسة ثانية لهيئة الأركان المشتركة. وفي هذه الجلسة طرح الجنرالات الانكليز على الجنرال مارشال بصفته رئيساً لهيئة الأركان الأمريكية السؤال التالي «بصرف النظر عن الوعود التي قطعتها الولايات المتحدة لكاي شك ، هل تعتقدون حقاً ان عملية (الاندامان) حيوية من الناحية العسكرية لنجاح الحملة على بورما. تغلبت امانة(مارشال) الفطرية على ولائه لرئيسه روزفلت ، بقوله «كلا لا أعتقد».

هذا الجواب أحدث شرخاً في الجدار الأمريكي ، ذلك ان كلاً من الجنرال كنغ والادميرال ليهي كان لا يزال على ولائه لرغبات روزفلت ، كما انه أثار السؤال التالي ماذا سيترتب على التخلي عن (كاي شك) والصينيين نتيجة للتراجع عن عملية (الاندامان).

في الجلسة الموسعة للمؤتمر التي عُقدت صباح ذلك اليوم وجد روزفلت نفسه وهو يواجه نتائج أعماله ، فقد ألزم نفسه بعملية يعرف مقدماً ان تشرشل سيقاومها مما أدى الى هذا الانقسام في الآراء بين جنرالاته والجنرالات الانكليز الذين يؤيدون خطط رئيس وزرائهم ، أدى بهيئة الأركان المشتركة الى ان تصل الى مأزق حقيقي لا يستطيع ان يخترقه سوى اتفاق بين روزفلت وتشرشل. يتخلى به أحدهما عن عمليته المفضلة ، وربما كان تشرشل قد أحس انه قدم من جانبه ما يكفي من التنازلات حول المواضيع الأخرى وإن الدور الآن على روزفلت. وهكذا خرج بحل جديد «فلتمض حملة بورما كما هو مخطط لها ولكن لنؤجل عملية الاندامان» ثم قال ان (كاي شك) قد ينزعج ولكنه لن يجرؤ على الخروج من الحرب ضد اليابانيين شريطة ان

تستمر الرحلات الجوية لنقل المؤن الى الصينيين.

يبدو ان روزفلت بدأ يشعر كما لو ان الأرض التي يقف عليها قد أصبحت رخوة، ولهذا وافق على الطلب من مونتباتن ان يستطلع مع القادة الذين يعملون بإمرته في جنوب شرق آسيا إمكانية القيام بعمليات عسكرية «بديلة» أصغر حجماً في مسرح عملياته ملمحاً ولأول مرة الى عدم الممانعة في سحب سفن الانزال المخصصة أساساً لعملية (الانداماان). وهكذا كما يقول الجنرال بروك في مذكراته «راح الجميع يبحثون عن أفضل صيغة تحفظ ماء وجه روزفلت أمام كاي شك».

في جلسة ما بعد الظهر وافق رؤساء هيئة الأركان المشتركة على إرسال برقية بهذا المعنى الى (مونتباتن). كذلك وجهت برقية ثانية الى الجنرال آيزنهاور تطلب اليه وضع خطة نهائية لعملية الانزال في جنوب فرنسا، تقوم مرحلتها الهجومية الأولى على فرقتين عسكريتين. وهكذا بدأت عمليتا (الانداماان) و(رودس) تتراجعان بسرعة نحو الوراء.

ويبدو ان روزفلت كان قد اتخذ قراره النهائي، فبعد الجلسة الموسعة وفي الساعة الخامسة مساءً استدعى الجنرالات الأمريكان الى مقر اقامته لابلاغهم بعدم توفر إمكانات أخرى لعملية (الانداماان)، وانه يقترح انهاء المناقشة حول الموضوع بالتخلي عن هذه العملية وان يعرضوا بديلاً «أصغر حجماً» لها على (كاي شك) قائلاً لهم انه إذا أراد هذا الأخير تأجيل الحملة على بورما برمتها حتى الخريف المقبل كرد فعل على التخلي عن عملية (الانداماان) فليقل له إن ذلك أمر غير ممكن.

بعد الاجتماع مباشرة أعد روزفلت بالتعاون مع هوبكنز برقية لإرسالها الى (كاي شك) بهذا المعنى، في نفس الوقت الذي كان فيه تشرشل يتلقى الأنباء السارة «الغيت عملية الانداماان» يقول (ستلول) ان الرئيس روزفلت همس في أُذنه بعد الاجتماع قائلاً «لقد كنت عنيداً كالبغل خلال الأربعة أيام الماضية... لكن الانكليز كانوا أكثر عناداً مني»، وعلى هذا النحو فقد تم أخيراً الانتهاء من واحدة من أكثر العمليات الاستراتيجية مثاراً للجدل بين الولايات المتحدة وبريطانيا.

بينما كانت الأنظار تنصرف عن عملية (الانداماني) بدأت عملية (رودس) تمر هي الأخرى بنفس الطور، ولكن على أيدي الأتراك هذه المرة. فقد وصل الرئيس التركي (عصمت اينونو) الى القاهرة برفقة وزير خارجيته (نعمان منعم اوغلو) وغيره من المسؤولين الأتراك في الرابع من كانون الأول. وعلى مدى ثلاثة أيام عُقدت عدة جلسات للمحادثات لم تسفر عن شيء. وعقد الرئيس روزفلت اجتماعاً منفصلاً مع الرئيس اينونو الذي التقى على حدة كذلك تارة مع تشرشل وايدن وتارة مع ايدن وهوبكنز بحضور (منعم اوغلو). وفي اليوم الثالث من المحادثات أي في السابع من كانون الأول اغتنم تشرشل فرصة مغادرة روزفلت عائداً الى واشنطن للاجتماع مع الرئيس التركي ولكن لا هذا الاجتماع ولا الاجتماعات التي سبقته أسفر عن أية نتيجة. فالرئيس اينونو ورجاله كانوا غاية في الحذر وكان حذرهم مفهوماً، فالجيش التركي غير مؤهل للحرب من ناحية التدريب او التسليح. عرض الانكليز على اينونو خطة تقضي بإعداد القواعد التركية للعمل خلال شهري كانون اول وكانون الثاني، على ان يقوموا هم (الانكليز) بإرسال المستشارين الجويين والفنيين اللازمين لهذا الغرض، الى تركيا بملابس مدنية، على ان تكون القواعد جاهزة للاستخدام من قبل الانكليز خلال شهر شباط حيث تقوم مقاتلات بريطانية بعمليات جوية ضد الألمان في مجموعة الجزر اليونانية في بحر إيجه مدعومة من الأسطول البريطاني في شرق البحر المتوسط. وتقضي الخطة كذلك انه عند بلوغ التفوق الجوي فوق شرقي بحر إيجه فان سفن الانزال تكون قد توفرت لمهاجمة (رودس) أكبر هذه الجزر في أواخر شباط او اوائل آذار ١٩٤٤. أما في حالة عدم توفر سفن الانزال اللازمة فان الانكليز سيفرضون حصاراً بحرياً على هذه الجزر مع استمرار عمليات القصف الجوي. الواقع ان الحالة الأخيرة هي التي كان بوسع الانكليز ان يناقشوها مع الأتراك فقط. ذلك انه بسبب افتقار الانكليز الى «المغريات» التي يمكن أن يعرضوها على الأتراك فلم يتمكن تشرشل وايدن من ان يطلبا اليهم دخول الحرب مباشرة ضد المانيا او المشاركة بشكل مباشر في العمليات ضد المواقع الألمانية. ولذلك اقتصر طلبهم

على استخدام القواعد الجوية التركية مقابل التعهد لتركيا بتوفير وسائل الدفاع الجوي اللازمة لحماية أراضيها ضد أية غارات انتقامية المانية.

كان الانكليز يأملون ان يوافق اينونو على «الحالة الأخيرة» على الأقل، غير ان الرئيس التركي حاججهم بقوله «ان مجرد استخدام السلاح الجوي البريطاني لقواعدنا الجوية سيدفع بالألمان الى إعلان الحرب علينا وهو ما لم يكن الجيش التركي مستعداً له» أضف الى ذلك ان هناك حشوداً عسكرية بلغارية على حدود تركيا الشمالية مجهزة بالسلاح الألماني على أفضل ما يكون التسليح. وفي الواقع فان اينونو أراد من هذه الملاحظة ان يقول ان على حلفائنا من الانكليز والأمريكان ان يزودوا الجيش التركي وبسخاء بأحدث أنواع الأسلحة قبل ان تكون تركيا مستعدة للمجازفة بدخول الحرب.

في هذه المرحلة من المؤتمر أحس تشرشل بأنه منهك بعد أسبوعين من المفاوضات الشاقة في طهران والقاهرة، وبالفعل فقد أصيب بعد يومين بنوبة ذات الرئة. ومع ذلك فقد استجمع قواه في جهد أخير يدعمه ايدن لاقناع الأتراك، فقد قال الرئيس اينونو ان الموقف العسكري هو الآن أفضل بكثير بالنسبة للحلفاء مما كان عليه قبل سنة، فألمانيا هي الآن في موقف دفاعي وبالتالي فان المخاوف من احتمال مهاجمة تركيا هي احتمالات ضئيلة. أما بالنسبة للبلغار فالاتحاد السوفييتي كما أشار تشرشل، قد تعهد بأن يتولى أمرهم. وهكذا فان دخول تركيا الحرب في هذه المرحلة سيضمن لها موقعاً متميزاً كحليف على طاولة مفاوضات السلام فضلاً عن انه سيرسي العلاقات التركية السوفييتية على أسس قوية.

اما لو رفضت تركيا ذلك، فانها لن تفقد هذه الامتيازات فحسب، بل ستخسر كذلك ما يمكن ان تقدمه لها بريطانيا من تأييد بوجه أية ضغوط سوفييتية مستقبلاً.

كان ايدن أكثر حدة من تشرشل فقد قال مخاطباً (اينونو) ان الحلفاء لا يمكن أن ينتظروا الى ما لا نهاية، فخلال الأشهر القليلة القادمة سيكون الحلفاء بأمس الحاجة الى مساعدة تركيا لمجهودهم الحربي، وإذا لم يتحقق شيء من هذا خلال هذه

الفترة ، فسوف يسحبون العروض التي قدموها لتركيا. اما بالنسبة لطلب الأتراك تزويدهم بالسلاح ، فقد أشار الى ان الحلفاء لا يمكن ان يستغنوا عن أسلحة ثمينة ما لم يتلقوا ضماناً أكيداً بأنها ستستخدم ضد الألمان.

خلال المرحلة الأولى من المفاوضات مع الأتراك ، كان موقف روزفلت متحفظاً ، فهو على اطلاع بمخاوف جنرالاته من ان تتسع العمليات التي يخطط لها الانكليز في بحر إيجه الى الحد الذي تستنزف فيه الامكانات العسكرية المعدة لعمليات أكثر أهمية في قواطع أخرى ولذلك أبدى تعاطفه مع وجهة النظر التركية.

على أية حال لم يتخلَ الأتراك عن موقفهم المتسم بالحذر وكل الذي وافق عليه الرئيس (اينونو) هو ان تبدأ مفاوضات بين الضباط الانكليز والأتراك وتستمر الاستعدادات لتأهيل القواعد الجوية التركية وإعدادها للخدمة. ومع ذلك لم يعطِ ضماناً بأن هذه القواعد ستكون معدة للاستخدام في أواسط شباط.

وبصرف النظر عن شعور تشرشل ازاء هذا الموقف ، إلا ان الشعب التركي له من الأسباب ما يجعله شاكراً لموقف رئيسه. فهو بذلك أنقذ تركيا من ورطة كتلك التي سبق وان عانت منها الكثير في الحرب العالمية الأولى. كما ان تحذير تشرشل للأتراك من عواقب وخيمة إذا لم يدخلوا الحرب ، لم يكن هو الآخر ذا قيمة ، لأن المصالح الغربية تقتضي تأييد تركيا بوجه أية ضغوط سوفييتية محتملة.

مشكلات القيادة

خلال الأيام الأخيرة من مؤتمر القاهرة ، تم حسم معظم المشكلات المتعلقة بالقيادة والتي شغلت بال روزفلت وتشرشل وجنرالاتها مدة طويلة. فقد أُتفق من حيث المبدأ على ان تُناط جميع عمليات مسرح البحر المتوسط بإمرة قائد واحد. والفضل يعود في هذا الاتفاق الى إصرار الانكليز وتأييد الجنرال مارشال. وهكذا فقد صادق كل من روزفلت وتشرشل رسمياً على التوصية التي أعدها رؤساء هيئة الأركان المشتركة بهذا الشأن في السادس من كانون اول. وفي اليوم السابق كان الجنرالات الأمريكان والانكليز قد وجهوا تعليمات الى الجنرال آيزنهاور باضافة قاطع تركيا

وقاطع البلقان الى قيادة القوات الحليفة في غـربي البحر المتـوسط. ويعني هذا في المستقبل القريب ان القيـادة الجديـدة ستكون مسؤولـة عن توحيـد وتنسيق جميع المساعدات المقدمة من الدول الحليفة الى حركات المقاومة في البلقان وكل العمليات ذات الصلة بنشاط تلك الحركات ولوفـرضنا ان المحـادثات مـع اينونـو كانت قد نجحت فان عمليات جزر إيجه كانت ستصبح هي الأخرى تحت إشراف هذه القيادة.

كان روزفلت وتشرشل قد اتفقا في لقائهما في (كويبك) على أن يتولى جنرال انكليزي القيادة الجديدة للبحر المتوسط، طالما انه كان قد اتفق بالفعل على ان يتولى جنرال أمريكي قيادة عملية العبور. والاسم المرشح للقيادة الجـديدة هـو الجنرال «الكساندر»، القائد الميداني اللامع للجيوش الحليفة في الجبهة الايطالية والذي كان يتولى من قبل قيادة قوات الحلفاء في مسرح عمليات شمال أفريقيا.

غير ان الجنرال بروك الذي كـان يرى انـه لا يمكن الاستغناء عن الجنـرال الكساندر من قيادة الحملة في إيطاليا، فقد اقنع تشرشل بأن يعين بدلاً منه الجنرال (متيلاند ولسن) قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط، وهكذا فبعـد المؤتمر مباشرة شرع الجنرال آيزنهاور بتنظيم القيادة الجديدة وسَلَّمَ مقاليدها الى الجنـرال ولسن في العاشر من كانون الثاني ١٩٤٤.

جرى خلال مؤتمر القاهرة نقاش مستفيض حول اقتراح أمريكي يدعو الى ربط قيادة السلاح الجوي الاستراتيجي الأمريكي في البحر المتـوسط التي تشرف عـلى أسراب قاذفات القنابل التابعة للقوة الجوية الأمريكية الخامسة عشـرة مع القيـادة الجوية في واشنطن تحت قيادة واحدة يكون قائدها مسؤولاً مباشرة أمام هيئة الأركان الانكلو ـ أمريكية المشتركة. وكان الهدف من هذا الاقتراح هـو ضمان زج جميـع قاذفات القنابل الاستراتيجية عند الحاجة للإغارة على أيـة أهداف تـتطلب عملية العبور ضربها، لكن بورتال وبالنيابة عن الجنرالات الانكليز اعتـرض على هـذا الاقتراح على أساس انه سيؤدي في حالة وضعه موضع التنفيذ الى تقليص صلاحياته هـو في مجال تنسيق عمليـات القصف الجوي الاستـراتيجي من قواعـد جويـة في بريطانيا، كما انه سيحد من صلاحيات القائد البريطاني الجديد في البحر المتوسط في مجال إسناد العمليات التي تجري في قاطعه.

أخيراً تم الوصول الى حل وسط لهذا الاشكال في النصف الثاني من مؤتمر القاهرة ، قدَّم بموجبه الأمريكان تنازلين مهمين ، الأول هو ان القائد الجديد للسلاح الجوي الاستراتيجي سوف يستمر في العمل تحت إشراف الجنرال (بورتال) ، أما التنازل الثاني فهو ان القيادة الجديدة في البحر المتوسط سيكون لها الأفضلية في طلب الاسناد الجوي الاستراتيجي الأمريكي في إيطاليا الى حين الاستيلاء على روما والقواعد الجوية الواقعة شمال إيطاليا ، وحتى بعد ان يتم انجاز عملية الاستيلاء على روما فان القيادة الجديدة سيكون لها الحق في استخدام قاذفات السلاح الجوي الأمريكي الخامس عشر في حالة الطواريء. على هذا الأساس تمت تسوية المشكلة وعين الجنرال (سباتز) من السلاح الجوي الأمريكي ليتولى مسؤولية القيادة الجديدة.

كذلك نجح البريطانيون في هذه المرحلة من المؤتمر في إسقاط اقتراحين أمريكيين ، الأول يدعو الى اقامة «هيئة أركان موحدة» يحضرها بشكل دائم ممثلون عسكريون سوفييت وصينيون والثاني يدعو الى تشكيل «قيادة شاملة» لجميع العمليات الأوربية. وكان لتخلي الأمريكان عن هذين الاقتراحين آثار مهمة على اتخاذ أكثر القرارات حسماً ، ألا وهو قيادة عملية العبور كما سنرى.

ظل روزفلت فترة طويلة من الزمن متردداً في تعيين قائد لعملية العبور ، ويرجع هذا التردد بشكل خاص الى عدم رغبته في غياب الجنرال (مارشال) المرشح الأقوى لهذا المنصب ، عن المكان الذي هو فيه كأحد كبار المشرفين على الاستراتيجية العليا للحرب ، ثم انه كانت هناك شائعات في واشنطن روجها أعداء (هوبكنز) تقول ان هذا الأخير قد أقنع روزفلت بتعيين مارشال في موقع أدنى.

أخيراً وفي الخامس من كانون الثاني ، استدعى روزفلت الجنرال مارشال الى مقر اقامته في القاهرة واستفسر منه مباشرة عن أي منصب يرغب فيه ، البقاء رئيساً لهيئة الأركان الأمريكية ، أم قائداً لعملية العبور. لكن الجنرال مارشال قال انه كجندي سينفذ ما يؤمر به. وهنا قال له روزفلت ان أحداً لا يمكن ان يحل محله في موقعه في واشنطن ولذلك «فما هو رأيك في تعيين الجنرال آيزنهاور لقيادة عملية العبور». ما كان من مارشال إلا ان اقترح على الرئيس روزفلت على الفور إرسال برقية الى المارشال ستالين يعلمه فيها بقراره. وهكذا وبعد أشهر من التردد ، تم

أخيراً تعيين قائد لأهم عملية عسكرية للحلفاء هو الجنرال دوايت آيزنهاور.

المغــادرة

بوجه عام فان البريطانيين حققوا هذه المرة بعض المكاسب فيما يتعلق بترتيبات القيادات العسكرية، في حين اضطر الأمريكيون الى التخلي عن أكثر خططهم طموحاً. غير ان هذا ليس بالأمر المهم إذا ما قورن بالقرارات التي اتخذت على مستوى العمليات. فقد غادر البريطانيون القاهرة وهم ملتزمون «بالأولوية المطلقة» لعملية العبور والانزال في الجنوب الفرنسي بعد ان استُبعدت خططهم للقيام بعمليات واسعة في بحر إيجه والأدرياتيكي تماماً، ومع هذا فقد كان بوسعهم ان يوفروا الشيء القليل من الامكانات العسكرية للحملة الايطالية، وليس من المهم أن يكون قائد عمليات البحر المتوسط انكليزياً او أمريكياً، إذا كانت معظم الامكانات العسكرية ستوجه الى مسارح عمليات أخرى، وانه سيتحتم عليه في النهاية ان يستغني عن بعض ما لديه من تلك الامكانات.

وبشكل عام أيضاً أحس الجنرالات الأمريكان بالارتياح للنتائج التي أسفر عنها المؤتمر، كذلك الحال بالنسبة لروزفلت رغم انزعاجه من النهاية التي انتهت اليها عملية جزر (الاندامان). فهو قد دافع بنجاح عن المفاهيم الاستراتيجية الأمريكية، وحقق تقدماً في إقامة علاقات مع المارشال ستالين بل وحاز على ثقته أيضاً فضلاً عن انه ضمن موافقة الزعيم السوفييتي على مفهومه للمنظمة الدولية التي ستقام بعد الحرب والخطوط العريضة للتسوية في منطقة الشرق الأقصى، كذلك حصل على وعد قاطع بأن الاتحاد السوفييتي سيدخل الحرب ضد اليابان بمجرد اندحار المانيا.

على ان تشرشل من ناحيته ورغم شعوره بخيبة الأمل، فقد انتقل اهتمامه هذه المرة الى إمكانية القيام بعمل ما لاصلاح الموقف، رغم ان بعض أفضل خياراته قد تعثرت. وهكذا وضع نصب عينيه كالعادة حالتين «الحالة الأفضل» و«الحالة الأسوأ». الأولى هي نجاح عملية استعادة روما، فإذا تحقق ذلك فان الحنكة العسكرية التي يتمتع بها الجنرال الكساندر قد تجعل القوات الحليفة تصل الى وادي

(البو) بحلول صيف ١٩٤٤ أي قبل ان يتم سحب التشكيلات القتالية المكلفة بالقيام بعملية الانزال في جنوب فرنسا. ونجاح كهذا سيجعل من الممكن اقناع الأمريكيين بالابقاء على ما يكفي من القوات في إيطاليا بما يسمح القيام بعملية اخراج القوات من الوادي باتجاه سهل (لوبليانا) في يوغسلافيا ومن ثم التوغل باتجاه اوربا الوسطى والشرقية قبل أن يُطبق فصل الشتاء.

أما «الحالة الأسوأ»، أي في حالة عدم نجاح عملية روما وبالتالي الفشل في وصول القوات الى وادي (البو)، فعند ذلك ستكون الدبلوماسية هي السبيل الوحيد الذي سيمكن لـ (تشرشل) اتّباعه لانقاذ ما يمكن انقاذه في أوربا الشرقية، ذلك ان الأوراق الرابحة ستكون عند ذاك في يد المارشال ستالين. ومع ذلك فلابد من القيام بمحاولة ما، إذ لربما كانت «شهية» المارشال ستالين معتدلة.

هذا النمط من التفكير هو الذي أدى الى ما أُطلق عليه إسم «اتفاقية النسب المئوية» في أوربا الشرقية التي أُبرمت في تشرين اول ١٩٤٤ والتي سعى تشرشل من خلالها الى تخطيط الحدود السوفييتية. صحيح ان تشرشل حاجج بأن هذا النوع من الاتفاقيات معد «للمدى القصير الأجل» لكن «الآماد القصيرة الأجل» غالباً ما تتحول الى «آماد بعيدة الأجل» عندما يتعامل المرء مع ستالين كما اتضح من تجربة المانيا فيما بعد.

كان واضحاً من خلال سير مؤتمر القاهرة الثاني وقبله مؤتمر طهران، ان كلاً من روزفلت وتشرشل كانا متعبين من تلك الساعات الطويلة التي أمضياها من المناقشات في مؤتمر القاهرة الأول وهو مؤتمر لم يسفر عن أية قرارات متفق عليها الى درجة تجعل المرء يتمنى لو انه لم يُعقد على الاطلاق. فلو كانت الأمور قد سارت على منوال آخر كأن يكون الموقف الأمريكي مختلفاً، او انه قيل للصينيين ان لا يمكن قطع الوعود الى ما بعد مؤتمر طهران كما كان ينبغي، فلربما كان المؤتمر الأول قد أسفر عن نتيجة ذات قيمة. وكما لاحظنا فان الانكليز والأمريكان عندما وصلوا الى طهران لم تكن لديهم أية خطط متفق عليها، لا بل انهما وصلا منقسمين في الآراء أكثر من ذي قبل، ولذلك لم يكونوا في حالة تسمح لهم بمواجهة ستالين كما ينبغي، ولابد لتشرشل ان يتحمل قسطه من المسؤولية، لأنه اولاً أصر على عقد مؤتمر القاهرة الأول، ولأنه ثانياً لم يتعامل مع روزفلت بالمهارة التي عُرف بها، وحينما عادا الى

القاهرة كما رأينا ، كانت القرارات الحاسمة قد أتخذت في طهران .

وفي السابع من كانون الثاني غادر روزفلت القاهرة في طريقه الى واشنطن عن طريق تونس ، بينما ظل تشرشل ورؤساء الأركان يوماً آخر ، حاولوا خلاله ربط «النهايات السائبة» في سلسلة من الاجتماعات المنفصلة والمشتركة وتناول الجميع طعام العشاء ليلتها في مقر تشرشل . وفي اليوم التالي غادر رؤساء الأركان الأمريكيون ، ثم غادر بعدهم تشرشل وبروك الى تونس ، وهناك تفاقم المرض على رئيس الوزراء البريطاني الذي أصيب بذات الرئة ـ كما ذكرنا ـ وهكذا فقد وصلت هذه السلسلة الطويلة من المؤتمرات الثلاثية التي بدأت في موسكو في الثامن عشر من تشرين اول ١٩٤٣ الى نهايتها .

٢ ـ نتائج مؤتمرات موسكو ، القاهرة وطهران

عاد الرئيس روزفلت الى واشنطن وهو يشعر بالارتياح لما انجزه فقد أقام علاقة طيبة وتفاهم مع المارشال ستالين وغيره من القادة السوفييت ، علاقة تصلح لأن تكون أساساً لمزيد من التقدم نحو مواصلة التعاون العسكري الوثيق في الحرب وفي فترة ما بعد الحرب في العمل من أجل صيانة السلام . ومن أجل الوصول الى هذا الهدف فقد أبعد روزفلت نفسه عن تشرشل وعن الانكليز ، وذلك بهدف اقناع ستالين بأنه ليس هناك تكتل امريكي ـ بريطاني ضد الاتحاد السوفييتي . كما شعر بأنه حقق تقدماً مهماً بحصوله على موافقة ستالين على اقامة مجلس للدول الأربع الكبرى في المنظمة الدولية الجديدة المزمع اقامتها بعد الحرب . أما بالنسبة للشرق الأقصى فقد أحسَّ بأنه حقق تقدماً نحو الوصول الى التسوية التي كانت تدور في ذهنه والقائمة على شراكة ثلاثية صينية ـ سوفييتية ـ امريكية ، لا يصبح للبريطانيين بعدها أي رأي في شؤون مناطق الصين والمحيط الهادي .

وستالين كما أصبح واضحاً ، كان راغباً من ناحيته في ان تسترد الصين وحدتها وقوتها وتعاد لها أراضيها تحت زعامة (كاي شك) . وبالمقابل فانه كان بحاجة الى

مخرج لروسيا على المحيط الهادي ونفوذ على منشوريا. كما انه كان راغباً بالاعتراف للولايات المتحدة بدور أكثر سطوة في المحيط الهادي وتأييدها في مساعدة (كاي شك) على تخليص الصين من كل مظاهر السيطرة الاستعمارية الأوربية.

من جهة ثانية بدا لروزفلت انه لم يكن هناك خروج على الاتفاق العام الذي تم التوصل اليه في مؤتمر موسكو حول أوربا الغربية والوسطى. وستالين كان يشاطر رأي الرئيس الأمريكي كما هو واضح بالنسبة لفرنسا، واعتقاده بأن الفرنسيين لا يجب ان يلعبوا دوراً رئيساً على المستوى الأوربي او الدولي بعد الحرب، كما انهما متفقان على ضرورة معاملة المانيا بشدة وحزم وبالشكل الذي يحول دون عودة المانيا مستقبلاً الى ان يكون لها دور مؤثر في الشؤون الأوربية، اضافة الى اتفاقهما على المباديء التي ينبغي تطبيقها في إيطاليا وفرنسا وفق الخطوط الديمقراطية المقبولة للولايات المتحدة. وعلى افتراض ان الروس سوف لن يعارضوا تطبيق المباديء إياها في المانيا عندما يحين الوقت المناسب، فلماذا لا تطبق نفس المباديء في أوربا الشرقية أيضاً؟. المحادثات التي جرت حول موضوع فنلندا لم تسفر عن نتيجة. فستالين كان صارماً ولكنه مع ذلك لم يكن متطرفاً في موقفه، ثم انه نفى ان تكون لديه أية نية في ضم فنلندا الى الاتحاد السوفييتي. وإذا كان الروس مستعدين لمعاملة دولة عدوة صغيرة بدرجة من ضبط النفس رغم انها سببت لهم أذىً كبيراً، فليس هناك ما يدعو الى الافتراض بأن دولاً أخرى لم تكن عدوة بقدر ما كانت حليفة كبولندا وجيكوسلوفاكيا، يمكن ان تُعامل بشدة من جانب موسكو. وما ينطبق على هذين البلدين يمكن ان ينطبق على دول عدوة سابقاً مثل المجر ورومانيا وبلغاريا. ثم ان ما لدى ستالين ليقوله حول بولندا او ما قاله بصددها فيه نوع من المنطق. لم يكن روزفلت شأنه شأن وزير خارجيته (هول) على سعة اطلاع بمشاكل معقدة كتلك المتعلقة ببولندا او حدود اوربا الشرقية، ولكن يبدو ان هناك أساساً لتسوية مقبولة لروسيا يمكن ان تساهم في اضعاف المانيا... وهي تسوية لا يعتبرها البريطانيون سيئة بالنسبة لبولندا.

وهكذا فقد حان الآن دور تشرشل لاقناع البولنديين بأن يكونوا منطقيين أكثر، وان لا يقفوا حجر عثرة أمام التسويات المستقبلية بين الحلفاء. وهذا معناه ان على تشرشل أن يضع حكومة بولندا في المنفى وجهاً لوجه أمام الصورة التالية «بعد ان

تنسحب القوات الأمريكية بسرعة من أوربا بعد الحرب ، فالاتحاد السوفييتي سيكون عندئذ القوة العسكرية والسياسية الضاربة في القارة بوجه عام وفي أوربا الشرقية على وجه الخصوص».

هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية العسكرية فالظاهر ان روزفلت وجنرالاته خرجوا بارتياح من جميع المؤتمرات إبتدءً من لقاء (كويبك) الذي فرضوا فيه على تشرشل موعداً محدداً لعملية العبور ، مروراً بمؤتمر موسكو وانتهاءً بمؤتمر طهران الذي القى فيه ستالين بكل ثقله الى جانب الأمريكان وعملية العبور. وهكذا لم يكن أمام تشرشل في وجه محور سوفييتي / امريكي كهذا إلا ان يرضخ ويوافق على ما يريده شريكاه. أما الأمريكيون فلم يدفعوا ثمن لقاء هذه الموافقة سوى القبول باستمرار الحملة الايطالية ، وهو ثمن معقول جداً ذلك لأنه سيصب في نهاية الأمر في الرافد الذي يدعم جهدهم الاستراتيجي الرئيس. ليس هذا وحسب بل ان قبولهم هذا اقترن بتخلي الانكليز عن أكثر خططهم طموحاً ألا وهي عملية مهاجمة رودس.

هذا فيما يتعلق بمسرح العمليات الأوربي ، أما بالنسبة الى مسرح عمليات الشرق الأقصى ، فصحيح ان الأمريكيين تخلوا عن عمليتهم الرئيسة (الاندامان) بوجه معارضة بريطانية شديدة ، لكن أهمية هذه العملية هي سياسية أكثر من كونها عسكرية ، وكانت تهدف في المقام الأول الى ان تؤكد الولايات المتحدة لـ (كاي شك) بأنها تفي بالوعود التي تقطعها لحلفائها. وحتى لو خرج الصينيون من الحرب بعد ان نكث الأمريكيون وعدهم او رفضوا المشاركة في الحملة على بورما ، فلن يكون لهذا سوى تأثير عسكري محدود على سير الحرب في الشرق الأقصى بوجه عام ، خاصة وان الاتحاد السوفييتي كان على وشك دخول الحرب ضد اليابان.

بعد عودته الى واشنطن أبرق روزفلت الى المارشال ستالين قائلاً انه يعتبر ان مؤتمر طهران كان قمة في النجاح. اما في الرسالة التي وجهها الى الشعب الأمريكي فقال «أعتقد اننا على وشك الدخول في مرحلة جديدة من التعاون مع المارشال ستالين والشعب السوفييتي». غير ان هذا الحماس من جانب روزفلت لم يشاركه فيه الكثير من الأمريكيين ، خاصة أولئك الذين هم على صلة وثيقة بالروس ومنهم سفيره في

موسكو (افريل هاريمان) فقد كان هذا يشعر بقلق كبير على مستقبل بولندا وخاصة احتمال نشوب قتال بين المقاومة البولندية والجيش السوفييتي ما لم يتم التوصل الى تسوية بين روسيا والحكومة البولندية في المنفى قبل دخول القوات السوفييتية الى بولندا.

ولكي يدرك المرء حقيقة الوضع الذي سينشأ في أوربا عما قريب لابد وان يأخذ بعين الاعتبار ان الروس وضعوا نصب أعينهم تقطيع أوصال المانيا اولاً وابقاء فرنسا ضعيفة ثانياً وقهر بولندا ثالثاً والعمل على استمرار انقسام شبه جزيرة البلقان الى دول صغيرة وهزيلة رابعاً. أما بالنسبة للشرق الأقصى فكان همهم هو إعادة الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب الروسية ـ اليابانية في مطلع هذا القرن، أي اقامة منطقة نفوذ روسية فعالة في منشوريا وشمال الصين، وهذا هدف سيكون من الصعب الوصول اليه مع صين قوية ومستقلة تريد استعادة سيادتها على منشوريا.

لننتقل الآن الى الرؤية البريطانية لنتائج المؤتمرات فنظراً لأن تشرشل أقعده المرض في المغرب كما أسلفنا، فان (ايدن) قدم تقريره الى الوزارة البريطانية بأسلوبه المعتاد وهو وضع أجمل الوجوه على أسوأ المعالم، فبالنسبة الى المسائل العسكرية [illegible] اشتكى (كما فعل الجنرال بروك أيضاً) من ان وجود (كاي شك) في مؤتمر القاهرة [illegible] أدى الى اضطراب الأمور كلها وجَعَلَ من المستحيل الوصول الى قرارات مناسبة مع الأمريكيين بالنسبة للخطط المشتركة للعمليات الأوربية. وبذلك فقد وجدوا أنفسهم مجبرين على كشف اختلافاتهم أمام الروس. ومع ذلك كما قال ايدن فان «حلولاً معقولة(للمسائل العسكرية) قد تم الوصول اليها.. وان ستالين كان متعاوناً وودوداً.. ولم يكن هناك خروج على المواقف التي اتُفق عليها في مؤتمر موسكو».

لعل التقييمات التي طالعها القاريء في الفصول المتعلقة بمؤتمري القاهرة وطهران يمكن ان تعطيه الفرصة لكي يحكم كم كانت ملاحظات (ايدن) هذه بعيدة عن الواقع.

ومهما يكن من أمر فقد اعترف وزير الخارجية البريطاني انه وزملاءه ارغموا على القبول بخاتمة مخيبة للآمال بالنسبة للمحادثات مع الأتراك، ولكنه لم يشأ ان يكشف لأعضاء الحكومة مدى الفشل الذي أصيبت به خطط تشرشل الاستراتيجية.

أما الجنرال (بروك) فقد كان أكثر تحديداً في تقييمه للنتائج التي ترتبت على التفاهم الأمريكي ـ السوفييتي ، قائلاً لقد قبلنا بالانزال في جنوب فرنسا على أساس انه سيشكّل دعماً للحملة في إيطاليا ، لكن رودس وعمليات بحر إيجه كلها كانت الضحية ، عندما اتضحت الأبعاد الكاملة لتلك العملية . وأضاف بروك ان ستالين لم يبدِ إلا قسطاً ضئيلاً من الاهتمام في عمليات عسكرية انكلو-امريكية في البلقان قائلاً (أي بروك) ان عدم الاهتمام هذا ناجم على الأرجح عن دوافع أخرى أبعد ما تكون عن كونها دوافع استراتيجية .

ليس من طبيعة ايدن الاقرار بالهزيمة . وهكذا كان الحال هنا أيضاً ، فلم يعترف بأن نتائج المؤتمرات كانت عبارة عن سلسلة من الهزائم للسياسة البريطانية في البلقان وأوربا الشرقية . واقتصر على القول ان الروس أخذوا يظهرون بعضاً من الميل للوصول الى سياسة مشتركة ازاء تيتو ، والحكومة اليوغسلافية في المنفى (الموالية للملكية) أما بالنسبة لبولندا فانهم وضعوا اتفاقية حدود يمكن ان تصلح أساساً للالتقاء بين موسكو والحكومة البولندية في المنفى دون ان يشير الى اللهجة الشديدة والقاسية التي استخدمها ستالين ضد هذه الحكومة ولا الى عدم الاكتراث الذي أظهره روزفلت ولا الى الشروط التي وضعها الزعيم السوفييتي للوصول الى تسوية مع البولنديين واكتفى بالقول «إن تقدماً طفيفاً فقط قد تم احرازه نحو استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين» .

على ان الأمر الذي أقلق الكثير من أعضاء الوزارة البريطانية هو ما أشار اليه ايدن في تقريره من «اتفاق واضح» بين ستالين وروزفلت على التقليل من أهمية فرنسا بل واضعافها وما تضمنه البيان الصادر عن مؤتمر القاهرة من الوعود العلنية والسخية حول اعادة الأراضي الصينية المسلوبة (إشارة الى هونغ كونغ التي تخضع للسيطرة البريطانية) . وبوجه عام فلم يكن تقرير ايدن مطمئناً في مجمله .

في مذكراته يقول ايدن «انه لم يكن مرتاحاً في نهاية مؤتمر طهران مما كان عليه في نهاية مؤتمر موسكو» . وهو يعزو هذا الى عدة عوامل من بينها الموقف السوفييتي الأقل عطاءً وعدم رغبة الأمريكيين في تنسيق سياساتهم مع البريطانيين ، وسلبية روزفلت

ازاء بولندا ، كل هذه جعلته يشعر بالقلق العميق. فهو يدرك كم هو صعب اقناع البولنديين بالاستجابة للشروط السوفييتية حتى لو نجح في ذلك فمن يضمن ان ستالين سيكون عند وعده، إذ انه حالما يدخل الجيش (الأحمر) السوفييتي الى بولندا فان احتمالات الاشتباك مع عناصر المقاومة البولندية سوف تزداد وبالتالي سيصبح موضوع التوفيق بين الجانبين أمراً مستحيلاً. لذلك ليس من المستغرب كما قال «انني شعرت ان قابليتي على مساعدة البولنديين كانت محدودة». وربما كان هذا التقييم الأخير هو أكثر دقة من غيره من التقييمات. أما تشرشل فيعطي صورة مغايرة تماماً إذ يقول في مذكراته بالنسبة الى المسائل العسكرية «أنا شخصياً كنت راضياً تماماً عما توصلنا اليه إذ ان النتائج السياسية لمؤتمر طهران كانت تعتمد على نتائج المعارك العظيمة التي سنخوضها» ، أما فيما يتعلق بالنظرة الغربية الى روسيا في ذلك المؤتمر فهو يقول «لم يكن من اللائق أن ندع شكوكنا تتحكم في مواقفنا.» ومهما يكن من أمر فان مصدر قلق تشرشل الرئيس كان يقوم على الخوف من سيطرة الاتحاد السوفييتي على أوربا الشرقية خاصة إذا علمنا مدى عداء الرجل للبلشفية. وبالطبع فانه لا تشرشل ولا وزير خارجيته ايدن كان يتوقع ان تقلب النجاحات التي تحققها الحملة في إيطاليا النتائج السياسية والعسكرية لمؤتمري طهران وموسكو ، رأساً على عقب. لذلك ما ان حل عام ١٩٤٤ حتى راح الرجلان يبحثان عما يمكن انقاذه في أوربا الشرقية بالوسائل الدبلوماسية وربما كانت اتفاقية «النسب المئوية» التي تم التوصل اليها مع الاتحاد السوفييتي في تلك السنة هي ذروة النجاح الذي حققاه في هذا المسعى. وبنفس الدرجة من الحماسة ، عمل الأثنان كل ما وسعهما لحمل البولنديين على الموافقة على تسوية للحدود مع الاتحاد السوفييتي قبل ان تدخل الجيوش السوفييتية الأراضي البولندية ، غير ان عدم الاكتراث الذي أبداه الأمريكيون هو الذي قوض هذه الجهود.

«أما بالنسبة لألمانيا فان مزاج روزفلت في طهران جعل الانكليز يوافقون على انه سيكون من الأفضل وضع المسألة كلها على الرف ، لكي يجري تسويتها في إطار تسوية شاملة لما بعد الحرب». كما جاء في مذكرات تشرشل.

لننتقل الآن الى رؤية ستالين ومعاونيه لنتائج مؤتمر طهران ، ورغم انه من

الصعب تقييم هذه الرؤية إلا ان لهؤلاء كل الأسباب التي تجعلهم يشعرون بالارتياح لما تم التوصل اليه فبفضل التأييد الأمريكي ارغموا الانكليز أخيراً على تحديد موعدٍ لعملية العبور وعلى القبول باستراتيجية جديدة للبحر المتوسط استُبعدت منها أية عمليات في بحر إيجه في المستقبل المنظور. أما في البلقان كما في بولندا وباقي أنحاء أوربا الشرقية ، فقد بات من المؤكد انه سيكون للجيش الأحمر حرية العمل عما قريب. وباختصار فان ما تم الاتفاق عليه في طهران بالنسبة للمسائل العسكرية يمثل كل ما كان الاتحاد السوفييتي يأمل في الوصول اليه. أما بصدد المسائل السياسية فان ستالين ومولوتوف لابد وان يكونا قد شعرا ان مناقشات طهران رغم انها لم تسفر عن قرارات حاسمة ، إلا انها كانت تبشر بالخير. فبينما اضطر الرجلان الى تقديم بعض الضمانات للغرب في مؤتمر موسكو بالنسبة الى المباديء التي ستُتبع في أوربا الشرقية فلم يضطرهم مؤتمر طهران هذه المرة الى تقديم أية ضمانات باستثناء تلك المتعلقة بفنلندا والتي قدماها تحت ضغط وإلحاح من الأمريكيين. لذلك فان ستالين أحسَّ بأنه ليس ثمة حاجة لأن يساوم على مسألة العلاقات مع حكومة بولندا في المنفى حتى وهو يتعرض لضغط كبير من جانب البريطانيين.

أما بالنسبة للقضية الشائكة ، المشكلة الألمانية ، فمما لا شك فيه انه كان أمراً مخيباً لآمال لستالين ان لا يضمن التزاماً دقيقاً من حليفيه الغربيين بتقطيع أوصال المانيا ، ولكن بالرغم من ذلك فان الموقف الأمريكي تجاه هذه المسألة كان يبشر بالخير هو الآخر.

وأخيراً وفيما يتعلق بالشرق الأقصى ، فان ستالين ربط بين إيفاء الاتحاد السوفييتي بوعده بدخول الحرب ضد اليابان وبين إقرار الغربيين بمطالبه في تلك المنطقة ، بما في ذلك الوصول الى المياه الدافئة في شمال الصين والابقاء على منطقة نفوذه في منشوريا.

هذه بايجاز فكرة عما خرج به كل من الزعماء الكبار الثلاثة من تلك المؤتمرات ولكن إذا سألنا السؤال التالي «ماذا كانت نتائج مؤتمرات موسكو والقاهرة وطهران» فلابد ان يكون سؤالنا منقسماً الى شقين الأول واقعي والثاني تكهني. الشق الواقعي للسؤال هو ما الذي حدث بالفعل نتيجة للقرارات التي اتُخذت ؟ أما الشق التكهني

فهو ماذا كان سيحدث لو ان قرارات مختلفة أُتخذت ؟ الجواب على الشق الأول المتعلق بما ترتب من نتائج على القرارات المتخذة يكاد يكون واحداً لدى معظم المؤرخين. أما بالنسبة لما كان سيحدث لو كانت هناك قرارات مختلفة فالجواب يختلف بين هذا المؤرخ او ذاك ، كل من الزاوية التي ينظر أو يتكهن بها للقرارات البديلة. على ان معظم المؤرخين المعاصرين يتفقون في الرأي بأن المؤتمرات الثلاث كانت في مجملها بمثابة التمهيد للحرب الباردة بين الدول المنتصرة الثلاث في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. ومهما يكن من أمر فلابد من التمييز بين كل من السؤالين وكل من الجوابين أيضاً.

من وجهة النظر السياسية فان نتائج هذه المؤتمرات كانت أكثر أهمية لأوربا الشرقية منها الى الشرق الأقصى ، فستالين كان رجلاً واقعياً إذ انه كان بحاجة الى حسن النوايا من جانب الولايات المتحدة لأنه كان يخطط لسياسة «التأجير - والاستئجار» ويحتاج الى حليف قوي ، بينما لم يكن يعير أهمية لنوايا الانكليز الحسنة ذلك لأن المساعدات البريطانية للاتحاد السوفييتي والجهد الحربي البريطاني كانا أقل أهمية بالنسبة اليه ، لكن الشيء الذي يعنيه هو ان تبقى بريطانيا حليفاً فعالاً رغم اعتقاده بأن الانكليز سوف لا ينسحبون من الصراع بعد ان ضحوا بالشيء الكثير ، خاصة وان النصر بات قاب قوسين أو أدنى. لذلك فلم يكن من الضروري بالنسبة اليه ان يعمل على كسب رضى الانكليز ، أما الولايات المتحدة فهي قضية أخرى وحُسن نواياها ذات أهمية كبيرة له ولذلك فان السياسات والمواقف الأمريكية يمكن لها ان تؤثر على ستالين ليس فيما يتعلق بأوربا الشرقية حسب بل بالنسبة لغيرها من المسائل.

في مؤتمري موسكو وطهران أوضح روزفلت ووزير خارجيته هول ان مصير أوربا الشرقية لا يشكّل مصدر قلقهم الرئيس ، وان أولوياتهم الرئيسة تنحصر في تعاون ما بعد الحرب ، والمنظمة الدولية لحفظ الأمن المزمع اقامتها ، والوصول الى ترتيبات مرضية في كل من المحيط الهادي والشرق الأقصى. وكان الرجلان يعتقدان انهما إذا ضمنا تعاوناً حقيقياً بعيد الأجل مع الاتحاد السوفييتي فان جميع المسائل المتعلقة بالأراضي سواء في أوربا الشرقية او غيرها سيمكن تسويتها على أسس

معقولة. أما إذا فشلت الجهود في ضمان تعاون سوفييتي / امريكي فان الصورة ستكون قاتمة بالنسبة لأوربا الشرقية على الأقل. يرى الجنرال (دين) عضو الوفد الأمريكي الى المؤتمرات الثلاث ان كلاً من ستالين وتشرشل كان يدرك بالضبط ما يريد، بينما لم يكن روزفلت يدرك ما يريد، لكن هذا يشكّل اجحافاً بحق روزفلت، فالرجل كان يعرف ما يريد ولكن السؤال الأول هو هل كان ما يريده أمراً عملياً؟ وهل سلَكَ السبيل المناسب للوصول الى ما أراده؟

عند هذه النقطة يندمج السؤال الواقعي مع السؤال التكهني فالنتيجة العملية للموقف الأمريكي في مؤتمري موسكو وطهران تمثلت في عدم وضع أية عقبات سياسية فعالة في طريق الأهداف السوفييتية في أوربا الشرقية. وعلاوة على ذلك فلربما كان ستالين ومولوتوف قد خرجا بانطباع بأن الولايات المتحدة لا تعتبر مصير بلدان أوربا الشرقية ذي أهمية كبرى. وقد عزز هذا الانطباع موقف روزفلت «المتعجرف» ازاء حقوق شعوب بحر البلطيق والبولنديين. ولو كان الموضوع مهماً للأمريكيين فلماذا لم يكن لديهم موقف تجاهه عندما استنجد بهم حلفاؤهم الانكليز وكانت الفرصة قائمة لكي ينجدوهم؟

وعندما يتساءل المرء ما إذا كان بوسع موقف أمريكي مختلف ان يحرز نتائج أفضل بالنسبة لأوربا الشرقية، فهو سيدخل في عالم التكهنات. والحذر ضروري جداً هنا. رغم ان هناك من الدلائل ما يجعل المرء يجيب بنعم على تساؤل كهذا.

كانت فنلندا واحدة من دول أوربا الشرقية التي أبدى روزفلت تجاهها اهتماماً حقيقياً في مؤتمر طهران، وفنلندا بالطبع خرجت من الحرب بدرجة من الاستقلال أكبر من أية دولة أوربية شرقية أخرى (باستثناء يوغسلافيا التي قاتلت الروس بضراوة من أجل امتياز كهذا). ليس بوسع المرء ان يثبت ان موقف روزفلت بالنسبة لفنلندا هو الذي جعل الاتحاد السوفييتي يتخذ ازاءها موقفاً مغايراً، ولكن هذا ليس بالأمر المستبعد. وفي الحالة الفنلندية وحدها فان الأمريكيين شهروا التحذير بوجه موسكو، وستالين رجل اعتادِ الاهتمام بـ «اشارات التحذير».

لقد كان بوسع (هول) ان يتصرف على هذا النحو في مؤتمر موسكو ازاء العديد

من المقترحات التي تقدم بها زميله البريطاني ايدن دون ان يجازف بتقويض المؤتمر. فالروس لم يكونوا راغبين في ان ينتهي المؤتمر الى الفشل. وبصرف النظر عما كانت ستتطور اليه المناقشات من حدة ، فقد كان بوسع الرجلين ان يسعيا للوصول الى حل وسط يحفظ ماء الوجه. لكن هول لم يمتنع فقط عن تأييد ايدن ولم يبدِ عدم اكتراث بالمقترحات البريطانية إلا انه فوق هذا وذاك وقف ضدها دون ان يقترح بدائل لها من عنده. وإذا كان الروس قد أساءوا تفسير هذه الاشارات على انها تعني عدم اكتراث امريكي دائم بالنسبة لمصير أوربا الشرقية ، فليس لأحد ان يلومهم في ما ذهبوا اليه. وإذا كان السبب الرئيس «للصراع السوفييتي - الأمريكي في نهاية الأمر» (كما يعتقد بعض المؤرخين) هو اساءة كل منهما تقييم أهداف الآخر ونواياه فان بعضاً من هذه الاساءة في التقييم ربما كانت قد بدأت بالظهور في موسكو ومن ثم في طهران. والشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للمسألة الأخرى الأكثر أهمية ألا وهي المسألة الألمانية. من المؤكد ان روزفلت أعطى للروس في مؤتمر طهران انطباعاً بأنه يؤيد بحرارة تدمير المانيا بالكامل او تجزئتها. وإذا كان لنا ان نصدق ما جاء في مذكرات وزير الخارجية الأمريكي (كوردل هول) فهو - أي روزفلت - لم يكن في كل الأحوال متأكداً بأن هذه هي السياسة الصحيحة كما أوحت بذلك ملاحظاته في مؤتمر طهران. ولهذا السبب لا يمكن استبعاد الاستنتاج بأن روزفلت كما هو الحال في الغالب كان «يفكر بصوت عال» ثم يعود ليرى ما هو تأثير الأفكار التى طرحها دون أن يوليها مايكفي من الدراسة. هذا النوع من السلوك من الممكن أن يكون معقولاً لوأُتبع في المسائل السياسية الداخلية ، ولكنه سلوك خطير إذا ما أُتبع في اطار دبلوماسية دولية. وفي هذه الحالة فهذا النمط من السلوك قد أعطى لستالين بالتأكيد انطباعاً زائفاً عما يمكن ان تكون عليه السياسات الأمريكية في واقع الحال.

ومرة ثانية فان موقفاً مختلفاً وأكثر حذراً كذلك الذي اتخذه هول نفسه في مؤتمر موسكو حول هذا الموضوع أي المسألة الألمانية سيكون مفيداً. من الممكن القول ان تشرشل ايد هو الآخر تقسيم المانيا على هذا النحو في مؤتمر طهران. ولكن الفرق هو ان ستالين كان يدرك ان تشرشل إنما كان يهدف للوصول الى هدف آخر مختلف عن «الفراغ السياسي» في قلب أوربا الذي أشار روزفلت الى احتمال حدوثه بسبب

تقسيم الدولة الألمانية. ولذلك فالزعيم السوفييتي لم يُضلل بنوايا تشرشل وقد قال ذلك ضمناً.

إذا كانت هذه التكهنات هي مجرد «تكهنات تجريبية» بالنسبة لأوربا، فلا يجب أن ينظر اليها على هذا الأساس بالنسبة للمدلولات السياسية التي تمخضت عنها تلك المؤتمرات فيما يتعلق بالشرق الأقصى.

أصبح مألوفاً منذ وقت بعيد ان يُطلق على مؤتمر (يالطا) على انه المؤتمر الذي حُسمت فيه كل هذه المسائل الأخيرة بشكل نهائي، ولكن بقدر تعلق الأمر بالشرق الأقصى، كما هو الحال بالنسبة لأوربا الشرقية، فان الكثير مما حدث فيما بعد قد أملت حدوثه المناقشات التي جرت من قبل. فالتنازلات التي قدمت لستالين على حساب الصين في مؤتمر (يالطا) كانت النتيجة المنطقية لأساس التسوية في الشرق الأقصى التي رُسمت من قبل روزفلت في مؤتمر طهران.

إن الصعوبة التي تكمن في التفريق بين الحقائق والتكهنات تتفاقم أكثر عندما يرسم المرء خطاً ويقولُ لمن حوله «هنا تنتهي نتائج هذا النوع من القرارات». فالنتيجة البعيدة المدى التي ترتبت على استراتيجيات ودبلوماسيات الحرب كانت على شكل صين شيوعية موحدة، وهذه النتيجة لم تكن في كل الاحتمالات مقصودة لا من قبل ستالين ولا من قبل روزفلت، فروزفلت كان يريد صيناً موحدة ولكن ليست شيوعية، أما ستالين فكان يفضل صيناً ضعيفة ومجزأة، على انه لابد من القول هنا انه لا رفضٌ امريكي قاطع ولا تأييد للأهداف السوفييتية كان من شأنه ان يحول دون هذه النتيجة. فقابلية الاتحاد السوفييتي على تحقيق أهدافه في منشوريا اعتمد بالكامل على الموقف العسكري الذي نشأ هناك في نهاية الحرب. ولكن ليس بوسع المرء ان يستبعد تماماً ان معارضة امريكية حازمة كان من شأنها ان تشكّل تحذيراً للاتحاد السوفييتي ربما كان سيثنيه عن بلوغ ما يريده، رغم ان ستالين شعر في نهاية المطاف بأنه مرغم أدبياً للتنازل عن مطالبه في منشوريا عندما أصبح الأمر يتعلق بالتعامل مع دولة شيوعية شقيقة.

على ان السؤال الأهم هنا هو ما إذا كانت سياسة عسكرية للشرق الأقصى

تختلف عن تلك التي أُتبعت في مؤتمري طهران ويالطا (والتي ربما كان تشرشل راغباً ان يكون شريكاً فيها) كان يمكن ان تنقذ نظام (كاي شك) من قبضة الشـوعيين

لو تركنا جانباً مسألة ما إذا كان هذا هـدفاً منـاسباً للسيـاسة الأمـريكية او البريطانية ، فليس بوسع المرء إلا ان يخلص أخيراً الى استنتاج بأن ذلك النظام كان من الضعف والهـزال العسكري والسيـاسي الى الدرجـة التي لا يمكن لأي التزام عسكري وسياسي امريكي قوي تجاهه ان ينقذه من النهاية المحتومة . لكن لابد من القول أيضاً ان التزاماً كهذا كان من شأنه ان يورط الولايات المتحدة في الصـراع الأهلي القائم في الصين وهذا بدوره سيثير الأسئلة التالية : «الى أية درجة يا ترى يمكن للكونغرس والرأي العام الأمريكي ان يؤيدا مثل هذا الالتزام ؟ وهل كان بوسع التزام كهذا ان يقيم في الصين نظاماً مقبولاً من لدن الرأي العام الغربي بوجه عام وما هو تأثير نظام كهذا على الأهداف السوفييتية في منشوريا ؟

بايجاز لم يكن يبدو ان نتائج مرضية ستترتب على ذلك ، فسياسة روزفلت بالنسبة للشرق الأقصى ، بما انطوت عليه من تنازلات للاتحاد السوفييتي ، كانت عبارة عن خليط معقد لعبت فيـه كل من استـراتيجية المحيط الهـادي والمشاركـة السوفييتية في حرب الهادي والهدف السياسي للولايات المتحدة بالوصول الى تعاون سوفييتي / امريكي في فترة ما بعد الحرب ، دورها الخاص بها . أما فيما يتعلق بأوربا الشرقية فان تأثير المواقف السياسية التي تبنتها الولايات المتحدة في مؤتمري موسكو وطهران ، كما اتضـح فيما بعـد قد عُـززت أكثر بـالاستراتيجيـات التي اوصى بها الجنرالات الأمريكيون لأسباب ليست عسكرية بـالضرورة ، وهي استـراتيجيات يدرك روزفلت تماماً مضامينها السياسيـة . من الصعب على المـرء ان يفهم مواقف روزفلت المعقدة ازاء الأهداف البريطانية في هذه المنطقة باستثناء ان الرجل كان يعتبر «بريطانيا الاستعمارية» مجرماً أدين بالفعل ، وينبغي تبعاً لذلك ان يُنظر الى نواياه بشيء من الشك ، بينما ان للاتحاد السوفييتي صفحة بيضاء ناصعـة لا تدعـو الى الريبة . ولعل روزفلت لم يكترث كثيراً بالمجازفة التي قام بها بتعزيزه لامكانية اقامة «امبراطورية سوفييتية» في أوربا الشرقية عن طريق تقويضه للمصالـح البريـطانية

«المشروعة».

ربط مؤرخان بريطانيان هما (ويلر بينت) و(نيكولاس) بين العوامل السياسية والعسكرية بالنسبة الى اوربا الشرقية ليخرجا بالاستنتاج التالي «لعله من وجهة النظر العسكرية البحتة فقد كان من حظ بريطانيا ان لا يُشرع بمغامرة شرق البحر المتوسط (بحر إيجه) على الاطلاق ، لأنها كانت ستؤدي الى اعاقة عمليات إيطاليا وفرنسا بشكل خطير». ويمضي المؤرخان الى القول «ان قرار وضع الثقل الرئيسي للمجهود الحربي الانكلو ـ امريكي في أوربا الغربية ، كان الهدف منه على أية حال تأجيل تحرير منطقة البلقان من الألمان. وهذا التأجيل كان من شأنه ان يقضي على استقلال بلدان هذه المنطقة. وهكذا فحينما يصف المرء لحظة معينة ، وسلسلة معينة من القرارات بأنها «**نقطة تحول**» فإنما يريد ان يدلل على الأقل بأن تحولاً حاسماً من نمط ما قد حدث ، وربما أراد ان يدلل أيضاً بأن القرارات التي اتخذت والخيارات التي قُبل بها كانت قاطعة بطريقة ما ، بشكل اغلق الباب أمام خيارات كانت متاحة في السابق. وبعبارة أبسط فان مؤتمرات ١٩٤٣ شكّلت بمجموعها نقطة التحول هذه بهذا الشكل او ذاك. فقد كانت هذه هي اللحظة التي تغير فيها ميزان القوة العسكرية ضمن التحالف الانكلو ـ امريكي ، تغيراً حاسماً لصالح الولايات المتحدة ، وهو تغير ارتبط في الوقت نفسه بتغير في الدبلوماسية الأمريكية وفي الاستراتيجية الانكلو ـ امريكية. وبعبارة أدق فان الولايات المتحدة قد نقلت اهتمامها هذه المرة من بريطانيا الى الاتحاد السوفييتي وانتقلت في هذه النقطة أيضاً الاستراتيجية الغربية من التركيز على البحر المتوسط وهو تركيز أملته الأفكار العسكرية البريطانية الى التركيز على أوربا الغربية بشكل عكس بداية تفوق المفاهيم الأمريكية.

بكل هذه المقاييس يمكن وصف المتغيرات الجديدة بأنها نقطة التحول بالنسبة للتحالف الغربي الذي قام أثناء الحرب. ولم يقتصر الأمر على أوربا ففي الشرق الأقصى انتقلت الاستراتيجية الحليفة وبشكل حاسم أيضاً نحو أواسط المحيط الهادي بعيداً عن الصين وجنوب شرق آسيا.

كذلك فان وصف مؤتمرات ١٩٤٣ بأنها نقطة التحول يمكن ان يؤخذ به للتدليل على «نقطة اللا عودة» حيث أوصدت الأبواب بوجه الخيارات السابقة سواء في أوربا

في أوربا او الشرق الأقصى . وكان الخيار القائم على مقاومة خلق منطقة نفوذ سوفييتية في أوربا الشرقية ، واحداً من تلك الخيارات التي لفظت أنفاسها الأخيرة عند هذه النقطة. لقد سبق وان جادلتُ في ان خياراً عسكرياً وسياسياً بديلاً بالنسبة للصين والشرق الأقصى كان من المرجح ان يغير النتيجة ، أما بالنسبة الى اوربا الشرقية فقد كانت مؤتمرات ١٩٤٣ نقطة التحول الفعلية.

هناك سؤال آخر يستحق المناقشة بايجاز ، وهو الى أي مدى تحكمت مؤتمرات موسكو والقاهرة وطهران بالقرارات التي اتخذت في مؤتمر يالطا ؟. بقدر تعلق الأمر بالتسوية في الشرق الأقصى ، فالجواب هو «الى مدى بعيد». ان الوثائق التي نُشرت عن تلك المؤتمرات لا توفر تقييماً وافياً لما جرى بحثه خاصة في لقاءات (روزفلت ـ كاي شك) و(روزفلت ـ ستالين) رغم ان الأخيرين ـ أي الرئيس الأمريكي والزعيم السوفييتي ـ اتفقا في القول ان المناقشة لم تقتصر على ضمان وصول الاتحاد السوفييتي الى موانيء الصين الشمالية ، بل تعدتها الى بحث مستقبل خطوط السكة الحديد عبر منشوريا ومصير مجموعتي جزر (ساخالين) و(كوريل).

أما بالنسبة الى ما كان روزفلت قد ضمن بالفعل موافقة (كاي شك) على استخدام السوفييت للموانيء الصينية الشمالية ، او على أية امتيازات للسوفييت فيما يتعلق بخطوط سكك حديد منشوريا ، فهذا أمرٌ غير مؤكد. ومن المرجح ان روزفلت أبلغ (كاي شك) بأنه سيضطر الى تقديم بعض التنازلات لروسيا لقاء موافقة الأخيرة على تنفيذ الوعود التي قطعت للصين في مؤتمر القاهرة ، وربما لم يذهب (كاي شك) من ناحيته الى أبعد من القول بأنه قد يدرس مثل هذه التنازلات في المستقبل. وإذا كان الأمر كذلك فان روزفلت يكون قد تجاهل تحفظات (كاي شك) عند اجتماعه بستالين في طهران ، أما في مؤتمر يالطا فقد قدم للزعيم السوفييتي من التنازلات ما فاق تلك التي أُتفق عليها في طهران. وهكذا فان اتفاقيات يالطا بخصوص الشرق الأقصى قد أملتها مقررات القاهرة وطهران كما أسلفت.

كذلك فان تسوية مسألة الحدود البولندية قد أملتها هي الأخرى قرارات طهران ، وبالتحديد ما يتعلق بالحدود السوفييتية البولندية على نحو أكثر تفصيلاً من تلك المتعلقة بتسوية حدود الغرب مع المانيا. على ان الأمر الأكثر أهمية ، بالنسبة

لمستقبل بولندا وأوربا الشرقية ، هو ان ما تم قد تم . والفشل في ممارسة ضغط فعال على ستالين عسكرياً كان أم سياسياً نذير بعجز الغرب المسقبلي في هذه المنطقة .

أما فيما يتعلق بمعاملة المانيا ، فان المناقشات التي جرت في موسكو وطهران رسمت بدورها الاطار العام لما تم الاتفاق عليه رسمياً فيما بعد ، فالقضاء التام على النازية ، واحتلال المانيا ، ونزع سلاح الألمان وجعل المانيا منطقة مجردة من السلاح ، كل هذا كان قد تم الاتفاق بشأنه في هذين المؤتمرين لكي تكوّن منه خطوطاً لسياسة المستقبل . أما نقاط الاختلاف بين الحلفاء الثلاثة فقد انحصرت في مسألة التعويضات التي يترتب على المانيا ان تدفعها وحول مسألة تقسيم المانيا ، فالاتحاد السوفييتي كان يطالب بتعويضات أكبر من تلك التي طالبت بها بريطانيا والولايات المتحدة ، ومع انه كان هناك اتفاق واضح بين الكبار الثلاثة على تقسيم المانيا ، إلا ان تشرشل لم يؤيد خطة التقسيم الشاملة التي رغب بتنفيذها كل من روزفلت وستالين . وفي نهاية المطاف فان تقسيم المانيا اتخذ شكل التقسيم المؤقت للأراضي الألمانية على شكل مناطق تخضع لاحتلال قوات الحلفاء الثلاثة كل على حدة ، وليس على أساس ما أُتفق عليه في مؤتمري طهران ويالطا .

أخيراً وفيما يتعلق بالمنظمة الدولية الجديدة فقد كانت هناك تلميحات في مؤتمر طهران حول الشكل الذي ينبغي ان تكون عليه هذه المنظمة ، لكن ما أُتفق عليه في النهاية في سان فرانسيسكو تضمن تنازلات أكثر لفكرة المساواة في السيادة لكل الأمم ، من تلك الخطوط العامة التي رسمها روزفلت لستالين في طهران ، فالمقترحات التي عرضت بشأن هذه المنظمة في طهران نادت بأن يكون للدول الأربع الكبرى نصيب من صلاحية اتخاذ القرارات ، أكبر مما وُجد أخيراً انه يحظى بقبول الدول الأصغر حجماً .

وعلى أية حال ، فلابد من القول انه في ضوء عدم تبلور ذلك التعاون السوفييتي الأمريكي الذي تطلع اليه روزفلت فلم يكن هناك ما يضير بالنسبة للهيكل الذي تم اتخاذه للمنظمة الدولية الجديدة في نهاية المطاف .

انتهى

بغداد
١٩٨٥/١١/١٨

مــلاحــق

١ ـ البروتوكول العسكري ، الغاية في السرية والذي اقترحه الوفد السوفييتي على مؤتمر موسكو في ١٩ تشرين اول ١٩٤٣ ، والخاص «بدراسة الاجراءات الكفيلة بتقصير أمد الحرب ضد المانيا الهتلرية والدول الحليفة لها في أوربا».

(نص جزئي)

ينص هذا البروتوكول على ما يلي :

١ - ان تضع حكومتا بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية موضع التنفيذ اجراءات عاجلة من شأنها ضمان غزو الجيوش البريطانية والأمريكية لمناطق شمال فرنسا ، والتي ستشكّل الى جانب الضربات الشديدة التي تسددها القوات السوفييتية ضد القوة الرئيسة للجيش الألماني على الجبهة السوفييتية - الألمانية الى تقويض جذري للوضع العسكري الاستراتيجي للألمان ويؤدي بالتالي الى تقصير أمد الحرب. (وبهذا الخصوص فان الحكومة السوفييتية تجد انه من الضروري التثبت مما إذا كانت البيانات التي صدرت عن كل من السير ونستون تشرشل والرئيس فرانكلين روزفلت في (كويبك) في حزيران ١٩٤٣ ، ما تزال قائمة ونافذة المفعول.

٢ - الاقتراح على الحكومة التركية نيابة عن الدول الكبرى الثلاث بأن تدخل الحرب في الحال.

٣ - الاقتراح على السويد بالنيابة عن الدول الثلاث الكبرى ان تسمح للحلفاء باستخدام قواعدها الجوية في القتال ضد المانيا.

٢ - اعلان الدول الأربع حول الأمن الدولي الصادر عن مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو.

إن حكومات الدول الأربع ، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ، والمملكة المتحدة والصين ، إقراراً منها بضرورة ضمان الانتقال من

الحـرب الى السلام وحـرصـاً منهـا عـلى صيـانـة أمن وسـلام العـالم اتفقت عـلى التعهد بما يلي :

١ ـ ان تتظافر جهودها المشتركة في العمل على المحافظة على الأمن والسلام الدوليين وصيانتهما ، بنفس الهمة والعمل المشترك الذي قامت به في قهر أعدائها.

٢ ـ ان تتعاون في المسائل المتعلقة باستسلام ونزع سلاح العدو كما تعاونت في الحرب ضده.

٣ ـ أن تتخذ الاجراءات الكفيلة والتي تراها ضـرورية ضـد أية خـروق لشروط الاستسلام التي فُرضت على العدو.

٤ ـ تتعهد باقامة منظمة دولية جديدة تقوم على حقوق المساواة في السيادة لكل الأمم المحبة للسلام. وتكون مفتوحة لعضوية هذه الأمم صغيرها وكبيرها وذلك بهدف العمل سوية على صيانة السلام والأمن الدوليين.

٥ ـ تتشاور هذه الدول الأربع فيما بينها ومع الدول الأخـرى الأعضاء في المنظمة الدولية الجديدة (الأمم المتحدة) بما يحفظ ويعزز السلام والأمن الدوليين.

٦ ـ تتعهد بأنه بعد انتهـاء كافـة الأعمال الحـربية بعـدم استخدام قـوتها العسكرية في أر اضي دول أخرى ، إلا بقدر ما يتطلب الأمر تحقيق الأهداف المشار اليها.

٧ ـ تتعاون الدول الأربع فيما بينها وبين الدول الأعضاء الأخرى في المنظمة

الدولية للوصول الى اتفاق عملي عام حول السيطرة على التسليح في فترة ما بعد الحرب.

اعلان القاهرة (نص جزئي)

لقد عبّر كل من الرئيس (روزفلت) رئيس الولايات المتحدة. والجنرال (شيانغ كاي شك) زعيم الصين ورئيس الوزراء البريطاني (ونستون تشرشل) عن عزمهم على مواصلة الضغط بكل شدة على العدو الياباني في الجو والبحر والبر.

إن الدول الحليفة الثلاث تخوض هذه الحرب لكبح جماح العدو الياباني ومعاقبته. وليست لدى أية دولة من هذه الدول أطماع في التوسع الاقليمي بل ان هدفها هو تجريد اليابان من كل جزر المحيط الهادي التي أستولت عليها او احتلتها منذ بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ واعادة جميع الأراضي الصينية التي احتلها اليابانيون كمنشوريا وفرموزا وجزر (بيسكادورس) الى جمهورية الصين.

ان الزعماء الثلاثة إدراكاً منهم للاستعباد الذي يتعرض له الشعب الكوري عازمون على ان تصبح كوريا حرة ومستقلة في الوقت المناسب.

وأخيراً فهذه الاجراءات وغيرها ستكون جميعها جزءًا من الهدف العام ألا وهو الوصول الى استسلام غير مشروط من قبل اليابان.

البيان الصادر عن مؤتمر طهران (نص جزئي)

يعبّر زعماء الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي عن عزمهم على ان تتظافر جهود دولهم في الحرب وفي السلام ، الذي سيعقبها.

أما بالنسبة للحرب فقد وضع الممثلون العسكريون للدول الثلاث الخطط الكفيلة بتدمير القوات الألمانية كما تم الاتفاق على حجم وتوقيت العمليات التي سيتم القيام بها وصولاً الى هذا الهدف.

إن التفاهم المشترك الذي توصلنا اليه سيضمن النصر لنا.

أما بالنسبة للسلام فنحن على ثقة ان الاتفاقات التي توصلنا اليها ستساهم في اقامة سلام دائم. ونحن نقر بالمسؤولية العظمى الملقاة على عاتقنا وعلى كل الأمم الأخرى في اقامة صرح السلام وإبعاد شبح الحرب عن الأجيال القادمة.

وسوف نعمل من أجل تعاون جميع الدول كبيرها وصغيرها في إزالة آثار الطغيان والعبودية والاضطهاد ونرحب بانضمامها جميعاً الى الأسرة الدولية.

إن أية قوة على الأرض لن تقف بيننا وبين تدمير الجيوش الألمانية في البر والبحر والجو. وسيكون هجومنا أكثر عنفاً وقوة وبدون هوادة.

ونحن نتطلع بعد هذا المؤتمر الى اليوم الذي يصبح فيه بمقدور كل شعوب العالم ان تعيش بسلام وحرية في اختيار أنظمتها وفقاً لرغباتها وضمائرها.

جئنا الى هنا يحدونا الأمل والتصميم. . ونغادر ونحن أصدقاء في الروح والهدف.

الفهرست

رقم الايـداع ٦٠٢ في المكتبة الوطنيـة ببغداد لسنـة ١٩٨٦

عدد النسخ المطبوعة (٣٠٠٠) نسخة .

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

هذا الكتاب

لا تقل اهمية مؤتمر طهران الذي عقد سنة ١٩٤٣، بين قادة الدول الحليفة الثلاث (امريكا، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا) عن مؤتمري يالطا وبوتسدام. فمن الناحية العسكرية حدّد هذا المؤتمر مسار ستراتيجية الحلفاء الى حين انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن الناحية السياسية مهدّ الطريق امام الزعماء الذين اجتمعوا في مؤتمر يالطا للمضي في تقسيم اوربا واجزاء أخرى عديدة من العالم. اضافة الى كونه اول لقاء يجمع بين الرئيس الأمريكي روزفلت والزعيم السوفيتي ستالين. ومع ذلك فان الاهتمام قد تركز على المؤتمرين الأخيرين، بينما نال اللقاء الآخر الاهمال.

من هنا كان هذا الكتاب الذي اعتمد مؤلفه ـ كيث سينزبري بشكل اساس على الوثائق والمذكرات على نبذ عن حياة القادة الذين وردت اسماؤهم فيه ونعتقد ان القارئ الكريم سيجد فيه الكثير مما يغني الموضوع.



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

عدد النسخ المطبوعة ثلاثة آلاف نسخة

السعر ثلاثة دنانير وربع